جامعة الأمام محمد بن سعود الأسلامية
كلية اللغة العربية
قسم النحو والصرف وفقه اللغة

جامعة البحرين
المكتبة
LIBRARY
University of Bahrain

كلية البحرين الجامعية
المكتبة
LIBRARY
University College of Bahrain

هدية
PRESENT

# أبو بكر بن الأنباري

## حياته وجهوده اللغوية

رسالة ماجستير مقدمة من

الطالب/ علي محمد نور المدني

بإشراف

الأستاذ الدكتور أمين علي السيد

الرياض
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

لله الحمد ، وبه الاستعانة ، وعليه التكلان ، وإليه الإنابة ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة ، وأتم التسليم ،

وبعد :

فقد كنت أصبو إلى تحقيق "كتاب الزاهر" لأبى بكر بن الأنبارى منذ أن تعرفت عليه عن طريق القراءة والبحث والتنقيب . وقد شجعنى على ذلك كثرة نسخه ، فأزمعت شد الرحال إلى تركيا للتعرف على معظم تلك النسخ فى استانبول ، فرحلت واطلعت على ماشئت ، ولكنى فوجئت بخبر ينبئ أن أحد العلماء فى مصر قد قام بنسخه تمهيدا لتحقيقه ، فانصرفت عن ذلك ، لئلا يكون تكرار لجهد ، ينبغى أن يبذل فى مجال آخر ، وعدت من رحلتى وفى حوزتى مصورة للكتاب عن نسخة "لاله لى" .

ومنذ ذلك الحين لمع اسم ابن الأنبارى أمام ناظرى ، وشغلنى ماله من آثار علمية كثيرة ، وكنت أعرف قبله عالما آخر بهذا الاسم ، وهو صاحب "الإنصاف فى مسائل الخلاف" ، وكانت إضافة هذا الكتاب إلى أبى البركات الأنبارى هى وسيلتى للتفرقة بينه وبين أبى بكر بن الأنبارى .

وظل اسم ابن الأنبارى علما يذكرنى بالزاهر وبغيره من مؤلفات الرجل ، ويجدد فى نفسى الرغبة فى الاتصال به ، وكثيرا ماكنت أخلط بين الرجلين فى مراجعاتى بعض كتب اللغة ومعاجمها ، حيث ذكر أحدهما باسم "ابن الأنبارى" من غير تحديد .

وعندما تتبعت الأمر رأيت أن ذلك الخلط قد لا يخلص من الوقوع فيه كثير من الباحثين ، فسرى فى نفسى شعور بأهمية التفرقة بينهما بالدراسة العلمية .

فعقدت العزم على تخصيص أبى بكر بن الأنبارى ببحث يزيل اللبس، ويعين على اعطائه حقه ، كما أخذ البركات حقه من قبل وقد حفزنى الى هذه الدراسة سببان :

أولهما : أن أبا البركات قد نال حظه من الدراسة،[1] واشتهر بين طلاب العلم بما نشر من مؤلفاته وآرائه .

وثانيهما : صلتى السابقة بأبى بكر عن طريق "الزاهر"، الذى اتجهت الى تحقيقه ونشره ، لو لم أسبق بمن خطا نحوه الخطوة الأولى .

وقد تبين لى فيما بعد أن الخلط تجاوز كلا من أبى بكر وأبى البركات لينال أنباريا ثالثا هو القاسم بن محمد والد أبى بكر فقد وجدت كثيرا من العلماء لا يميز بينه وبين ابنه أبى بكر وقد يخلط بعضهم بينه وبين أبى البركات أيضا .

ونظرا لأن هؤلاء الثلاثة أكثر الأنباريين شهرة ، وأذيعهم صيتا ، رأيت أن أبدأ بوضع الحد الفاصل بين صاحب الفضل فى كتابة هذا البحث ، أبى بكر بن الأنبارى ، وبين والده أبى محمد الأنبارى ، من جهة ، وسميه أبى البركات الأنبارى ، من جهة أخرى .

أما أولهما : فهو القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن ، . أبو محمد الأنبارى،[2] والد أبى بكر .

وقد كان عالما محدثا اخباريا ، عارفا بالأدب ، والغريب ، صاحب لغة وعربية ، ثقة[3] صدوقا أمينا .[4]

---

(١) وذلك فى رسالة الدكتوراه بعنوان "عبد الرحمن الأنبارى وأثره فى النحو"، لأحمد محمد قاسم ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، سنة ١٩٧٢م انظر الدليل الببليوجرافى للرسائل الجامعية فى مصر ص ١٢٧٨ .

(٢) انظر ترجمته فى : الفهرست ٨١-٨٢، وطبقات النحويين واللغويين ٢٢٨، ومراتب النحويين ٩٧، وتاريخ بغداد ١٢/٤٤٠-٤٤١، ومعجم الأدباء ٦/١٩٦-١٩٨، وبغية الوعاة ٣٨٠ وغيرها .

(٣)

أخذ القاسم عن سلمة بن عاصم ، وأبى عكرمة الضبى ، وأحمد بن عبيد بن ناصح وجماعة من العلماء .[1]

سكن بغداد ، وهو من أهل الأنبار .[2]

من مؤلفاته المعروفة : كتاب " خلق الإنسان " ، و " خلق الفرس " ، و" الأمثال " ، و" المقصور والممدود " ، و" المذكر والمؤنث " ، و" غريب الحديث " ، وشرح المفضليات ، ولم يصل إلينا من هذه الكتب - حسب علمى - سوى الأخير وهو مطبوع متداول .

لم يذكر من تلاميذه فى كتب التراجم والطبقات غير ابنه .

توفى القاسم بن بشار ببغداد سنة أربع وثلاثمائة ،[3] وقيل خمس وثلاثمائة .[4]

وسيرد ذكره بكثرة فى مواضع متفرقة من البحث .

وأما الثانى فهو أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الأنبارى النحوى ،[5] عالم نحوى ، لغوى ، أديب ، ثقة ، صدوق ، فاضل .[6]

سكن بغداد من صباه الى أن توفى بها .[7]

أخذ عن الجواليقى وابن الشجرى وابن الرزاز وغيرهم .

وكان زاهدا عابدا مخلصا ناسكا .[8]

ترك مؤلفات كثيرة عرف فضلها ، وعم نفعها ، منها :

" الإنصاف فى مسائل الخلاف " ، و " أسرار العربية " ، و " نزهة الألباء " ، و " الإغراب فى جدل الإعراب " و" لمع الأدلة " ، و " الأضداد " ، و " عقود الإعراب " ،

---

(١) انظر معجم الأدباء ٦/١٩٦ ، وانباه الرواة ٣/٢٨ ، ومراتب النحويين ٩٧ .
(٢) انباه الرواة ٣/٢٨ .
(٣) طبقات النحويين واللغويين ٢٢٨ .
(٤) بغية الوعاة ٣٨٠ .
(٥) انظر ترجمته فى : انباه الرواة ٢/١٦٩ - ١٧١ ، ووفيات الأعيان ٣/١٣٩ - ١٤٠ ، وبغية الوعاة ٣٠١ - ٣٠٢ ، وشذرات الذهب ٤/٢٥٨ - ٢٥٩ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ١٢٤ - ١٢٥ وغيرها .
(٦) انظر : انباه الرواة ٢/١٦٩ ، ووفيات الأعيان ٣/١٣٩ ، وبغية الوعاة ٣٠١ .
(٧) انباه الرواة ٢/١٦٩ .
(٨) شذرات الذهب ٤/٢٥٨ .

وغيرها كثير،[1] وقد وصل إلينا طائفة منها ، وهى أشهر من أن أعرف بها ، أو أتحدث عنها فى هذه المقدمة .

وانقطع أبو البركات فى آخر عمره فى بيته ، واشتغل بالعلم والعبادة ، وترك الدنيا ومجالسة أهلها .[2]

ثم توفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وكان مولده سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .[3]

وقد اشتهر غير أبى محمد وأبى بكر وأبى البركات الأنباريين — طائفة كبيرة من العلماء والأدباء المنسوبين إلى "الأنبار" ، كلهم دون هؤلاء الثلاثة شهرة ، وأقل منهم خدمة للعلم والأدب أذكر منهم هنا :

— سريج بن يونس — أو ابن إبراهيم — بن الحارث البغدادى الأنبارى ، أبو الحارث :[4] محدث ، ثقة ، صدوق ، روى عن هشيم ، وإسماعيل بن جعفر ، روى عنه أبو يعلى الموصلى ، وأبو القاسم البغوى .

وكان ممن جمع وصنف .

توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين .

— إسحاق بن بهلول بن حسان الأنبارى ، أبو يعقوب :[5] محدث ، رحل فى طلب الحديث ، فقيه ، حسن العلم باللغة ، والنحو ، والشعر ، ثقة ، صدوق .

سمع أباه البهلول بن حسان ، ويزيد بن هارون ، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم . روى عنه محمد بن عبد الرحيم صاعقة ، وابراهيم الحربى ، وعبد الله بن محمد بن ناجية وغيرهم .

صنف "المسند" ، وكتابا فى الفقه سماه "المتضاد" .

توفى بالأنبار سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وكان مولده سنة أربع وستين ومائة .

---

(١) انظر بغية الوعاة ٣٠١ - ٣٠٢ ، والبلغة ١٢٥ .
(٢) شذرات الذهب ٤/٢٥٩ .
(٣) انباه الرواة ٢/١٧١ .
(٤) انظر أنساب السمعانى ١/٣٥٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/٤٥٧-٤٥٩ ، واللباب ١/٦٩ .
(٥) انظر تاريخ بغداد ٦/٣٦٦-٣٦٩ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٣ .

ـ عبد الله بن أحمد بن أبى زيد ، أبو طالب الأنبارى : [1] عالم إمامى ، كان أصله من الأنبار ، ولكنه أقام وتوفى بواسط .

من كتبه : "المطالب الفلسفية" ، و"البيان عن حقيقة الإنسان" ، و"الشافى فى علم الدين" .

توفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

ـ أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول بن حسان ، أبو الحسن الأنبارى : [2] محدث ، صحيح السماع ، حدث عن عمر بن إسماعيل الثقفى وغيره ، وحمل عن جماعة من أهل الأدب منهم على بن سليمان الأخفش ، وأبو بكر بن دريد ونفطويه .

وحمل قطعة من النحو واللغة عن أبى بكر بن الأنبارى .

قيل : إنه كان معتزليا .

توفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وقيل : ثمان وسبعين وثلاثمائة .

ـ محمد بن عمر بن يعقوب ، أبو الحسن الأنبارى [3] .

شاعر مقل ، وكان أحد العدول ببغداد ، وكان صوفيا واعظا .

اشتهر بمرثيته فى الوزير ابن بقية التى مطلعها :

علو فى الحياة وفى الممات لحق تلك احدى المعجزات

وهو ممن وقع الخلط بينه وبين أبى بكر بن الأنبارى ، فقد نسب الثعالبى قصيدته هذه إلى أبى بكر ، [4] وهو مخطئ فى ذلك ، ولم يوافقه أحد عليه ، ذلك أن ابن بقية صلب سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وأما أبو بكر بن الأنبارى فقد توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، أى قبل ابن بقية بتسع وثلاثين سنة .

---

(١) انظر الاعلام ٤/١٩٠ ، وكتاب تعليقات على منهج المقال فى تحقيق أحوال الرجال ص ١٩٧ - ١٩٨ .
(٢) انظر تاريخ بغداد ٥/٢٢١ - ٢٢٢ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٣ .
(٣) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/١٣٥ ، والنجوم الزاهرة ٤/١٣٠-١٣١ ، والاعلام ٧/٢٠٢ .
(٤) انظر يتيمة الدهر ٢/٣٧٣ .

هذا وقد توفى أبو الحسن بن الأنبارى حوالى سنة ثمانية وثلاثمائة .

- محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم ، أبو عبد الله سديد الدولة ابن الأنبارى :[1]

الكاتب ، الشاعر ، والأديب الفاضل .

كان ذا رأى وتدبير ، فَعَلَت مكانته عند الخلفاء والسلاطين ، وناب فى الوزارة .

ولد سنة تسع وستين وأربعمائة ، وتوفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

- محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفرج بن سديد الدولة ابن الأنبارى :[2]

كاتب الانشاء فى ديوان الخلافة ، بعد أبيه . سمع أبا محمد بن أحمد السمرقندى وطبقته . وكان فاضلا عاقلا عفيفا .

ولد سنة سبع وخمسمائة وتوفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

- محمد بن الحسين بن عبد ويه الأنبارى المروزى ، أبو بكر :[3]

محدث ، روى عن عبد الله بن الحسين النضرى ، وروى عنه أبو القاسم الزهراوى .

وليست نسبته إلى أنبار العراق ، بل إلى سكة بمرو يقال لها " سكة الأنبار " . كما أنه ليس فى شهرة الذين تقدموا ، وانما خصصته بالذكر مع هؤلاء لاتفاق كنيته مع كنية أبى بكر بن الأنبارى .

وليس بين من نسب الى " الأنبار " - من المعروفين عندى - من اتفقت كنيته مع كنية أبى بكر غير هذا ، وهو غير مشهور كما أسلفت .

وغير هؤلاء كثيرون نسبوا إلى " الأنبار " إلا أنى أجتزئ بمن ذكرت لضيق المقام .

---

(١) ترجمته فى : المنتظم ١٠-/٢٠٦ ، والوافى بالوفيات ٣/٢٧٩ ، والبداية والنهاية ١٢/٢٤٧ ، والنجوم الزاهرة ٥/٣٦٤ ، والأعلام ٧/٨٤ .

(٢) ترجمته فى الكامل لابن الأثير ١١/٤٦١ ، ومرآة الزمان ٨/٣٥٨ ، والاعلام ٧/٢٥٢ .

(٣) انظر أنساب السمعانى ١/٣٥٣ ، واللباب ١/٦٩ .

وبحثى هذا قد خصص لدراسة أبى بكر بن الأنبارى حياته وجهوده اللغوية، وقد دفعنى اليه اعتقادى بأهمية التعرف على علماء اللغة ، والكشف عن جهادهم العلمى ، ودورهم فى خدمة اللغة العربية ، بما قدموه من مؤلفات ، وبما ورثوه من العلم لتلاميذهم ، والأجيال التى أصابت حظا من تراثهم ، أو نالت نصيبا من تراث تلاميذهم .

وقد سلك عدد من الدارسين قبلى سبيل دراسة علماء اللغة والنحو لبيان دورهم فى خدمة اللغة ، ولابراز مآثرهم فى هذا المجال ، ولكن مازالت الجهود يسيرة اذا ماقيست الى كثرة علمائنا فى هذا المضمار .

ويكفى أن نتصفح كتاب " طبقات النحويين واللغويين " ، للزبيدى ، أو كتاب " نزهة الألباء " ، لأبى البركات الأنبارى ، أو كتاب " انباه الرواة على أنباه النحاة " ، لأبى الحسن القفطى ، أو كتاب " طبقات اللغويين والنحاة " ، لابن شهبة الأسدى ، أو كتاب " بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة " ، للسيوطى ، أو كتاب " البلغة فى تاريخ أئمة اللغة " ، للفيروزآبادى ، أوغيرها من الكتب المتخصصة فى تراجم اللغويين والنحاة ، لنتبين أن البحوث المتخصصة لدراسة الأئمة المذكورين فى مثل هذه الكتب - أوعلى الأقل دراسة المشهورين منهم - مازالت فى أول طريقها .

وانى لأرجو أن يكون هذا البحث لبنة تسهم فى بناء صرح العربية وابراز مآثر سدنتها وأعلامها من علمائنا السابقين ، وأن يكون خطوة مضافة الى خطوات من سبقونى فى هذا المضمار .

وقد كان من توفيق الله أن يجىء خلوا من الأبواب والفصول التى توضع عادة عند التخطيط للبحث العلمى ، فاقتضت طبيعته أن يقسم قسمين كما يوحى بذلك عنوانه ، كما اقتضت طبيعة كل قسم أن يشتمل على موضوعات ، تختلف طولا وقصرا ، كما فرضه البحث .

فأما القسم الأول فقد قمت فيه بدراسة حياة أبي بكر بن الأنباري ، دراسة مفصلة تحدثت فيها عن نشأته وشخصيته بما يفصل بينه وبين غيره من العلماء الأنباريين دفعا للوقوع في الخلط ، وتجنبا لأسباب اللبس مما أشرت اليه آنفا .

وبدأته بتمهيد يكشف عن الملامح العامة لعصر أبي بكر في ايجاز يربط بين الرجل وعصره ، في عدد من الصفحات يكاد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة عدا ، اتبعته بالتحقيق في اسمه ونسبه ، ثم مولده ونشأته محاولا الكشف عن المدينة التي ولد فيها ، وقضى أيامه الأولى في رحابها ، والمدن التي رحل اليها بعد ذلك .

وتكلمت عن أسرته الصغيرة - التي لم أعرف منها سوى النزر اليسير - موضحا أثر هذه الأسرة في توجيهه الى طلب العلم ، ومن ثم ناقشت نشأته العلمية ، فأبنت عن بدايته المبكرة في طلب العلم مبرزا أثرها في تكوينه العلمي .

ولما كان للغنى والفقر أثر كبير على حياة العلماء في استقرارهم ، ومقدرتهم على الاستمرار في الطلب - خصصت موضوعا عرفيت فيه بحالة أبي بكر المادية منذ صغره حتى ذيوع صيته .

وعنيت بعد ذلك بابراز صفات أبي بكر وأخلاقه ، لرسم تصور واضح لشخصيته ، وفصلت القول في ثلاث صفات هامة تحلى بها أبو بكر هي : عمق التدين ، والأمانة العلمية ، وسعة الحفظ .

ثم تحدثت عن ثقافة أبي بكر ، وعرفت بطبيعة هذه الثقافة ، وجذورها التي رجحت عنده كفة المذهب الكوفي في دراساته ، وذلك ما وجهني الى معالجة مذهبه العلمي سواء في الموضع الذي خصصته له في هذ القسم ، أو في مواضع من القسم الثاني متفرقة ، شملت أمثلة تطبيقية على اتجاهه الكوفي .

وذكرت بعد ذلك أشهر شيوخه واقفا على تراجم بعضهم ، ومبرزا أثرهم فيه . ثم عرضت لأشهر تلاميذه مبينا أثره فيهم كذلك .

وختمت هذا القسم بالتحقيق فى سنة وفاته ، والمكان الذى توفى فيه رحمه الله .

وأما القسم الثانى فقد حرصت فيه على اظهار الجانب الذى برع فيه أبوبكر ، وهو الدراسات اللغوية ، وذلك عن طريق دراسة بعض مؤلفاته .

وبدأته بتمهيد أوجزت فيه الحديث عن فضل العلماء السابقين ، ثم جاء تفصيل الحديث عن نشاط أبى بكر العلمى بوصفه واحدا من هؤلاء الأئمة الأعلام .

وأعقبت ذلك تصنيفا لمؤلفاته التى عرفتها من خلال المصادر .

ونلاحظ أن ستة من كتب أبى بكر تعالج معانى الألفاظ أو العبارات ، وهذه الكتب هى : "الزاهر" ، و "الأضداد" ، و "المذكر والمؤنث" ، و "خلق الانسان" و "خلق الفرس" و "كتاب الخيل" .

وهذه الكتب كلها تدرج فى صميم علم الدلالة ، لأنها دراسة تطبيقية للمعانى ، وارتباطها بالألفاظ الدالة عليها .

وقد سبق أبا بكر الى التأليف فى هذا الحقل كثير من متقدمى الأئمة ، بل ظهر هذا الاهتمام بدلالة الألفاظ فى تاريخ العربية مبكرا ، وذلك منذ المحاولات الأولى لجمع اللغة ، ومنذ البدايات الأولى للتأليف المعجمى ، حيث حرص بعض متقدمى الأئمة على تأليف رسائل فى موضوعات صغيرة ، كالتأليف فى النخل ، والبئر ، والمطر ، وما الى ذلك .

ومن هنا فالأمانة التاريخية تقتضى أن يسجل هذا السبق العلمى الى الدراسة الدلالية لمتقدمى اللغويين العرب ، لا لبعض المحدثين من علماء اللغة الأوربين الذين زعموا فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى أنهم توصلوا الى دراسة هذا العلم .(١)

---

(١) راجع "من قضايا اللغة والنحو" للدكتور أحمد مختار عمر ، أستاذ علم اللغة بجامعة الكويت : ٤-١١ ، ٣٦-٤٦ .

وبعد أن عرضت فهرسة مؤلفات ابن الأنبارى شرعت فى دراسة ماوصل الينا من هذه المؤلفات وهى خمسة كتب ، كلها ذات صبغة لغوية ، رتبتها على النحو التالى :

" كتاب ايضاح الوقف والابتداء " .

" كتاب الزاهـــــر " .

" كتاب الأضـــداد " .

" كتاب المذكر والمؤنث " .

" شرح القصائد السبع " .

وقد حرصت فى هذا الترتيب على أن يكون تاريخيا بقدر ماوصل اليه علمى ، بعد دراسة كل منها دراسة مفصلة .

وأما كتاب شرح الألفات " فلـم أخصص له حديثا ، وذلك لتكرار موضوعه فى بابين من " كتاب ايضاح الوقف والابتداء " هما : " باب ذكر الألفات اللاتى يكن فى أوائل الأفعال "[1] و " باب ذكـر الألفات اللاتى يكن فى أوائـل الأسماء "[2] .

على أننى عقدت موازنة بينه وبين هذين البابين وعرضت نصوصا من كتاب " شرح الألفات " ونصوصا من " كتاب ايضاح الوقف والابتداء " ، وقد تبـــين اتفاق الكتابين لفظا ومعنى غالبا .

وهو على كل حال كتاب صغير ، وليس فيه زيادات على ماورد فى "الايضاح" .

وقد حرصت فى دراسة كل كتاب من الكتب الخمسة أن أعالج موضوع الكتاب الذى تقوم عليه الدراسة ، مهتما بتعريف الموضوع أو الظاهرة التى يتناولها الكتاب ، ومتتبعا جهود اللغويين العرب فى دراسة الموضوع أو الظاهرة ، ومبينا دور ابن الأنبارى بوصفه واحدا ممن أسهموا فى هذه الدراسة .

كما حرصت فى دراسة كل كتاب على عرض نسخة ، وسبب تأليفه — ان علم — وبيان مادته ومنهج المؤلف فيه ، وشواهده ومصادره ، وخصائصه ، ومدى تأثره بالسابقين ، وأثره فى اللاحقين ان وضـح هذا الأثر .

---

(١) ص ١٥١ .

(٢) ص ٢٠٢ .

وختمت الكلام على كل كتاب بابراز أهميته وأثره فيمن جاء بعد مؤلفه .

وأنهيت البحث بخاتمة ضمنتها خلاصة هذه الدراسة ونتائجها .

وقد رجعت فيه الى مصادر، متعددة أهمها : ماوصل الينـــــا من كتب المؤلـف ، وهى الستة التى تقدم ذكرها ، وهى بين مطبوع ومخطوط . كما رجعت الى كثير من كتب اللغة والنحو على تعددها . وأفدت كثيرا مـن كتب التراجم والطبقات والتاريخ ، وان كان معظمها قد أوجز كل الايجاز فى ترجمة أبى بكر بن الأنبارى .

وأهم الذين توسعوا فى ترجمته الخطيب البغدادى ، وقد كتب عنه سبع صفحات فى " تاريخ بغداد " ، وأبو البركات الأنبارى وقد كتب عنه ثمان صفحات فى " نزهة الألباء " ، وياقوت الحموى وقد كتب عنه ثمان صفحات أيضا فى " معجم الأدباء " ، وأما سائر أصحاب المصادر فقد التزموا الايجاز كما تقدم .

هذا وقد رجعت الى كتب كثيرة أفدت من مناهجها ، ولم أذكرها ضمن مصادرى لعدم ورودها فى الحواشى .

هذا وانى لأضـرع الى الله العلى القدير أن يجزى المشرف على رسالتى هذه بقدر ماقدم من ارشاد وتوجيه ، وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناته .

ولقد بذلت ماوسعنى من الجهد فى انجاز هذه الرسالة، ولا أحسبنى الا عاجـــزا عن ادعاء الكمال ، فان الكمال ليس من صفات البشر .

ولا أشك فى أن المعقب سيقع على هنوات وهفـوات، أرجو أن أقـف عليها لأصلح منها ماأفسدت .

وكل مافى هذه الرسالة من صواب فهو من فضل الله وتوفيقـــــــه ، وكل مافيها من البعد عنه فهو من سمات الانسان ، وحسبى أننى اجتهدت، وحـاولت الاحسان ، وفوق كل ذى علم علـيم .

والحمد لله أولا وآخـرا على ماوفق وهدى ، هو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

على محمد نور المدنى

بسم الله الرحمن الرحـــــــيم

## القســـــــــم الأول

### حياة أبـــى بكر بن الأنبـــــارى

تمهيـــــــــد .

١ــ التحقيق فى اسمه ونسبـــه .

٢ــ مولده ونشأتـــــــــــه .

٣ــ أسرتـــــــــــــه .

٤ــ نشأتـــه العلميـــــــــة .

٥ــ حالته الماديـــــــــة .

٦ــ صفاته وأخـــــــلاقـــه :

أ ) تدينه وزهـــده

ب ) أمانته العلميـة

جـ ) سعـــة حفظـه

٧ــ ثقافتـــــــــــــه .

٨ــ مذهبـــــه الكوفـــى .

٩ــ شيوخـــــــــــــه .

١٠ــ تلاميـــــــــــذه .

١١ــ وفـاتـــــــــــه .

## تمهيـــــــــــــــــد

قامت الدولة العباسية بمساندة طائفة من الفرس الذين كانوا يحلمـــــون باستعادة المجد الفارسى ، وسيادة العنصر الفارسى ، وقد برزت هذه النيـــــة واضحـــة فى مكايدهم للعرب عن طريق دخولهم مختلف مرافق الدولة الهامـــة فكان منهم وزراء وولاة وقواد ، ومازالوا كذلك حتى تعاظم شأنهم فى الدولـــة ، وباتوا خطرا مهددا لكيان الخلافـة ، فخرجت الثورات والفتن من هنا وهنـــاك. إلا أن قوة الخلافة فى العصر العباسى الأول حالت دون نواياهم ، فنكبوا نكبات شديدة على نحو ماهو معروف عن نكبة البرامكة وآل سهـل (١) . وقد كانـــت سيطرة خلفاء العصر الأول على زمام الدولة قوية إلا أن تلك الثورات الفارسيـــة لم تتوقف تماما وخاصة فى شرقـي الدولة .

وعند ماجـــاء المعتصم فكر فى الاعتماد على عنصر آخر غير العنصر الفارســي الذى استفحل خطره ، فهدى إلى الرقيق التركى الذى كـــثر توافده علـــى بغداد ، ومازال المعتصم يستجلبهم ويقربهم حتى قويت شوكتهم. وكان معظمهـــم بدوًا حفـاة فعاثوا فى بغداد فسادا وضاق بهم أهلها فشكوهم إلى المعتصم ، فاضطر إلى أن يبنى لهم سامراء ـ شمالى بغداد ـ فنقلهم إليها وانتقل معهم.(٢) وبذلك انتقلت عاصمة الخلافة إليها ، وبقيت كذلك إلى نهاية خلافـــة المعتمـــد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) ، حيث أعادها المعتضـــد ( ٢٧٩هـ) بعده إلى بغداد . وكان اعتماد المعتصم على هذا العنصر الجديد تورطا كبيرا للدولة العباسية ، فالأتراك لم يكـونوا أكثر من عنصر بدوى جاهـل ، حل محل عنصـر متحضـر

---

(١) تاريخ الطبرى ١١/٦٦٧ ( حوادث سنة ١٨٧هـ)، ومروج الذهب ٣/٣٦٨، والفخرى ١٨٥ ، ١٩٣ ، وسمط النجوم ٣/٢٧٩ .

(٢) تاريخ الطبرى ١١/١١٧٩ ( حوادث سنة ٢٢٠ ) والفخرى ٢٠٥ ، ومعجم البلدان ٣/١٤ ـ ٣٢ ، وأنساب السمعانى ٧/١٤ـ ١٥ .

مثقف ، مما أدى إلى ظهور شرهم منذ عهد المعتصم نفسه ، إلا أن شخصيته القويـة حالت دون طغيانهم ، وكذلك كانت شخصية خلفه الواثق ، لكنهم أخذوا يستبدون بالأمـر بعد الواثق ، حتى نفذوا إلى السلطة الكاملة فى عهد المنتصر . وبعد ذلك أصبح معظم الخلفاء صوره شكلية مسخرة للمماليك الأتراك ، يوجهونهم حسب مشيئتهم ، يولونهم متى شاءوا ويخلعونهم متى شاءوا ، بل اجترأ هؤلاء المماليك على كثير منهم بالقتل والتعذيب وسمل العيون .(١)

وهكذا ساد هذا العصر ضعف وهوان ، وفتن ، ومؤمرات ، وحتى الأتراك أنفسهم لم يكونوا فى أمـان من أمرهم ، فقد وقع بعضهم فى بعض قتلا وتهديدا ، حتى غرقت عاصمـة الخلافة فى بحر من المشاغبات والاضطرابات المتواليـة مما شجع على ظهور الثورات والحركات الاستقلالية فى أجـزاء كثيرة من الدولـة ، فأرهقتها ، وأضعفت ميزانيتها (٢) ، واستمر الحال كذلك إلى خلافة المعتمـد (٢٥٦هـ) حيث انتعشت الخلافة بعض الشئ فى عهده ، وفى عهد خلفـه المعتضد (٣) (٢٧٩هـ) ، ثم عاد الضعف مرة أخرى مع بروز سلطة نساء القصـر ، ومنصب أمير الأمـراء (٤) ( ٣٢٤ ـ ٣٣٤هـ) حيث كثرت الفوضى والمؤمـرات ، ومصادرة الأموال ونهبها ، وصار هذا المنصب ساحة يتطاحن فيها كبار القادة ، وبذلك زادت الفتن والثورات والحركات الاستقلاليـة التى تمردت على الدولة ، ولم تدخل سنة ( ٣٢٥هـ) حتى كانت الدولة العباسية مفككة الأوصال ، وويلات مستقلة ، حيث استقل الأدارسة والأغالبة ، والطاهرية والزيادية ، كما استقل الصفاريون بفارس ، والسامانيون بخراسان ، والزيديـون بطبرستان والرى والجبـل ، واليعفريون بصنعاء والحمدانيون بالموصل وحلب ، والطولونيون والأخشيديون بمصر ، والفاطميون فى الشمال الأفريقى (٥) .

---

(١) انظر الفخرى ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ، عند نهايه كل خليفه من خلفاء هذا العصر .

(٢) التنبيه والاشراف ٣٤٦ .

(٣) الفخـــرى ٢٢٥ .

(٤) الكامل ٨/٩ـ١١ ، تجارب الأمم ٥/٣ ، الفخرى ٢٣٠ ، وتاريخ الخلفاء ٣٨٠ ، وسمط النجوم ٣/٣٦٢ .

(٥) تجارب الامم ٥/٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، وسمط النجوم ٣/٣٦٢ .

وقد كان هذا التفكك والضعف خطرا أصاب كيان الدولة العباسية إلا أن الحركة العلمية بقيت نشيطة ، وقد غذتها بلاطات الدويلات المستقلة ، فانتشرت الثقافة وبرزت الحركة الفكرية يشجعها مختلف الفرق التى امتطت متن الثقافة والعلم لتحقيق أهدافها السياسية والدينية ، ويحتضنها سلاطين وأمراء الدويلات وتغذيها سيول عظيمة من ثقافة الأمم المجاورة وعلومها ، مضافة إلى العلوم العربية الجديدة التى برزت فى هذا العصر وخاصة ما اتصل منها بالقرآن الكريم .

وكانت الكتاتيب هى المدرسة الأولى للتلقى ، تليها حلقات المساجد التى ازدهرت فى هذا العصر ازدهارا كبيرا ، وكانت هذه الحلقات ذات مستوى عال ، وكانت تضم مختلف التخصصات وخاصة علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والشعر ، وعلى المستوى الخاص كان العلماء الموهوبون يرشحون للتدريس لأبناء الخلفاء والسلاطين والأمراء والقادة ، وكانوا يتقاضون مقابل ذلك رواتب ضخمة (١) ، وعلى العموم فقد أغدق الخلفاء والسلاطين وأعيان الدولة أموالا ضخمة على الأدباء والعلماء . وقد ساعد على رقى هذه النهضة العلمية انتشار المكتبات فى مختلف بقاع العالم الإسلامى وكانت المكتبات الخاصة منها تتمثل فى مكتبات العلماء من عشاق الكتب بالإضافة إلى خزائن كتب الخلفاء والسلاطين والأمراء التى كانوا يفاخرون بها غيرهم . والمكتبات العامة تتمثل فى مكتبات المساجد (٢) التى كانت تستمد الكتب من عامة الناس ، ولا سيما الموسرين حبا منهم فى انتشار الثقافة وطلبا للأجر عن طريق وقف الكتب للعلم .

---

(١) الفهرست ٦٦ ، وانباه الرواة ١/١٤٢ و ١٦١ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٢٦ ، وطبقات الشافعية ٢/١٩٢ ، و ٢٤٨ .

(٢) وفيات الأعيان ١/١٤٣ ( فى ترجمه أبى نصر المنازى ) ، ومعجم البلدان ٤/٥٠٩ — ٥١٠ ، وخطط المقريزى ١/٤٠٨ — ٤٠٩ ، والمقدسى ٤٤٩ ، ومعجم الأدباء ٥/٤٦٧ .

هذا هو الجو العام لعصر أبى بكر بن الأنبارى، فقد ولد فى بدايات تفكك الدولة العباسية ، منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ثم أدرك ضعفها الفعلى وتفككها الحقيقى فى أواخر الربع الأول من القرن الرابع الهجرى فعاش فى جو من الفتن والاضطرابات وسوء الأوضاع وظهور حركات الإلحاد والزندقة، لكنه التزم دينه وخلقه متمسكا بمذهب أهل السنة(١) ، وتفرغ لعلمه وقراءته وتأليفه وتدريسه ولم يتصل برجال الدولة إلا فى أواخر حياته حيث اتصل بالخليفة العباسى الراضى بالله (٢) (٣٢٢ — ٣٢٩هـ) .

---

(١) الفهرست ٨٢، وتاريخ بغداد ٣/١٨٢، ١٨٣، وانباه الرواة ٣/٢٠٧، وبغيه الوعاة ٩١، والمنتظم ٦/٣١٢، وروضات الجنات ٦٧٨، ونزهة الألباء ٣٦٤ ومعجم الأدباء ٧/٧٣، وطبقات المفسرين ٢/٢٢٦ وغيرها .

(٢) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ ، وأنباه الرواة ٣/٢٠٤ والوافى بالوفيات ٤/٣٤٤، وتكملة تاريخ الطبرى ١/١١٥، ونزهة الألباء ٣٦٧، والمنتظم ٦/٣١٣ وغيرها .

## حيـــــاة أبـــى بكـــر بن الأنبارى

### ١ــ التحقيق فى اسمه ونسبه

تكاد المصادر التى ترجمت لأبى بكر بن الأنبارى تتفق على اسمه ونسبه ، ولا توجد بينها خلافات إلا نادرا يسيرا . وأول من ذكر اسمه ونسبه فيما بـــين أيدينـــا من المصادر ، هو أبو منصور الأزهـــرى (ت ٣٧٠هـ) فى مقدمتـــه لتهذيب اللغة ، وقد أورده رباعيـــا مع نسبته : " الأنبـــارى " مضيفـــا إليه لقـــب : " النحـــوى " على النحو التالـــى :

" أبو بكر محمـــد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى النحوى "(١)

وقد توقف الأزهـــرى عند جـــده الثانـــى . وجـــاء بعده أبوبكر الزبيـــدى (ت ٣٧٩هـ) فأضاف إليه جده الثالث وهو الحسن ، وأسقط عنه لقب النحوى(٢) .

وأكمـــل سلسلة لنسب ابن الأنبارى بعد ذلك ماذكره الخطيب البغدادى (ت ٤٣٦ هـ) فى تاريخ بغداد ، وقد أضـــاف إلى ماذكره الزبيدى خمسة مـــن أجـــداده ، فهو عنـــــده : " محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بـــن الحسن بين بَيَّـــان(٣) بن سَماعَـــة بن فَرْوَة بن قَطَن بن دِعامَة ، أبوبكـــر بـــن الأنبارى النحوى "(٤) .

وقد اعتمد المتأخرون بعد ذلك على المصادر الثلاثة السابقة فلا يضيفـــون جديدا اللهم إلا فى إضفاء بعض الألقاب والصفات على أبى بكر ، وأشهرهـــــا : اللغوى والنحوى ، وقد أضافه معظم الذين ترجموا لحياته ، وهناك ألقـــــاب أخـــرى كثيرة أهمها :

---

(١) ١/٢٨ .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ١٧١ .
(٣) ضبطه ابن الجزرى بالموحدة وآخر الحروف ، أى البـــاء والنون بالموحدة انظر غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٤٠ .
(٤) ٣/١٨١ — ١٨٢ .

العلامة(١) ، والأديب (٢) ، والإمام (٣) ، والمحدث (٤) ، والمفسر (٥) ، والمقرئ (٦) ، والحافظ (٧) ، والإمام الكبير والأستاذ الشهير(٨) ، والفاضل (٩) ، والمتبحر (١٠) ، والعالم (١١) ، والزاهد (١٢) ، وصاحب العربية (١٣) ، وصاحب التصانيف (١٤) .

ونجد ابن الجزرى يضيف إليه نسبة جديدة هى "البغدادى (١٥)" ، وتابعه فى ذلك كل من ابن قاضى شهبة وإسماعيل باشا البغدادى (١٦) ، وليس هذا غريبا وذلك لسكنى أبى بكر بغداد ، جريا على عادة العرب فقد ينسب

---

(١) انظر : العبر فى خبر من غبر ٢ / ٢١٤ ، والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٦٩ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، والوافى بالوفيات ٤ / ١٣٤ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .

(٢) انظر : معجم الأدباء ٧ / ٧٣ ، وهدية العارفين ٢ / ٣٥ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣ .

(٣) انظر : بغية الوعاة ٩١ ، والمزهر ٢ / ٢٤٠ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٣٠ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣١٥ ، والكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٦ .

(٤) انظر : طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، والكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٦ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣ .

(٥) انظر : طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣ .

(٦) انظر : طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، والكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٦ .

(٧) انظر : طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، وهدية العارفين ٢ / ٣٥ .

(٨) انظر : غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ .

(٩) انظر : روضات الجنات ٦٧٧ .

(١٠) نفسه .

(١١) و(١٢) انظر الكواكب السيارة ١٤٦ .

(١٣) انظر : دول الإسلام ١ / ١٤٨ .

(١٤) انظر : اللباب فى تهذيب الأنساب ١ / ٦٩ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٤١ ، والعبر فى خبر من غبر ٢ / ٢١٤ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٦٩ ، والمشتبه فى الرجال ١ / ٩ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١ / ٣٥ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣١٥ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، وأنساب السمعانى ١ / ٣٥٤ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .

(١٥) انظر غايه النهايه ٢ / ٢٣٠ .

(١٦) انظر طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، وهدية العارفين ٢ / ٣٥ .

أحدهم إلى مدينة سكنها بعض حياته ، ويحتمل أن يقصد انتماءه إلى المدرسة البغدادية في اللغة والنحو، وسأعرض لهذا في موضعه إن شاء الله . (١)

وأما الخلاف حول أسماء آبائه فهو يسير جدا لا يكاد يذكر ، لأنه وقع إما سهوا ، أو تصحيفا ، فالسهو: سقوط: "حسن" — وهو الجد الثالث — بعد "بشار" — وهو الجد الثاني وقد حدث ذلك عند ابن الجوزي (٢) وتابعه فيه كل من ابن العماد الحنبلي (٣) وإسماعيل باشا البغدادي (٤) ، والتصحيف وقع في "بشار" حيث صحفت الباء المعجمة بواحدة تحتها إلى ياء تحتية باثنتين ، والشين المعجمة إلى سين مهملة ، فتغير الاسم من بشار إلى يسار ، وهو ما وقع فيه إسماعيل باشا البغدادي (٥) ، ومع أن ابن قاضي شهبة قد ضبط بشارا هذا — دون غيره — "بفتح الموحدة وتشديد الشين المعجمة" (٦) إلا أن البغدادي لم ينتبه إلى ذلك ، ولعله لم يرجع إليه .

ووقع التصحيف أيضا في "الحسن" حيث جعله ياقوت الحموي "حسينا" ، وهو كذلك عند السيوطي (٧) . ويحتمل أن يكون الخطأ في كلا الجالين قد وقع من قبل النساخ .

وفيما عدا هذه التحريفات اليسيرة تتفق كل المصادر على سلسلة نسب ابن الأنباري كما أوردها الخطيب البغدادي ، وقد يختصر بعضها فيقف عند "بشار" ويضيف بعده نسبه الأنباري (٨) .

" والأنباري " بفتح الألف وسكون النون بعده وفتح الباء الموحدة والراء بعد الألف ، نسبة إلى "الأنبار" (٩) وهي بلدة قديمة على الفرات غربي بغداد ،

---

(١) انظر فيما يأتي ص ٦٤ وما بعدها
(٢) المنتظم ٦/ ٣١١ .
(٣) شذرات الذهب ٢/ ٣١٥ .
(٤) هدية العارفين ٢/ ٣٥ .
(٥) نفسه وايضاح المكنون ١/ ١١٨ .
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .
(٧) معجم الأدباء ٧/ ٢٧٣ ، وبغية الوعاة ٩١ .
(٨) تهذيب اللغة ١/ ٢٨ ، والفهرست ٨١ — ٨٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٩ ، ومختصره (٣٢٧) ، ونزهة الألباء ٣٦٤ ، واللباب ١/ ٦٩ ، والعبر في خبر من غبر ٢/ ٢١٤ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، والمزهر ٢/ ٢٤٠ ، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٣٤ ، وشذرات الذهب ٢/ ٣١٥ ، والأعلام ٧/ ٢٢٦ .
(٩) اللباب ١/ ٦٩ .

بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، وسميت بذلك لأن الأكاسرة كانوا يجمعون بها أنابير (١) الطعام . وقد خرج من الأنبار جماعة من العلماء والفضلاء ، واتخذها أبو العباس السفاح — أول الخلفاء العباسيين — دارا لخلافته ، ثم انتقلت إلى بغداد فى عهد خلفه أبى جعفر المنصور . وهى أرض عربية ، ويعزى وضع الخط العربى إلى رجل منها (٢) . وقد نزلها جماعة من بنى إسماعيل عليه السلام وبنى معد بن عدنان (٣) ، وأعتقد أن ابن الأنبارى من هذه السلالة ، فهو من ذرية عربية أصيلة ، وتؤكد لنا سلسلة نسبه حقيقة ذلك ، إذ إنها كلها أسماء عربية خالصة .

وتقرر بعض المصادر أن هذه النسبة — الأنبارى — جاءته من أبيه لأنه كان من أهل الأنبار (٤) . وأينما كان مولد أبى بكر ابن الأنبارى بعد ذلك فإن هذه النسبة لاغبار عليها لأن نسب الأب هو نسب الابن .

هذا هو نسب أبى بكر وأبيه ، أما أمه فلا يوجد لها ذكر فى المصادر . فهل كانت هى الأخرى عربية ، أو أنها من أصل آخر ؟ وهل نشأ ابن الأنبارى فى كنفها ، أو عاش لطيما محروما من تربيتها ورعايتها ؟ هذا ما لا يمكننى الحديث عنه لأننى لم أهتد إلى نص أو إشارة تكشف عن شئ من ذلك ، وإن قلت : إنه عاش لطيما فهو مجرد ظن لا يقوم على دليل قاطع ، وكل ما أستند إليه فى هذا الظن أمران : الأول — إهمال ذكر أمه فيما وصل إلينا من المصادر التى ترجمت لحياته . والثانى — أن أباه ذكر أنه قدم بغداد ومحمد صغير ولم يقرنه بذكر أمه ، وقد ذكر هذا أبو عمر الزاهد فقال : " أخبرنى أبو محمد الأنبارى قال : قدمت إلى بغداد ومحمد صغير وليس لى دار " (٥) . فهل نفهم من هذا النص أن أبا محمد لم يحضر معه أم محمد عندما قدم بغداد أو أنها هى لم تكن أصلا على قيد الحياة ، أو أنها كانت برفقته ولم يشأ أن يذكرها هاهنا لسبب ما ؟ كل ذلك جائز .

---

(١) قال الأزهرى فى تهذيب اللغة (نبر) ١٥/٢١٤ — ٢١٥ " الأنبار " أهراء الطعام واحدها نبر ، ويجمع أنابير جمع الجمع .
(٢) أنساب السمعانى ١/٣٥٢ (٣) نفسه ، ومعجم البلدان ٤/٣٢٩ و ٣٣٠ .
(٤) الفهرست ٨١ ، وروضات الجنات ٦٧٧ . (٥) معجم الأدباء ٦/١٩٧ .

تتفق معظم المصادر على تحديد دقيق لمولد ابن الأنبارى يجمع فيه على تعيين تاريخ ميلاده محددا باليوم والشهر والسنة، فقد ولد فى يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين[١] (٢٧١هـ) وإن كانت بعض المصادر لم تحدده بهذه الدقة إلا أنه لا خلاف بينها جميعا على السنة التى ولد فيها.

وترجع الدقة فى هذا التحديد إلى المصدر الذى نقل عنه، وهو مصدر أمين وقريب جدا من ابن الأنبارى، فالذين أخذ عنهم تاريخ ميلاد ابن الأنبارى هما اثنان من تلاميذه: الأول - محمد بن العباس الخزاز[٢] والثانى - اسماعيل بن سويد[٣]، وقد نقلا ذلك عن أبى بكر نفسه[٤]، وكلاهما من الثقات.

وقد أفادت هذه الدقة فى تحديد تاريخ ميلاد ابن الأنبارى، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد المكان الذى ولد فيه وإن كان الزركلى قد ذكر أنه ولد فى الأنبار (على الفرات)[٥]، وتبعه فى ذلك كل من عرر ضا كحالة[٦] وعادل نويهض[٧]، ولعلهما عنه نقلا، وقد سعيت لمعرفة الأصل الذى اعتمد عليه الزركلى فى هذا التحديد فلم أجد ما يعززه فى المصادر القديمة، التى تحدثت عن ابن الأنبارى. فهل حقا كان مولده فى الأنبار؟

يتردد فى دراسة حياة أبى بكر ذكر ثلاث مدن وهى: بغداد وسامراء والأنبار.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٢، أنباه الرواة ٣/٢٠١، ومعجم الأدباء ٧/٢٧٧ ووفيات الأعيان ٤/٣٤٢، وروضات الجنات ٦٧٧، والمنتظم ٦/٣١١، وبغية الوعاة ٣١١، وأنساب السمعانى ١/٣٥٤، وتاريخ الأدب العربى ٢/٢١٤، ودائرة المعارف لبطرس البستانى ١/٣٨٩، ولفؤاد أفرام البستانى ٢/٣٥٠.

(٢) هو أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا الخزاز، المعروف بابن حَيُّوَيه. ولد سنة ٢٩٥هـ، وتوفى سنة ٣٨٢هـ، ثقة، سمع الكثير، وروى بعض مصنفات ابن الأنبارى الطوال. انظر: تاريخ بغداد ٣/١٢١-١٢٢، وغاية النهاية ٢/٧٨، والمنتظم ٧/١٧٠-١٧١، وشذرات الذهب ٣/١٠٤، والمشتبه ١/١٦١.

(٣) هو إسماعيل بن سعيد بن محمد بن سويد، أبو القاسم المعدل، ثقة فيه تساهل، حدث عن أبى بكر بن الأنبارى، توفى سنة ٣٩٢هـ، انظر: تاريخ بغداد ٦/٣٠٨-٣٠٩، والمنتظم ٧/٢٢٠، وميزان الاعتدال ١/٢٣٢.

(٤) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ و١٨٦.

(٥) الأعلام ٧/ ٢٠٢٦.

(٦) معجم المؤلفين ١١/١٤٣.

(٧) الوفيات لابن الخطيب ٢٠٨ (الهامش).

والذى يمكن أن نؤكده هو أنه لم يولد فى بغداد ، رغم أنه قضى فيها معظم حياته ، وأنها أكثر المدن ذكرا قرين اسمه ، حتى أن بعض المؤلفين نسبه إليها (١) ، لكن هذه النسبة طارئة وذلك لسكناه بغداد ـ كما تقدم ـ والأصل الذى لا خلاف عليه نسبته إلى الأنبار . والدليل على أنه لم يولد فى بغداد هو ما نقلته آنفا من أن أباه نزل بغداد ومحمد صغير ، وهذا يعنى أنه ولد فى مكان آخر غير بغداد . ولكن متى نزل أبوه بغداد بالتحديد ؟ وأين كان قبل ذلك ؟ وكم كان عمر أبى بكر حين نزوله بغداد برفقة أبيه ؟

يبدو أن أبا محمد بن الأنبارى والد أبى بكر ولد فى الأنبار (٢) ، وقضى فيها شطرا من حياته ثم ارتحل عنها إلى سامراء بعد أن ذاع صيته ومن هنا وصف أنه كان من أهل سرمن رأى (٣) ، ولا عجب فى انتقال أبى محمد من موطنه ـ الأنبار ـ إلى سامراء ، وهى عاصمة الخلافة العباسية آنذاك فقد كانت هذه الهجرة سنة أكثر العلماء حينئذ ، وطبيعى أن تجتذب العاصمة عالما كأبى محمد الأنبارى ، ولعله بقى فى سامراء إلى خلافة المعتضد (٢٧٩هـ) الذى حول عاصمة الدولة إلى بغداد مرة أخرى ، فأصبحت سامراء موحشة بعد ذلك كما يصفها المؤرخون (٤) ، ومن هنا لم يطب المقام فيها لأبى محمد ، فانتقل إلى بغداد مع انتقال العاصمة إليها ، حيث العلماء والأعيان ، وأرجح أنه انتقل إليها بعد سنة ( ٢٧٩هـ ) لأن المعتضد ولى الخلافة فى هذه السنة وهو الذى حولها إلى بغداد لطغيان الأتراك وازدياد فسادهم فيها كما تقدم .

---

(١) غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، وهدية العارفين ٢ / ٣٥ .
(٢) انظر الفهرست ٨١ ، وانباه الرواة ٣/٢٨ .
(٣) نور القبس ٣٤٥ .
(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، ومعجم البلدان ٣/١٤ـ٣٢ ، وأنساب السمعانى ٧/١٤ـ١٥ .

وعلى هذا فقد كان نزول أبى محمد بغداد محصورا فى أوائل العقد التاسع من القرن الثالث الهجرى ، وهذا يعنى أن عمر أبى بكر كان حينئذ فى حدود العاشرة ، لأنه ولد سنة (٢٧١هـ) .

وإن صح أن حياة والده كانت محصورة فى سامراء لكونها عاصمة الدولة قبل انتقالها إلى بغداد فإنه ينبنى على ذلك أن مولده كان فى سامراء ، لا فى الأنبار ، والله أعلم .

قضى أبوبكر بعد ذلك معظم عمره فى بغداد ، ويبدو أنه كان لا ينقطع عن سامراء أيضا ، بل إنه سكنها سنوات من حياته ، ونحن لا نعرف المدة التى قضاها فى سامراء ، وكم مرة رحل إليها فى حياته ، ولكن مما لا شك فيه أنه أمضى فى سامراء مدة لا تقل عن أربع سنوات وذلك من سنه (٣١٧هـ) إلى سنة (٣٢١هـ) ، وأنه كان له فيها دار ومسجد فى "درب البقر" ، وذلك أن تلميذه أبا على القالى كان يقرأ عليه كتاب "الغريب المصنف" ، لأبى عبيد القاسم بن سلام فى أيام الثلاثاء من كل أسبوع ، يقول القالى عن "الغريب المصنف" : " ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى سنة ( ٣١٧ هـ) يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة فى مسجده على باب داره فى درب البقر بسر من رأى ، وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مضين من ذى القعدة سنه إحدى وعشرين ، وكانت قراءتى عليه فى الثلاثاوات ، وكانت مدة قراءتى إياه عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما " (١) .

وهذا يعنى أن أبابكر كان فى سامراء خلال هذه السنوات لأنه كان مرتبطا بالقراءة الأسبوعية ، أضف إلى ذلك أن أباعلى القالى بدأ يقرأ عليه بعد ذلك بأسبوع كتابا آخر وهو كتاب " الألفاظ " ليعقوب بن السكيت (٢) .

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٢٨ .
(٢) نفسه ٣٢٩ .

هذه هى المدة التى يمكن أن نحددها لسكنى أبى بكر سامـــــراء وفيما عداها لا يمكن أن نؤكد شيئـــا . فهل رحل إلى سامراء مستغنيـــــا عن بغداد بعد نضجه العلمى وانقطاعه عن شيوخه وذلك منذ حوالى سنة (٣٠٠هـ)(١) أو أنه رحل إليها بعد وفـــاة أبيه أى بعد سنة (٣٠٤هـ) ؟ كلاهمـــا جـــائز ، إلا أننا قد نجـــد مبررا آخر لارتحاله وهو سوء الأوضاع فى بغداد فى عهد المقتدر ( ٢٩٥ هـ ٣٢٠ هـ) ، بسبب سلطة نساء القصر وعجـــــز الخليفة عن السيطرة على مقاليد الأمـــور لصغر سنه ، ومن هنـــا كان المقتدر لعبـــة فى يـــد الأتـــراك ، إذ إنهم خلعـــوه مرتـــين ثم قتلـــــــوه . وقد سادت الفتن والفوضى بغداد وكثر السلب والنهب وتحكم العيارون فـــى رقاب الناس وعاثوا فى الأرض فســـادا وطغيانا فأصبح الناس فى غير مأمـــن من أمرهـــم (٢) . وكذلك كان الأمر فى عهد الراضـــى ، وقد يكون هذا الوضع المـــزرى فى بغداد سببا من أسباب نفور أبى بكر منها مما جعلـــــه يرحل عنها متخـــيرا سامراء ـ مسقط رأســـه ـ لقربها من بغـــــداد . ومن هنا يحتمل أن يكون الزمـــن الذى قضاه فى سامراء خلال هـــذه المـــدة محصورا فى خلافـــة كل من المقتدر والقاهـــــر أى من بعد سنة (٢٩٥هـ) إلـــى سنة ( ٣٢٢ هـ) ، حيث إنه رجـــع إلى بغداد فى خـــلافة الراضـــى الذى تولى الخلافة فى هذه السنـــة ، وكان الراضى قـــد استدعى ابن الأنبارى لمجالسته فى مستهل شهر رجـــب من هذه السنة (٣) . ويبدو أنه بقى فيهـــــا إلى وفـــاته سنة ( ٣٢٨ هـ) .

---

(١) طبقات النحويـــين واللغويـــين ٢٢٨ .

(٢) التنبيه والاشراف ٣٧٦ ـ ٣٨٧ والفخرى ٢٣٠ ، ومروج الذهب ٤/٢٠٢ ـ ٢٢٠ ، ومختصرا لتاريخ للكازرونى ١٧٢ ـ ١٧٥ .

(٣) أخبـــار الراضى والمتقى ٩ .

## ٣ـ أســـــرتـــــه

تقدم الكلام عن والد أبى بكر ، وذكرت فى الحديث عن نسبه أن أمـــه لم يرد لها ذكر فى المصادر القديمة ، ولذلك فلايمكن أن أقرر عنها شيئـــــا . فلنبحـــث إذن عن بقية أفراد الأســـرة ، ولعل السؤال الذى يطرح نفســه فى هذا الموضـــع هو : هل تزوج ابن الأنبـارى ، أو قضى حياته عزبا ؟ الذى أرجحه أنه تزوج ، ولكنه لم ينجب ، يؤكـــــد هذا ماذكره الزبيدى عنه فى ترجمتـــه له عند موازنته بنفطويـــه فى بخله قـــال : " وكان لنفطويه جَوار، منهن قارئة الألحـــــان ، وكانت له بنت ، ولم يكن على ابـــن الأنبارى عيال "(١) .

فهذه إشارة صريحه إلى أنه تزوج ، ولكنه لم ينجب ، إذ إن هذا الوصـف ـ " لم يكن عليه عيال ـ " يغلب على الظـــن أنه خاص بمتزوج ، فالعزب لا يوصف به ، لأنـــه ـ بطبيعه الحال ـ لاينجـــب .

ومن جهة أخرى يحتمل أنه لم يتزوج لأن العيال تشمل كل من يتكفل بهم.

ولا تعنى كنيته ـ أبو بكر ـ أنه رزق بمولود سماه بكـــرا ، وإنما هـــــى تيامـــن بكنية الصديق رضى الله عنه ، فقد عرف ابن الأنبارى بأنه كان مـــــن أهل السنـــة (٢) .

وفيما يغلب على الظـــن من أنه قد تزوج ، لم تكن زوج أبى بكر ابـــــن الأنبـــارى أسعد حظـــا فى المصادر القديمة من أمـــه ، فأهمل ذكـــــرها هى الأخـــرى ، ولولا إشارة الزبيدى السابقة لماغلـــب على ظننا أن أبابكـــــر كان متزوجـــا ، وعلى ذلك فلا نعرف من هى زوجـــه ؟ ومانسبهـــــــا ؟ وما تأثـــيرها عليه نفسيا واجتماعيـــا ؟ ولا نعرف دورها فى حياة أبى بكـــــر وهل كان سعيدا معها ؟

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٧٢ والعيال من تتكفل بهم كما فى القاموس المحيط.
(٢) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٦٤ ، ومعجم الأدبـــاء ٧/٧٣ ، وأنباه الرواة ٣/٢٠١ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٤ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ ، وطبقات الحنابلة ٢/٦٩ ، وطبقات المفسرين ٢/٢٢٦ ، ووفيات الاعيان ٤/٣٤ ، ومناقب الإمام حمد بن حنبل ٥١٥ ، والبداية والنهاية ١١/١٩٦ ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ .

أما أقاربه من أبيه وأمه فلا ذكر لهم أيضا ، ويبدو أنهم لم يهاجروا من موطنهم — "الأنبار" — ومن هنا كان القاسم بن بشار وابنه أبوبكر بعيدين عن جماعتهم من العصبات وأولى الأرحام .

وقد وجدت أبا بكر يروى عمن يسميه عمه رواية اخبارية ، وقد نقل عنه القالى ذلك فى أماليه مرة واحدة ، لم تتكرر فقال : " وحدثنا أبوبكر ابن الأنبارى قال : حدثنا عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال ... "(١) .

هكذا أورد القالى سند الرواية ، وموضوعها أخبار لبعض العرب ، فهل هذا السند صحيح ، أو أنه سقط منه ذكر والد أبى بكر أى أن والده حدث عن أبيه عن عمه ، أو أن لفظ "عمى" فيه جاء عن طريق الخطأ فى النقل ؟ أو أن المقصود هنا أبو بكر بن دريد ، وليس أبا بكر الأنبارى ؟ لأن القالى كثيرا مايروى فى أماليه عن أبى بكر بن دريد عن عمه ، وإذا كان السند صحيحا فهل كان لابن الأنبارى عم ؟ ومن هو ؟ .

الواقع أن سند الرواية صحيح ، إلا أن الذى يروى عنه ابن الأنبارى هنا ليس عمه وإنما هو عم أبيه واسمه — كما أورده الخطيب البغدادى وابن الجزرى هو : أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان — بالنونة وآخر الحروف — بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة ، أبوالعباسى الأنبارى(٢) ، فهو أحمد بن بشار بن الحسن ، ووالد أبى بكر هو القاسم بن محمد بن بشار ابن الحسن ، وقد نص ابن الجزرى على ذلك فقال : "هو عم أبى الإمام أبى بكر بن الأنبارى"(٣) ، وكذلك فعل الخطيب البغدادى إذ أضاف إلى نهاية اسمه عبارة "عم قاسم بن محمد بن بشار" ثم قال : "روى عنه ابن أخيه

---

(١) ٢/٩٨ .
(٢) تاريخ بغداد ٤/٥٢ ، وغاية النهاية ١/٤٠ .
(٣) غاية النهاية ١/٤٠ وانظر ١/٢٤ .

أبو بكـر محمد بن القاسم بن محمد الأنبارى "(١) وأخيرا نص أبوبكر بنفسه أنـــه عـم أبيه فقال فى سرده لمصادر كتابه إيضاح الوقف والابتداء: " وماكان فيه مـــن رواية أبى عمر البزاز(٢)عـــــن عاصـم(٣) فحدثنى بها أبـى قال : أقرأنى عمى أحمد بن بشار بن الحسن الأنبارى عن الفضل بن يحيى الأنبارى (٤) عن أبى عمر عن عاصم. وقال أبى : قال لى عمى : كان الفضل قدأقام بمكة مجـاورا حتـى أخـذ القراءة عن أبى عمر "(٥) .

وعلى كل حال لا خلاف فى إطلاق العم على عم الأب فهو أمر مألوف جـرت به العادة ، وسار عليه العرف .

وأحمد بن بشار هذا مقرئ ومحدث ،روى القراءة عن الفضل بن يحيى الأنبارى وهو جده لأمـه (٦) ـــــ عن حفص بن سليمان البزاز عن عاصم بن أبى النجود ، وقرأ عليه ابن أخيه القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى (٧) وحدث عن عبد الأعلـى بن حماد النوســـى (٨) وروى عنه الحديث ابن ابن أخيه أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد الأنبارى (٩) .

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٥٢ وأنظر ١١/٣٦٢ .

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبوعمر البزاز ، أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، ثقة فى القراءة ، ضعيف فى الحديث ، روى عنه القراءة حسين بن محمد المروزى ، وحمزة بن القاسم الأحول والفضل بن يحيى الأنبارى وغيرهم . ولد سنه ٩٠هـ وتوفى سنه ١٨٠هـ . أنظر: غاية النهاية ١/٢٥٤ ، والجرح والتعديل ١/١٧٣ ، والضعفاء الصغير ٣٢ والضعفاء والمتروكين ٣٢ ، والكاشف ١/٢٤٠ ، وتاريخ بغداد ٨/١٨٦ .

(٣) هو عاصم بن أبى النجود ، شيخ الاقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة روى عن أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش ، وأبوعمرو الشيبانى ، وروى عنه أبان بن تغلب واسماعيل بن مجالد والحسن بن صالح . توفى سنة ١٢٧هـ . انظر غاية النهاية ١/٣٤٦ ، وميزان الاعتدال ٢/٣٥٧ ، والجرح والتعديل ٣/٣٤٠ ، والطبقات الكبرى ٦/٣٢٠ .

(٤) هو الفضل بن يحيى بن شاهى بن سلمة الأنبارى روى القراءة عن أبى عمر البزاز عن عاصم ، وروى عنه أحمد بن بشار والفضل بن شاذان . انظر غاية النهاية ٢/١١ ، وتاريخ بغداد ١٢/٣٦٢ .

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ١/١١٣ .

(٦) غاية النهاية ٢/١١ . (٧) نفسه ١/٤٠ .

(٨) هو عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلى بالولاء المعروف بالنرسى ، صدوق ثقة ، روى عن مالك ، ووهيب بن خالد ، ويزيد بن زريع وغيرهم ، وعنه البخارى ومسلم وأبو داود . توفى بالبصرة سنة ٢٣٧هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦/٩٣—٩٤ ، وتاريخ بغداد ١١/٧٥—٧٧ ووفيات الأعيان ١/٤٧٧ .

(٩) تاريخ بغداد ٤/٥٢ .

ويهمنا هنا أن نتعرف على أثر أحمد بن بشار على ابن ابن أخيه ـ أبى بكر ابن الأنبارى ـ لكن المصادر لا تمدنا بشئ عن ذلك وكل المادة التى جمعتهـا فى هذا الباب لا تتجاوز نص الخطيب البغدادى على رواية أبى بكر عنه ، دون تحديد لنوعية العلم الذى تلقاه عنه ، وليس فى ذلك اشكال ، لأن الخطيـب مهتم بدراسة رجال الحديث ـ بوجه خاص ـ وبما أنه أشار الى أن احمد بن بشار حدث عن عبد الأعلى بن حماد النرسى ، فطبيعى أن يكون الأول روى الحديث ، وأن أبا بكر قد أخذ عنه الحديث خاصه ، الا اننا اذا رجعنا الى الرواية التـى نقلها القالى عن أبى بكر عـن عمـه (١) فاننا نجدها رواية اخبارية ، وهذه تدلنا على أنه أخذ عنه ـ بالاضافة الى الحديث ـ بعض الأخبار عن العرب . وبالرجوع الى كتاب ايضاح الوقف والابتداء نعرف أنه أخذ عنه القراءة عن طريق أبيه (٢) . وقد يكون سبب ذلك أن أبا بكر ربما ألف كتابه هذا بعد وفاة عم أبيه ، فهو بعد أن اشترك مع أبيه فى التتلمذ على عمه مؤخرا استدرك مافاته منه عن طريق أبيـه الذى تقدمه فى الأخذ عنه .

ومن هنا نجد أنه كان لأحمد بن بشار دور هام فى حياة أبى بكر العلمية ، إذ إنه اشترك مع ابن أخيه فى تربية ولده أبى بكر تربية علمية ، فقد كان مصدرا علميا قريبا لأبى بكر منذ صغره يأخذ عنه ـ بعد أبيه ـ علومه الأولى ، ممهدا له بذلك اتصاله ببعض العلماء من خارج أسرته فى سن مبكرة على نحو مايأتى .

هذا مبلغ علمى بأسرة أبى بكر ، لا يتجاوز معرفة أبيه ـ عن طريق الترجمـة القصيرة التى أثبتتها له بعـض كتب التراجم والتاريخ ، وعن طريق بعـض الموازنات والتحليلات لنصوص نادرة وقصيرة لا تروى الظمأ ، كما لا يتجاوز العلم ماذكر عن عم أبيه ، مع اشارة يفهم منها أنه ربما كان قد توفى ولم ينجب ، وفيما عدا ذلك فهو مغفل الأثـر .

---

(١) الأمالى ٢/٩٨ .

(٢) الوقف والابتداء ١/١١٣ .

## ٤ ـ نشأته العلمية

ولد أبوبكر لأب عالم اشتهر ببغداد وعُدّ من كبار علمائها ، فباشر تربيه ابنه بنفسه منذ صغره تربية علميه متينة فحفظ الصبى القرآن الكريم ، وهو ابن سبع ، وتعلم فى صغره الفقه والنحو ومبادئ علم الفلك (١) ، وأخذ اللغة منذ صغره عن أبيه الذى وصف بأنه كان صاحب عربية(٢) ، فانعكس ذلك على الابن فنشأ قويم اللسان ، فصيحا ، شاعرا بليغا .

وشهد منذ صباه حلقات العلم ودروس المساجد فى بغداد ، فحضرها وحرص عليها ونهل منها وتربى فى ظلها ، وخاصة دروس ثعلب الذى تتلمذ عليه ولم يفارقه حتى مات سنة ( ٢٩١هـ) .

وقد ظهرت عليه آيات النبوغ منذ صغره ، فدفع به أبوه إلى شيوخ العلم فى سن مبكرة ، إذ نراه يروى فى كتاب الزاهر (٣) عن أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز(٤) ، وهذا يعنى أنه بدأ يتصل بالشيوخ قبل سن العاشرة ، لأن البزاز توفى سنة ٢٨٠هـ . ولاغرابة من صبى اتصف بأنه كان فى منتهى الفطنة والذكاء وجودة القريحة (٥) ، أن يبدأ تلقيه من شيوخه فى سن مبكرة كتلك ، ولعل عرضا لوفيات بعض شيوخه المتقدمين يؤكد لنا هذه الحقيقة ، إذ يتحقق لدينا أنه اتصل بهم فى سن مبكرة تتراوح مابين الحادية عشرة والسادسة عشرة فمافوق ، فمن أوائل شيوخه إسماعيل بن اسحاق القاضى (٦) ، وقد اتصل به

---

(١) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٧ . (٢) بغية الوعاة ٣٨٠ .

(٣) الزاهر ٢٧٦/أ ، ٢٨٣/أ ، ٢٨٣/ب ، ٢٩٩/ب .

(٤) هو أحمد بن الهيثم بن خالد أبوجعفر البزاز العسكرى ، من أهل سامراء ، حدث ببغداد ، قال الدارقطنى عنه : ثقة ، توفى بسامراء سنة ٢٨٠هـ . انظر تاريخ بغداد ١٩٢/٥ ، وغاية النهاية ١٤٧/١ .

(٥) الفهرست ٨٢ ، وأنباه الرواة ٢٠٧/٣ .

(٦) قاض وفقيه مالكى من كبار عشاق الكتب فى القرن الثالث الهجرى روى عنه ابن الأنبارى فى الزاهر . ولد فى البصرة سنة ٢٠٠هـ واستوطن بغداد ، وتوفى بها سنة ٢٨٢هـ ، من مؤلفاته الموطأ ، والمبسوط ، وأحكام القرآن ، والاحتجاج بالقرآن . انظر : تاريخ بغداد ٢٨٤/٦ — ٢٩٠ ، ومعجم الأدباء ٢٥٧/٢ — ٢٦١ والديباج المذهب ٩٢ — ٩٥ ، والأعلام ٣٠٥/١ .

قبيل سنة (٢٨٢هـ) ، وكان عمره إذ ذاك لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، لأن إسماعيل بن إسحاق توفى فى سنة (٢٨٢هـ) . ومنهم أبوجعفر التمتام [١] المتوفى سنة (٢٨٣هـ) ، وابن أبى الشوارب القاضى [٢] ، المتوفى سنة (٢٨٣هـ) أيضا ، وإبراهيم الحربى [٣] المتوفى سنة (٢٨٥هـ) ، وابن شريك البزار [٤] المتوفى سنة (٢٨٥هـ) أيضـــا ، ومحمد بن يونس الكديمى [٥] المتوفى سنة (٢٨٦هـ) .

---

(١) هو محمد بن غالب بن حرب الضبى التمار، أبو جعفر التمتام ، ولد سنة ١٩٣ ، وسكن بغداد ، وكان كثير الحديث ، صدوقا حافظا ثقة ، روى عنه ابن الأنبارى فى الزاهر ، توفى ببغداد سنة ٢٨٣هـ . انظر أنساب السمعانى ٣/ ٧٥ـ٧٦ وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٥، وتاريخ بغداد ٣/ ١٤٣ـ١٤٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٨٥ .

(٢) هو على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب القاضى ، أبو الحسن البصرى، محدث، ثقة ، أمين ، تولى قضاء سامراء وبغداد ، روى عنه ابن الأنبارى فى الزاهر، توفى ببغداد سنة ٢٨٣ ودفن بسامراء . انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٥٩ ـ ٦١ ، والمنتظم ٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ٨٧، ٨٨ وشذرات الذهب ٢/ ١٨٥ ، والعبر فى خبر من غبر ٢/ ٧١ .

(٣) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادى الحربى ، أبو إسحاق، من كبار المحدثين فقيه ، أديب ، لغوى، زاهد ، ولد سنة ١٩٨هـ، أصله من مرو، واشتهر ببغداد ، وتوفى فيها سنة ٢٨٥هـ، روى عنه ابن الأنبارى فى الزاهر والوقف والابتداء . له : غريب الحديث ومناسك الحج ، وسجود القرآن، ودلائل النبوة . انظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٧ ـ ٤٠ ، والفهرست ٢٨٧ ، وأنباه الرواة ١/ ١٥٥ ـ ١٥٨ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٦ ـ ٩٣ ، ومعجم الأدباء ١/ ٣٧ ـ ٤٦ .

(٤) هو عبيد ( أو عبيد الله ) بن عبد الواحد بن شُريك ، أبو محمد البزار، حدث عن آدم بن إياس العسقلانى ، وسعيد ابن أبى مريم ونعيم بن حماد المروزى وعنه القاضى المحاملى وأبو مزاحم الخاقانى ، صدوق ثقة توفى سنة ٢٨٥هـ انظر : تاريخ بغداد ١١/ ٩٩ ـ ١٠٠ والمنتظم ٦/ ٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ١١٧ والمشتبه ١/ ٧١ .

(٥) ولد سنة ١٨٣، سكن بغداد زمنا وكان حافظا كثير الحديث وكثير السماع ، روى عنه ابن الأنبارى فى معظم كتبه ، وتوفى سنة ٢٨٦هـ . انظر تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٥ ـ ٤٤٥ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٩ ـ ٥٤٤ ، وطبقات الحفاظ ٢٦٦، واللباب ٢/ ٣١ ، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٤ .

وقد شهد أبو بكر فى مراحل نشأته العلمية أيام صباه ثم شبابه الصراع التقليدى الذى كان يدور بين علماء البصرة والكوفة والذى بلغ قمته فى عهد شيخه أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب(١)، ومنافس شيخه أبى العباس محمد بن يزيد المبرّد(٢)، فمال إلى الكوفيين بعد أن نمى ثقافته بالاطلاع على كتبهم والرجوع إلى مختلف أقوالهم وآرائهم، فاقتضى ذلك منه أن يستعد لمناظرة المنافسين، وقد تهيأت له أسباب ذلك بعد أن تدرب على المناظرات على يد شيخه ثعلب، الذى كان قد جمع حوله أنصاره من أصحابه وتلاميذه — ومنهم ابن الأنبارى — وكان يلقنهم المسائل النحوية على المذهب الكوفى، ويدربهم على المناظرات للدفاع عن المذهب الكوفى، ولتقوية جانبه ولمحاجة أنداده(٣). وكثيرا ماكان هؤلاء التلاميذ يفضون حلقات العلماء فى مساجد بغداد.

وفى هذا الوسط تدرب ابن الأنبارى وتعلم فن المناظرة مما أكسبه مقدرة كبيرة على المناقشة والتحليل والتعليل، وقد بدا ذلك واضحا فى مؤلفاته، وخاصة فى ردوده على ابن قتيبة، وأبى حاتم السجستانى وقطرب، والأخفش.

وتعتبر مكتبة أبيه من أهم الروافد التى أثرت فى نشأته العلمية، إذ أكب على كتبها المختلفة قراءة وتحليلا، ولم ينقطع عنها واستمر فى الرجوع إليها كلما دعته الحاجة، وقد ينص أحيانا على رجوعه إلى كتاب منها، فقد روى أبو على القالى — تلميذه — فى أماليه أن أبابكر بن الأنبارى قال: "وجدت فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر، كان الأصمعى يقول: الجَلَل: الصغير اليسير، ولا يقول: الجَلَل: العظيم"(٤). وأهم من ذلك أنه قرأ على أبيه مجموعة كبيرة من تلك الكتب على نحو ماسنراه فيما بعد.

---

(١) هو أحمد بن يحى بن زياد بن سيار الشيبانى بالولاء، من كبار أئمة الكوفيين فى اللغة والنحو، ومن أشهر أساتذة أبى بكر بن الأنبارى، محدث، وراوية للشعر صادق، ثقة، حجة، ولد ببغداد سنة ٢٠٠هـ، وتوفى بها سنة ٢٩١هـ. له: الفصيح وقواعد الشعر ومجالس ثعلب والشواذ، وإعراب القرآن وغيرها. انظر: طبقات النحويين واللغويين ١٥٥—١٦٧، ومعجم الأدباء ٥/١٠٢—١٤٦، وانباه الرواة ١/١٣٨—١٥١ ووفيات الأعيان ١/١٠٢—١٠٤، وبغية الوعاة ١٧٢—١٧٤ وطبقات الحنابلة ٨٣—٨٤.

(٢) من كبار أئمة البصريين فى اللغة والنحو والأدب ولد بالبصرة سنة ٢١٠ وتوفى ببغداد سنة ٢٨٦هـ أخذ عن الجرمى والمازنى له: الكامل والمذكر والمؤنث والمقتضب والتمازى والمراثى وغيرها. انظر: أخبار النحويين البصريين ٧٢—٨١ وطبقات النحويين واللغويين ١٠٨—١٢٠، وتاريخ بغداد ٣/٣٨٠—٣٨٧ ونزهة الألباء ٢١٧—٢٢٧، ومعجم الأدباء ٧/١٣٧—١٤٤، ووفيات الاعيان ٤/٣١٣—٣٢٢.

(٣) طبقات النحويين ١١٨.

(٤) ١/٢٤٣.

ومازال يقرأ ويقرأ حتى أرهق نفسه فى أواخر حياته فكان ذلك سببا من أسباب مرضه الذى توفى فيه ، وقد شعر أبو بكر نفسه بذلك الإرهاق الذى لحقه بسبب كثرة القراءة فعندما سأله أحد تلاميذه — بعد انصراف الطبيب عنه فى مرض موته — عن سبب سوء حاله ، أجابه قائلا : " كنت أدرس فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة "!! (١)

ولا شك أن استفاد من مكتبات شيوخه سواء فى مراحله الأولى أوفيمابعد ، وخاصة إسماعيل بن إسحاق القاضى الذى كان من عشاق الكتب فى زمانه (٢) .

وقد كان من توفيق الله لأبى بكر أن اجتمعت له هذه الظروف كلها ، فصقلته وهذبته ، فتربى على حب العلم والحرص على طلبه ، والجمع بين مختلف أنواعه ، حتى أن سؤالا واحدا ربما يحرجه عدم مقدرته على الإجابة عنه لجهله موضوعه — قد يدفعه للرجوع إلى كتاب كامل — خارج تخصصه — فيدرسه دراسة استيعاب وفهم وحفظ ، يؤكد هذا ماروا ه أبوالحسن العروضى (٣) من أن أبا بكر بن الأنبارى كان يتردد إلى أولاد الراضى "، فسألته جارية عن شئ من تفسير الرؤيا ، فقال : أنا حاقن ، ثم مضى . فلما كان من غد ، عاد وقد صار معبرا للرؤيا ، ذاك أنه مضى من يومه فدرس كتاب الكرمانى (٤) وجاء (٥) ".

---

(١) المنتظم ٦/ ٣١٥ .
(٢) معجم الادباء ٦/ ٥٦ — ٥٧ .
(٣) هو أحمد بن محمد ، أبوالحسن العروضى ، من جلساء الخليفة الراضى المقربين ومؤدب الخليفة المتقى ، حدث عن عبيد بن عبد الواحد بن شريك . توفى سنه ٣٤٢هـ انظر تاريخ بغداد ٥/ ١٤٠ ، وأخبار الراضى والمتقى ٨، ٩، ١٥٠ ، ١٩٦ وغيرها .
(٤) هوكتاب "العبارة" ذكره ابن خير فى فهرسته ٢٦٦ .
(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ ، وانباه الرواه ٣/ ٢٠٣ — ٢٠٤ ونزهة الألباء ٣٦٧ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٣ ، والمنتظم ٦/ ٣١٣ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٤ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٣ وغيرها .

وهذا هو غاية الحرص فى طلب العلم ، علما أن هذه الحادثة قد وقعت له فى وقت نضجه لأن اتصاله بالراضى كان فى أواخر حياته .

ومن هذا الباب أيضا ماروا ه الخطيب البغدادى من أنه — يعنى أبابكر — "مضى يوما فى النخاسين ، وجارية تعرض حسنة ، كاملة الوصف ، قال فوقعت فى قلبى ، ثم مضيت إلى أمير المؤمنين الراضى فقال لى : أين كنت إلى الساعة ؟ فعرفته . فأمر بعض غلمانه فمضى فاشتراها وحملها إلى منزلى فجئت فوجدتها ، فعلمت الأمر كيف جرى ، فقلت لها : كونى فوق إلى أن أستبرئك وكنت أطلب مسألة قد أعيلت على فاشتغل قلبى ، فقلت للخادم : خذ ها وامض بها إلى النخاس فليس قدرها أن تشغل قلبى عن علمى ، فأخذ ها الغلام ، فقالت : دعنى أكلمه بحرفين ! فقالت : أنت رجل لك محل وعقل ، وإذا أخرجتنى ولم تعين لى ذنبى لم آمن أن يظن الناس ظنا قبيحا ، فعرّفنيه قبل أن تخرجنى . فقلت لها : مالك عندى عيب ، غير أنك شغلتنى عن علمى ! فقالت : هذا سهل عندى"(١)

وربما رجحت هذه الحادثة احتمال أنه لم يتزوج ولم يتسر . وهكذا انقطع ابن الأنبارى إلى العلم لا يشغله عنه مال ولا نساء وكان هذا المبلغ الذى بلغه فى إخلاصه لعلمه هو الذى دفع الراضى أن يعلق قائلا — بعد سماعه القصة السابقة — : " لا ينبغى أن يكون العلم فى قلب أحد أحلى منه فى صدر هذا الرجل"(٢)

وهذه لا شك شهادة صادقة لإخلاص أبى بكر فى علمه ، وحبه العظيم له .

ومثال ثالث — يدل أيضا على عظيم حبه وتقديره للعلم — هو ما رواه القالى من أنه سمعه يقول : " ما أسيت على شئ كما أسيت على تركى السماع لكتاب المعانى

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ — ١٨٥ والخبر فى إنباه الرواة ٣/ ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٧ — ٣٦٨ ، والمنتظم ٦/ ٣١٣ وطبقات الحنابلة ٢/ ٧١ ومختصره (٣٢٨) ومعجم الأدباء ٧/ ٧٥ .

(٢) المصادر السابقة .

للفراء من أبى العباس أحمد بن يحيى ، وإنما كان يقطعنى عنه الحديث".(١)

هذا وقد كان أبوبكر شاعرا ، قال ياقوت : " ولابن الأنبارى شعر لطيف فمن ذلك قوله :

إذا زيدَ شرًا زادَ صبرًا كأنما ... هوفتيتُ المسكِ ما بينَ الصَّلابه والفِهرِ

فإنَّ فتيتَ المسكِ يَزدادُ طِيبهُ ... عَلى السَّحقِ والحَرْاصطِبارًا على الضَّرّ(٢)

ولم يصل إلينا من شعره غير هذين البيتين ، ويبدو أنهما مقتبسان من قصيدة له ، وليس فيهما الكفاية لدراسة شاعريته ، وقد يكون سبب عدم انتشار شعره هو انصرافه عن الشعر إلى العلم وانشغاله به .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٥٠ ، وقد أثنى أبوبكر بن الأنبارى كثيرا على هذا الكتاب وقال عنه : " انه من أجود الكتب ". انظر غاية النهاية ٣١١/١ .

(٢) معجم الأدباء ٧٦/٧ ، وانظر بغية الوعاه ٩٢ .

## ٥ ـ حالته المادية

إن التعرف على وضع أبى بكر المادى يعيننا كثيرا فى كشف جوانب من حياته الخاصة ، ويفتح لنا بابا للدخول على شخصيته وتحليل نفسيته ، وأخيرا يبصرنا بأثر ذلك فى تكوينه العلمى ، فليس سواء من عاش وتربى فى فقر ، ومن عاش ونشأ فى يسر ، فالأول يتعب ويشقى للحصول على لقمة العيش ، والثانى تأتيه إلى فمه دون عناء ، والأول يخدم نفسه ، والثانى تخدمه مختلف الوسائل ، والأول قد لا يجد ما يشبع نهمه من العلم ، والثانى يحاط بمختلف العلماء ، ونوادر الكتب.

ولا بد لنا فى هذه الدراسة أن نستنطق النصوص علنا نجد فيها ـ رغم قلتها ـ ما يكشف لنا شيئا من حال أبى بكر بن الأنبارى المادية.

ولنبدأ بالتعرف على وضع أبيه حين أخذه معه إلى بغداد ، فى صغره ، قال أبو محمد الأنبارى يصف وضعه إذ ذاك : " قدمت إلى بغداد ومحمد صغير ، وليس لى دار ، فبعث بى ثعلب إلى قوم يقال لهم بنوبدر ، فأعطونى شيئا لا يكفينى ، وذكروا كتاب العين ، فقلت : عندى "كتاب العين" ، فقالوا : بكم تبيعه ؟ فقلت بخمسين دينارا ، فقالوا لى : قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل ، قلت فإن لم يقل إنه للخليل ، بكم تأخذونه ؟ قالوا : بعشرين دينارا . فأتيت أبا العباس من فورى فقلت له : ياسيدى هب لى خمسين دينارا ! فقال لى : أنت مجنون ، وهذا تأكيد ، فقلت له : لست أريد من مالك ، وحدثه الحديث . قال : فأكذب ! قلت : حاشاك ، ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ، ثم مات . فإذا حضرنا بين يديك للحكومة ، ضع يدك على ما لا تشك فيه . فقال : تريد أن أنجش (١) لك ؟ قلت : نعم ، قال هاتهم . فبكروا وسبقونى ، وحضرت ، فأخرجوا الكتاب ، وناولوه ، وقالوا : هذا للخليل أم لا ؟ ففتح حتى توسط باب العين ، وقال : هذا كلام الخليل ـ ثلاثا ـ قال : فأخذت خمسين دينارا "(٢) .

---

(١) النجش : أن تمدح سلعة غيرك ليبيعها ، أو تذمها لئلا تنفق ، والنجش استثارة الشىء أصله للصيد . انظر لسان العرب (نجش) ٨/٢٤٣ .

(٢) معجم الأدباء ٦/١٩٧ .

يكشف لنا هذا النص طرفا مهما من وضع والد أبى بكر المادى ، ولا بد لنا من أن نتعرف على هذا الوضع ذلك أنه ينعكس بطبيعة الحال على وضع أبى بكر وحياته فى صغره .

وواضح أن والده قدم بغداد فقيرا لا يملك دارا وليس له مال ، فاتصل بثعلب فبعث به إلى بنى بدر ، إلا أن هؤلاء بخلوا عليه ، فأعطوه مالم يسد حاجته من المال ، فاضطرته الحاجة إلى أن يبيعهم نسخته من "كتاب العين" بخمسين دينارا ، وهذا يعنى أن حاجته إلى المال كانت ماسة .

وواضح أن سبب قدومه بغداد هو حاجته المادية فقد تقدم أنه كان فى سامراء قبل مجيئه إلى بغداد ، فهل يعنى هذا أن أبا محمد لم يوفق فى سامراء بعد انتقال الخلافة منها إلى بغداد ؟ يبدو أن الأمر كذلك وأنه أصيب فيها بفقر شديد بسبب تحول الخلافة عنها ومغادرة الناس لها ، فشد الرحال الى بغداد فوصلها وهو يعانى شدة الفقر .

وفى مثل هذه الظروف وقبيل رحيله بسنوات معدودات ولد له أبو بكر . وهذا يعنى أن أبا بكر قد عاش طفولته الأولى فى بيئة فقيرة لأب فقير وفى مجتمع فقير قد حل به الضيق والضنك ، وسادته الوحشة بعد الأنس والسرور (١) .

ومع أننا استطعنا أن نتعرف على هذا الوضع وعلى الظروف التى وافقت ميلاد أبى بكر الا أننا لا يمكننا أن نجزم بشىء عن المرحلة التالية من حياته ، وهل أصاب والده مالا ورزقا فيما بعد أو أنه عاش ومات فقيرا ؟ ولكن أغلب الظن أن حالته المادية تحسنت ، وأن علمه أسعفه وأبرزه فى عاصمة الدولة بين العلماء والأعيان ففدا فى موضع التقدير والعطاء من هنا وهناك مما وفر له حياة طيبة عاشها هو وابنه ، وخاصة أنه اشتهر بالتدريس فى بغداد (٢) .

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٠٥-٢٠٦ ، ومعجم البلدان ٣/١٤-٣٢ ، وأنساب السمعانى ٧/١٤- ١٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، ووفيات الاعيان ٤/٣٤٧ ، ومرآة الزمان ٢/٢٩٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٥ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .

ومن هنا فإننى أعتقد أن الفقر لم يستمر طويلا فى طفولة أبى بكـــــر فسرعان ما اشتهر أبوه ، فجلبت له شهرته بعض المال ، وكان فى تحول أبيه إلـــى بغداد خير منعه الرجوع إلى سامراء أو الأنبـــار كما منعه الرحلة إلى أى مكـان آخر يجد فيه لعيشه متسعا .

فلم يكن إذن للحياة الفقيرة التى عاشها أبوبكر فى أوائل طفولته أثر على تكوينه النفسى ، لأنها كانت قبل وعيه لما يدور حوله من أحداث فقد كان عقلـــه الصغير آنذاك لا يستوعب أمور الحياة وتقلبات الزمان .

هذا عن حاله فى صغره ، تحت رعاية أبيه ، أما تطور حاله فيما بعد - وخاصة فى مرحلة شبابه - فهذا ما تتوقف عنه المصادر تماما ، إلا أنه مما لا شك فيه أن حياته كانت تسير من يسر إلى يسر ، فعاش حياة طيبة غنية مترفة ، حتى قال عنـــه الزبيدى إنه " كان فى يسار وحال واسعة "(١) .

فمن أين اكتسب ثروتـــه ؟ هل ورثها عن أبيه ، أو حظى بوظيفة مرموقة فى الدولة جمع من خلالها ثروته ؟ لا يستبعد أن يكون قد ورث عن أبيه جـزءا من هذه الثروة ، ولكن إن كان أبو محمد بن الأنبارى قد أصاب بعض المـــال عن طريق التدريس - كما تقدم - فإن ابنه أبابكـر كان أسعد حظا فى هـــذا الباب ، لأن شهرتـه فاقت شهرة أبيـــه (٢) - فاشتهرت حلقته ببغداد ، وكان يجتمع فيها : " وجوه الحضرة من أولاد الوزراء والكتاب والأمراء والأشراف " ، ولا شك أن أستاذيته لهؤلاء الحضرة من أبناء الأعيان والأغنياء ، كانت سببـــا كافيا لكى يغدقوا عليه قسطا كبيرا من المال ، وما زال كذلك حتى عاش فى سعـــة من أمره .

إلا أن هذا المصدر من الرزق قد لا يكون منتظما ، وقد لا يكون سببا كافيا لإعاشة صاحبه فى " يسار وحال واسعة " - حسب وصف الزبيدى - فهل تقلـــد أبوبكر وظيفة رسمية ؟ وهل حصلت له صلة بأهل الدولة ، وببلاط الخلافة خاصة ؟

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٧١-١٧٢ .
(٢) الفهرست ٨٢ ، وإنباه الرواة ٢٠٧/٣ .
(٣) المنتظم ٣١٥/٦ .

عاصر ابن الأنبارى ستـــة من الخلفاء وهـــم :

المعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ) ، والمعتضد ( ٢٧٩ــ ٢٨٩هـ) ، والمكتفـــى (٢٨٩ ــ ٢٩٥هـ) ، والمقتدر ( ٢٩٥ ــ ٣٢٠ هـ) ، والقاهر (٣٢٠ ــ٣٢٢هـ) ، والراضى (٣٢٢ ــ ٣٢٩هـ) . واحتمال اتصال أبى بكر بهؤلاء يقع فى المقتـدر والقاهر والراضى ، وأما الثلاثة الذين تقدموهم فلايعقل اتصاله بهم ، إما لصغر سنه أو لعدم اكتمال نضجه العلمى بعد ، فقد توفى المعتمد وهو صبى فى الثامنة من عمـره ، كمالا يحتمل اتصاله بكل من المعتضد والمكتفى إذ توفى الأول وأبو بكـــر شاب فى العشرين وتوفى الثانى وهو فى السادسة والعشرين أى أنه كان مايزال شابا لم ترتفع شهرته بعد . وقد اتصل ابن الأنبارى بـــالراضى (١) من الثلاثة الباقين دون غيره ، فما السـر فى ذلك ؟ وماثمـــرة اتصاله بـــه ؟

كانت الدولة فى عهد المقتدر تعانى أشد حالات الاضطراب والفتن والفساد ، وسوء الحال ، فقـــد بويع صغيرا سنة (٢٩٥هـ) وخلع بعد سنة من استخلافه ، أعيـد بعدها بيومين ثم استمر فى الخلافة إلى سنـة (٣١٧ هـ)، حيث خلـــع لمدة يومين أيضا بويع خلالهما للقاهر ، ثم أعيـــد مرة أخـرى فاستخلف إلى سنـــة (٣٢٠هـ) وفى عهده ظهرت سيطرة النساء علـــى الحكم، وعصاه خادمـــه مؤنس وظهر عليه ، كما استفحل خطـــر القرامطة وقلعوا الحجر الأسود ، وقتلوا خلقا عظيما ، ولم يتمكن منهم (٢) .

وخليفة هذا شأنه ، وظروف كتلك ، لم تكن محفزة لابن الأنبارى ، بل كانت منفرة له تماما عن بلاط الخلافة ولذلك لم تحصل له صلـــة بالمقتدر .

وأما القاهر ، فلم يكن لابن الأنبارى ــ وهو العالم المتدين الزاهد ــ أن يتصل به ، لماعرف عنه من الفسوق والفساد ، وسوء الأخلاق وإدمان الشراب وسفك الدماء (٣) .

---

(١) أخبار الراضى والمتقى ٩ ، وتاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٤ ، وتكمله تاريخ الطبرى ١/ ١١٥ ، والمناسك ٢٥ ، والأعلام ٧/ ٢٢٦ ، ومعجـم المؤلفين ١١/ ١٤٣ .

(٢) انظر: مروج الـــــذهب ٤/ ٢٠٢ــ ٢٢٠ ، وتاريخ بغداد ٧/ ٢١٣ــ ٢١٩ ، والكامل ٨/ ٨ ــ ٢٤١ ، وسمط النجوم ٣/ ٢٦١ .

(٣) مروج الذهب ٤/ ٢٢١ ، وسمط النجوم ٣/ ٢٦١ .

وأما الراضى فقد كان أصلح منهما ، وكانت الدولة فى عهده أكثر استقرارا منها فى عهديهما ، وقد عرف الراضى بالفضل والعلم والسخاء وحب العلماء (١) ، وكانت تلك مغريات كافية لكى يقنع أبو بكر نفسه باستجابة طلب الراضى لمنادمته والجلوس إليه ضمن من استدعى من الوزراء والعلماء والمؤدبين للمثول بين يديه بناء على دعوته لهم ، وتعيينه إياهم (٢) ، وقد باشر أبوبكر عمله نديما وجلسيسا للخليفة الراضى — حسبما حدده لنا الصولى — فى مستهل رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (٣) .

فلم يكن أبوبكر إذن ممن يتعقب الخلفاء ليجمع فتاتهم ، وإنما كان ممن يدعى ويكرم لسبق فضله وغزارة علمه وسعة حفظه ، وقد كانت هذه الرفعة التى اتصف بها أبوبكر سببا يقربه إلى الراضى وينال بها رضاه ببالغ الإعجاب فيصفه بقوله السابق : "لا ينبغى أن يكون العلم فى قلب أحد أحلى منه فى صدر هذا الرجل" (٤) . ولذلك فقد حظى أبوبكر بعظيم تقدير الخليفة (٥) ، فوصله بثروة عظيمة زادته ثراء على ثرائه .

وقد عينه بعد ذلك معلما لأولاده (٦) ، وخصصه لتأديب الأمير عبد الواحد ابن الخليفة المقتدر (٧) ، وكل هذا يؤكد لنا حرص الراضى على أبى بكر ومحبته له .

فلا غرابة إذن من عالم عاش فى بلاط الخلافة ، واختير لمجالسة الخليفة والتدريس لأبنائه ، وقضى معه أبناء الأعيان زمنا يتتلمذون عليه فى حلقته ، لا غرابة من عالم كانت له هذه الصلات بعلية القوم أن يعيش فى تلك السعة التى وصفها الزبيدى من الحال .

---

(١) مروج الذهب ٣ / ٢٤٤ ، والمختصر فى أخبار البشر ٢ / ٨٧ .
(٢) ، (٣) أخبار الراضى والمتقى ٩ .
(٤) انظر ص ٢٢ .
(٥) المناسك ٢٥ .
(٦) تكملة تاريخ الطبرى ١ / ١١٥ .
(٧) أخبار الراضى والمتقى ٩ .

وإذا درسنا أثر هذا الحال الميسر على أبى بكر ، فسنرى أنه لـــــم يكن ممن يستسلم للمال فيتملك عنقه ، ويجرفه الى ملذات الحياة ونعيمهـــا وترفها ولهوها ثم ينفخ فيه البطر والغرور والكبر ، بل كان على العكس من ذلك مستقيما زاهد متواضعا على نحو ماسنرى ، ولا شك أن هذه الثروة مما أتاح لـه حياة علمية طيبة بشـــيطة ، فتفرغ للقراءة والتأليف وأنفق ماله لتزويد مكتبتـــه بما يرغب فيه من مختلف الكتب ، ولم يكن همه اقتناء الكتب لتضخيم المكتبة بـــل سخر مكتبته للمراجعة والدراسة المستمرة ، وكان عظيم الحرص على حفظ مايضمه إليها حتى خشى عليه والده ــ عند ما مرض ذات مرة ــ أن يموت فيموت معه علمه الغزير الذى ضمه فى صدره فقال لعواده : " كيف لا أقلق وأنزعج لعلة مـــن يحفظ جميع ماترون "(١) ، وأشار إلى مكتبته .

يقال ان الغنى قد يورث البخل وقيل : إن أبا بكر قد ابتلى بـــذلك ، فما حقيقة بخله ؟

أمامنا نصان لدراسة هذه القضية ، وكلاهما من كتاب " طبقات النحويين واللغويين " للزبيدى ، وقد روى الزبيدى النص الأول منهما عن أبى بكر بـــن عبد الملك (٢) قال : " وكان أبو بكر بن الأنبارى شحيحا ، وكذلك أبوعبد الله نفطـــويه ، إلا أنه كان يعاشر الناس ويحضر مجالسهم ، وكان ابن الأنبارى لا يفعل ذلك ، ويأكل فى كل يوم طباهِجَة (٣) تصلح بلحم أحمر ومرّى (٤) ، وماأكل له أحد شيئا قط " (٥)

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٢ ، ونزهة الألباء ٣٧١ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٠ .

(٢) هوأبو بكرمحمد بن عبد الملك التاريخى البغدادى ، حدث عن الحسين بن محمد الزعفرانى ، والرمادى ، وثعلب ، وغيرهم ، ولقب "التاريخى" لأنه كان يعنى بالتواريخ وجمعها . انظرالأنساب ٣/ ٦ ، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٤٨ .

(٣) الطَّباهِجَة : اللحم المشرح (معرب تباهة) القاموس ( طبهج ) ١/ ٢٠٥ ، وفى اللسان ( طبهج ) ٣/ ١٤١ ضرب من قلى اللحم .

(٤) المُرّى : كدرّى نوع من الادام . انظر الصحاح ( مرر ) ٢/ ٨١٤ ، ولسان العرب ( مرى ) ٢٠/ ١٤٨ .

(٥) ١٧١ — ١٧٢ .

وأما الثانى فحكاية أوردها الزبيدى على النحو التالـــى :

" ووقف على ابن الأنبارى يوما فى المسجد الجامع بالمدينة ـ مدينة المنصور ـ أبو يوسف الأقسامى (١) فقال له : ياأبا بكر ! قد أجمع سبع فراسخ ناس علـى شئ ـ يعنى أهل بغداد ـ فأعطنى درهمـا حتى أخرق به الإجماع ، قـال : وماهذا الاجماع ياأبا يوسف ؟ قال : أجمع أهل هذا البلد عن آخرهـــم على أنك بخيـــل !! فضحك ولم يعطه شيئا " (٢) .

لم أجد غير هذين النصين عند الذين حكموا على أبى بكر بالبخل ، وكلهم ينقلهما عن الزبيدى بتفصيل أحيانا وباختصار أحيانا أخرى ، من غير اضافـة ، أومناقشة أو تحليل ، ولا أعتقد أن فيهما الكفاية للقطع بإلصاق هذه التهمة بـه ، فربما كان مظهره الدال على زهده سببا فيما وصف به ، من أنه كان شحيحـــا ، وقد رويت أخبـــار كثيرة تدل على اتخاذه الزهد مذهبا له فى حياته ، وسيأتـى ذكرها فى موضعها من البحث إن شاء الله .

هذا وقد قال أبوبكر بن عبد الملك فيما رواه عنه الزبيدى :

" كان المبرّد من أبخل الناس بكل شئ . . وأخبرنى بعض من أثق بـــه أنه كان يقول : ماوضعت بحذاء الدرهم شيئا إلا رجح الدرهم فى نفسى عليه ، هذا مع سعة كان فيها ووجـد ، . . وكان ثعلب على مثل ماكان عليه المبرّد فى الإمساك ، وفوقـه فى السعة " . (٣)

فماذا يضير التلميذ فى أن يتأثر بأستاذه فى صفة من صفات البشـر ؟

ومَن ذا الذى تُرضَى سجاياه كلها  كفى المرءُ نبـلا أن تُعدّ معايبه

ثم مايدرى هؤلاء الناقلين ، فربما كان من هؤلاء السبعة الذين يظلهم اللـــه فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فكان يخفى عطاءه حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه .

---

(١) لم أجـــد له ترجمة .

(٢) ١٧٢ .

(٣) طبقـــات النحويين واللغويين ١١٤ ، ١١٥ .

وأما مسألة أبى يوسف الأقسامى ، فربما تساق مساق الملحة أو الفكاهـــة ، أو النادرة ، وربما كان أبوبكر بن الأنبارى على علم بعدم حاجة الرجل إلى الدرهم لئلا يشجعه على المسألة ، وإراقة ماء وجهه ، وبذل حيائه ، فاكتفى فى الـــرد عليـــه بابتسامة يفهم من حال صاحبها مايريد منها ، فقد تكون ابتسامة إنكار ، أو ابتسامة تهكم ، أو ابتسامة تصرفه عن سلوك هذا الطريق .

## ٦ـ صفاتـــــه وأخـــلاقه

أكثرت المصادر التى درست حياة أبى بكر من الثناء عليه ، والإشادة بصفاته الطيبة وخصاله الحميدة مفصلة فى الحديث عن بعضها ، وسأحاول هنـــــا أن أنوه بها كلها ، جامعا لها من مختلف المصـــــادر ، مع الوقوف على المهم منهـــا .

وغالبـــا ماترد هذه الصفات ورودا عابـــرا ، أى أنها تذكر مجرد ذكـر ، دون التمثيل لها . وإذا جمعناها فسنرى أنها تنحصر فى ثلاثة أنواع: صفـــات شخصية خلقية ، وصفات شخصية مكتسبة ، وصفات علمية فرضها أبـــو بكـر على نفســـه .

وقد اجتمعت فيه هذه الأنواع الثلاثة لتجعله علما بارزا بين العلماء ، بل كان يتمتع به من عقلية علمية نقية ، ومما أنعم الله به عليه من الذكاء والفطنـــــة ، وجودة القريحة ، وسرعة الحفظ فى كثرة ، وبراعة الفهم ، وصفاء الذهن ، كان يضرب به المثل فى حضور البديهة وسرعة الجواب (١) ، فقـــد "حكى جعفر بـــن معاذ (٢) أنه كان عنده فى الجامع ، فسأله إنسان عن معنى آية ، فقال : فيهـــا عشرة أوجـــه ، فقال ، هات ماحضرمنها ، فقال : كلها حاضرة" (٣) !

وقد كان ابن الأنبارى فى نفسه صالحا ، خيرا ، دينا ، فاضلا ، زاهدا ، متواضعا ، حسن السيرة ، رضى الخلق .

وكان فى علمه صدوقا ، ثقة ، أمينا ، مدققا ، عميقا ، متبحرا (٤) .

---

(١) تهذيب اللغة ١ / ٢٨ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٧١ ، وتاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، والفهرست ٨٢ ، والمنتظم ٦ / ٣١٢ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وأنساب السمعانى ١ / ٣٥٤ ، وطبقات الحنابلة ٢ / ٦٩ ، ومختصره (٣٢٨) ونزهة الألباء ٣٦٤ ، ومعجم الأدباء ٧ / ٧٣ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٤١ ، وروضات الجنات ٦٧٧ / ٦٧٨ ، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل ٥١٥ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٩٦ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٣١ ، ونور القبس ٣٤٥ ، وطبقات الحفاظ ٣٤٩ ، والكواكب السيارة ١٤٧ ، ومرآة الجنان ٢ / ٢٩٤ .

(٢) لم أجـد ترجمته (٣) غاية النهاية ٢ / ٢٣١ .

(٤) تاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٦٤ ، وانباه الرواة ٣ / ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٤١ ، والمنتظم ٦ / ٣١٢ ، وأنساب السمعانى ١ / ٣٥٤ ، وطبقات الحنابلة ٢ / ٦٩ ، ومختصره (٣٢٨) وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ومرآة الجنان ٢ / ٢٩٤ ، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل ٥١٥ والبداية والنهاية ١١ / ١٦٩ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٣١ ، ونور القبس ٣٤٥ .

(أ) تدينـــه وزهـــده

مـر بنا أن عصر ابن الأنبارى كان عصر الفتن والحروب والفوضى وتفشى حركات الزندقة والإلحاد ، وضعف الخلفاء وتحكم الأمراء والسلاطين المحليـــين وخاصة الأتراك الذين عاثوا فى الأرض فســادا وخرابا ونهبا لأموال النـــاس وارهابا ومجونا ، فانجرف كثير من الناس وراء هذا الفســاد والمجون ، ووقف آخـــرون أمام ذلك الطغيان والظلم مشدوهين ، لا حول لهم ولا طول ، فانفتح باب التمسك بالديـــن ، والتوجه إلى الخالق والتضرع إليه ، فكان الرجوع إلى اللـــــه ، وكان الزهد الذى برز تياره فى صورة نشيطة دفعا للفساد المستفحل .

وقد اختلفت صور الزهد فى المجتمع العباسى آنذاك : ففريق سلك سبيـل التصوف المتطرف فضل وأضل ، وفريق سلك سبيل الزهد المعتدل الذى اتبعـه السلف الصالح من قبل ، فرشد وأرشد . ولم يكتف ابن الأنبارى بمجرد التدين والتزام مذهب الإمام أحمد بن حنبل من أهل السنة (١) فحسب ، بل اختار لنفسه الطريق الثانى فكان عالما عاملا عابدا لله ، وهذا ماقصده بعض القدماء فى وصفهم له ، بأنه كان من أهل السنة زاهدا ، حسن الطريقة (٢) ، وليس المقصود بالطريقة عندهم تلك التى ينهجها المتصوفة ، فالإسلام لا يقبل التصوف ، وإنما هو زهد وورع وخوف من الله ، وزيادة تقرب إليه ، وقد استوعب ابن الأنبارى هذه الحقيقـــة فالتزم العقيدة الصحيحة جامعا بين العلم والعمل والزهد ، وقد التقط بعضهـم هذه الصفة ـ حسن الطريقة ـ فأضاف إليه لقـــب "الصوفـــــى" ، على نحومافعله صديق حسن خان (٣) ، وأما ابن الزيـات ، فقد بالغ فى تصنيفه له

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٦٤ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، وإنباه الرواة ٣/٢٠١ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٤ ، وبغية الوعاة ٩١ وروضات الجنات ٦٧٨ ، وطبقات الحنابلة ٢/٦٩ ، ومختصره (٣٢٨) ، وطبقات المفسرين ٢/٢٢٦ ، ووفيات الاعيان ٤/٣٤١ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، ومناقب الامام احمد بن حنبل ٥١٥ ، والبداية والنهاية ١١/١٩٦ .

(٢) نزهة الألباء ٣٦٤ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، والبداية والنهاية ١١/١٩٦ .

(٣) البلغة فى أصول اللغه ١٢٠ .

ضمن المتصوفة إلى حـد كبير ، وروى عنه ـ على عادة الصوفية ـ خوارق الصفات والحكايات ، فمن ذلك مثلا : "أنه جلس على باب مسجده فجاءه رجل خائـف من أهل الشرطة ، فقال له : ياسيدى أخبئنى فقال له : ادخل المسجد ، فدخل فجاء القوم فقالوا : أين ذهب الرجل الذى مرّ عليك ؟ قال : دخل المسجد ، فلما سمع الرجل ذلك خاف على نفسه ، فنظر إلى الحائط وقد انشق نصفين وخرج منه . ودخلوا فلم يجدوا أحدا ، فجاءه الرجل بعد مضيهم ، فقال له الشيخ : ماكان الله ليضيع من استجار بأبى بكر بن الأنبارى"(١)!!!

وتتجلى صورة البدع الصوفية التى ألصقها ابن الزيات بأبى بكر بن الأنبارى واضحة فى قوله : " ومعه ( يعنى ابن الأنبارى ) فى التربة قبر المحاملـى ، واسمه عبد الله ، صاحب التصانيف ، كان من أجلّ العلماء ، وأكابر الزهـاد ، يقال : إنه من وقف بين المحاملى ، والأنبارى ، ودعا بماشاء استجيب له"(٢)!!!

ولسنا بحاجة إلى تفنيد مثل هذه الروايات التى انفرد بها ابن الزيات من غير إشارة إلى مصادرها ، مما يؤكد فيها تدخل الاختراع الصوفى ، ناهيـك عن امتناع قبول العقل لها .

ولا بد لنا هنا من أن نتعرف على طرف من حياة ابن الأنبارى اليوميـة ليتضح لدينا مقدار نصيبه من الزهد فى واقع هذه الحياة ، ونعرف أثـر ذلك عليه ، وهل كان الإيمان والتدين والزهد مقصورا على شخصـه ؟ أو أنه تجاوز ذلك إلى الدعوة إليه والدفاع عنـه ؟ ثم ما أثر ذلك كلـه على إنتاجه العلمى ؟

رسم أبو بكر لنفسه منهجا كان يسلكه فى حياته اليومية ، حدد فيه طبيعة الطعام والشراب الذى فرضه على نفسه ، وحدد فيه طبيعة المأوى الذى كان يلجأ إليه فى نومه ، وقد كان فى كل ذلك متقشفا ، فهجر أطايب الطعام وامتنع

---

(١) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٦ - ١٤٧ .
(٢) نفسـه ١٤٧ - ١٤٨ .

عن شرب الماء البارد ، وترك الوثير من الفراش ، وقد روى لنا أبو الحسن المروضي صورة واضحة لزهده في حياته اليومية من خلال اجتماعه معه عند الراضي ، فقال : "اجتمعت أنا وهو عند الراضي ، على الطعام ، وقد كان الطباخ عرف ما يأكل أبو بكر ، فكان يسوى له : قلية(١) يابسة . قال : فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبه وهو يعالج تلك القلية ، ثم فرغنا ، وأتينا بحلواء ، فلم يأكل منها ، فقام وقمنا إلى الخيش(٢) ، فنام بين يدى الخيش ونمنا نحن في خيش ينافس فيه . ولم يشرب ماء إلى العصر ، فلما كان العصر ، قال : ياغلام : الوظيفة ! فجاءه بماء من الحب (٣) ، وترك الماء المزمل بالثلج . فغاظني أمره ، فصحت صيحة ، فأمر أمير المؤمنين بإحضاري ، وقال : ماقصتك ؟ فأخبرته وقلت : هذا ياأمير المؤمنين يحتاج إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه ، لأنه يقتلها ، ولا يحسن عشرتها ، قال : فضحك وقال : لسه في هذا لذة وقد جرت به العادة ، وصار ألفا لذلك ، فلن يضره" (٤) .

وهذه صورة واضحة لطبيعة زهده فهو يترك ألوان الطعام وأطايبه مكتفيا بقلية يابسة يعالجها بصعوبة ، وهو لا يأكل الحلواء ويشم الرطب فيعجبه ولكن لا يأكله (٥) وقد ذكر صاحب البداية والنهاية انه كان لا يأكل إلا النقالى(٦) ، كما رأيناه لا يشرب ماء إلى العصر .

---

(١) القلية من الطعام ، والجمع قلايا ، مرقة تتخذ من لحم الجزور وأكبادها . لسان العرب (قلا) ٢٠/٦٠ .

(٢) الخيش : ثياب رقاق النسج ، غلاظ الخيوط ، تتخذ من أردأ الكتان ، ويبدو أن قماش الخيش كان يستعمل في الفراش فسمى به . لسان العرب (خيش) ٨/١٩٠ .

(٣) الحب : بالضم ، إناء لحفظ وتبريد الماء ، وهو الجرة صغيرة كانت أو كبيرة . تاج العروس ( حبب ) ١/١٩٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٣/١٨٣ ، ونزهة الألباء ٣٦٦ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٣ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٤ - ٧٥ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/٧٠ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ ، والمنتظم ٦/٢١٣ ، وطبقات الحنابلة ٢/٧١ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .

(٦) البداية والنهاية ١١/١٩٦ .

وقد نستشف تصورا واضحا لنظرته الزاهدة فى الحياة واتجاهه إلى أسلوب الزهاد فى الكلام من رده على من سأله ذات مرة عن حاله ، حيث قال : "أقول كما قال بعضهم لمعاوية : كيف تسأل عمن سقطت ثمرته وذبلت بشرته ، وابيض شعره وانحنى ظهره ، وكثر منه ماكان يحب أن يقل ، ونقص منه ماكان يريد أن يزيد ، فيترك المطعم ، وهجر النساء ، وكان له الشفاء ، فقصر خاطره وذهب لهوه ، وكثر سهره ، وقرب بعضه من بعض "(١) .

فهو يستشهد هنا بكلام بعض الزهاد ، الذى يعاتب النفس بالتقصير فى العبادة فيما مضى من العمر ، وهذا شأن الزهاد دائما .

لم يكن ابن الأنبارى إذن من أهل التصوف ، ولكنه مع ذلك كان متوغلا فى زهده شديدا على نفسه ، عظيم التقشف فى حياته اليومية ، بعيدا عن مباهج الدنيا وزينتها وملذاتها .

ويتساءل المرء : لم اختار ابن الأنبارى لنفسه هذا الاتجاه الزاهد فى الحياة؟ وما سبب تحريم أطايبها على نفسه ؟ . أجاب أبو بكر بنفسه عن هذا السؤال عندما سأله أبو الحسن العروضى : " لم تفعل هذا بنفسك ؟ فقال : أبقى على حفظى !! " (٢) ويتضح من هذه الاجابة أن الحرص على بقاء المحفوظات من العلم فى الذاكرة هو سبب زهده فى الطعام والشراب ، وقد كانت هذه فلسفته بل إنه كان يقتصر على أنواع معينة منه ، وأكد ذلك ابن كثير فقال عنه إنه " كان لا يأكل إلا النقالى ولا يشرب ماء إلا قريب العصر ، مراعاة لذهنه وحفظه "(٣) .

وكل النصوص التى بين أيدينا تؤكد أنه كان يزهد فى الطعام والشراب مراعاة لحفظه ، فهو " يأخذ الرطب ، ويشمه ويقول : أما إنك لطيب ، ولكن أطيب منك حفظ ماوهبه الله لى من العلم "(٤) ، وقد سئل ذات مرة عن سبب سعة حفظه فقال : ما أكلت مالحا قط "(٥).

---

(١) الكواكب السيارة ١٤٧ .
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٣ ، ونزهة الألباء ٣٦٦ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٣ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٥ ، والمنتظم ٦/ ٣١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٠ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .
(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٩٦ .
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ ، والمنتظم ٦/ ٣١٣ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧١ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .
(٥) الكواكب السيارة ١٤٧ .

الواقع أنه ليس لأى نوع من الأغذية ـ سواء كان مالحا أو غيره ـ أى علاقة بالذاكرة ، وتقوية القدرة على الحفظ ، إذ لم يثبت ذلك بالتجربة العملية ، كما يقول الدكتور السيد محمد خيرى (١) رئيس قسم علم النفس بكلية التربية في جامعة الرياض .

وربما كان قصد ابن الأنبارى من قوله السابق ، أن المالح من الأطعمة فاتح للشهية ، وداع إلى الاستزادة منها ، وربما كان انشغال المعدة ، بما يثقلها من الأطعمة سببا من أسباب الخمول والكسل ، ولعله يستهدى الحديث الشريف الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : " ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه " .

فلنبحث عن سبب آخر لزهده غير ما ذكره هو ، ولا نبتعد كثيرا فلقد أشرت إلى شيء من ذلك في مقدمة هذا المبحث ، حيث ذكرت أن المجتمع العباسى ـ في عصر ابن الأنبارى ـ كان يموج بالفساد ، ويمتلئ بالحركات الهدامة ، ولا سيما الزندقة ، وقلت إن الناس وقفوا بازاء ذلك موقفين ، فمنهم من جرفه سيل الفساد ، ومنهم من بقى محافظا على دينه وأخلاقه ، وكان أبوبكر من هذا الفريق ، وكان رد الفعل عليه أمام ذلك التيار الجارف من الفساد والمجون أكثر من مجرد التدين العادى ، فقد بلغ حد الزهد والتقشف .

ولا شك أن الزهادة في الطعام والشراب مما يقوى الروح ، لأن خفة الجسم تخفف عن النفس كثيرا كما يفعل الصيام تماما . وقد كان هذا هدفا لأبى بكر وهو العالم الذى وهب نفسه للعلم .

ولم يكن إيمان ابن الأنبارى كإيمان غيره من عوام المسلمين ، وإنما كان إيمانا عميقا ، يدل على صلته بالله أوثق صلة ، كما يدل على سمو هذه الصلة ، وسيطرتها على كل مشاعره ، وتوجيهها إياه نحو كل خير ، وابعاده عن كل شر . وأبرز شاهد على ذلك ما أثر عنه في حديثه مع الناس ، ويبدو ذلك واضحا في إجاباته عن

---

(١) في مقابلة شخصية معه في قسم علم النفس بكلية التربية .

أسئلة من يدعى أبا حافظ(١) ، فلنترك أبا حافظ يسأله ، ونحن نسمع ما ينقله عنه من اجاباته ، قال له أبو حافظ : " ما أشدّ المحبة ؟ فقال : أن تلقى الله وليس في صحيفتك غيبة مسلم مدة عُمرك ، قلتُ : من الناس ؟ قال : الذين تورعوا عن الحلال . قلت : من الملوك ؟ قال : الزهاد إذا قنعوا ، قلت من الغرقى ؟ قال : الذين شغلتهم معايشهم عن الصلاة ، قلت : من السفلة ؟ قال : الذين يكتبون الحديث ليأكلوا أموال الناس به "(٢) .

ومن هذا المنطلق يندفع ابن الأنبارى في المحاورة الكتابية ، التى جرت بينه وبين عبدالله بن المعتز(٣) ، بعد أن بلغه أن أبا نواس(٤) قال شعرا ماجنا ، وأنشده وهو يؤم قوما في صلاة ، وأن ذلك ذكر في مجلس ابن المعتز وسكت عنه ، وهنا تأخذه الغيرة على الدين فيندفع منكرا على ابن المعتز أن يجرى رواية مثل ذلك في مجلسه مبينا أن: " لكل ساقطة لاقطة ، وأن لكلام القوم رواة ، وكل مقول محمول ، فكان حق شعر هذا الخليع ، ألا يتلقاه الناس بألسنتهم ، ولا يدونوه في كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم عن متأخرهم "(٥) . ثم يوجه نصيحته للمتدينين بصفة خاصة محددا لهم موقفهم من أبى نواس وأمثاله قائلا : " فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم ، وعلى كل متصوّن أن يستقبح ما استحسنوه ، ويتنزه من فعله وحكايته "(٦).

---

(١) لم أجد ترجمته .
(٢) الكواكب السيارة ١٤٧ .
(٣) هو عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم ، أبوالعباس ، استخلف يوما وليلة ، ثم خلع ، أديب ، شاعر مؤلف ولد في بغداد سنه ٢٤٧هـ ، من مؤلفاته البديع وطبقات الشعراء والزهور والرياض ، واشعار الملوك وغيرها . توفى مخنوقا سنة ٢٩٦هـ . انظر : معاهد التنصيص ٢/٣٨-٤٧ ، وتاريخ بغداد ١٠/٩٥-١٠١ وثمار القلوب ١٩١-١٩٤ ، والمنتظم ٦/٨٤-٨٨ والكامل ٨/١٤-١٨ (حوادث سنة ٢٩٦هـ) وشذرات الذهب ٢/٢٢١-٢٢٤ ومقدمة طبقات الشعراء .
(٤) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح ، أبونواس ، الشاعر المعروف ببغداد ، ولد في الاهواز ورحل الى البصرة ثم بغداد واتصل بخلفاء بنى العباس ومدحهم عرف بالمجون ، وله ديوان مطبوع . قيل انه توفى سنة ١٩٥هـ وقيل ١٩٦هـ وقيل ١٩٨هـ . انظر : أخبار أبى نواس لابن منظور ، وطبقات الشعراء ١٩٣-٢١٧ ، وتاريخ بغداد ٧/٤٣٦-٤٤٩ ، ووفيات الأعيان ٢/٩٥-١٠٣ ، ونزهة الجليس ٢/٣٠٧١-٣١٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٢٥٤ - ٢٨٠ .
(٥) جمع الجواهر ٤٠ .
(٦) نفسه ٤١ .

ثم يوضح سبب كراهـة رواية الأشعار الماجنة ، وهو الحرص على العقيدة والأخلاق ، وذلك أن " ذوى الأقدار والأسنان يجلّون عن روايته ، والأحداث يُفشون بحفظه ، ولا ينشه فى المساجد ولا يتجمل بذكره فى المشاهد ، فإن صنع فيه غناء كان أعظم لبليته ، لأنه إنما يظهرفى غلبة سلطان الهوى فيهيج الداعى الدنيئة ، ويقـوى الخواطر الرديئة ، والإنسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان الهوى ، ونفسـه الأمارة بالسوء ، والنفس فى انصبابها إلى لذاتها بمنزلة كوة منحدرة من رأس رابية إلى قرار فيه نار ، إن لم تحبس بزواجر الدين والحياء ، أداها انحدارها إلى ما فيه هلكتها " .(١)

ثم يختم رسالته بعد أن يصل إلى قمة الاستنكار واضعا البـديل فيقول : " وقول هذا الخليع ـ [ يعنى أبا نواس ] ـ ترك ركوب المعاصى إزراء بعفو اللـه " حضٌ على المعاصـى أن يتقرب بها إلى الله عز وجل تعظيما للعفو ، وكفى بهذا مجونا وخلعا داعيا إلى التهمة لقائله فى عظم الدين ، وأحسن من هذا وأوضح قول أبى العتاهية :

يخافُ معاصيه مَن يتوبَ  فكيف ترى حالَ من لا يتُوب" (٢)

نرى فى هذه المحاورة صورة بارزة للعالم المتدين الزاهد الجرئ الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر ، الداعية إلى القيم والمثل الإسلامية الصحيحـة . ونرى فيها دعوة صادقة إلى التمسك بـأهداب الدين ، ومخالفة الهوى والنفس الأمارة بالسوء لأن فى اتباعها هلاكها . كما نرى أن مذهبه فى رواية الشعر لا يجيز رواية الأشعار المخالفـة للعقيدة والأخلاق الفاضلـة .

وقد حاول " أبو بكـر " أن يهيئ للناشئة جـوا صالحا عن طريق بعـض الأقاصيص التى كان يرويها لهم خاصـة حرصا على تربيتهم تربية دينية قائمة على الأخلاق الحسنة وعلى بث معانى الفضيلة والخصال الحميدة لحثهم على التمسك بها . وإن هذا الحرص على تربية الناشئة بهذه الصورة ، ليدلنا على أصـالة تدين أبى بكـر ، فهو لا يكتفى بنفسه فحسب ، وانما يرى ضرورة تربية النشئ على هذا النحو .

---

(١) جمع الجواهر ٤٠ ـ ٤١ .
(٢) نفسـه ٤١ .

ويهمنا فى هذا المبحث — بصفة خاصة — دراسة أثر تدينه على إنتاجه الفكرى ، وأؤكد منذ البداية أن هذا الأثر واضح جدا على إنتاجـــــه ، ذلك أن غالبية مؤلفاتـه اصطبغت بطابـــع دينى ، فلم يكن ابن الأنبـــارى ممن يأخذ الدين أخذا سطحيا يتمثل فى مظاهر تعبدية جوفاء ، فقد كان أوعى من ذلك وأفقه ، فخضعت حياته وأعماله كلها لعقيدته التى انطلق بها مـــن تصور كلى شامل للحياة والتى جعلها مرجعه الأساســى فى كل شئ ولذلك فقد خصص أكثر مؤلفـــاته لخدمة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

ومن هنا فقد انطلق يدافع عن لغة القرآن وانبرى لتخليصها من الشوائب والتهم ، وخصص للقرآن الكريم النصيب الأكبـر من دراساته فدرس فى مؤلفات خاصة لغتـه وقراءاته ومشكلـه وضمائره . وعجائب علومه وناسخه ومنسوخه ودرس بعض حروفه فى مباحث خاصة كالألفـــات واللامات والهاءات ، كما درس الوقف والابتداء فيـــه وتصدى للرد على من خالف مصحف العامة وخصص كتابا آخر درس فيه المصاحف، كما تصدى للرد على الملحدين فى القرآن . ودرس الحديث موجها اهتمامه إلى لغته وغريبه حتى قيل إن كتابه "غريـــب الحديث" قد بلـــغ خمسا وأربعين ألف ورقه (١) !

وقد ظهر هذا الهدف فى بعض دراساته اللغوية المعتادة غير القرآنية على نحو ما نراه فى دراسته لظاهرة الأمثال والعبارات اللغوية وفى دراستـــه للأضـــداد . وقد صرح هو بهذا الهدف فى مقدمته لكل من كتابيـــــــه "الزاهـــــر" و"الأضـــداد" (٢) ، وسأبين ذلك أثناء دراسة كل منهما .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٤.
(٢) انظر الزاهر ٢/أ والأضـــداد ص ١.

إلا أن هذا التدين العميق الذى بلغ درجة الزهد عند ابن الأنبارى أورثه عيبا واحدا ، هو الانطواء والعزلة عن المجتمع فقد قيل : إن ابن الأنبارى كان لا يخالط الناس ، ولا يحضر مجالسهم ، ذكر ذلك الزبيدى فى طبقات النحويين (١) ، ونقلت منه بعض المصادر المتأخرة . فإذا سلمنا بما قرره الزبيدى — نقلا عن أبى بكر بن عبد الملك — فعلينا أن نبحث عن سبب هذه العزلة ، فهل كان ابن الأنبارى غير محبوب فى مجتمعه لسبب ما فاعتزله ؟ أو جفا المجتمع لبعض الأسباب ؟ ليس لدينا دليل يؤكد الاحتمال الأول أو يعززه ، فالأدلة منصرفة إلى الاحتمال الثانى بل إن ماذكره الزبيدى عن انطوائه ينص على أن سبب العزلة كان ابن الأنبارى نفسه لا مجتمعه وأنه كان لا يعاشر الناس ، وليس العكس ، وقد يكون السبب الحقيقى لعزلته هو ماابتلى به مجتمعه من فساد وفتن واضطراب — على نحو ماتقدم — مما جعله يعتزل هذا المجتمع منصرفا إلى الزهد والتأليف حيث يجد فيهما البديل ، وظل يقضى الساعات الطوال فى رحاب الكتب والمصنفات فبارك الله له فى علمه وإنتاجه وكانت عزلته عزلة منتجة ، أفاد منها أعظم فائدة ، واستغلها أحسن استغلال .

وربما تفسر هذه العزلة بأنها نوع من التصون عن العامة والدهماء ، إذ انتصار الرجل على علمه وتلاميذه ومن خالطه من الخلفاء فى حدود الوقار العلمى المطلوب .

والخلاصة أن ابن الأنبارى كان صادق العقيدة متدينا عميق التدين ، ومن أهل السنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكان زاهدا معتدلا ، ولم يكن صوفيا متطرفا . وقد أخضع حياته كلها للدين ، وعاش وفق عقيدته هذه ، ولم ينحرف عنها ، وسخر علمه لخدمة دينه ولغته العربية .

---

(١) ص ١٧١ .

(ب) أمانته العلميـــــة

إن الأمانةفى نقل العلم وتحمله من أهم الصفات التى يجب أن يتخلق بها العلماء ، ولولا ها لأصاب العلم اضطرابٌ كبـــير ، ومع هذه الأهمية للأمانـــــة العلميـــة قد ثرى من العلماء من لا ذمة لـه ولا خلق ولا أمانة ولا إخـــلاص ينسب إلى نفسه فصلا كاملا يستولى عليه من كتاب لغيره ، وقد ينسب إلى نفسه كتابا بأكمله ، وهؤلاء فى الواقع ليسوا علماء ، وليسوا جديرين بنسبتهم إلـــى العلم . إلا أن أفاضل العلماء اتصفوا بالذمـــة ، والأمانة فى أخـــذ العلم ونقله .

وقد كان ابن الأنبارى واحدا من هؤلاء الأفاضل ، وقد شهد التاريخ بهذه الحقيقة ، وأثبتها واقع مؤلفاته ، التى بين أيدينا بعضها ، وقد وصفه الخطيب البغدادى بأنه كـان "صدوقا فاضـلا" (١) ، وأثنى عليه أبوالبركات بن الأنبارى بقولـــه : " وكان ثقة صدوقـــا "(٢) . وعلى كل فقد أكثرالذين ترجموا له من الثنـاء عليه وعلى صفاته التى تؤكـد لنا أمانته العلمية ، فقد وصف بالصدق والثقة ، والتدقيق ، والأمانة وسعة العلم (٣) .

وإذا رجعنا إلى واقع مؤلفاته فاننا نرى هذه السمـــة عنده واضحـــــة كل الوضـــوح ، فهـــــو :

ـــ يهتم بنسبة النص الذى يستشهد به عادة إلى صاحبه ، إما فى أوله أو فى آخـره ، وقد صرح بهذا الاهتمام فى مقدمة كتـابه المذكر والمؤنث قائـــلا : انه " مسند كل قول إلى قائله "(٤) .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٢ .
(٢) نزهه الألباء ٣٦٤ .
(٣) تهذيب اللغة ١/٢٨ ، وانباه الرواة ٣/٢٠١ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٤ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/٦٩ ، ومختصره (٣٢٨) ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٤١ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ٥١٥ . والبداية والنهاية ١١/١٩٦ ، وغاية النهاية ٢/٢٣١ ، ونور القبس ٣٤٥ ، ودائرة المعارف (أفرام) ٢/٣٥ .
(٤) المذكر والمؤنـــــث ١/ب .

ـــ وإذا نقل نصا بتصرف فيه ، فإنه يشير إلى ذلك فى نهاية النص المنقول ، كقوله : " ترجم لى بعض شيوخنا هذا المعنى بلفظ يشاكل ما وصفنا ويقاربه "(١) .

ـــ ويعزو الشعر غالبا إلى قائله ـ إن عرفه ـ أو منشده .

ـــ ويحدد ماليس من أصل الكلام فيما يرويه كقوله : " والحرف الرابع ، من زيادة أبى العباس "(٢) وقوله : " وزادنا أبوالحسن بن البراء فيها ..."(٣) وقوله : " انقطع كلام أبى العباس هٰهنا ..."(٤) ثم يستمر مثبتا الإضافة على النص المنقول .

ـــ وإذا استدل بحجة غيره ، نسب الحجة إلى صاحبها كقوله : " سمعت أبا العباس يحكى هذه الحجة عن أصحابه "(٥) .

ـــ وإذا شك فيما يذكره أثبت شكه بما هو معروف من عبارات تدل عليه ( أحسب ، أظن ، زعم ، قيل ... الخ ) وكثيرا ماينهى الكلام بإرجاع حقيقة العلم إلى الله عزوجل ـ وخاصة فى مواضع الشك وتعدد الآراء ـ فيقول : " والله أعلم "(٦) أو " والله أعلم وأحكم "(٧) ، أو " والله أعلم بحقيقة القولين وأحكم "(٨) أو " والله أعلم بحقيقة ذلك كله وأحكم "(٩) ، أو " والله أعلم بجميع هذا وأحكم "(١٠) أو ماشبه ذلك .

ـــ لايتردد فى قول " لا أدرى " إذا جهل مسألة ما ، بل يقولها فى غير خجل أو وجل (١١) .

---

(١) الإيضاح فى علل النحو ٨٠ .
(٢) ديوان عامربن الطفيل ٩١ ، وأبوالعباس هوشيخه ثعلب وستأتى ترجمته فى موضعها ان شاء الله .
(٣) وفيات الأعيان ١٠٣/١ .
(٤) شرح القصائد السبع الطوال ٧٠ .
(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٣٢٩/١ .
(٦) الأضداد ٢٧٤ .
(٧) نفسه ١٩٠ .
(٨) نفسه ٢٧١ .
(٩) نفسه ٢٦٢ .
(١٠) نفسه ٤١٩ .
(١١) وفيات الأعيان ١٠٣/١ .

ـــ لايمنعه الأخـذ بآراء الكوفيين من الاستشهاد بأراء مخالفيهـــم من البصريين والأخـذ بها ، فهو يقتبس من كلام المبرد(١) ـ أبرز معارضـــى الكوفيين ـ ويأخذ به ، وكذلك الشأن بالنسبة لآراء أبى حاتم السجستانى(٢) وأبى الحسن الأخفش(٣) وهما من كبار أعلام المدرسة البصرية ، علما أن أبابكـــر كان كثيرا مايهاجم هؤلاء الثلاثـة فى مؤلفاته ويعترض عليهم ويرد أقوالهـــم ، ولكن هذه الخصومة العلمية لا تدعوه لترك الأخذ عنهم(٤) .

ـــ وإذا قبل رأى البصريين فانه يعرضه ـ فى غير تعصب ـ مع رأى الكوفيين جنبـا الى جنب(٥) ، بل قد يقدم رأيهم على رأى الكوفيين ، من غير تحيز(٦) .

---

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى المبرد ـ بكسر الراء ـ ، وفتحها الكوفيون تهكما عليه ـ من كبار أئمة البصريين فى اللغة والنحو والأدب والأخبار ، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ، وتوفى ببغداد سنة ٢٨٦ هـ . لـه الكامل ، والمقتضب ، والمذكر والمؤنث ، واعراب القرآن وغيرها . انظر : نزهة الألباء ٢١٧ ـ ٢٢٨ ، وانباه الرواة ٣ / ٢٤١ ـ ٢٥٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٠٨ ـ ١٢٠ ، وتاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠ ـ ٣٨٧ ، ومعجم الأدباء ٧ / ١٣٧ ـ ١٤٤ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٨٠ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣١٣ ـ ٣٢٢ .

(٢) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمى السجستانى ، من كبار العلماء البصريين باللغة والشعر ، توفى سنه ٢٤٨ هـ . له : المصرين والنخلة ، وما تلحن فيه العامة والأضداد وغيرها . انظر : انباه الرواة ٢ / ٥٨ ـ ٦٤ ، وطبقات النحويين ١٠٠ ـ ١٠٣ ، ونزهـة الألباء ١٨٩ ـ ١٩١ ، ومعجم الأدباء ٤ / ٢٥٨ ، وطبقات المفسرين ١ / ٢١ ـ ٢١٢ ، غاية النهاية ١ / ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

(٣) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (الأوسط) ، من علماء النحو واللغة والأدب بالبصره أخذ عن سيبويه ، توفى سنه ٢١٥ هـ ، وقيل ٢١١ هـ ، وله : تفسير معانى القرآن وشرح أبيات المعانى ، والاشتقاق ، ومعانى الشعر ، وكتاب الملوك . أنظر انباه الرواة ٢ / ٣٦ ـ ٤٤ ، ونزهة الألباء ١٣٣ ـ ١٣٥ ، وطبقات النحويين واللغويين ٧٤ ـ ٧٦ وبغية الوعاة ٢٥٨ ، ومراتب النحويين ٦٨ ـ ٦٩ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(٤) أنظر نماذج من استشهاده بآراء البصريين فى المذكر والمؤنث ٧٥ / أ ، و ٧٥ / ب ، و ٧٧ / ب ، و ٨٩ / أ ، و ١٠٠ / أ ، والأضداد ٥٩ وايضاح الوقف والابتداء ١ / ٤١ و ٥١٩ و ٢ / ٨١٣ ، وشرح القصائد السبع ٣٥ ، ٤٢ ، ٧٢ .

(٥) أنظر مثلا : شرح القصائد السبع ٢٥ ، و ١٤٣ ، و ٢٦٩ ، و ٢٩٧ .

(٦) أنظر مثلا : المذكر والمؤنث ٣٤ / ب و ٣٥ / أ .

ـــ وفى المقابل لا يحابى أصحابه الكوفيين ولا يوافقهم فى آرائهم موافقة تعصب ، بل قد يعترض عليهم ويخطئهم ، فيقول عن رأى للكسائى (١) : " وهذا قبيح "(٢) ، كما يخطئ رأيا لابن السكيت (٣) ويقول عنه : "وهذا عندى غلط" (٤) .

ـــ يقرّ بالفضل لأساتذته دائما ويثبت ذلك بقوله : سألت فلانا من شيوخنا ... فقال ... (٥)

ـــ لا يأخذه الغرور بادعاء الإحاطة المطلقة بالعلم ، فكثيرا مايرد عنده مثل قوله : "لم أسمع بكذا" ، و"لم أحفظ" ، و "لم أعلم" ، و"لست أعرف" ... الخ أو مثل قوله : "فهذا ماانتهى إلينا "(٦) .

ـــ واذا نقل عن غير أهل التخصص فإنه ينبه على ذلك ، على نحو مافعل فى كتاب إيضاح الوقف والابتداء فهو مثلا ينقل عن رؤبة بن العجاج وينبه بأنه ـ ليس بإمام فى القراءة (٧) ـ ويكثر مثل قوله : " وقرأ فلان ـ وليس بإمام فى القراءة ـ .. كذا ".

ـــ وله اهتمام خاص بالإشارة إلى مصادره فى كتبه وقد يعرضها عرضا دقيقا على نحو ماصنع فى مقدمة كتابه "إيضاح الوقف والابتداء" (٨) ، وعلى كل حال فهو عظيم الحرص على ذكر مصادره مسنده ـ سواء طالت أم قصرت ـ فى سائر كتبه (٩) ، وقد يورد عدة

---

(١) هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى ، رأس الكوفيين فى اللغة والنحو وأحد القراء السبعة ، فارسى الأصل ولد بالكوفة وتعلم بها وتوفى بالرى سنة ١٨٩ هـ . له : معانى القرآن ومختصر فى النحو وكتاب القراءات وكتاب المدد ، وكتاب المصادر وغيرها . أنظر تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٣ ـ ٤١٥ ، ونزهة الألباء ٦٧ ـ ٧٥ ، وانباه الرواة ٢ / ٢٥٦ ـ ٢٧٤ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٣٨ ـ ١٤٢ ، وطبقات المفسرين ١ / ٣٩٩ ـ ٤٠٣ ، وتهذيب التهذيب ٧ / ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٢) ايضاح الموقف والابتداء ١ / ١٦٦ .

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت ، من أكابر اللغويين والنحاة الكوفيين ، عالم بالأدب ، ولد سنة ١٨٦ وتوفى سنه ٢٤٤ هـ ، كان مؤدب أولاد المتوكل له : اصلاح المنطق والالفاظ والاضداد وسرقات الشعراء وشرح عددا من دواوين الشعراء . انظر : طبقات النحويين واللغويين ٢٢١ ـ ٢٢٣ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، ونزهة الالباء ١٧٨ ـ ١٨٠ وبغية الوعاة ١٨٤ ـ ١٩٤ ووفيات الاعيان ٦ / ٣٩٥ ـ ٤٠١ .

(٤) الذكر والمؤنث ١٢٠ / ب

(٥) انظر : مثلا ـ ايضاح الوقف والابتداء ٢ / ٦٤٩ و ٦٧٤ و ٧٤٢ .

(٦) الأضداد ٣٣٨ .  (٧) نفسه ١ / ٣٥٥ .

(٨) المقدمة ١ / ١١١ ـ ١١٦ .

(٩) انظر مثلا : الاضداد ٢٢٤ و ٢٧٨ و ٢٣٥ و ٣٥٠ .

مصادر فى نقل كلمة واحدة كما فعل فى معالجته لفظ "السلطان" حيث قرر أنه يذكر ويؤنث ، وأتبع حكمه هذا بالمصادر التى نقل عنها ذاكرا أسانيد كل مصدر وهى :

= ١ = ثعلب عن سلمة بن عاصم (١) عن الفراء (٢) .

= ٢ = وأبوه القاسم بن بشار عن محمد بن الحكم (٣) عن اللحيانى (٤) .

= ٣ = وعبد الله بن محمد بن رستم (٥) عن ابن السكيت .

= ٤ = والسجستانى عمن يثق بفصاحته (٦) .

---

(١) أبومحمد سلمة بن عاصم راوية الفراء ، نحوى لغوى ، كوفى ، ثقة ثبت ، أخذ عن الفراء وثعلب . له : معانى القرآن ، وغريب الحديث والمسلوك فى النحو ، قال ابن الجزرى : توفى بعد السبعين ومائتين فيما أحسب . انظر : مراتب النحويين ٩٤-٩٥ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٥٠ وانباه الرواة ٥٦/٢ - ٥٨ وبغية الوعاة ٢٦٠ وغاية النهاية ١/ ٣١١ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الملك الديلمى المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين فى اللغة والنحو أخذ عن الكسائى ، وكان ثقة ، توفى سنة ٢٠٧ هـ . وله : معانى القرآن ، والبهى ، والمصادر فى القرآن ، واللغات وغيرها . انظر مقدمة تهذيب اللغة ٥٤ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٤٣-١٤٦ ونزهة الألباء ٩٨-١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٧٦-٢٧٨ وغاية النهاية ٢/ ٢٧١-٢٧٢ ، ومراتب النحويين ٨٦-٨٨ .

(٣) هو محمد بن الحكم الكاهلى الكوفى ، روى عن أبى وائل ونوف البكالى ، ذكره ابن حبان فى طبقات الثقاة . انظر : تهذيب التهذيب ٩ / ١٢٤ ، ولسان الميزان ٥/ ١٤٦ وميزان الاعتدال ٣ / ٥١٧ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٣٣ .

(٤) هو أبوالحسن على بن حازم ( وقيل المبارك ) اللحيانى . من أكابر اللغويين ، أخذ عن الكسائى وابى زيد والأصمعى . ذكره الزبيدى فى الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين ، وله : كتاب النوادر . أنظر : طبقات النحويين واللغويين ٢١٣ ، ومراتب النحويين ٨٩-٩٠ ، وانباه الرواة ٢ /٢٥٥ ، ونزهة الألباء ١٧٦ - ١٧٧ ومعجم الادباء ٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٥) هو أبو محمد ، مستملى ابن السكيت ، ذكره الزبيدى فى الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين وكان ثقة ، مذكورا بالفضل والعلم ، وروى عن ابن السكيت . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٠٤ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ٨١ ، وانباه الرواة ٢/ ١٢٠ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٢ .

(٦) المذكر والمؤنث ٧٦/ب ، وانظر نماذج أخرى لاهتمامه بالمصادر فى الاوراق ١٤٩ - ١٥٨ .

— يعترف بالخطأ — إذا نبّه عليه — ولا يمارى فيه ، وقد أورد ابن جنى(١) فى "المنصف" مثالا يدل على أصالة هذه الخصلة لديه ، قال ابن جنى : "وقالوا فيما سبقت ياؤه "يَوم" ، "وُيوح" فى اسم الشمس ، كذا يرويه الناس، وكذا رأيته بخط أبى العباس محمد بن يزيد (٢) — رحمه الله — بالياء . وحكى عن ابن الأنبارى أنه قال : هو بالياء ، وكان يقول فيه "بُوخ" ، فرد غير دفعة فقال : "هكذا وجدته فى كتابى والغلط إلى الواحد أسرع منه إلى الجماعة"(٣) .

— ويبلغ أبوبكر القمة فى الأمانة العلمية والتواضع فى القصة التى حكاها عنه الدارقطنى (٤) فقد ذكر "أنه حضره فى مجلس أملاه يوم الجمعة ، فصحف اسما أورده فى إسناد حديث ، إما كان "حبان" فقال : "حيان" ،أو حيان" فقال "حبان" ،قال أبوالحسن(٤) : فأعظمت أن يحمل عن مثله،فى فضله وجلالة، وهم ، وهبته أن أوقفه على ذلك ، فلما انقضى الإملاء ،تقدمت إلى المستملى ،وذكرت له وهمه ،وعرفته صواب القول فيه ، وانصرفت ،ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستملى : عرّف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلانى ،لما أملينا حديث كذا فى الجمعة الماضية،ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ،وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب ،أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال"(٥) .

يكشف لنا هذا النص صورة صادقة لأمانة ابن الأنبارى العلمية ، ويؤكد صدقه فى علمه ،ورجوعه إلى الحق إذا عرف خطأه ،ويوضح سعة صدره لقبول الصواب ، وعدم تحرجه فى الافادة من التوجيه ،ولوكان من شاب لا يعرف مقدار علمه ،وذلك بعد أن يتثبت من صحة هذا التوجيه بالرجوع إلى أصول المصادر.

---

(١) هوأبوالفتح عثمان بن جنى الموصلى ،امام فى اللغةوالنحووالأدب ،بارع فى التصريف خاصة ،ولد بالموصل وأصله رومى ،وتوفى ببغداد سنة٣٩٢هـ وكان ملازما لابى على الفارسى . له: الخصائص ، والمحتسب ،والتصريف، الملوكى ،والمقتضب والمنصف وغيرها . أنظر: تاريخ بغداد ١١/٣١١-٣١٢ ، ونزهة الألباء٣٣٢-٣٣٤ ،وانباه الرواة٢/٣٣٥-٣٤٠ ومعجم الأدباء٥/٦٥-٣٢ ، ووفيات الاعيان٣/٢٤٦-٢٤٨ ،وشذرات الذهب ٣/١٤٠ - ١٤١ .

(٢) هو المبرد ،وقد مضت ترجمته . (٣) ١/٢١٦ .

(٤) هو أبوالحسن الدارقطنى ، وستأتى ترجمته .

(٥) تاريخ بغداد ٣/١٨٢-١٨٣ ،ونزهة الألباء ٣٧٠ ،ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٢ ،ووفيات الأعيان ٤/٣٤١-٣٤٢ ، والمنتظم٦/٣١٢ ،وغاية النهاية ٢/٢٣١ ،وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ ،وبغية الوعاة ٩١ ، والوافى بالوفيات٤/٣٤٤ وتذكرة الحفاظ ٣/٨٤٣ .

ولا تمنعه مكانته العلمية وأستاذيته من أن يعلن خطأه - في تواضع جم - أمام طلابه وأنه عرف صواب القول من أحدهم ، وأن على البقية أن تصحح الخطأ ، بناء على ماذكره ذلك الشاب لموافقته المصادر .

يتضح مما تقدم أن هذه السمة أصيلة وبارزة عند أبي بكر ، وذلك يدفعنا للتعرف على العوامل والمؤثرات التي أدت إلى تأصلها وبروزها في حياته العلمية . وهي عوامل واضحة لا يكلفنا البحث عنها عناء كبيرا :

١- فقد نشأ أبوبكر وتربى منذ صغره في بيئة علمية نقية ، فأبوه عالم ثقة صدوق أمين ، محدث ومقرئ وصاحب عربية ، وقد سمع أبوبكر عليه في حياته (١) ، وعم أبيه عالم ومحدث ومقرئ ، وقد أخذ عنه أبوبكر - كما تقدم - وعن أبيه وعاش في رعايتهما يتعهدانه منذ صغره ، ويفتحان آفاقه على علم الحديث والقراءة خاصة وهما من أكثر العلوم دقة في النقل ، وأعظمها أمانة في الرواية .

وقد أسلمه أبوه منذ صغره إلى بعض الشيوخ الثقات أمثال إسماعيل بن اسحاق القاضي ، وأبي جعفر التمتام ، وابن أبي الشوارب القاضي وابراهيم الحربي وابن شُريك البزار ومحمد بن يونس الكديمي (٢) ، ومن هؤلاء جميعا ومن سائر شيوخه - فيما بعد - وغالبيتهم في طبقات الثقات اكتسب الأمانة العلمية تحت عناية أبيه فترسخت عنده أي رسوخ .

٢- ولا ننس أيضا أن أبا بكر نفسه كان محدثا ، وقواعد علم الحديث تفرض عليه ابتداء أن يكون أمينا ثبتا صادقا ثقة ، مخلصا في علمه ، دقيقا في مراجعه والا لما أخذ عنه .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٢٨ ، وتاريخ بغداد ١٢/٤٤٠-٤٤١ ، وإنباه الرواة ٣/٢٨ ، وغاية النهاية ٢/٢٤ .

(٢) تقدمت تراجمهم جميعا .

٣- وقد أبرز الأمانة العلمية عنده تواضعه الجم الذى تحلى به فى أخلاقه عامة ، وهو خلق أساسى فى الأمانة العلمية ، وقد مرينا صورة تطبيقية جلية لهذه الصفة عنده فيما حكاه عنه الدارقطنى ، وقال عنه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد : " وكان مع حفظه زاهدا متواضعا "(١) ، وقد تعلق المتأخرون من أصحاب كتب التراجم والطبقات بعبارة الخطيب هذه يثبتون لأبى بكر عظيم تواضعه (٢) .

---

(١) ٣/ ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) انظر : نزهة الألباء ٣٦٤ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٣ ، والمنتظم ٦/ ٣١٢ ، وغاية النهاية ٢/ ٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .

## (ج) سعـــة حفظـــــه

كان ابن الأنبارى من عجائب البشر فى المقدرة على الحفظ وسعة الاستيعاب، وقد قيل الكثير عن حفظه الواسع ، ووقف العلماء أمام ذلك يصفون حفظه فى دهشة واستغراب ، وقد أثنى فريق منهم على حفظه ثناء المعجب فقال أبوالعباس بن يونس[1]: "وكان أبوبكر بن الانبارى آية من آيات الله فى الحفظ"[2] ، وقال ابن النجار[3]: "فأما أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى فما رأينا أحفظ منه ولا أغزر بحرا من علمه"[4] . وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ : " وكان من أفراد الدهر فى سعة الحفظ مع الصدق والدين"[5] ، وقال الخطيب فى تاريخ بغداد : " وكان مع حفظه زاهدا متواضعا"[6] .

فما حقيقة حفظه ؟ وما مادته ؟ والى أى حد بلغت هذه المادة المحفوظة عنده ؟

ليس غريبا أن يوجد عالم - يوصف بأنه كان فى نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة ، وسرعة الحفظ ، وأنه كان يضرب به المثل فى حضور البديهة وسرعة الجواب - ليس غريبا أن يكون من هذا شأنه من أفراد الدهر فى سعة الحفظ، فهو يتمتع بكل المقومات التى تعينه على الحفظ - وهذه المقومات - من ذكاء ونباهة وفطنة وجودة فى القريحة ، وقوة فى الذاكرة - هى أساس المقدرة على الحفظ .

---

(١) لم أجد ترجمته ، الا أن الخطيب البغدادى يروى عنه . انظر تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٧ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٣ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٠ ومختصره ٣٢٨ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ .

(٣) هو محمد بن جعفر بن محمد بن هارون ، أبوالحسن التميمى النحوى ، مقرئ ، نحوى معمر مسند ، من أهل الكوفة ، قدم بغداد وحدث بها. ولد سنة ثلاث وثلاثمائة وتوفى سنة اثنتين واربعمائه . له : مختصر فى النحو، والملح والنوادر، وتاريخ الكوفة وغيرها . انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٥٨-١٥٩ ، وغاية النهاية ٢/ ١١١ ، وانباه الرواة ٣/ ٨٣ ، ومعجم الأدباء ٦/ ٤٦٧-٤٦٨ ، وبغية الوعاة ٢٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٣ ونزهة الألباء ٣٦٦ ومعجم الأدباء ٧/ ٧٣ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ .

(٥) ٣/ ٨٤٢ وانظر طبقات الحفاظ للسيوطى ٣٤٩ .

(٦) ٣/ ١٨٢- ١٨٣ .

ومن الطبيعى أن يكون القرآن الكريم هو المنطلق الأول لحفظ ابن الأنبارى الذى تربى فى بيئة علم وتدين ، وقد تم له حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين كما تقدم (١) . ثم اتجه الى الحديث النبوى الشريف ينهل منه أوليات علومه فحفظ منه ماشاء آنذاك وتوسع فيه بعد نضجه العلمى حتى قيل : ان كتابه "غريب الحديث" الذى أملاه من حفظه بلغ خمسا وأربعين ألف ورقة (٢) .

وبالاضافه الى القرآن والحديث نراه قد اهتم بحفظ الشعر وخاصة الشواهد التى تعين على تفسير القرآن منه ، كما وجه اهتمامه فى الحفظ خاصة نحو التفسير والنحو والأدب حتى قيل عنه : "وكان أحفظ الناس للغة ونحو وشعر وتفسير قرآن." (٣)

ولكى نتعرف على سعة حفظه لابد أن يكون لدينا تقدير لما كان يحفظه من المواد السابقة ، وذلك أمر ميسور فقد أكثرت المصادر من النصوص التى توضح سعة حفظه .

وقد كان أبوه القاسم بن بشار مدركا لعظمة حفظه وسعته ، وكان يخشى ضياع علمه ان وافته المنيه ، ولذلك فقد بلغ به القلق والانزعاج مبلغا كبيرا عند ما مرض أبوبكر ذات مرة مرضا شديدا ، ولما طمأنه عواد ابنه وطيبوا نفسه ورجوا له عافيته رد عليهم قائلا : " كيف لا أقلق وأنزعج لعلة من يحفظ جميع ماترون" وأشار لهم الى خزانة مملوءة كتبا (٤) .

ونحن لا نستطيع أن نقدر عدد الكتب التى حوتها تلك الخزانة ، الا أن قلق أبى محمد الشديد يدل على ضخامة عدد الكتب فيها ، يؤكد هذا ماذكره ابن كثير من أن المجلدات التى كان يحفظها كانت تقدر بأحمال جمال(٥) .

---

(١) راجع ص .
(٢) معجم الأدباء ٧/ ٧٦ ، وسيأتى الكلام عن هذا الكتاب فى عرض مؤلفاته .
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢ — ١٨٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٧ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠١ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٦ ، ونور القبس ٣٤ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٠ ، ومختصره (٣٢٨) ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ .
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٧١ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٣ ، والمنتظم ٦/ ٣١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٠ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٨ .
(٥) البداية والنهاية ١١/ ١٩٦ .

وأما أبوبكر نفسه فكان يقدر حفظه بثلاثة عشر صندوقا ، فقد سأله أبو العروض[1] قائلا : " قد أكثر الناس فى حفظك ! فكم تحفظ ؟ قال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقا . قال محمد بن جعفر[2] : وهذا مالا يحفظ لأحد قبله ولا بعده[3] ".

ومرة أخرى لا ندرى ماسعة الصناديق الثلاثة عشر ، ولكن يبدو أنها كانت تسع قدرا كبيرا من الكتب يدل على ذلك تعليق محمد بن جعفر التميمى النحوى — وهو فى زمن أبى بكر على الخبر السابق — بقوله : " وهذا مالا يحفظ لأحد قبله ولا بعده "

ولتحديد أكثر دقة — مماسبق — لسعة حفظ ابن الأنبارى أستشهد بشئ من لغة الأرقام وهى فى الواقع أرقام ضخمة :

١— فمن ذلك ماذكره تلميذه أبو على القالى قال : " وكان يحفظ — فيما ذكر — ثلاثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن "[4].

٢— ومنه مارواه محمد بن جعفر التميمى النحوى من أنه " كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها "[5].

---

(١) تقدمت ترجمته ص

(٢) تقدمت ترجمته ص.

(٣) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٧ ، وطبقات الحنابلة ٢/٧٠ ، ومختصره (٣٢٨) وطبقات النحاة اللغويين ٢٣٤ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ١٧١ ، وتاريخ بغداد ٣/١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٦٥ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٢ و٢٠٧ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٤١ ، والوافى بالوفيات ٤/٣٤٤ ، وطبقات النحاة اللغويين ٢٣٤ ، وطبقات الحنابلة ٢/٧٠ ، ومختصره (٣٢٨) ، وغاية النهاية ٢/٢٣٠ ، وأنساب السمعانى ١/٣٥٤ ، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٤٢ ، والعبر فى خبر من غبر ٢/٢١٥ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ وشذرات الذهب ٢/٣١٥ والنجوم الزاهرة ٣/٢٦٩ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، وتاريخ آداب اللغة ٢/٢١١ ، والاعلام ٧/٢٢٦ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ ، ونزهة الألباء ٣٦٧ ، انباه الرواة ٣/٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، والمنتظم ٦/٣١٢ ، والوافى بالوفيات ٤/٣٤٤ ، تكملة تاريخ الطبرى ١/١١٥ ، وغاية النهاية ٢/٢٣١ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ ، والعبر فى خبر من غبر ، ٢/٢١٥ ، والبداية والنهاية ١١/١٩٦ وشذرات الذهب ٢/٣١٦ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، والنجوم الزاهرة ٣/٢٦٩ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/٢١١ .

٣ــ ومنه مارواه عبد الله بن بشير (١) أنه سأل أبا بكر : "كم حفظـــــت ؟ قال : ألف سطر فى ليلة واحـــدة "(٢)!

٤ــ وقد ذكر ابن كثير أنه "كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة"(٣)!!

هــذه نصوص أربعة تؤكـد سعة حفظ أبى بكر ، الا أنه لا يمكن أن نقبلها جميعا ففيها المعقول وفيها البعيد عن القبول ، ولا بد من مناقشتهـــــــا ، فما كان معقولا منها قبلناه وماكان بعيدا عن القبول رددناه ، ويقع الشـــــك ابتداء فى النص الأخـير ، فهل يؤتـى الانسان القدرة على حفظ عشرة آلاف ورقـة أسبوعيـــا ؟

ولم أجـــد هذا النص عند غير ابن الجوزى وابن كثـير ، وربما كانـــت كلمة ورقة محرفة عن سطر بوساطة النساخ أو المغرمين بالمبالغات.

ولا بد من التسليم بأن الخبر ليس على النحو المذكور فى البدايـــة والنهايـة وأن ابن كثـير نقله بدون تثبت ، وهذا هو الواقع ، فأصل الخبـــر مذكور فى المنتظم ضمن القصة التى نقلها ابن الجوزى عن مرض أبى بكـــــر الذى توفى فيه ، فقد روى أن أحد تلاميذه سأله عن سبب سوء حالـــــه وعما حـل به من ارهاق بـدا واضحا عليـــه فأجابه : "كنت أدرس فى كـــل جمعة عشرة آلاف ورقة"(٤) . وعلى هذا فيمكن تعديل نص ابن كثـير الـــى " وكان يدرس فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة" بدلا من " وكان يحفظ . . . . " وهـو أمر معقول .

وأما النص الثالث الذى انفرد بروايته ابن الزيات والذى يفيد أن أبا بكر يحفظ ألف سطر فى الليلة الواحدة ، فانه هو الآخر غير مقبول عقلا ، لأن ذلك يعادل حوالى ثلاث وثمانين ورقة ، وهذا مما لا يتاح لانسان أن يحفظـــــه فى ليلة واحدة .

---

(١) لم أجـــد ترجمتـــه .
(٢) الكواكب السيارة ١٤٧ .
(٣) البداية والنهاية ١١ / ٩٦ ويبدو أن العدد فى النصوص السابقة لا مفهوم له ويقصد منه الكثرة .
(٤) ٦ / ٣١٥ .

وفيما عدا هذا فان سائر النصوص التى تشهد لحفظه كلها مقبولة ، فقد نقلتها كتب موثقة وأثبتها من العلماء الثقات وخاصة النص الأول والثانى المذكورين آنفا ، اذ يفيدان أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن ، وأنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا من تفاسير القرآن بأسانيدها ، وقد نقلهما غالبية الذين ترجموا لأبى بكر مثبتين اعجابهم بحفظه العبقرى ، مع الاشارة الى عبارات التوثيق له عند بعضهم بعد ذكر أحد النصين أو كليهما (١) ، وكأنهم يريدون تأكيد الثقة بحفظه ، كما أن كثرة استشهاده بالشعر وخاصة شواهد القرآن مما يؤكد سعة حفظه لمثل هذه الشواهد ونجد منها كثرة هائلة فى كتابيه ( ايضاح الوقف والابتداء ، والأضداد ) . وتؤكد مقدرته العظيمة على التفسير فى تلك المواضع التى يتعرض فيها لآيات من كتاب الله تؤكد هذه المقدرة على سعة حفظه للتفاسير ، ويكفى دليلا على سعة علمه بكتاب الله وتفاسيره تلك المجموعة الكبيرة من مؤلفاته التى وضعها لخدمة القرآن الكريم وأهمها :

١- المشكل فى معانى القرآن .
٢- ناسخ القرآن ومنسوخه .
٣- المصاحف .
٤- ايضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل .
٥- ضمائر القرآن .
٦- رسالة المشكل .
٧- الرد على من خالف مصحف العامة .
٨- النقط والشكل .
٩- الهاءات فى كتاب الله عزوجل .
١٠- عجائب علوم القرآن .
١١- الرد على الملحدين فى القرآن .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٧١ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٧ ، وغاية النهاية ٢/ ٢٣١ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٤ .

وماكان لابن الأنبارى - وهو العالم الورع التقى - أن يتصدى للتأليف في علوم القرآن لولا سعة احاطته وحفظه لكتاب الله عزوجل ، ويدل على ذلك أيضا ماذكره أبو جعفر الأصفهانى (١) . قال : " رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت : يارسول الله ،عمن آخذ القرآن ؟ فقال : عن أبى بكر بن الأنبارى "(٢) . وكفى بهذا المثال شهادة له على سعة حفظه فى هذا المجال . ومن هنا فقد قال عنه الأزهرى : " كان واحد عصره وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه واعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم فى مشكله "(٣).

وهذه المقدرة العظيمة على الحفظ انما تدل على أن أبا بكر كان يتمتع بما يسمى فى علم النفس ( بذاكرة المعانى ) فى أرفع درجاتها القوية ، ويؤكد هذا ماروى عنه من سرعة بداهته (٤) ،ومن أنه كان يملى دروسه من حفظه لا من دفتر ولا كتاب(٥) .

هذا وقد كان أبوبكر الى جانب ذلك كله متقنا فى حفظه كما ذكر اليغمورى فى مختصره (٦).

فلم يكن حفظه اذن من ضروب الخيال والأمور الغريبة - كما زعم البعض (٧) - ولا أعنى بذلك أن الحفظ العظيم كان أمرا طبيعيا معتادا ، فهو لم يكن كذلك وانما كان من غرائب الحفظ ، ومن الأمور غير المألوفة ولكنه لم يكن من الأمور الغريبة .

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن يعقوب بن يوسف الاصفهانى النحوى المعروف ببرزويه أخذ عن نفطويه واليزيدى وغيرهما ، توفى سنة ٣٥٤ . انظر تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٦ ، ونزهة الألباء ٢٩٣ ، ومعجم الأدباء ٢/ ١٥٦ ، وبغية الوعاة ١٧٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢ ، ونزهة الألباء ٣٦٥- ٣٦٦ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٤ .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٢٨ .

(٤) الفهرست ٨٢ ، وأنباه الرواة ٣/ ٢٠٧ ، وغاية النهاية ٢/ ٢٣١ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢ .

(٦) نور القبس ٣٤٥ .

(٧) دائرة المعارف ،فؤاد أفرام ٢/ ٣٥٠ .

والواقع أن أبا بكر لم يكن وحيد الدهر فى سعة الحفظ وضخامته ، فقد حفل تاريخنا العلمى والأدبى بنماذج عديدة من أرباب الحفظ العجيب ، والذاكرة القوية ، والقدرة الواسعة ، أمثال : الأصمعى(١) الذى كان يحفظ عشرة آلاف أرجوزة (٢) ، وقد رويت عنه أخبار كثيرة تدل على عجيب حفظه ، وابن الأحمر (٣) الذى اشتهر باتساع الحفظ وكان يحفظ أربعين ألف شاهد فى النحو (٤) ، وأبى عمر الزاهد (٥) الذى قيل عنه انه من الرواة الذين لم يرقط أحفظ منهم ، وأملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة ، وقد نسب الى الكذب ـ خطأ ـ لسعة حفظه (٦)، وغيرهم كثير ، وقد أحصى الخوانسارى ـ فى روضات الجنات ـ طائفة منهم ذاكرا شيئا من أخبار حفظهم العجيب(٧) وليس هذا موضع تتبعهم فليرجع اليهم الى أخبارهم عنده .

---

(١) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الأصمعى ، من أكابر الأئمة فى النحو واللغة والغريب ، والأخبار والأدب والملح روى عن أبى عمرو بن العلاء ، صدوق ثقة ، وله : غريب القرآن ، وخلق الانسان ، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، والأضداد ، والألفاظ ، وغيرها ، توفى سنة ست عشرة ومائتين وقيل خمس عشرة . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٨٣-١٩٢ ، وتاريخ بغداد ١٠/٤١٠-٤٢٠ ، ومراتب النحويين ٤٦-٦٥ ، ونزهة الالباء ١١٢-١٢٤ ، وبغية الوعاة ٣١٣ .

(٢) نزهة الألباء ١١٣ .

(٣) هو على بن المبارك وقيل ابن الحسن الأحمر ، لغوى نحوى ، كان صاحب الكسائى وعنه أخذ ، وكان متقدما فى علل النحو ومقاييس التصريف . له : كتاب التصريف وتفنن البلغاء . توفى سنة ست أو سبع ومائتين وقيل اربع وتسعين ومائة . انظر طبقات النحويين واللغويين ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ١٢/١٠٤-١٠٥ ، وانباه الرواة ٢/٣١٣-٣١٧ ، ومراتب النحويين ٧٩ ، ونزهة الألباء ٩٧ ، ومعجم الأدباء ٥/١٠٨-١١١ .

(٤) تاريخ بغداد ١٢/١٠٤ .

(٥) هو محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم اللغوى الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، من أكابر أهل اللغة وأحفظهم لها ، ثقة صدوق ، ولد سنة احدى وستين ومائتين ، وتوفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . له : اليواقيت وشرح الفصيح وفائت الفصيح والمرجان الموشح وغيرها . انظر : طبقات النحويين واللغويين ٢٢٩ ، وتاريخ بغداد ٢/٣٥٦-٣٥٩ ، ونزهة الألباء ٢٧٦-٢٨٠ ، ومعجم الأدباء ٧/٢٦ والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٢٣٤-٢٣٥ ، وبغية الوعاة ٦٩-٧٠ .

(٦) نزهة الألباء ٢٧٦ .

(٧) انظر ص ٦٧٨ - ٦٧٩ .

وقد كان أبوبكر يولى حفظه اهتماما كبيرا ويحرص عليه ويصونه بفلسفتـــــه التى كان يعتقدها وهى أن بعض أنواع الطعام تؤثر على حفظه فكان لا يأكـــل الرطب بل يأخذه ويشمه ثم يقول : "أما انك لطيب ، ولكن أطيب منك حفظ ماوهبـه الله لى من العلم "(١) ، وعندما سئل عن سبب سعة حفظه قـــال : " ماأكلت مالحا قط " ، وكان زاهـدا فى طعامه وشرابه ، ويرى أن ذلك هـــو أساس البقاء على حفظـه وقد تقدم الكلام عن فلسفته هذه فى الحديث عن زهـده(٢) .

وبعد - فهل استفاد أبوبكر من هذا الحفظ الواسع لتطبيقـه فـــى مؤلفاته ، أو كان حفظة فحسب ؟

ان المتتبع لمؤلفات ابن الأنبارى يلاحظ بوضوح أثر سعة حفظه فى كتبـه ، بل يجد أن طريقته فى التأليف هى الاملاء من حفظه لا من دفتر ولا من كتـاب ، وبين أيدينا عدة نصوص تؤكـد ذلك ، ففى تاريخ بغداد والمنتظـــم :

" أخـبرنى غير واحد ممن شاهد أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارى أنه كان يملـى من حفظه لا من كتاب ، وأن عادته فى كل ماكتب عنه من العلم كانت هكذا ، ما أملى قط من دفتر "(٣) . وورد فى تاريخ بغداد أيضا أن أبا بكر بن الأنبـارى "كان يملى كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسـير والأشعار ، كل ذلك من حفظه "(٤) ، ونقل ابن الجزرى أن أبابكر بن الأنبارى كان " يملى من حفظه ما أملى قط من دفتر "(٥) ، وقال السمعانى : " وكان يملى من حفظه ، وماكتب عنه الاملاء قط الا من حفظه "(٦) .

ومع ذلك فقد كان دقيقا فى املائه ، ومن أماليه الدقيقة كتابه " غريب الحديث "(٧) .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٥٧ . (٢) انظر ص ٣٤ ومابعدها .
(٣) تاريخ بغداد ٣/١٨٢- والمنتظم ٦/٣١٢ .
(٤) ٣/١٨٢ ، وانظر نزهة الألباء ٣٦٥ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٢ .
(٥) غاية النهاية ٢/٢٣١ ، وانظر الوافى بالوفيات ٤/٣٤ ، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٤٢-٨٤٣ .
(٦) الأنساب ١/٣٥٤ .
(٧) شذرات الذهب ٢/٣١٦ .

الذى أملاه فى خمس وأربعين ألف ورقة ـ كما تقدم ـ وكتاب الهاءات وقد أمـــلاه فى نحو ألف ورقة ، وشرح الكافى وقد أملاه فى نحو ألف ورقة أيضا (١) . واملاء مثل هذه المؤلفات الكبيرة من حفظه مما يؤكد لنا قدرته على اختزان أكبر قدر من العلـوم ، وعلى تمكنه من الاملاء ونفسه الطويل فيه .

واذا دخلنا فى صميم دراسة مؤلفاته فسنجد أيضا قدرة واسعة فى عرض الكثير من محفوظاته على مختلف صفحاتها ويتجلى ذلك فى كثرة استشهاده بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، والشعر الفصيح لمختلف الشعراء ، مع الاهتمام بالقراءات المختلفة للآيـة الواحدة والروايات المختلفة للحديث والشعر ، يعرضها عرضـــا مفصلا ، ويتجلى ذلك أيضا فى احاطتـه باللغات المتعددة الواردة عن العـرب فى الكلمة الواحدة وكذلك احاطته بالآراء والأقوال المختلفة فى الموضوع الواحـد الذى يتعرض له ، وسنرى تفاصيل ذلك كله فى دراسة منهجه فى التأليـــف ، مما يدل على تمكنه من حفظه والاستفادة الميسورة منه كلما دعته الحاجة ، مستعينا بسرعة حضور البديهة .

الا أن هذا الحفظ الواسع الذى وجه أبا بكر فى تأليفه الى الاملاء من غير دفتر ، أفقدنا معظم مؤلفاته ، ذلك أنه كان يمليها من حفظه ، وهذا يعنى أنه لم يترك لنا أصولا مكتوبة لها وكان ذلك سبب فقدانها ، وقد أشار الى ذلك محمد بن جعفر التميمى (٢) فقال : " ومات ابن الأنبارى ، فلم نجد من تصنيفه الا شيئا يسيرا ، وذاك أنه كان يملى من حفظه " (٣) .

وقد كان الاعتماد على الحفظ والاملاء من أبرز خصائص المدرسة الكوفيـة ، ولا سيما حفظ الشواهد والنوادر ، وكان هذا سبب ضياع معظم مؤلفات الكوفيين ، لأنهم كانوا يملونها على طلابهم املاء ، ولم يدونوها فى كتب الا نادرا .

---

(١) معجم الأدباء ٧/٧٦ .
(٢) تقدمت ترجمتـه ص ٥٠ .
(٣) تاريخ بغداد ٣/١٨٣ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٤ .

## ٧ـ ثقافتـــــــــــــــــــــــه

واضح مماتقدم أن الحفظ ، هو الوعاء الذى استوعب النصيب الأكبـــــــر من ثقافة أبـــى بكـــر .

وقد رأينا فى الحديث عن نشأته العلمية أنه شرع فى تكوين ثقافته مبكرا ، حيث درس القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو ، وحضر دروس المساجـــــد واتصل بالشيوخ ، وتتلمذ عليهم منذ صغره ، وشهد الاتجاهـــــــــــين : ( البصـــرى والكوفـــى ) ، فمال الى الكوفيين واستمد للمواجهة فتعلـــم فـــن المناظرات على يد شيخه ثعلب ، فكان ذلك كله بمثابة القاعدة التى شكلت ، ثقافتـــه الأولـــى .

ومااان استقرت دعائم هذه القاعدة حتى أكب على القراءة ، ينهـــــل ـ بنهم ـ ماشاء من مختلف الكتب حتى بلغت دراسته الأسبوعية نحـــــــــو عشرة آلاف ورقة(١) ، وأخـــذ يستنسخ لنفسه العديد من الكتب حـــتى قيـــل : " انه وجد عنده مايزيد عن حمل عربة أقلام ، ووجدوا عنده حمل ليف أبيض "(٢) .

وقد توسع فيما بعد فى دراسة القرآن الكريم وعلومه وألف فيها مجموعة من الكتب ، واعتبره الزنجانى (٣) من الأربعة الذين يعتمد عليهم فى هذا الميدان(٤) .

وقد توسع فى دراسة وحفظ كتب التفسير خاصه فبرع فيه ، كمابرع فى ميدان القراءات ، ويبدو أنه كان لعلم الحديث موضع خاص فى نفس أبى بكر وأنه كان يفضله على سائر المواد ، بمافيها الدرس اللغوى وهو الميدان الذى برز فيه ،

---

(١) يبدو أن العدد هنا لا مفهوم له ، ويقصد منه الكثرة كما تقدم .
(٢) الكواكب السيارة ١٤٧ .
(٣) هوأبو عبد الله بن الميرزا نصرالله الزنجانى عالم وفيلسوف شيعى معاصر ، ولد بزنجان سنه ١٣٠٩هـ ، تلقى علومه فى بعض الدول العربية ، ثم درس التفسير والفلسفة بكلية المعقول والمنقول بطهران ، توفى بزنجان سنة ١٣٦٠هـ وله تاريخ القرآن ، وبناء النفس بعد فناء الجسد وطهارة أهل الكتاب وغيرها . انظر تاريخ القرآن ص ـ ٦ .
(٤) تاريخ القرآن ١٢ .

فقد روى تلميذه أبوعلى القالى(١) قال : "سمعت محمد بن القاسم بن محمد الأنبارى يقول : ما أسِيت على شئ ، كما أسِيت على تركى السماع لكتاب "المعانى" للفراء ، من أبى العباس ، أحمد بن يحى ، وانما كان يقطعنى عنه الحديث"(٢) .

واهتم ابن الأنبارى بالأدب ، وخاصة الشعر اهتماما كبيرا ، وشرحه للقصائد السبع الطوال يشهد له بسعه علمه فيه ، كما يشهد له بسعة معارفه بأخبار العرب وأنسابها وأيامها .

وأما دراسته لعلم الفلك فيبدو أنها كانت مجرد دراسة سطحية اكتفى بالمبادئ منه على نحو ما نفهمه من ابن الزيات(٣) ، ولذلك فاننا لا نرى آثار ثقافته الفلكية فى مؤلفاته الا نادرا كما فى تفسيره لقوله تعالى ( ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا )(٤) قال ابن الأنبارى : "يقال : ان القمر يضئ لأهل الشمس وظهره الى الأرض، ولهذا قال تعالى : "فيهن" لما كان أكثر نوره يضئ لأهل السماء"(٥) .

وهذا تفسير غريب وربما كان سائدا فى عصر أبى بكر .

ويبدو أنه درس المنطق أيضا ، نستشف ذلك من براعته فى التعليل لكثير من المسائل التى يتعرض لها كما سيأتى فى تعليله أن المصدر مأخوذ من الفعل(٦) وكما فى تعليله سبب ضم أول الفعل المبنى للمجهول(٧) وسيأتى الكلام عن براعته التعليلية(٨) .

---

(١) ستأتى ترجمته ص ١١٧
(٢) طبقات النحويين واللغويين ١٥٠ .
(٣) الكواكب السيارة ١٤٧ .
(٤) سورة نوح / ١٥ .
(٥) البرهان فى علوم القرآن ٣ / ٢٥٩ .
(٦) الايضاح فى علل النحو ٦٠ـ٦١ وانظر فيما يأتى ص .
(٧) إيضاح الوقف والابتداء ١ / ٩٩٨ وانظر ص ٨٣ .
(٨) انظر فيما يأتى ص ٨٢ ومابعدها .

لقد درس أبوبكر العلوم المرتبطة باللغة خاصة دراسة متقنة وبرع فيها ، فأثنى عليه العلماء وأعجبوا بعلمه وفهمه واسهامه فى كل فرع من تلك العلـــوم ، فقال عنه ابن العماد الحنبلى : "كان فى كل فـن امامه"(١) ، وقال ابن كثير : "كان من بحور العلم فى اللغة العربية والتفسير والحديث وغير ذلك"(٢) ، وقال محمد بن جعفر التميمى : "وكان أحفظ الناس للغة ونحوٍ وشعرٍ وتفسير وقرآن"(٣) وقال الخطيب البغدادى : "كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهـــم حفظا"(٤) ، وقال الدانى فيه : "امام فى صناعتـــه مع براعـةفهمه وسعـــه علمـــه ، وصدق لهجته"(٥) ، وقال الزركلى : "من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظـا للشعروالأخبـار"(٦) .

وقد أولى أبو بكر علم اللغة عناية خاصه فبرز فيه وتفوق ، وقد كانت جذور ثقافته اللغوية ممتدة الى صغره حيث تعهده أبوه ـ وقد كان صاحب عربية ـ وقوم لسانه منذ نعومة أظفاره حتى غدا هو الآخـر صاحب عربية قويم اللســان ، واسع العلم محيطا باللغـــة العربيه وعلومها .

وقد درس على شيوخه وبخاصة أبوه وشيخه ثعلب مجموعة ضخمة من كتب اللغة ، وكان مغرما بكتب ابن السكيت ويبد و أنه قرأهـــا كلها ، وقد كان لكتب الفراء فى نفسه موضع خاص فهو شيخ الكوفيين ، وكان أبوبكـر معجبا به ، ويبد و أنه قرأ كتبه كلها يدل على هذا مارواه الخطيب البغدادى من أن الفراء أملـــى "كتبه كلها حفظا ، لم يأخذ بيده نسخه الا فى كتابين : كتاب "ملاذم"، وكتاب "يافع ويفعة" قال أبوبكر الأنبارى : ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة"(٧) .

---

(١) شذرات الذهب ٢/٣١٦ .
(٢) البداية والنهايه ١١/١٩٦ .
(٣) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ .
(٤) نفسه ٣/١٨٢ .
(٥) غاية النهاية ٢/٢٣١ .
(٦) الأعلام ٧/٢٢٦ .
(٧) تاريخ بغداد ١٤/١٥٣ .

وهذا يدل على أن أبا بكر كان متتبعا كتب الفراء بدقة محصيا عـــدد أوراقها فى اعجاب وتقدير .

ومن الكتب اللغوية التى درسها : كتاب "فصيح الكلام"(١) ، لثعلب ، "واصلاح المنطق"(٢) ، لابن السكيت ، "والبهى فى النحو"(٣) ، "للفراء" ، "والألفاظ"(٤) لابن السكيت ، "والغريب المصنف"(٥) ، "للقاسم بن سلام"(٦) ، "والقلب والإبدال"(٧) ، "لابن السكيـــت ، "والأجناس"(٨) ، "لأبى نصر أحمد بن حاتم"(٩) ، "وخلق الانسان"(١٠) لابن السكيت ، "والفرق"(١١) لثابت بن أبى ثابت(١٢) ، "والأصوات"(١٣) ، "لابن السكيت "والفرق"(١٤) ، له أيضا ، "والمثلثات"(١٥) لقطرب ، "(١٦) ومعانى الأبيـــات"(١٧) ، "والنبـــــــات"(١٨) لابن السكيـت ،

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٣٩ ، والزاهر ١٧٦/أ .
(٢) نفسه ٣٢٨ ، ٣٣٠ — ٣٣١ .
(٣) نفسه ٣١١ — ٣١٢ .
(٤) نفسه ٣٢٩ .
(٥) نفسه ٣٢٧ — ٣٢٨ ، وأمالى القالى ١/ ١٢١ .
(٦) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى ، من كبار العلماء بالحديث واللغة ، والادب والفقه ، ثقة ، ولد بهراة سنة ١٥٧ هـ وتعلم بها ، وتوفى بمكة سنة ٢٢٤ هـ وكان منقطعا لعبد الله بن طاهر . له : الغريب والأجناس والمذكر والمؤنث ، والمقصور والممدود وغيرها . انظر طبقات النحويين واللغويين ٢١٧ — ٢٢١ ، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣ — ٤١٦ ، وانباه الرواة ٣/ ١٢ — ٢٣ ، ومعجم الأدباء ٦/ ١٦٢ — ١٦٦ ، وبغية الوعاة ٢٧٦ — ٢٧٧ .
(٧) فهرسة ابن خير ٣٨١ .
(٨) نفسه ٣٨١ ، ٣٩٨ .
(٩) هو أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى صاحب الاصمعى ، لغوى ، نحوى ، بصرى ، ثقة ، توفى سنة ٢٣١ هـ له : كتاب الشجر والنبات ، وكتاب الإبل ، وما يلحن فيه العامة ، والزرع والنخل ، وغيرها . انظر طبقات النحويين واللغويين ١٩٧ — ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٤/ ١٤ ، ومراتب النحويين ٨٢ — ٨٣ ، وانباه الرواة ١/ ٣٦ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٤٥ — ٤٥٧ ، وبغية الوعاة ١٣٠ .
(١٠) فهرسة ابن خير ٣٨٢ . (١١) نفسه ١٨٣ .
(١٢) هو أبو محمد ثابت بن عمرو بن حبيب بن أبى ثابت ، لغوى كوفى ، من أثبت أصحاب القاسم بن سلام ، له : خلق الانسان ، والفرق والزجر وخلق الفرس وغيرها . انظر : طبقات النحويين واللغويين ٢٢٥ ، ومعجم الأدباء ٢/ ٣٩٦ — ٣٩٧ ، وغاية النهاية ١/ ١٨٨ وبغية الوعاة ٢١٠ .
(١٣ و ١٤) فهرسة ابن خير ٣٨٢ . (١٥) نفسه ٣٦٢ .
(١٦) هو أبو على محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، لغوى ، نحوى ، بصرى ، ثقة ، أخذ عن سيبويه . توفى سنة ٢٠٦ هـ ، له : الصفات ، والأصوات ، والأزمنة ، والمثلثات وغيرها . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٠٦ — ١٠٧ ، وأخبار النحويين البصريين ٣٨ ، ونزهة الألباء ٩١ — ٩٢ ، وانباه الرواة ٣/ ٢١٩ — ٢٢٠ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٩٨ — ٢٩٩ وبغية الوعاة ١٠٤ .
(١٧) فهرسة ابن خير ٣٨٢ ، وأمالى القالى ٢/ ٢٧٩ — ٢٨٠ .
(١٨) فهرسة ابن خير ٣٨٢ .

"واختيار فصيح الكلام" (١) ،لثعلب، "والأضداد" (٢) ،لابن السكيت ، "وخلق الانسان" (٣) ، لابن أبى ثابت ، وغيرها .

ونلاحظ من هذه القائمة أن ثقافته اللغوية تكاد تكون كوفية خالصة ،الا أنه مما لا شك فيه أن أبا بكر قد درس واطلع على مصادر لغوية كثيرة للبصريين أيضا فهو كثيرا ما ينقل عنهم ويناقش آراءهم ويحلل أقوالهم وكثيرا ما يرد فى مؤلفاته ذكر الأصمعى (٤) وأبى زيد الأنصارى (٥) ، وأبى عبيدة (٦) ، ويونس بن حبيب (٧) ، وأحمد بن حاتم (٨) وأبى الحسن الأخفش (٩) وقطرب (١٠) والمبرد (١١) وغيرهم من البصريين . وما زال يقرأ ويسمع ويتلقى من مختلف شيوخه حتى علا شأنه فى اللغة ، ووصف بأنه "سمع عالما من الأئمة وروى عنه مثل ذلك" (١٢). ويكفى هذا الوصف شاهدا على سعة سماعه ، وعمق ثقافته وغزارة علمه ، وحسب أبى بكر تراثه العلمى الذى تركه لنا ، ففيه خلاصة تلك الثقافة الواسعة .

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٣٦ و ٣٣٨ .
(٢) نفسه ٣٨٢ .
(٣) نفسه ٣٦٤- ٣٦٥ .
(٤) تقدمت ترجمته ص ٥٦ .
(٥) هو سعيد بن أوس الأنصارى ،لغوى نحوى ثقة ،أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، كان من أهل البصرة ،وتوفى بها سنة ٢١٤ وقيل ٢١٥هـ . له : كتاب المطر ، والابل ،وخلق الانسان ،والمطر ،واللغات وغيرها كثير . انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٧٧-٨٠ ، ونزهة الألباء ١٢٥-١٢٩ وانباه الرواة ٢/ ٣٠-٣٥ .
(٦) معمر بن المثنى التيمى عالم باللغة والغريب والشعر والأخبار والأنساب ، ولد سنة ١١٠هـ وتوفى سنة ٢٠٧ وقيل ٢٠٩ وقيل ٢١٣هـ . وله : معانى القرآن ، والسيف ،والمصادر ،وخلق الانسان وغيرها . انظر أخبار النحويين البصريين ٥٢-٥٧ ونزهة الألباء ١٠٤-١١١ وبغية الوعاة ٣٩٥ .
(٧) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى البصرى ،من أكابر النحويين وله قياس ومذاهب فى النحو يتفرد بها . ولد سنة ٩٠هـ وتوفى سنة ١٨٢هـ وله معانى القرآن واللغات والأمثال والنوادر وغيرها . انظر طبقات النحويين واللغويين ٤٨-٥٠ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٣١٠-٣١٣ وبغية الوعاة ٤٢٦ .
(٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) تقدمت تراجمهم ص ٦٢ و ٦٤ .
(١٢) انباه الرواة ٣/ ٢٠١ .

## ٨- مذهبه الكوفي

شهد تاريخ اللغة العربية تنافسا واضحا وصراعا بارزا بين فئتين من علماء اللغة والنحو اتسمت كل واحدة منهما بخصائص معينة فى المنهج الدراسى . وكان سيبويه وتلاميذه ومن سلك منهجهم من البصريين يقفون على طرف ، وكان الكسائى وتلاميذه ومن تمسك بمذهبهم من الكوفيين يقفون على الطرف الآخر ، واستمر النزاع بين الطرفيين يؤججه الخلاف التقليدى بين اقليمى البصرة والكوفة وما ان أصبحت بغداد عاصمة للخلافة العباسية حتى انتقل إليها علماء الفريقين بمذهبيهما ، وكانت أسباب الاحتكاك مهيأة لهم فى البيئة الجديدة ، ومازال الأمر كذلك حتى بلغ أشده عند كل من المبرّد الذى انتهت اليه رياسة[1] المذهب البصرى وثعلب الذى انتهت اليه رياسة المذهب الكوفى .

فى مثل هذا الجو برز أبو بكر بن الأنبارى تلميذا بارا لأستاذه ملتزما منهجه فى الدراسة حتى صار "اماما فى نحو الكوفيين"[2] ، وذلك بعد أن استوعب مؤلفاتهم وحفظها ، ومن هنا كان بحق "من أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة".[3]

وقد نصت معظم المصادر القديمة على هذا الاتجاه الكوفى لدى ابن الأنبارى وذلك بتصنيفه ضمن طبقات الكوفيين على نحو ماصنع الزبيدى[4] وابن النديم[5] ، وباضفاء لقب "الكوفى" عليه وهوما فعلته الغالبية .

---

(١) فى لسان العرب : قال ابن الأعرابى : رأس الرجل يرأس رآسة ، اذا زاحم عليها وأرادها . قال : وكان يقال : إن الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها .

(٢) الوافى بالوفيات ٤/٣٤٤ .

(٣) نزهة الألباء ٣٦٤ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٣ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ٧١ .

(٥) الفهرست ٨٢ .

وتتمثل مظاهر الاتجاه الكوفي لدى ابن الأنباري فيما يأتي :

(١) الاعتداد بالسماع والنقل وإخضاع القياس لهما ، وهو من أبرز خصائص المدرسة الكوفية ، وقد التزم أبوبكر هذه القاعدة في مختلف كتبه يقول في شرح القصائد السبع الطوال مطبقا هذه القاعدة على الدرس اللغوى : " والمحمل : السير الذى يحمل به السيف ، والجمع على غير قياس حمائل . وليس للحمائل واحد من لفظها ، ولو كان لها واحد لكان حميلة ، ولكن لم يسمع واحدها من العرب"(١) .

فالقياس أن تكون حميلة مفرد حمائل ، ولكن أبا بكر يقف عند هذا الحد لأن ذلك لم يسمع من العرب . وقد نص على هذه القاعدة بكل وضوح عندما عالج لفظ " أيوب " في كتابه الأضداد فقال : " أيوب " : يكون أعجميا مجهول الاشتقاق ، ويكون عربيا مجرى في حال التعريف والتنكير لأنه يجرى مجرى " قيوم " ، من قام يقوم ، ويكون " فيعولا " من آب يؤوب ، اذا رجع ، قال عبيد بن الأبرص :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

قال أبو بكر : ولا يقاس على هذه الأسماء الثلاثة - أعنى إسحاق ويعقوب وأيوب - غيرها من الأسماء الأعجمية ، مثل إدريس وغيره ، لأنه لم يسمع من العرب إجراء سوى هؤلاء الثلاثة في باب المعرفة ، ومحال أن يعمل من هذا بالقياس ما تنكبه العرب ولا تعرفه"(٢) .

وذلك بخلاف البصريين الذين يعتدون بالقياس ويجعلونه أصلا لتقعيد القواعد اللغوية والنحوية .

---

(١) شرح القصائد السبع ٣١ .

(٢) ص ٤١٦ .

( ٢ ) يهتم ابن الأنبارى اهتماما خاصا بالقراءات المختلفة ولا يرفض قراءة صح سندها ، وخير مثال على هذا الاهتمام كتابه " إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجلّ الذى يمتلئ بمختلف القراءات لكثير من الآيات القرآنية . وكتابه " المصاحف" الذى اهتم فيه بالقراءات الشاذة خاصة . وسبب هذا الاهتمام هو أن القراءات - عند الكوفيين - هى أعلى مراتب المصادر التى يصدرون عنها لاستخلاص الأصول اللغوية والنحوية .

( ٣ ) يوجه أبو بكر عنايته للشواهد جمعا وحفظا ليسهل عليه التتبع اللغوى عن طريق السماع وكتبه تشهد له بسعة اهتمامه بالشواهد .

( ٤ ) ومما يؤكد ظهور هذا الاتجاه عنده كثرة أخذه عن الكوفيين وخاصة الكسائى والفراء وابن الأعرابى[1] وابن السكيت وسلمة بن عاصم وثعلبا وغيرهم من الكوفيين .

( ٥ ) ويبدو هذا الاتجاه أيضا فى اختيار الآراء الكوفية ، غالبا وفى الدفاع عنها بقوة والاحتجاج بمختلف الأدلة لاثباتها ، كما هو معروف فى ذهابه إلى أن المصدر مأخوذ من الفعل بخلاف البصريين الذين يرون أن المصدر هو الأصل وأن الفعل مأخوذ منه ، وذهابه إلى أن المستحق للإعراب هو الأسماء والأفعال وأن أصل البناء للحروف بخلاف البصريين الذين يرون أن المستحق للاعراب من الكلام الأسماء فقط، والمستحق للبناء الأفعال والحروف.

---

( ١ ) هو أبوعبدالله محمد بن زياد الأعرابى ، نحوى ، نسابة ، راوية لأشعار القبائل ، كثير السماع والحفظ. ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى ٢٨١ هـ . له : النوادر ، والأنواء ، والنبات ، والألفاظ ، وغيرها . انظر : انباه الرواة ٣/١٢٨ - ١٣٧ ، ونزهة الألباء ١٥٠-١٥٣ ، ومعجم الأدباء ٧ - ٩ .

(٦) ولا يخفى أبو بكر إعجابه بشيوخ المدرسة الكوفية ، بل يثنى عليهم ، ويعتز بهم ، ويشيد بأفضليتهم ، وهو معجب بالفراء خاصة ومعتز بآرائه ويقدمها على غيرها وكثيرا مايحدد هذا التقديم لآراء الفراء بقوله :

" .... هذا قول الفراء ، وقال غيره .... "(١) ثم يذكر آراء الآخرين

وفى النص التالى صورة واضحة من اعتزازه بالفراء : " قال سلمة بن عاصم : أملى الفراء كتبه كلها حفظا ، لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين " كتاب ملازم " و " كتاب يافع ويفعة " . قال أبو بكر الأنبارى : ومقدار الكتابين خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة "(٢) . ويقول عنه وعن الكسائى - زعيم الكوفيين - " لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس ، اذ انتهت العلوم اليهما ، وكان يقال : الفراء أمير المؤمنين فى النحو "(٣) . ويقول عن الكسائى : " اجتمعت فى الكسائى أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم فى الغريب ، وكان أوحد الناس فى القرآن ، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ، ويجلس على كرسى ويتلو القرآن من أوله الى آخره ، وهم يسمعون ويضبطون عنه ، حتى المقاطع والمبادى "(٤) .

وإذا انفرد الكوفيين دون البصريين برأى أو تفسير أو تعليل فإنه يثبت لهم ذلك فى اعتزاز وفخر كقوله : " ولم يحك فى الاعلال لهذا عن الخليل ويونس وسيبويه والأخفش وغيرهم من شيوخ البصريين شىء "(٥) ، وذلك بعد عرض تعليل الفراء ، المخالفة بين العدد والمعدود فى الثلاثة الى العشرة ، تذكيرا وتأنيثا ، بأن العدد مبنى على الجمع .

---

(١) المذكر والمؤنث ١٥/أ ، ١٦/أ ، ١٨/أ ، ٢١/أ ، ٢٦/أ ، ٢٦/ب ، و٩٥/أ .
(٢) وفيات الأعيان ٦/١٨١ .
(٣) نزهة الألباء ١٠١ ، وتهذيب التهذيب ١١/٢١٢ .
(٤) غاية النهاية ١/٥٣٨ .
(٥) المذكر والمؤنث ١٦٩/أ .

وواضح أن الهدف من وراء هذا الافتخار فى تلك الأقوال محاولة إظهار دور شيوخ المدرسة الكوفية بل وفى النص الأخير ، محاولة للايحاء بتفوقهم على البصريين .

(٧) وفى المقابل نراه يتصدى بجرأة للدر على البصريين وتخطئة آرائهم ونقض أقوالهم وخاصة أبا حاتم السجستانى وابن قتيبة (١) وقطربا وأبا الحسن الأخفش والمبرد ولابد لى من وقفة هنا لكى نتعرف على طبيعة تلك الردود وأسبابها .

ولبيان ذلك أختار علمين بارزين ممن تصدى لهم ابن الأنبارى وهما أبو حاتم السجستانى وابن قتيبة وتعمدت اختيارهما دون غيرهما لأن أبا بكر سلط عليهما ردوده بكثرة من بين سائر العلماء وتتبع أقوالهما فى بعض كتبهما ، وانبرى يدحضها فى مواضع كثيرة من مؤلفاته التى خصص من بينها رسالة سماها " المشكل " (٢) للرد عليهما ونقض أقوالهما .

فأما السجستانى فالملاحظ أن أبا بكر يهتم كثيرا بتتبع أخطائه وسقطاته ، فيقف عليها ويكشفها ثم يرد عليها مبينا صواب القول فيها ، وغالبا مايخطئه بمثل العبارات التالية : " هذا غلط " ، " وهذا غلط منه " ، " وهذا خطأ منه " "وهذا عندى خطأ " وليس هذا عندى كما قال " ، " وهذا القول عندى غير صحيح " ، " وهذا عندى بعيد " .... الخ وبعد أن ينص على الخطأ بمثل هذه العبارات ، يعرض صواب القول فيها ، مدعما كلامه بالدليل والبرهان ، وتتضح حقيقة ذلك فى بعض النصوص المختارة من بعض كتبه :

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى عالم باللغة والنحو والشعر فى طبقات البصريين ، توفى سنة ٢٧٠ وقيل ٢٧٦ هـ . وله غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وأدب الكاتب والمعارف وعيون الأخبار وغيرها . انظر طبقات النحويين واللغويين ٢٠٠ ، وتاريخ بغداد ١٠/١٧٠ — ١٧١ ، ونزهة الألباء ٢٠٩ — ٢١٠ ، وميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ .

(٢) انباه الرواة ٣/٢٠٤ .

(أ) يقول ابن الأنبارى فى كتابه "ايضاح الوقف والابتداء" وقال السجستانى :
اللام فى ( ليجزيهم )[1] : لام اليمين ، كأنه قال : ليجزينهم الله ، فحذوا النون ، وكسروا اللام وكانت مفتوحة ، فأشبهت فى اللفظ لام "كى" فنصبوا بها كما نصبوا بلام "كى" . قال أبوبكر: وهذا غلط لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ، ولو جاز أن يكون معنى "ليجزيهم" ليجزينهم لقلنا : والله ليقم زيد بتأويل والله ليقومن ، وهذا معدوم فى كلام العرب ، واحتج بأن العرب تقول فى التعجب : "أظرف بزيد" فيجزمونه لشبهه لفظ الأمر ، وليس هذا بمنزلة ذاك ، لأن التعجب عدل الى لفظ الأمر ، ولام اليمين لم توجد مكسورة قط فى حال ظهور اليمين ولا فى حال إضمارها"[2] .

(ب) "قال أبو بكر وحكى لى يموت[3] عن السجستانى أنه قال : الوقف ( لا ذلول ) والابتداء ( تثير الأرض ولا تسقى الحرث )[4] . قال أبوبكر : وهذا القول عندى غير صحيح ، لأن التى تثير الأرض لا يعدم منها سقى الحرث ، وماروى أحد من الأئمة الذين يلزمنا قبول قولهم ، أنهم وصفوها بهذا الوصف ، ولا ادعوا لها ماذكره هذا الرجل ، بل المأثور فى تفسيرها : ليست بذلول ، فتثير الأرض، وتسقى الحرث ، وقوله أيضا يفسر بظاهر الآية ، لأنها إذا أثارت الأرض كانت ذلولا ، وقد نفى الله هذا الوصف عنها ، فقول السجستانى فى هذا لا يؤخذ به ، ولا يعرج عليه ."[5]

---

(١) من قوله تعالى : (وماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون ... الى قوله : ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ) التوبة / ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) ٢ / ٧٠٠ — ٧٠١ .

(٣) هو يموت بن المزرع العبدى ، اسمه محمد ويموت هو الغالب عليه ، من شيوخ ابن الأنبارى وهو ابن أخت الجاحظ ، وكان صاحب آداب وملح وأخبار . توفى بطبريه سنة ٣٠٣ وقيل بدمشق ٣٠٤هـ . انظر تاريخ بغداد ٤ / ٣٥٨ — ٣٦٠ ، ونزهة الالباء ٢٣٨ ، ووفيات الأعيان ٧ / ٥٣ .

(٤) من قوله تعالى (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ) البقرة / ٧١ .

(٥) ايضاح الوقف والابتداء ١ / ٥٢١ .

(ج) وفـــى علة دخول تاء التأنيث فى عدد المذكـر من الثلاثة الى العشـــــرة ، وعدم دخولها فى عدد المؤنـــث من الثلاث الى العشر ، نقل أبوبكر عن أبـــى حاتم حجـة ، ثم نقضهـــا ، يقول :

" قـــال أبو حاتم السجستانى : إنما أدخلوا الهاءفى عدد المذكـــر ولم يدخـلوها فى عدد المؤنث ، لأن المؤنـــث أثقل من المذكر ، وأكـــثر المؤنث فيه هـــاء التأنيث ، فجعلوا عدد المؤنث بلاهاء ، ليكون أخف لـــه ، لأن الهاء لزمت الواحـــده ، وذلك ثقل ، فكرهوا أن يمكنوا ذلك الثقل حـتى ينتقل من الواحده الى الجماعة ، ففروا من ذلك فحذفوا الهاء من الجمع ، ليعتدل الجميع فيكون ثقيل مع خفيف . وأما المذكر فخفيف ، فأدخلوا الهاءفى جمعه فقالـوا : ثلاثـــة ليكون ثقيل مع خفيف فيعتدل ، وكرهوا أن يجمع بين الثقيلين ، فجعلوا ثقيلا مع خفيف فيعتدل وكرهـــوا أن يجمع بين الثقيلين فجعلوا خفيفا وثقيلا مع خفيـــف .

قلت ثم نقض أبو حاتم هذا القول على نفسه بأن قال : الثلاث الى العشر مؤنث على كل حال إلا أنه مؤنث لاعلامة للتأنيث فيه ، فهو أخف لفظا وأيســـر مما فيـــه حروف التأنيث .

فهذا تناقض لأنه زعم أنهم لم يدخلوا الهاء فى عدد المؤنث لأن المؤنث ثقيل فأرادوا أن يكون خفيف مع ثقيل ، وأدخلوا الهاءفى عدد المذكر لأنـــه خفيف فأرادوا أن يكون ثقيل مع خفيف ، فدل هذا الكلام على أن عدد المذكر مؤنـــث وعدد المؤنث مـذكر "(١) .

---

(١) المذكـــر والمؤنـــث ١٦٩/ب — ١٧٠/أ .

(د) وقال سهل السجستانى : " معنى قوله : ( فمن كان يرجو لقاء ربـــــــه )[١] : فمن كان يخاف لقاء ربـــه [٢] . وهذا عندنا غلط ، لأن العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف الا مع حروف الجحد " . [٣]

(هـ) وقال فى كتابه المذكر والمؤنث : " والفرس يقع على المذكر والمؤنث ، يقـــال فـــــرس ذكر وفرس أنثى ، وربما بنوا الأنثى على الذكر ، فقالوا : فرَس وفرسة . وقال السجستانى : لا يقال فَرَسَةٌ بالهـــاء . وهذا خطأ منه ، لأن أبـــا العباس أخبرنا عن سلمة عن الفراء قال : قال يونس[٤] : سمعت العرب تقول : فَرَسَة بالهاء " [٥] .

(و) وقال فى إيضاح الوقف والابتداء عند ماعرض لقوله تعالى : ( اعملوا آل داود شكرا )[٦] " وقف حسن [ ـ يعنى على شكرا ـ ] وأجاز السجستانى الوقف علـــى ( آل داود ) وابتداء ( شكرا ) على معنى اشكروا الله شكرا . وهذا عنـدى بعيد ، لأن المعنى : اعملوا شكرا لله فيما أنعم به عليكم ، فاذا وقفنا على (آل داود ) وابتدأنا ( شكرا ) زال هذا المعنى " [٧]

تلك نماذج ستة اخترتها مختلفة الأنواع ، معتقدا أنها كافية لالقـــاء بعض الضوء على أسلوب ابن الأنبارى فى الرد عامة ، وتتبع السجستانى خاصة ، فاذا مادرسناها هى وغيرها نخرج بمجموعة ملاحظـــــات منها :

---

(١) سوره الكهف/ ١١٠ .
(٢) أضداد السجستانى ٨١ .
(٣) الأضداد ١٧ ، وانظر ص٩ — ١١ .
(٤) هو يونس بن حبيب ، وقد تقدمت ترجمته ص ٦٢ .
(٥) ٨/ب .
(٦) سوره سبأ/ ١٣ .
(٧) ٢/٤٦٨ .

ـ أن تلك الردود تختلف طولا وقصرا ، وشدة وخفة ، كما أنها تختلف من حيث موضوعاتها من بين لغة ونحو وقراءات وتفسير إلا أنها في جملتها تتصف بالطابع اللغوى .

ـ ونلاحظ فيها ثقة ابن الأنبارى برأيه ، وهذه ميزة له ، وهى ثقة العالم الواعى البصير بتتبع الآراء ، العارف لمواطن الخطأ والضعف .

ـ وأما الدعائم التى يعتمد عليها فى رده غالبا فهى تنحصر فى ثلاثة أمور :

الأول منها : الاحتجاج بالسماع فى رفض الرأى الذى يرى فيه الخطأ والضعف، ويأخذ به على نطاق واسع ـ كما تقدم ـ ويعتمد عليه فى معظم ردوده ، ونلاحظ ذلك فى العبارات التالية من النصوص الستة السابقة : فى النص الأول قوله : " وهذا معدوم فى كلام العرب "، وفى الثانى قوله : " وما روى أحد من الأئمة الذين يلزمنا قبول قولهم ، أنهم وصفوها بهذا الوصف ، ولا ادعوا لها ما ذكره هذا الرجل "، وفى الخامس قول يونس بن حبيب : " سمعت العرب تقول فرسة بالهاء ".

والثانى : يستفيده من طبيعة الرأى الذى يرد عليه وذلك بتصيد مواضع التناقض فى كلام المردود عليه عليه فيكون الرد عليه بكلامه ، وهذا قليل وهو واضح فى المثال الثالث .

والثالث : الرد بالحجة المنطقية : ويعتمد عليها كثيرا فى نقضه للأقوال، ونلاحظ ذلك فى المثالين الأول والثانى .

ويسعفه فى ذلك كله سعة علمه وحفظه للغة والنحو والقراءات والتفسير .

ونخرج بعد هذا وبعد الرجوع الى مؤلفات أبى بكر أنه يتمتع بمقدرة عظيمة فى مناقشه الآراء ورد مافيها من ضعف وخطأ وتناقض مؤيدا كلامه فى ذلك كله بالدليل الثابت والبرهان الفاصل والحجة الثاقبة .

على أن تتبعه الكثير لأخطاء السجستانى واهتمامه الكبير بالرد عليه يدعونا للبحث عن سبب هذه الظاهرة . فما الذى يدعو أبا بكر أن يسلط ردوده على السجستانى أكثر من غيره ؟ وهل هذا هو ديدنه مع السجستانى كلما مر ذكره ؟ وبمعنى آخر هل يستشهد بأقواله دائما استشهاد الرافض لها ، المتصيد لزللها ، أو أنه إلى جانب ذلك يستشهد استشهاد المقتنع بها ، المستفيد من صحتها ؟

كثيرا مايكون الاستشهاد من أجل المعارضة وتصيد الأخطاء لدى العلماء بسبب العلاقات الشخصية بينهم إلا أن ذلك يبعد الوقوع بين ابن الأنبارى والسجستانى ، ذلك أن الأخير توفى حسب رواية ابن دريد سنة ٢٥٥هـ (١) ، وهذا يعنى أن بين وفاته ومولد ابن الأنبارى ست عشرة سنة لأن أبا بكر ولد سنة (٢٧١هـ) ، فلنلتمس سببا آخر إذن .

إن المتتبع لردود ابن الأنبارى على السجستانى يلحظ فيها بعض النفور من الأول تجاه الثانى ، وسبب ذلك عندى هو اختلاف مذهبهما العلمى ، فابن الأنبارى علم بارز من أعلام المدرسة الكوفية ، والسجستانى علم بارز من أعلام المدرسة البصرية ، وهذا التفسير يكاد يكون طبيعيا لكثرة تكرار هذا الأمر بين علماء المدرستين فى تاريخ اللغة العربية ، وماسوء العلاقة بين ثعلب - أستاذ أبى بكر - وبين المبرد - منافس أستاذه - ببعيد ، وقد كان ابن الأنبارى قوى الصلة بأستاذه وكان يحبه كثيرا ولا ينقطع عنه أبدا ، وأعتقد أن ذلك الولاء القوى لأستاذه ولمذهبه العلمى قد ولد فى نفسه شعورا بالرغبة فى المعارضة تجاه المبرّد هو الآخر ، فتصيد له بالرد ، وخطأه عدة مرات فى مواضع من مؤلفاته ، وإذا علمنا أن السجستانى كان أستاذا للمبرّد ، وأنه - يجمعهما المذهب البصرى ، فإن ذلك يعنى غالبا انعكاس الشعور نفسه من ابن الأنبارى تجاه شيخ المبرّد ، يؤكد لنا هذه الحقيقة قول ابن الأنبارى : " وقد كان أبوحاتم سهل بن محمد السجستانى - على شدة

---

(١) انباه الرواة ٢/٦١ .

تعصبه على الكوفيين ، وادعائه عليهم الأباطيل — انكشف له غـــوار قـول أصحـــابه فى هذا فرفضه ، ورغب عنه وأخذ بقول الفراء"(١) . وذلك فى تعليـل قولهم : امرأة طاهر ، اذا أردت الطهر من الحيض ، فاذا أردت أنها نقيـــة من العيوب والدنس قلت : طاهـــرة .

ويوضح لنا هذا النص — بما لا شك فيه — نفور ابن الأنبارى من السجستانى ، كما يبين لنا سبب هذا النفور عنده وهو:

١— أن السجستانى لم يكن بصريا فحسب ، بل كان متعصبا شديد التعصب .

٢— وأنه كان يتقول على الكوفيين الأباطيـــل .

فالعصبية اذن هى مبعث النفور ومولده ، وبها أفسر تتبع ابن الأنبـارى وحرصه على التنديـــد بسقطات السجستانى ، وقد يضاف إلى ذلك سبب آخر وهو أن أبا حاتم "لم يكن حاذقا فى النحو"(٢) ، ولذلك فقد رد أبوبكر فى مؤلفاته كثيرا من آرائه وتعليقاته النحوية .

ومع ذلك فلم يكن ابن الأنبارى متعصبا حاقدا على السجستانـــــى فقد كان يتعرض لآرائه بالمناقشـــه ، والرد العلمـــى الموضوعى المصحوب بالحجة المقبولة والدليل الواضح .

وتتضح هذه الموضوعية بوجه خاص فى العبارات التى يستخدمها لتخطئـــة السجستانى والتى يعلق فيها الخطأ برأيه الخاص كقوله : (وهذا عندنا خطأ )(٣) "وهذا القول عندى غير صحيح" (٤) ، "وهذا عندى بعيد"(٥) ، وما شابههـــا من هذه الأساليب وهى كثيرا ما تتكرر عنده فى الرد عليه وكلها تدل على موضوعيـــة ابن الأنبـــارى وتحفظـــه فى الرد .

---

(١) المذكر والمؤنث ٢٦/أ — ٢٦/ب .
(٢) أخبار النحويين البصريين ٧٠ .
(٣) انظر فيما سبق ص ٧١ .
(٤) انظـــر ص ٦٨ .
(٥) انظـــر ص ٦٨ .

على أن موقف السجستانى المعارض للكوفيين لم يكن ليمنع ابن الأنبارى الاستفادة من علمه الغزير، وهنا يقف أبو بكر مرة أخرى موقفا علميا نزيها تجاه آراء أبى حاتم السجستانى، فهو يرفض آراءه الخاطئة وينقضها ويرد عليها، الا أنه لا يتردد فى أخذ ماصح لديه وأعجبه من آرائه، بل يستشهد بها ويحتج لها على نحو ما نراه فى مؤلفاته التى بين أيدينا وخاصة فى كتاب المذكر والمؤنث فقد نقل عنه بكثرة واستشهد بأقواله فى معظم صفحات هذا الكتاب، ولعل سبب ذلك هو أن أبا حاتم سبقه الى التأليف فى هذا الموضوع(١)، كما استشهد بآرائه فى شرح القصائد السبع الطوال(٢) وفى الزاهر(٣) والأضداد(٤)، ولم يستشهد بها فى ايضاح الوقف والابتداء الا مرة واحدة(٥).

وفى تلك الاستشهادات والاقتباسات الكثيرة دلالة واضحة على أن ابن الأنبارى لم يكن متعصبا على السجستانى تعصبا بغيضا وانما كان شأنه معه شأن العالم الذى يأخذ الصحيح ويستشهد به، ويرفض الضعيف ويرد عليه.

ولا يكاد أسلوب أبى بكر فى الرد على ابن قتيبة يختلف عن أسلوبه فى الرد على السجستانى الا فى نقاط محدودة لا تكاد تذكر، فهو يحتج فى ردوده عليه بالسماع ويكثر من عرض الشواهد المسموعة والمنقولة لتفنيد أقواله، كما يستفيد من تناقضات ابن قتيبة فى أقواله ويسجلها عليه، ويلجأ كثيرا الى الأدلة المنطقية، وكثيرا مايوازن بين رأى ابن قتيبة وغيره من العلماء فى موضوع واحد ثم يختار رأى غيره ويعبر عن ذلك، ومن أمثلته:

---

(١) انباه الرواة ٢/٦٢.
(٢) انظر مثلا الصفحات ٣٥، ٤٢، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٢ وغيرها.
(٣) انظر مثلا الأوراق ٧٠/ب، ٧٧/ب، ١١٨/ب وغيرها.
(٤) انظر مثلا ص٥٨، و ٥٩.
(٥) ١/٤١.

(أ) فى حديثه عن " الشنق من حروف الأضداد " ذكر رأى أبى عبيد فى أن أشنـــاق الديات كأشناق الفرائض ، واحتجاجـه ببيت الأخطل :

قَرِمٌ تعلق أشناق الديات به .. اذا المئون أمرت فوقه حَمَلا

ثم ذكر رد ابن قتيبه على أبى عبيد ، بان اشناق الديات ليست كأشناق الفرائض، لأن الديات ليس فيها شئ يزيد على عد بخلاف الفرائض.

ثم قال أبوبكـــر : والصواب عندنا قول أبى عبيد (١) ، والذى اختاره ابن قتيبة وذهب اليه خطأ بدليل من بيت الأخطل ... اذ كان الأخطـــل قـال : " تعلق أشناق الديات به " فأضاف الأشناق الى الديات لأنهـــا زيادات عليهـــا " (٢) .

(ب) وفى حديثه عن قولهم : رجل مجذوم " فسره أبوعبيدة (٣) بقطع الحجة وهـــى اليـــد، وفسره ابن قتيبة بالجذام ، ورد على أبى عبيدة ..

ثم قال أبو بكـــر : وقول أبى عبيدة هو الصواب عندى ، وقول ابن قتيبـــه خطأ من ثلاثة أوجـــه :

أحدهـــن : الحديث الذى فسر فيه " الأجـذم الذى ليست له يد " وقد تقدم ذكـــره .

والحجة الثانيه : أن العقاب لو كان لا يقع إلا بالجارحة التى باشرت المعصيـــة لم يعاقب الزانى بالنار فى الآخـرة ، وبالجلد والرجم فى الدنيا ..

والحجة الثالثة : قول النبى صلى الله عليه وسلم : " يحشر الناس يوم القيامة بهما أى يحشرون أصحاء الأجسام لخلود الأبد ... (٤)

---

(١) هو القاسم بن سلام الهروى ، وقد تقدمت ترجمته ص ٦٢
(٢) الأضداد : ٣٠٥ — ٣٠٨ .
(٣) هو معمر بن المثنى ، وقد تقدمت ترجمته ص ٦٣
(٤) الزاهـــر : ٣٠١/أ .

(جـ) وفى حديثه عن قولهم : " قد لعب بالدوامه " ... قال : وأنشدنا أبـــو العباس لأبـــى ذؤيب[1] يصف الدرة :

فجاءَ بها ماشئتَ من لطميـهِ .·. يدومُ الفراتُ فوقها ويموج

أراد بـ "يـــدوم" يسكن والفرات : العذب .

وقال ابن قتيبه : أخطأ أبو ذؤيـــب فى هذا البيت ،لأن الدرة لاتخرج من العذب ، انماتخرج من الملح ، وقال : هذا البيت فى الغلط كقـــول الآخر:

مثل النصـارى قتلوا المسيحـــا

وما ادعى أحد قط أن النصارى قتلوا المسيـــح .

وقول أبى ذؤيب عندنا صـــواب ، واعتراض ابن قتيبه عليه خطـــأ ، لأن الدره لماكانت بالماء الملح وتشرق وتحسن ولا يضر بها ولا يفسدها ،كان لها بمنزلة العذب لغيرها[2] .

وعلى هذا النمط يمضى أبوبكر فى ردوده على ابن قتيبة فى مواضع كثيره من كتاب الزاهـــر ، وكتاب الأضداد ، وكتاب ثالث لم يصل إلينا هـــو "رسالة المشكل " ، وقد خصصه للرد على أخطـاء ابن قتيبة فى تفســـيره لبعض المفردات القرآنية التى عرض لها فى كتابه "تأويل مشكل القـــرآن"، وقد ذكر الأزهـــرى أن ابن الأنبارى قد رد على ابن قتيبـــه" قريبا من ربـــع ماألفـــه فى مشكل القرآن"[3] . وقد رد فى هذا الكتاب أيضـا على السجستانى .

ويبدو أنه كان فى رده على ابن قتيبه أكثر حده منه فى رده على السجستانى على مانراه من بعض الأساليب التى لا يعلق فيها الخطأ برأيه الخاص كما كان شأنه مع السجستانى كقوله : " اعتبرت ماقالـــه ابن قتيبة من ذلك كله ، فماوجدت فيه شيئا صحيحا " ثم يفند أقواله ،وكقوله : " وقول ابن قتيبة فى هذا غيرصحيح " ، وقوله "هذا غلط" ، وهو كثيرا مايرد عليه بهذه الصوره ، وقد نراه يبين فى مواضـع كثيرة

---

(١) هوخويلد بن خالد بن محرث ، شاعر مخضرم فحل سكن المدينه وعاش الى خلافه عثمان بن عفان ، وشهد غزوة أفريقية ، أشهر شعره عينيته فى رثاء أبنائه الخمسه / الشعر والشعراء ٢ / ٦٥٣ .

(٢) الزاهر ٣٣٢/ب

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٣١

أن هذا الرأى أو ذاك من آراء ابن قتيبة خطأ فى نظره وعندئذ يحدد ذلك بمثل الأقوال التالية : " والذى قاله ابن قتيبة عندى خطأ من ثلاثة أوجه . . . "، " وقوله عندنا خطأ " ، " وليس الأمر ، عندى كما قال " ، " وليس المعنى فى هذا عندنا على ما قال ".

وأكتفى هنا بنص واحد - خشية الاطالة - يتمثل فيه أسلوب ابن الأنبارى فى الرد على ابن قتيبة :

ذهب ابن قتيبة الى أن " توسد " حرف من الأضداد ، وقال : " يقال : قد توسد فلان القرآن اذا نام عليه وجعله كالوسادة له ، فلم يكثر تلاوته ، ولم يقم بحقه ، ويقال قد توسد القرآن اذا أكثر تلاوته وقام به فى الليل ، فصار كالوسادة وبدلا منها ، وكالشعار والدثار " ثم استشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد ذكر عنده رجل - " ( ذاك رجل لا يتوسد القرآن ) فقال ابن قتيبة : يجوز أن يكون هذا مدحا وذما من النبى صلى الله عليه وسلم" فرد عليه ابن الأنبارى قائلا : فالقول عندنا فى توسد القرآن أنه لا يكون الا ذما ، لأن متوسد القرآن هو النائم عليه ، والجاعل له كالوسادة ، فاذا قام به فى الليل وأكثر تلاوته فى النهار لم يشبه بالنيام ، واذا زال عنه شبه النيام ، لم يوصف بالتوسد ، لأن التوسد من آلات النوم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل الا معنى المدح ، أى ذاك رجل يقوم بالقرآن فى ليله ونهاره ، فلا يكون بمنزلة المتوسدين له ، جاء فى الحديث: ( من قرأ فى كل ليلة ثلاث آيات من القرآن لم يبت متوسد اللقرآن ) وقال الحسن [1] : لعن الله من يتوسد القرآن . وقال غيره يأيها الناس لا توسدوا القرآن . . "[2] ثم مضى يدعم رأيه بمختلف الشواهد المنقولة واستشهد منها بخمسة .

---

(١) هو الحسن أبى الحسن يسار البصرى ، أبو سعيد ، تابعى عالم ، جامع ، فصيح ، ثقة ، عابد ، ولد سنة ٢١ هـ . وتوفى سنه ١١٠ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣ - ١٧١ ، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٧٧ ، وطبقات الحفاظ ٢٨ .

(٢) الأضداد ١٨٧ - ١٨٨ .

وأهم ما نلاحظه على الـــرد : السهولة ، ووضوح الأدلة ، وكثرتهـــا ، كما نلاحظ فيه الاعتماد على الحديث لتفسير معنى لفظ ورد فى حديث آخـــر ، كما أن معظم شواهده من النثر ولم يستشهد إلا ببيت واحد من الشعـــر (١) ، وقد فسره ووقف على موضع الخلاف فيه ، وأعربه وأشار الى أقوال العلماء فيه ، ونلاحظ فى رده الدليل المنطقى ، مع ثقة ابن الأنبارى به .

لقد كان السبب الرئيســـى الذى دفع بأبى بكر لمهاجمة السجستانـــى فى آرائه هو تعصب الثانى للمذهب البصرى . فهل موقفه مع آراء ابن قتيبـــه نابع من هذا السبب أيضـــا ؟ ان ذلك ـ لا شك ـ منطبق على ابن قتيبـــة لأنـــه بصرى النزعة ، ولكنه ليس السبب الرئيســـى ، فقد ذكر الأزهرى(٢) أنه رأى أبا بكر بن الأنبارى ينسب ابن قتيبة " الى الغفلة والغباوة ، وقلة المعرفة "(٣) ، وتلك أسباب كافية لتجريحه وتضعيفه علميا ، وذلك يلزم الباحث الحيطة فى الأخذ عنه ، ورفض أقواله الضعيفة ، وتصحيح آرائه الخاطئة . ولكن هل كان ابن قتيبة ضعيفا حقـــا ؟ هذا ما ذهب اليه طائفـــه من العلماء الذين تكلموا فيه (٤) : فكذبه الحاكم(٥) ، وقال عنه ابن فارس(٦) : " يطلق اطلاقات منكرة ويروى أشياء شَنِعَـــة "(٧) ،

---

(١) هو :
يـــارب ســـاربات ماتوســـدا . . . الاذراع العنس أو كف اليدا

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهرى ، من أئمة اللغه والأدب الموثقين ، وفقيه ، ولد بهراه سنة ٢٨٢ هـ وتوفى بها سنة ٣٧٠ هـ له تهذيب اللغة ، وكتاب الادوات ، وتفسير أسماء الله عز وجل ، وعلل القراءات وغيرها . انظر مقدمة تهذيب اللغة ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٣٤ـ٣٣٦ .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٣١ .

(٤) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ٢/ ٥٠٣ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى ، الشهير بالحاكم ، من أكابر حفاظ الحديث ومصنفيه ، أخذ عن نحو ألف شيخ ، ولد فى نيسابور سنة ٣٢١ هـ ، وتوفى بها سنة ٤٠٥ هـ وزادت تصانيفه على ألفين وخمسمائة جزء ومنها : تاريخ نيسابور ، والمستدرك على الصحيحين ، والصحيح ، وتراجم الشيوخ وغيرها . انظر لسان الميزان ٥/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ ، وطبقـــات الحفاظ ٤٠٩ـ ٤١١ وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٩ـ١٠٤٥ .

(٦) هو أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا ، القزوينى الرازى ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد سنة ٣٢٩ هـ وتوفى بالرى سنة ٣٩٥ هـ . وله مقاييس اللغة ، والمجمل ، والصاحبى ، وفقه اللغة وغيرها . انظر نزهة الألباء ٣٢٠ـ٣٢٢ ، ووفيات الاعيان ١/ ١١٨ـ ١٢٠ ، وبغية الوعاة ١٥٣ .

(٧) الصاحبى ١٥٠ وفى القاموس المحيط : الشناعه الفظاعه ، شَنُع ككرم فهـــو شَنِيع وشَنُع .

واتهمه ابن السيد البطليوسى[١] بما يفهم منه ضعف أمانته العلمية ، وعاتبه على ذلك[٢] ورد عليه أقواله الخاطئة والضعيفة فى قسم من ثلاثة أقسام من كتابه " الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب "[٣] ، كما تكلم فيه الدارقطنى[٤] ، والبيهقى[٥] ، وهؤلاء كلهم من أفاضل العلماء . ومع ذلك فلا نعدم من يوثقه من ثقات العلماء كالخطيب البغدادى[٦] والذهبى[٧] والسيوطى[٨] ، وهذا يضع الباحث أمام موقف حرج بين تضعيفه وتوثيقه ، ويصعب تخطئة أحد الفريقين ، والقطع فى حكم ثابت . الا أننا يمكن أن نوفق بين الرأيين ، والمخرج من ذلك ماذهب اليه الأزهرى فى حكمه على ابن قتيبه فقال عنه : " وما رأيت أحدا يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبى حاتم السجزى[٩] ، والعباس بن الفرج الرياشى[١٠] ، وأبى سعيد المكفوف البغدادى[١١] . فأما مايستبد فيه برأيه من معنى غامض ، أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل أوحرف غريب ، فانه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة . وألفيته يحدس بالظن فيما لا يعرفه ولا يحسنه "[١٢] .

---

(١) هوأبومحمد ، عبدالله بن محمد بن السيد البَطَلْيَوسى ، لغوى ، نحوى ، أديب ولد سنه ٤٤٤هـ ، وتوفى ببلنسيه سنة ٥٢١هـ . له شرح أدب الكتاب ، وشرح الموطأ ، واصلاح الخلل الواقع فى الجمل وغيرها . انظر انباه الرواة ٢ / ١٤١ — ١٤٣ وبغية الوعاة ٢٨٨ ، والبلغه فى أئمة اللغه ١١٤ .

(٢) الاقتضاب ١٠٦ .

(٣) طبع بعناية عبدالله البستانى فى المطبعة العربية ببيروت سنة ١٩٠١م .

(٤) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٠٣ ، وستأتي ترجمته .

(٥) هوأبوبكر ، أحمد بن الحسين بن على البيهقى من كبار أئمة الحديث ، ولد فى احدى قرى نيسابور سنة ٣٨٤هـ وتوفى سنة ٤٥٨هـ . وكان كثير التصانيف ، صنف زهاء ألف جزء منها السنن الكبرى والسنن الصغرى والمبسوط ، والأسماء والصفات وغيرها . انظر طبقات الشافعية ٤ / ٨ — ١٦ ، وطبقات الحفاظ ٤٣٣ — ٤٣٤ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ .

(٦) تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ .

(٧) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٠٣ .

(٨) بغية الوعاه ٢٩١ .

(٩) هوأبوحاتم السجستانى .

(١٠) هوأبو الفضل ، العباس بن فرج الرياشى النحوى البصرى ، من علماء النحو واللغه والادب ، ثقة ، توفى بالبصره سنه ٢٥٧هـ . انظر نزهة الألباء ١٩٩ — ٢٠١ ، وأنساب السمعانى ٦ / ٢٠٩ — ٢١٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ / ١٢٤ — ١٢٥ .

(١١) هوأحمد بن خالد ، أبوسعيد البغدادى الضرير ، لغوى ثقة ، وله مؤلفات فى معانى الشعر والنوادر . انظر انباه الرواة ١ / ٤١ ، وبغية الوعاه ١٣١ — ١٣٢ .

(١٢) تهذيب اللغة ١ / ٣١ .

ومن هنا يتضح أن سبب تضعيف ابن قتيبة يعود الى ضعفه فى العلوم اللغوية واعتماده على رأيه الخاص دون الرجوع الى الأئمة ، بالاضافة الى عدم تورعه عن الحدس بالظن فيما لا يعرفه ، ويبدو أن الذين وثقوه كانوا متجهين الى ما يرويه عن العلماء المتقدمين ، وربما قصدوا توثيقه فى الحديث ومما يدعم هذا الرأى أن الذين وثقوه كلهم من المهتمين بعلم الحديث سواء فى ذلك الخطيب أو الذهبى أو السيوطى ، والله أعلم .

(٨) وأعود للحديث عن مظاهر الاتجاه الكوفى عند ابن الأنبارى بنقطة أخيرة وهى تمسكه بالمصطلحات الكوفية فى مؤلفاته فمن ذلك على سبيل المثال :

| | |
|---|---|
| الخفض | فى مقابل الجر |
| والنسق | فى مقابل العطف |
| والاجراء | فى مقابل الصرف |
| والنعت | فى مقابل الصفة |
| والجحد | فى مقابل النفى |
| والتفسير | فى مقابل التمييز |
| والترجمة | فى مقابل البدل |
| والقطع | فى مقابل الحال |

وبعد ، فليس من شك فى قوة الاتجاه الكوفى عند أبى بكر ، ولكننى قصدت أن أبنى هذا الحكم على أساس من واقعه ومن واقع مؤلفاته وآرائه ، فذلك أقوى دلالة من أحكام كتب التراجم .

ولكن الى أى حد كانت قوة هذا الاتجاه عند ابن الأنبارى ؟

ان المظاهر التى سبق ذكرها ، تؤكد عمق المذهب الكوفى عنده ، وذلك أمر محمود مالم يختلط بالتعصب الأعمى البغيض . ولابد من دراسة

هذه القضيه عند ابن الأنبارى لمعرفة الدور الذى قام به فى دعم المذهب الكوفى بعد وفاة أستاذه ثعلب ، وفى هذا الاطار سنتعرف على مدى تعصبه للمذهب الكوفى .

مر بنا أن ابن الأنبارى شهد عنفوان العصبية المذهبية ، بين الكوفيين والبصريين ، الكوفيون بزعامة ثعلب ، والبصريون بزعامة المبرد . وقد ظل الجانب الكوفى قويا فى حياة ثعلب ، إلا أن حدة العصبيه للمذهب خفت بعد وفاته ، فقد اختلف الكوفيين فيما بينهم من ترسم خطاهم وثبت على منهجهم ، ومنهم من مال الى البصريين ، ومنهم من زاوج بين المذهبين ، وكان أبو بكر من أبرز الذين ثبتوا — من تلاميذ ثعلب — على المنهج الكوفى ، وتمسكوا به ودافعوا عنه ، " ولا يمكن تجاهل ابن الانبارى وهو كوفى نابه كثير الحفظ واسع الاطلاع فقد اكثرت كتب الطبقات والتراجم من تقريظه والثناء عليه ، واتفقت كلمتها على أنه كان أكثر الكوفيين حفظا للغة والشواهد "(١) .

وقد تمثلت فى شخصه المدرسة الكوفيه ، من حيث تسجيله آراء متقدمى أئمتها فى كتبه ، وخاصة أنه فقد معظمها ، وكان يناظر البصريين (٢) ، ويجابههم بأسلوبهم المنطقى ، ويقارعهم الحجة بالحجة ، ومن هنا " فقد دعم النحو الكوفى بالعلل المنطقية ، دعما لم يتوافر لأستاذه ثعلب ، وكأنما كان عقله أكثر منطقية ، وأقدر على التعليل والبرهنه ، والادلاء بالحجج البينة "(٣) .

---

(١) مدرسة الكوفة ١٥٨ .
(٢) الايضاح فى علل النحو ٦١ — ٦٣ .
(٣) المدارس النحوية ٢٣٩ .

وكان ادخال هذا النوع من الاحتجاج فى النحو الكوفى خطوة جريئة أقدم عليها أبو بكر بن الأنبارى ، إذ إن أئمه الكوفيين من قبل كانوا يرغبون عن الحجج المنطقية والعقلية فى مناظراتهم ودراساتهم ، وأما ابن الأنبارى فقد أخذ بها بتوسع واحكام . ونرى لها أمثلة كثيرة فى كتاب المذكر والمؤنث وايضاح الوقف والابتداء ، والألفات ، من مؤلفاته . وقد استشهدت بعض الكتب النحوية — "كالايضاح فى علل النحو" ، و"الانصاف فى مسائل الخلاف" ، و"أسرار العربية" — بأمثلة لم أجدها فى كتبه التى وصلت الينا ، ويبدو أن تلك الأمثلة منقولة عن بعض مؤلفاته النحويه المفقوده حاليا كالكافى والواضح والموضح .

ومن أشهر هذه العلل وأكثرها انتشارا فى كتب النحو تعليله لأسبقية الفعل على المصدر ، قال : " الدليل على أن المصادر بعد الأفعال ، وأنها مأخوذة منها ، أن المصادر تكون توكيدا للأفعال كقولك : ضرب زيد ضربا ، وخرج خروجا ، وقعد قعودا ، وما أشبه ذلك ، فلا خلاف فى أن المصادر هاهنا توكيد للأفعال . والتوكيد تابع للمؤكد ثان بعده ، والمؤكد سابق له فدل ذلك على أن المصدر تابع للفعل ، مأخوذ منه ، وأن الفعل هو الأصل الذى أخذ منه"(١) .

وكذلك تعليله لضم أول المبنى للمجهول ، يقول : " فان قال قائل : لم صار أول مالم يسم فاعله مضموما ؟ فقل : لأن فعل مالم يسم فاعله يقتضى اثنين : فاعلا ومفعولا ، وذلك أنك اذا قلت : ضرب وشتم ، كان الفعل يدل على ضارب ومضروب ، وشاتم ومشتوم ، فضموا أوله لتكون الضمة داله على اثنين كما قالوا : زيد حيث عمرو ، فأعطوا "حيث" الضمة فى كل حال لأنها تدل على محلين ، وذلك أنك اذا قلت : زيد حيث عمرو ، فمعناه : زيد فى مكان فيه عمرو ، فلما تضمنت معنى محلين أعطيت الضمة فى كل حال ،

---

(١) الايضاح فى علل النحو ٦١ .

الدليل على ذلك قوله تعالى : ( ومن حيث خرجت )[1] وقولـــــــه : ( من حيث لا يعلمون )[2] دخل الخافض على " حيـــث " ، ولم يزل عنهـــا ضمها للعله التى ذكرناها . وكذلك قالوا : " نحن قمنـــا " فجعلـــوا النون فى " نحـــن " مضمومة فى كل حال لأن " نحن " تتضمن معنى التثنيه والجمـــع ، وذلك أنك تقول : " نحن قمنا " مخبرا عنك وعن آخر قـام معك وتقول : " نحـن قمنا " مخبرا عنك وعن جمع قاموا معك ، فلما تضمـــن معنيين أعطى الضمـــة .

فكذلك فعل مالم يسم فاعلـــه ، لما تضمن معنى الفاعل والمفعـــول جعل أوله مضموما فى كل حال . فان قال قائل : لم صار الذى يتضمـــــن معنيين يعطى الضـــــم ؟ فقل لأنـــه يقوى فيعطى أثقـــــل الحركات "[3] .

ومع أن العلل المنطقية كثيرا مايشوبها التعقيد إلا أنها تمتاز باليســـر والوضوح عند ابن الأنبارى ، وكثيرا ماتتمثل فى ذلك الأسلوب التعليمى السهل على نحو : " ان قال قائـــل .... ؟ فقل " وخاصة فى كتابيه : "الايضاح " و "الألفـات ".

بمثل هذه الحجج ناظر أبوبكر البصريين ورد عليهم ، ودرسهـــا تلاميذه ، وأودعها فى كتبه ، واعتمد عليها فى دراساته معتزا بها[4] .

وبذلك استحق أن يعتبر امام الكوفيين فى عصره بعد وفاة شيخه ثعلب، كما وصفه بذلك الأقدمون[5] ، حيث تمسك بالمنهج الكوفى ، فى دراساته وآرائـــه

---

(١) سورة البقرة /٤٢ . (٢) سورة الاعراف /١٨٢ .
(٣) ايضاح الوقف والابتداء ١/١٩٩ — ٢٠١ .
(٤) انظر الايضاح فى علل النحو ٦٤ .
(٥) طبقات النحاة واللغويـــين ٣٣٥ ، البلغه فى تاريخ أئمة اللغه ٢٤٥ ، الوافى بالوفيات ٤/٣٤٤ ، وتـذكرة الحفاظ ٣/٨٤٣ ، وتاريخ بغداد ٣/١٨٢ وغيرها .

ودافع عنه دفاعا عظيمـــا ، وتصدى لمناظـــرة البصريين ، وكان فى كل ذلـك " أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة "(١) ، فحفظ لنا علـــم متقدمى الكوفيين ــ الذين فقدت معظم مؤلفاتهم ــ مضيفا اليه الحجج المنطقيـة فى الاستدلال ، فأكمـــل بذلك دور أستاذه ثعلب فى امامة الكوفيين .

ولم أر أحدا يدفع عنه هذه الامامة العلمية غير الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه " مدرسة الكوفه " ، ولا أراه مصيبا فى ذلك لماتقدم من الأسبـــاب ولما سيأتى : قال الدكتور المخزومـــى عنه : " انه ليس من الذين يصلحون لامامـة الناس فى النحو " ثم قال : " ولم يكن بشئ حتى عند القدمـــاء أنفسهم ، فقد نقل السيوطى عن أبى الطيب اللغوى ــ وقد عرض لأبى بكـــر ابن الأنبارى ومن روى عنه ــ أنه قال : " ان هؤلاء رواة أصحاب أشعار ، لا يذكرون مع من ذكرنا " يعنى أئمة الكوفيين الذين ختموا بأبى العباس ثعلب "(٢) .

وأكثر من هذا تطرفا ثناء المخزومى على أبى الطيب اللغوى لتأريخـــه نهاية المدرسة الكوفيه بثعلب وابن السكيت "غير ناظر الى من جاء بعد ثعلب من أصحاب وتلاميذ كانوا قد نهجوا منهجا كوفيا ، كأبى بكر بن الأنبارى وغيره ، لأنهم فى نظره رواة وأصحاب أشعار "(٣) .

والواقع أننى لم أجد عند أحد من القدماء مايفهم منه أن أبابكر " لم يكن بشئ " فى نظرهم ، وأما النص الذى نقله المخزومى عن السيوطى عن أبى الطيـب فليـس المقصود فيه أبابكر بن الأنبارى ! وانما هو القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى والد أبى بكر ، وقد صرح باسمه أبو الطيب وكذلك السيوطى فى نقله عنه ، والنـــص كما ورد فى مراتب النحويين والمزهر هو : " فأما القاسم الأنبارى ومن روى عنـه ،

---

(١) نزهة الألبـــاء ٣٦٤ .
(٢) ص ٨٣ .
(٣) مدرسة الكوفـة ص٨٥ .

مثل أحمد بن عبيد ، الملقب" أبا عصيدة" ، فان هؤلاء رواة أصحاب أشعـــار ، لا يذكرون مع من ذكرنا "(١) .

وعجبت كيف خفيت هذه الحقيقة على المخزومى رغم وضوحها ورغـم التصريح باسم القاسم الأنبارى ، مع أنه لا سبيل الى تحريف الاسم إذ يؤكده مابعده ، فأحمد بن عبيد (٢) من شيوخ القاسم والد أبى بكر ، وهذا يعنى أن عبارة " ومـن روى عنه" تعنى " ومن روى عنه القاسم" وحذف القاسم لتجنب التكرار ، ومحـال أن يروى أبو بكر عن أحمد بن عبيد لأن أبابكر ولد سنة ٢٧١هـ وابن عبيـــد توفى سنة (٢٧٣هـ) . وأما القاسم الأنبارى المتوفى سنة (٣٠٥هـ) فهو ممن يروى عن أحمد ابن عبيد وقد نص على ذلك الذين ترجموا له ، كما أن أبابكر كثيرا مـــا يروى فى كتبه عن أبيه عن أحمد بن عبيد ، ومارأيته قط يروى عن أحمد بن عبيد مباشـرة .

ولست أرانى هاهنا فى حاجة الى بذل كبير عناء لتأكيد مكانة أبى بكـــر فى المدرسة الكوفية ، فقد كفانيه الدكتور المخزومى نفسه عند ماقال : " ولم يقـم من هؤلاء الذين تلمذوا لثعلب على المنهج الكوفى الا أبو عمر الزاهد ، وأبوبكر ابن الأنبارى ، ممن وقفت عليهم من تلاميذه . أما أبو عمر الزاهد فليس بشئ ... وأما أبو بكر ابن الأنبارى فهو الذى ترسم خطا الكوفيين ، واقتفى أثر أستاذه ثعلب ، وعرف بتعصبه لمدرستـــه ، ونقوله الكثيرة عن شيوخها ، ولا يمكن تجاهل ابن الأنبارى وهو كوفى نابه ، كثير الحفظ واسع الاطلاع ، فقد اكثرت كتب الطبقات والتراجـم من تقريظه والثناء عليه ، واتفقت كلمتها على أنه كان أكثر الكوفيين حفظا للغـــة والشواهد " (٣) .

---

(١) مراتب النحويين ٩٧ ، والمزهر ٢/ ٤١٣ وفيه : "أسفار" بدل "أشعار".
(٢) هو أبو جعفر ، أحمد بن عبيد بن ناصح ، من نحاة الكوفة روى عنه أبو محمد القاسم الأنبارى توفى سنة ٢٧٣هـ له كتاب الزيادات ، والمقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث ، انظر انباه الرواة ١/ ٨٤—٨٦ ، ومعجم الادباء ١/ ٢٢١—٢٢٣ ، وبغية الوعاة ١٤٤ .
(٣) مدرسة الكوفة ١٥٨ .

فالمخزومى هنا يرد على نفسه وينقض ماسبق أن قرر من أن ابن الأنبارى "لم يكن بشئ"، إضافه الى ذلك فقد اعترف بفضل أبى بكر فى كتاب آخر عند ما اعتبره من شيوخ الكوفيين وذكره مع ثعلب جنبا الى جنب فقال : "وغير خاف أن ثعلبا وتلميذه ابن الأنبارى كانا من شيوخ النحو الكوفى"(١).

تقدم أن أبا بكر درس مؤلفات الكوفيين بتوسع وافاضه، فتشبع فكره بالثقافة الكوفية، وتعمق فى المذهب الكوفى، وانبرى يدافع عنه وعن رجاله بحماسة بالغة، ويناظر البصريين فى آرائهم باندفاع قوى، هذا الاندفاع، ربما أدى به التعثر، فيقع أحيانا فى عصبية بغيضة مما لا يتفق وخلق العالم النزيه، ولا سيما أن هذا الأمر قد يجرف العالم الى تجريح علماء ثقات صالحين. ويدل على ذلك، الخبر الذى رواه ياقوت الحموى منسوبا إلى رجل يدعى حمزة — هكذا بدون تعريف ولا ابانه عن اسم أبيه أولقبه أونسبه — على النحو التالى :

"وقال حمزة : لما مات المازنى (٢)، خلفه أبوالعباس المبرد، وبقى ذكره ببغداد وسامراء لا يغضى أحد منه، الى أن ذكره ابن الأنبارى فى بعض مصنفاته وأراد أن يضع منه، ويرفع من صاحبه أبى العباس أحمد ين يحيى ثعلب جاريا على عادته فى العصبية للكوفيين على البصريين، فقال : سمعت أبا العباس يعنى ثعلبا يقول : عزمت على المضى الى المازنى لأناظره، فأنكر ذلك على بعض أصحابنا، وقالوا : مثلك لا يصلح أن يمضى، فيقال غدا : انه تلميذه، فكرهت الخلاف عليهم، فأراد ابن الأنبارى أن يرفع من ثعلب، فوضع منه، ولم يقتصر على ذلك التقصير بالمازنى، حتى قصر بالخليل أيضا، وزعم أن أبا العباس أحمد ابن يحى حكى له أن أبا جعفر الرؤاسى (٣) عمل كتابا فى النحو وسماه "الفيصل"، فبعث الخليل

---

(١) الدرس النحوى فى بغداد ٢٠١.

(٢) هو أبوعثمان بكر بن محمد بن عثمان المازنى حسب رواية الزبيدى، نحوى بصرى، ثقة، توفى سنه ٢٤٨ هوقيل ٢٤٩هـ، له : علل النحو والتصريف ومايلحن فيه العامه وغيرها انظر طبقات النحويين واللغويين ٩٢ — ١٠٠ وتاريخ بغداد ٧ / ٩٣ — ٩٤، ونزهة الالباء ١٨٢ — ١٨٤، وانباه الرواة ١ / ٢٤٦ — ٢٥٦.

(٣) هوأبوجعفر محمد بن الحسن بن ابى سارة الرؤاسى النيلى النحوى، استاذ الكوفيين فى النحو، له : كتاب الفيصل ومعانى القرآن والافراد والجمع. انظر : الفهرست ٧١، ونزهة الالباء ٥٤ — ٥٥، ومعجم الادباء ٦ / ٤٨٠ — ٢٨٢، وبغيه الوعاه ٣٣ — ٣٤.

اليه يستعيره ، فوجه به اليه ،فقال : والدليل على أن الخليل تعلم من كتاب الرؤاسى ،مايوجد فى كتاب سيبويه من ذكره ، اذ يقول : قال الكوفى . وهذا متى سمع علم أنه لا يقوله الا عصبى "(١) .

نلاحظ من ظاهر الخبرين الذين وردا فى النص السابق تطرفا واضحا فى عصبية ابن الأنبارى للكوفيين على البصريين، الا أن الخبر الأول منهما مجهول الراوى ،فنحن لا نعرف من هو حمزة هذا الذى حكى الخبر ، فقد يكون من خصوم أبى بكر ، وقد يكون بصريا متعصبا تقول عليه لكى ينال منه ومن أستاذه ثعلب ، كما أن ياقوتا نفسه لم يشر — فى ترجمته لابن الأنبارى — إلى هذا النص أو إلى مايفهم منه هذه العصبية البغيضة التى يفيدها هذا الخبر، الأمر الذى يزيدنى شكا فى صحته ، فلو كان أبو بكر على هذا النحو من العصبية لنص عليه ياقوت أو أشار اليه فى ترجمته له ، أضف إلى ذلك أن الخبر مما انفرد به ياقوت !!

وأما الخبر الثانى والذى ينص على أخذ الخليل عن الرؤاسى — فبصرف النظر عن صحته أو كذبه — فان مصدره ثعلب وليس ابن الأنبارى فيه الا ناقلا ، وقد أورده ياقوت فى موضع آخر من معجم الأدباء (٢) باسناد مباشر إلى ثعلب من غير أن يذكر فيه ابن الأنبارى ، وهو منقول على هذا النحو فيما اطلعت عليه من المصادر التى أثبتته.(٣) وعلى كل حال فالخبر — يمثل رأيا كوفيا عاما ، فالكوفيون يرون أن الخليل أخذ عن الرؤاسى فى كتابه " الفيصل " .

---

(١) معجم الأدباء ٢/١٣٨ — ١٣٩ .
(٢) ٦/٤٨٠ .
(٣) انظر الفهرست ٧١ ، ونزهة الألباء ٥٥ ، وبغيه الوعاه ٣٣ .

وإذ ن فلا يمكن — من خلال النص السابق بخبريه أن نحكم على ابن الأنبارى بالعصبية البغيضة ، ومع ذلك فقد نص المخزومى على أنه كان أكبر العمبٌ فى الترويج لمدرسة الكوفه من نصيب أبى بكر بن الأنبارى — صاحب ثعلب وتلميذه البار — وكان — كما يقول المترجمون — يقول عن ثعلب مالم يقله "(١) أى أن تعصبه الأعمى كان يحيد به عن الصدق ، وذكر أيضا أن الزجاجى (٢) زعم أن ابن الأنبارى "ربما اضطر الى أن يحكى عن الفراء وغيره مالم يقولوه من تعليلات وتفسيرات "(٣) !!

وواضح من كلام المخزومى واقتباسه أنه يحاول أن ينسب ابن الأنبارى الى التعصب الأعمى ، الذى يضطره إلى الكذب، وذلك — لا شك — مما يطعن فى توثيق أبى بكر.

واذا درسنا أدلة المخزومى بروية ، فسنرى أنه تعصب على ابن الأنبارى تعصبا كبيرا ، اضطره إلى أن يتقول عليه ما لم يقله !! ففى النص الأول ذكر أنه كان يقول عن ثعلب مالم يقله ، ونسب مسئوليه كلامه الى المترجمين ، وقد بحثت عن ذلك ماوسعنى الجهد فى كتب التراجم ، فما وجدت أحدا من المترجمين نص على هذه التهمة ، أو أشار إليها !! ولست أدرى كيف ارتضى لنفسه أن يتقول على المترجمين مالم يقولوه ؟! ولعله شعر بالحاجة الى إثبات تلك التهمة بدليل من تقول ابن الأنبارى على ثعلب ، فاقتبس نصا من المزهر منقولا عن مراتب النحويين وصدره بقوله : " وهو الذى تقول على ثعلب فنسب اليه أنه قال : (أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية وأوسعهم علما : الكسائى ) حتى اضطر

---

(١) مدرسة الكوفه ١٤٩.

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ، نحوى من تلاميذ ابن الأنبارى خلط بين المذهبين مع الميل الى المذهب البصرى . توفى ببطبريه سنه ٣٣٩هـ وله : كتاب الجمل ، والإيضاح ، واللامات وغيرها . انظر نوهة الالباء ٣٠٦ ، وانباه الرواة ٢/ ١٦٠—١٦١ ، وبغية الوعاة ٢٩٧.

(٣) الدرس النحوى فى بغداد ١٢١ ، وانظر فيما يأتى ص ٩٠.

أبوالطيب اللغوى أن يعتب على هذا ويقول : ( هذا الاجماع الذى ذكره ثعلب ، لا يدخل فيه أهل البصرة )"(١) .

والواقع أن هذا النص حجة على المخزومى وليس له ، فهو مما يؤكد أنه تقول على ابن الأنبارى مالم يقله ، فالنص حقيقة مروى عن ثعلب كما هو فى مراتب النحويين (٢) والمزهر (٣) ، وليس لابن الأنبارى . أى علاقة بنسبة هذا النص الى ثعلب ، كما انه لم يذكر البتة فى روايته ، وانما ترجع روايته الى محمد ابن عبد الواحد المطرز (٤) كما هو فى "المزهر" ، وهو المصدر الذى نقل عنه المخزومى ، وأما أبو الطيب اللغوى فقد رواه عن المطرز ، وعبد القدوس ابن أحمد (٥) وكلاهما من تلاميذ ثعلب ـ فقال : أخبرنا عبد القدوس بن أحمد ومحمد بن عبد الواحد قالا : أخبرنا ثعلب قال : أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية وأوسعهم علما : الكسائى ، وكان يقول : ( أى الكسائى ) قلما سمعت فى شئ "فعلتُ" الا وقد سمعت فيه "أفعلتُ" . قال أبو الطيب : وهذا الاجماع الذى ذكره ثعلب اجماع لا يدخل فيه أهل البصرة".

ونخرج من ذلك بأمرين :

أولهما : أنه لم يشكك أحد فى صحة نسبة النص السابق إلى ثعلب ، وأن تشكيك المخزومى لا يقوم على دليل .

وثانيهما : هو أن ابن الأنبارى برئ مما تقوله عليه المخزومى .

فما قصة اضطرار ابن الأنبارى "إلى أن يحكى عن الفراء وغيره مالم يقولوه من تعليلات وتفسيرات".

---

(١) مدرسة الكوفه ١٤٩ .
(٢) ص ٧٤ .
(٣) ٢/٤٠٧ .
(٤) تقدمت ترجمته فى ص .
(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد القدوس بن أحمد التسترى ، من شيوخ أبى الطيب اللغوى ، أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما . انظر مراتب اللغويين ٧ ، ٢١ ، ٦٣ ، ٩٤ .

هذا الرأى مما استنبطه المخزومى من كلام أبى بكر بن الخياط [1] ، ويرجع أساسه الى المناظره التى جرت بين ابن الأنبارى والزجاجى [1] حول أصالة الفعل أو المصدر ، وكان ابن الأنبارى يناقش الزجاجى بمثل أسلوب البصريين فيستدل على أصالة الفعل بحجج منطقية . وعندما أخبر الزجاجى أبا بكر بن الخياط بأمر هذه المناظرة ، وبأسلوب ابن الأنبارى وحججه المنطقيه قال : " هذه أشياء يولدها من عنده ، ليست محكية عن الفراء ولا موجودة فى كتبه ، ولكنها مايرى أنها تؤيد المذهب وتنصره " [2] .

هذا هو تعليق ابن الخياط على أسلوب أبى بكر وحججه فى تلك المناظرة التى جرت بينه وبين الزجاجى ، وواضح من قوله " هذه أشياء يولدها من عنده " أنه يقصد حجج ابن الأنبارى وتعليله على طريقة البصريين ، وقد صدق فى ذلك فلم تكن هذه طريقة الفراء ومتقدمى الكوفيين فى الاحتجاج ، وإنما هى مما استفاده ابن الأنبارى من البصريين ، وعلى هذا الأساس فلايكون متقولا على الفراء ، بل ان ذلك شاهد له بتحرره فى الدراسة وبسعة استفادته ، ومع أنه التزم بمذهب الكوفيين الا أنه دافع عن المذهب بما رآه مناسبا من أسلوب فى الاحتجاج من غير أن يحصر منهجه بطريقة الكوفيين ، وهذه ميزة تحسب له لا عليه .

ومهما يكن من أمر فليس لنا أن نبالغ فى أمر تعصبه للكوفيين وأن نضخم فيه ، على نحو ماذهب اليه الدكتور مهدى المخزومى فى بعض مؤلفاته ، وكل مافى الأمر أن أبا بكر مال الى المذهب الكوفى ودافع عنه دون المذهب البصرى ، وذلك من حقه بصفته عالما ، وله أن يختار مايراه صوابا فيميل اليه ويدافع عنه .

وفى مثل هذه القضايا — التى كثيرا ماترتبط بالعصبية المذهبية ولا سيما بين الكوفيين والبصريين — يجب على الباحث أن يتحرى الدقة ، وأن يتحفظ فيما ينقله من نصوص ، اذ كثيرا مايدخلها الوضع والافتراء والتقول والتحريف بسبب اشتداد الخصومة بين الفريقين .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٨٩ .
(٢) الايضاح فى علل النحو ٦٣ .

على أننى لم أجد فيما وصل الينا من مؤلفات ابن الأنبارى ما يمكن أن يفهم منه تطرف فى عصبيته ، بل على العكس من ذلك نراه لا يتردد فى الأخـــذ عن شيوخ البصرة ، وقد استشهد بأقوالهم فى جميع مؤلفاته التى وصلت الينـــا . وسأكتفى هنا ببعض استشهاداته لأقوال البصريين من كتابه الزاهر والأضداد وشرح القصائد السبع دليلا على حرصه ورغبته فى الافادة من البصريين .

ـ يقول فى "الزاهر" مستشهدا برأى البصريين فى أصـــل "مهيمـــن" :

" وقال بعض نحوى البصريين أصل ( مهيمن ) مؤتمـــن ، فأبدلوا مـــن الهمزة هاء ، كما قالوا : أرقت الماء وهرقت الماء ، وإياك وهياك ، قال الشاعر :

يا خال هلا قلت إذ أعطيتنى هياك هياك وحنوا العنق

وقال الآخـــر ... "(١)

ـ وقال فى سبب ضـم "بعدُ" من قولهم : ( أما بعـد ) عند البصريين :

" وقال البصريون : إنما ضموا ، لأن هذا الظرف خالف سائر الظروف بقيامه مقام المضاف اليه ، فبنوه على الحركة التى لا تدخل على الظرف لمخالفته اياهـــا ، وهى الضمـة ، ولم يبنوه على الفتحة والكسرة ، إذ كانت الظروف تفتح وتكســـر فيقال : جلست عندَك ، وخرجت من عندِك "(٢) .

ـ وقال فى الأضـــداد مستشهدا بقول بعض البصريين فى معنى لفظ "حَـــرف" : " وقال بعض البصريين : يقال للناقة الصغيرة : حَـــرف ، وللعظيمة حَـــرف ، وانما قيـــل للعظيمة حرف لشدتها وصلابتها ، شبهت بحـرف الجبل ، ويقـال : بل قيل لها ذلك لسرعتها ، شبهت بحرف السيف فى مضائه ، قال الشاعـــر :

وإذا خليلك لم يدم لك وصله .·. فاقطع لُبانته بحَرفٍ ضامِر "(٣)

---

(١) ٣٢/ب .
(٢) الزاهـر ٣٢٦/ب .
(٣) ص ٢٠١ .

ـ وقال مبينا الخلاف فى سبب نصب " أقضى " فى بيت عنتره :

فوقفت فيها ناقتى وكأنها  فدن لأقضى حاجه المتلـوم

" . . . ( وأقضى ) فى قول الكوفيين منصوب بلام "كى " . وهو فى قول البصريين منصوب باضمار "أن " ، كأنه قال : لأن أقضىَ ، وقال الكوفيـــون: معناه لكى أقضىَ "(١) .

وبهذه المرونة يستشهد ابـن الأنبارى بأقوال البصريين فى مواضع كثيرة من مؤلفاته ، من غير حرج أو تردد . ونراه يستعمل لفظ البصريين بكثـــرة ويصدر كلامه فى استشهاده لهم بقوله " قال البصريون " أو "بعض البصريـــين" أو "بعض نحويى البصره " كما تقدم فى الأمثله السابقة ، أويضيف الى أحدهـــم لقب البصرى فى استشهاده بكلامه كأن يقول " قال الأخفش البصرى أو " يونس بن حبيب البصرى" أوغيرهما من البصريين الذين يستشهد بآرائهم الخاصة بكثره .

ولا يخفى فى تمثله بآرائهم ميله الى الكوفيين عن طريق قبول مذهبهم ، أوعن طريق الرد على البصريين ، كماتقدم ، أوعن طريق تقديم الآراء الكوفيـــة على البصريه فى العرض كما نرى فى الأمثله السابقة ، وهذا كثير عنده . وقد يعرض القولين جنبا إلى جنب دون أن يبين تحيزه الى أحـدهمـا تاركا للباحث حريـة الاختيار ، وقد ينفرد بعرض رأى للبصريين دون أن يشير فيه الى مذهب الكوفيين ، وربما يستشهد بأقوال البصريين فى تعليل قضية ما أو لاضافه شرح جديد أو فكرة جـديدة وذلك واضح فى الأمثله السابقة ، وقد يستشهد بها لتوضيح خلاف اعرابى ، وهذا واضح أيضا فى المثال الأخير .

الا أنه قد يخالف الكوفيين فى بعض آرائه آخذا بمذهب البصريـــين ، ومع أن هذا قليل إلا أن فيه دلالة على تحرره فى المنهج الدراسى ، وعدم تقيـــده

---

(١) شرح القصائد السبع ٢٩٧ .

بالمذهب الكوفى دون اقتناع ، ومثاله ماذهب إليه من أن الأصل فى علامات التأنيث هو التاء وليس الهاء ، وأن هذه التاء تكون هاء فى الوقف (١) .

وهذا هو مذهب سيبويه والبصريين (٢) ، فى حين أن الكوفيين يرون أن الهاء هى الأصل .

ومثال آخر لمخالفته الكوفيين : رأيه فى وزن "آية" حيث ذهب إلى أن "وزنها ( فاعلة ) ، وأصلها ( آيية ) ، فأسكنت الياء الأولى استثقالا للكسرة على الياء ، وأدغموها فى الثانية ، فصارت ( آيه ) ، مثل لفظ دابة ووزنها ، ثم خففوا الياء ، كما قالوا : ( كَينونة ) بتخفيف الياء ساكنه ، وأصلها ( كينونه ) ، ثم خففوا الياء الأولى المتحركة استثقالا للياء المشددة مع طول الكلمة" (٣) . فى حين أن الكوفيين يرون أن وزنها " ( فَعَلة ) بفتح العين وأصلها أيية ، فقلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ، وهو شاذ فى الاعتلال ، إذ كان الأصل أن تعل الياء الثانية ، وتصح الأولى فيقال : ( أياة ) "(٤)

فهو هنا ينفرد برأيه الخاص ، ولا يقيد نفسه بالالتزام برأى الكوفيين عامة .

وهكذا نجد أبا بكر كوفيا شديد الميل للمذهب الكوفى عالما بمؤلفات شيوخه حافظا لآرائهم ، وقد يتعصب للمذهب ، ويحله من نفسه منزلة يلمس من خلالها تمسكه بغالبية آراء الكوفيين ، وبالدفاع عنها ، ولكن لم يكن شأنه الاحتيال والكذب للترويج للمذهب ، بل كان صدوقا ثقة على إجماع المترجمين مشهورا بالأمانة العلمية والتواضع العلمى ، وكان يأخذ عن البصريين بتوسع وربما ذهب مذهبهم أحيانا من غير أن يتعصب للكوفيين ذلك التعصب البغيض.

---

(١) المذكر والمؤنث ٢٩/ب .
(٢) الكتاب ٨٢/٢ ، ٣١٣ ، و ٣٤٨ ، والخصائص ٢٠٠/١ ، وشرح المفصل ٣٩/١٠ .
(٣) مشكل إعراب القرآن ٤٢١/١ .
(٤) نفسه ٤٢١/١ .

## ٩ــ شيوخــــــــــه

كثر الشيوخ الذين لقيهم أبوبكر ، وأخـــذ عنهم كثرة عظيمة عبر عنهـا القفطي بقوله : "سمع عالما من الأئمة فى زمانه"(١) ، وهذا حق ، وقد أحصيت منهم نيفا وخمسين ، إلا أن الذين تتلمذ عليهم أبو بكر ، واستفاد منهم استفادة فعليه لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عدا ، وعلى رأسهم أبوه القاسم بن محمد ، وشيخـه أبو العباس ثعلب . يليهما اثنان من شيوخه الكبـــار ممن تلقـــى عنهم فى صغره ــ كما نص عليه بعض المترجمين ــ(٢) وهما : أبو اسحاق القاضـــى ، وأبو العباس الكديمى .

يلى هذين وهذين فى الأهمية طائفة من الشيوخ الذين كثر أخذ أبى بكر عنهم فى مؤلفاته ، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم ــ بوجه خاص ــ معظم المترجمين فى ترجمتهم لأبى بكر أولهم أنفسهم ، ويمكن اعتبارهم شيوخا ثانويين .

وفيما عدا ذلك تتردد فى مؤلفاته أسماء كثيره لأئمة العلم ممن يروى عنهـم أبوبكر وخاصة مشايخ القراءة والحديث ، وسأكتفـــى بالاشارة الى أسمـــاء هؤلاء بعد عرض شيوخه الثانويين .

(١) أبوه القاسم بن محمد بن بشار ، أبو محمد الأنبارى(٣) ( ت ٣٠٤/٥هـ) : وهـــو مربيه وموجهه الأول ، وقد باشر القاسم تعليم ابنه بنفســـــه منذ صغره ، ثم بعث به الى الشيوخ ، فى سن مبكرة ، وقد كان أبو محمد محدثا ، اخباريا ، عارفا بالأدب والغريب ، وكان صاحب عربية ، ثقه .

---

(١) انباه الرواة ٣/٢٠١ .
(٢) انظر الصبر فى خبر من غبر ٢/٢١٤ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ ، وشذرات الذهب ٢/٣١٥ .
(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين ٢٢٨ ، والفهرست ٨٢ ، وتاريـــخ بغداد ١٢/٤٤٠ــ ٤٤١ ، وانباه الرواة ٣/٢٨ ، وبغية الوعاة ٣٨٠ .

أخذ عن سلمة بن عاصم ، وأبى عكرمة الضبى[1] ، وأبى بكر العبـــــدى[2].

وقد أخذ ولده عنه فأكثر ، وبخاصة فى النحو والأدب والأخبار والحديـث.

وأفاد أبو بكر من عربية أبيه ، وعلمه باللغة والغريب ، والقراءات.

عاش القاسم ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين عاما من حياة ابنه ، توفر فيهـــا لأبى بكـــر أوسع فرص الأخـذ والتلقى . وبطبيعة الحال اختص هو دون غيره ، بكثير من مرويات أبيه ، فقد كانت فرص التلقى مهيأة له فى كل حين : فى البيت وفى حلقة الدرس بالمسجد ، وفى المجالس العامة ، وفى مختلف اللقاءات ، وغير ذلك من المجالات التى لا يجد فيها الابن التلميذ حرجا فى الأخـذ عن الأب الأستاذ ، ولذلك نلاحظ أن صيغ التلقى عن أبيه يغلب عليها الطابع الغـــرى ، كقوله : "حدثنى أبى" ، و"أخبرنى أبى" ، و"أنشدنى أبى" ، و"قال لى أبى" ...الخ .

وقد أفاد أبو بكر من أبيه ، فى النواحى التى برع فيها وبخاصة اللغـــــه ، وروايه الأخبـــار والشعر ، وذلك واضح فى مؤلفاته " فالزاهر" يزدحم بالشروح والتعليقات اللغوية والروايات الأخبـارية المتعددة التى ينقلها عن أبيه ، وبالاضافة إلى ذلك نجده يكتسب منه رواية الشعر ، يوضح ذلك جمعه وشرحه للقصائـــد السبع الطوال ، ولشعر الأعشى ، والراعى وزهيروالنابغة الجعدى[3].

وروى أبو بكر عن أبيـــه القراءة[4] ، وأثبت ذلك فى مواضع كثيرة من كتابه "إيضاح الوقف والابتداء"[5].

---

(١) هو عامر بن عمران بن زياد ، أبوعكرمة الضبى ، نحوى لغوى اخبارى ، عالم بأشعار العرب . توفى سنة ٢٥٠هـ . له كتاب : الخيل ، وكتاب الابل والغنم ، وكتاب الأمثال . انظر مراتب النحويين ٩١ ، ومعجم الادباء ٤/٢٨٣ ، وبغية الوعاة ٢٧٤ ومقدمة كتاب الأمثال بتحقيق رمضان عبد التواب.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن آدم بن عبيد بن جشم العبدى ، أخذ عن على بن المبارك الأحمر . انظر طبقات النحويين واللغويين ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٧ .

(٣) الفهرست ٨٢ .

(٤) طبقات المفسرين ، للداودى ٢/٢٢٦ .

(٥) وقد نص على ذلك فى المقدمة أربع مرات . انظر ايضاح الوقف والابتداء ١/١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

وروى عنه بسنده أحاديث كثيرة ، وذلك ملاحظ بوضوح فى الجزء الأول من "إيضاح الوقف والابتداء" أيضا .

كما روى عنه بعض مؤلفاته ، وأهمها : شرح "المفضليات" وقد رواه قراءة ، وأثبت ذلك فى أول الكتاب بقوله : "قرأت على أبى هذا الكتاب : الشعر والتفسير"(١) .

ويبدو أن الابن قد تأثر بأبيه كثيرا ، فى حقل التأليف نتبين ذلك بوضوح من التشابه الكبير فى أسماء مؤلفات كل منهما ، فقد ألف الأب كتبا منها : "خلق الانسان" ، و"خلق الفرس" ، و"المقصور والممدود" ، و "المذكر والمؤنث" ، و"غريب الحديث"(٢) ، فتبعه الابن مؤلفا بعض كتبه بنفس العناوين ، وألف الأب كتاب "الأمثال" فتبعه الابن مؤلفا فى الموضوع نفسه كتابه الموسوم "الزاهر" ، وشرح الأب "المفضليات" ، فاختار الابن "شرح القصائد السبع الطوال"(٣) .

وكان هذا التشابه الكبير فى أسماء بعض كتبهما مما أوقع كثيرا من الباحثين فى لبس جعلهم يخلطون بين بعض مؤلفاتهما ، فنسبت بعض كتب الأب إلى الابن ونسبت بعض كتب الابن إلى الأب ، وسوف أشير إلى ذلك فى عرض مؤلفات أبى بكر إن شاء الله .

وقد يكون سبب هذا التشابه فى التأليف سهولة توفر المادة العلمية عند أبى بكر ، وذلك عن طريق أبيه الذى سبقه الى الكتابة فى تلك الموضوعات وسبب آخر لهذا التشابه هو أن بعض الموضوعات التى اتفق اشتراكهما فيها كانت تستهوى كثيرا من علماء اللغة وبخاصة خلق الانسان(٤) ، وخلق الفرس(٥) ، والمقصور والممدود(٦) ، وغريب الحديث(٧) ، والأمثال(٨) وغيرها .

---

(١) شرح المفضليات ص١ .
(٢) انظر بغية الوعاة ٣٨٠ .
(٣) انظر الوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٤-٣٤٥ .
(٤) انظر كشف الظنون ١/ ٧٢٢ - ٧٢٣ .
(٥) نفسه ١/ ٧٢٣ .
(٦) نفسه ٢/ ١٤٦١- ١٤٦٢ .
(٧) نفسه ١/ ١٢٠٣ - ١٢٠٧ .
(٨) نفسه ١/ ١٦٧ .

وقد اتصف أبومحمد بن الأنبارى بالأمانة العلمية ، والصدق ، والتوثيق في الرواية(١) ، فانعكست تلك الصفات في أوضح مظاهرها على أبى بكر ، كما مر في الحديث عن أمانته العلمية .

وأخيرا نلتمس مظاهر تأثير أبى محمد في ابنه مما نراه من توجيه إلى المذهب الكوفى في الدراسة ، وذلك عن طريق الاكثار من روايات الفراء ، فإذا علمنا أن أبا محمد بن الأنبارى قد تتلمذ لتلاميذ الفراء كسلمة ابن عاصم ، ومحمد بن الجهم(٢) ، فانه يتبين لنا مدى قرب ابنه من المصادر الكوفية .

(٢) أبوالعباس ، أحمد بن يحى الشيبانى ، المعروف بثعلب(٣) (٢٠٠ - ٢٩١ هـ)

وهو أهم شيوخه ، وأكثر من تأثر به بعد أبيه على الاطلاق وكان ثعلب امام الكوفيين في اللغة والنحو في عصره ، وقد تشبع بحفظ كتب الفراء فدرسها لتلاميذه ، واشتهر بالإضافة الى اللغة والنحو بمعرفة الغريب ورواية الشعر القديم ، وسمع محمد بن زياد الأعرابى ، وعلى بن المغيرة الأثرم(٤) ، وسلمة بن عاصم وغيرهم . وكان دينا ثقة حجة صدوقا . وقد اختاره محمد بن عبدالله بن طاهر لتعليم ابنه طاهر . وكان رغم يسر حاله بخيلا ، وقد أصيب بالصمم في أواخر حياته ، وكانت وفاته بسبب دابة صدمته دون أن يشعر بها ، وكان ذلك في بغداد .

وقد ترك ثعلب ثروة علمية ضخمة ، فقد معظمها ، ومن كتبه المشهورة : "الفصيح" و "المصون" ، و"معانى القرآن" و"اعراب القرآن" ، و"الوقف والابتداء" ،

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٤١ .

(٢) هو محمد بن الجهم بن هارون ، أبوعبدالله السُمَرى - بكسر السين وتشديد الميم نحوى كوفى وشاعر روى مصنفات الفراء وكان ثقة صدوقا ، توفى سنة ٢٧٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ٢/ ٦١ ، وانباه الرواة ٣/ ٨٨ .

(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٥-١٦٧ ، ونزهة الألباء ٢٢٨-٢٣٢ ، وانباه الرواة ١/ ١٣٨ - ١٥١ ، ومعجم الأدباء ٥/ ١٠٢-١٤٦ ، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٢-١٠٤ وبغية الوعاة ١٧٢ - ١٧٤ ، وغيرها .

(٤) لغوى نحوى أخذ عن أبى عبيدة والأصمعى وأخذ عنه ثعلب والزبير بن بكار ، توفى سنة ٢٣٢ هـ ، له : النوادر وغريب الحديث ، انظر : تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٧ - ١٠٨ ، ونزهة الألباء ١٥٩ - ١٦١ ، وانباه الرواة ٢/ ٣١٩ ، وبغية الوعاة ٣٥٥ .

و"الهجاء"، و"المجالس"، وجمع بعض الدواوين ومنها شعر الأعشى[١]، والطفيل[٢] والطرماح[٣] والنابغة الذبيانى[٤] والجعدى[٥].

وأشهر الذين تتلمذوا لثعلب - غير صاحبنا - هم أبوموسى الحامض[٦]، ونفطويه[٧]، وأبوعمر الزاهد[٨]، وربما كان أظهر هؤلاء وأنبههم أبابكر الأنبارى.

وإذا تتبعنا تأثير أبى العباس ثعلب فى تلميذه أبى بكر فاننا نجده واضحا جليا سواء فى أخلاقه أو فى علمه، وقد عرف ثعلب بحسن خلقه[٩] ونصت كثير من المصادر على تدينه وصلاحه وصدقه[١٠]، ووقفت على أمثلة من تواضعه وأمانته العلمية، ومقدرته على الحفظ[١١]، فانعكست صورة واضحة من تلك الصفات على أبى بكر كما تقدم[١٢].

---

(١) هو ميمون بن قيس الواثلى، أبوبصير المعروف بأعشى قيس، وبالصناجة، من شعراء الطبقة الاولى فى الجاهلية، ومن أصحاب المعلقات ولد بالمنفوحة فى الرياض، وتوفى سنة ٧هـ انظر معجم الشعراء ٣٢٥-٣٢٦، والاعلام ٨/٣٠٠.

(٢) هو طفيل بن عوف بن كعب الغنوى، شاعر جاهلى فحل، اشتهر بوصف الخيل وسمى طفيل الخيل. توفى حوالى السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة. انظر الشعر والشعراء ١/٤٥٣ - ٤٥٥، والاعلام ٣/٣٢٩.

(٣) هو الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائى - من فحول الشعراء الاسلاميين، وكان هجاء ولد بالشام وتوفى حوالى سنة ١٢٥هـ انظر الشعر والشعراء ٢/٥٨٥ - ٥٩٠.

(٤) هو أبوامامة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى من شعراء الطبقة الاولى الجاهليين وصاحب معلقة، من أهل الحجاز، وكان الشعراء يحتكمون اليه بعكاظ، انظر الشعر والشعراء ١/١٥٧ - ١٧٣، والاعلام ٣/٩٢.

(٥) هو أبوليلى، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدى، اشتهر بالنابغة لنبوغه فى الشعر فى سن متأخرة، شاعر صحابى، أدرك الجاهلية والاسلام، وتوفى بالكوفة حوالى سنة ٥٠ هـ. انظر معجم الشعراء ١٩٥ - ١٩٦، والاعلام ٦/٥٨.

(٦) هو أبوموسى سليمان بن محمد بن أحمد الحامض، نحوى كوفى ثقة، توفى سنة ٣٠٥هـ، له: غريب الحديث، وخلق الانسان، والوحوش، وغيرها. انظر تاريخ بغداد ٩/٦١، ونزهة الألباء ٢٤١-٢٤٢، وانباه الرواة ٢/٢١-٢٢.

(٧) هو أبوعبد الله، ابراهيم بن محمد بن عرفة المتكى الأزدى الواسطى، المعروف بنفطويه، نحوى، لغوى عالم بالحديث. توفى سنة ٣٢٣هـ. له: غريب القرآن وكتاب النحل، وكتاب النمل، وكتاب التاريخ وغيرها. انظر: تاريخ بغداد ٦/١٥٩-١٦٢، ونزهة الألباء ٢٦٠-٢٦٢، وانباه الرواة ١/١٧٦-١٨٢.

(٨) تقدمت ترجمته ص ٦.

(٩) انباه الرواة ١/١٤١ - ١٤٢.

(١٠) نفسه ١/١٣٩ و ١٤١ - ١٤٢.

(١١) نفسه ١/١٣٩، ١٤٠ - ١٤١، وبغية الوعاة ٧٣.

(١٢) راجع الحديث عن صفاته واخلاقه ص ٢٧ وما بعدها.

وكان ثعلب أستاذ ابن الأنبارى فى اللغة والنحو خاصة ، فسلك منهجه فى الدراسات اللغوية والنحوية ، من غير أن يحيد عنه ، ومما لاشك فيه أن الميل إلى المذهب الكوفى فى الدراسة عنده كان يتأثير من أستاذه ثعلب لسان الكوفيين وامامهم فى زمانه ، وكيف لا وهو الذى نقل له التراث الكوفى عن طريق شيوخه الذين ينقل له عنهم ، ومن هنا فقد كثرت روايات أبى بكر عن ثعلب عن سلمة بن عاصم عن الفراء ، وعنه عن ابن الأعرابى أيضا ، وهؤلاء كلهم أئمة أعلام فى طبقات الكوفيين . وكان ثعلب مفرما بدراسة كتب الفراء وحفظها فتبعه أبو بكر فى ذلك على نحو ما تقدم .

وبالاضافة إلى اللغة والنحو أخذ أبوبكر عنه القراءة[١] والحديث[٢] والشعر وبعض الأخبار[٣] ، كما روى عنه بعض كتبه - ومنها الفصيح - قراءة وسماعا[٤] .

ومن هنا فقد كان ثعلب من أهم مصادره العلمية فى المجالات السابقة ، وبخاصة اللغة والنحو ، فبرزت شخصية ثعلب وبرز أثره فى دراسات أبى بكر كلها ونراه فيها أستاذا وراويا ومنشدا وشارحا ومعلقا ، ونتبين علاقة الأستاذية فى نص التلميذ على أخذه عن أستاذه بمختلف صيغ التلقى نحو قوله : "سمعت أبا العباس أحمد بن يحى يقول : ...." و "أنشدنا أو أنشدنى أبو العباس" ، و "أخبرنا أبو العباس" ، و "قرأنا على أبى العباس" ، و "حكى هذا أبو العباس ..." الخ . وكثيرا ما يسأل أبوبكر أستاذه عما يشكل عليه من مسائل لغوية أو نحوية أو غيرها ، وعندئذ لا يستحى من النص على ذلك بقوله : "سألت أبا العباس عن هذا فقال ..." ، وسألت أبا العباس عن اعراب كذا فقال ..." ونتبين هذه العلاقة أيضا فى قوله : " ... فى "الباز" لغة ثالثة لم يذكرها فى هذا الكتاب ، وذكرها النافى بعض أماليه ، قال : ويقال : هو البأز بهمز الألف ..." الخ[٥] وفى قوله

---

(١) غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ .
(٢) مناقب الامام أحمد بن حنبل ٥١٥ .
(٣) يتضح ذلك من رواياته الكثيرة عنه فى هذا المجال فى مختلف مؤلفاته وبخاصة شرح القصائد السبع الطوال .
(٤) انظر الفهرست ٨١ ، وفهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٣٩ ، والزاهر ١٧٥ / ب .
(٥) الأضداد ١٧٣ .

" سمعت " أبا العباس يحكى هذه الحجة عن أصحابه "(١) ، وفى قوله خلال عرض مصادره فى كتاب إيضاح الوقف والابتداء : " وماكان فيه عن أبى العباس فهو ماسمعته من لفظه "(٢) .

ويبدو أبو بكر معجبا برأى أستاذه فيثبته ضمن الآراء التى يثبتها فى موضوع ما ، وكثيرا مايشير إلى ذلك بقوله : " وهذا مذهب أبى العباس واختياره " أو بقوله : " وأجاز أبوالعباس كذا ... " و" لم يجز أبو العباس كذا ... " ، وقد يتابعه فى رأيه .

وكثيرا ماينقل تعليقه على بعض المسائل وإعرابه لبعض الألفاظ وشرحه لغريبها . كما يظهر أثر ثعلب فى مؤلفات أبى بكر منشدا للشواهد من الأشعار فى كثير من المسائل التى يتطرق إليها أبوبكر ، وأكثر الأشعار التى ينشدها عنه ، لشعراء اشتغل ثعلب فى دواوينهم (٣) كالأعشى(٤) ، والنابغتين (٥) والطفيل (٦) وغيرهم .

وأخيرا نجد تشابها فى عناوين بعض مؤلفات أبى بكر وشيخه ثعلب فكلاهما ألف : الوقف والابتداء ، وغريب الحديث ، ومعانى القرآن ، والأمثال والهجاء والمجالس(٧) .

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٢٩ .
(٢) نفسه ١/١١٥ .
(٣) الفهرست ٨١ .
(٤) ، (٥) ، (٦) تقدمت تراجمهم .
(٧) انباه الرواة ١/١٥٠ — ١٥١ ، و٣/٢٠٨ .

(٣) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي القاضي، أبو إسحاق (٢٠٠ـ٢٨٢هـ)[1]:

وهو من كبار فقهاء المالكية[2]، وكان عالما بالنحو واللغة[3]، فاضلا متقنا[4]، ثقة صدوقا[5]، من بيت علم وفضل، نشأ بالبصرة[6] ورحل قديما إلى بغداد، وولي فيها القضاء بجانبيها فلقب بقاضي القضاة[7]، واشتهر بسداده في القضاء[8]، وكان من نظراء المبرّد في النحو واللغة والأدب، وكان المبرّد يعترف له بالفضل والتقدم فيقول: "لولا اشتغاله برياسة الفقه والقضاء لذهب برياستنا في النحو والأدب"[9].

ترك القاضي مؤلفات كثيرة يتصف معظمها بضخامة الحجم ومنها: الموطأ، وشواهد "الموطأ"، و"معاني القرآن واعرابه"، و"الاحتجاج بالقرآن" وغيرها[10].

وقد نصت معظم المصادر على أخذ أبي بكر بن الأنباري عنه، إلا أننا إذا درسنا مدة تلمذته له، فسنجدها قصيرة، وذلك أن القاضي توفي سنة (٢٨٢هـ)[11]، أي بعد مولد أبي بكر باحدى عشرة سنة، وعلى اعتبار أنه بدأ يتلقى عنه في سن التاسعة فان ذلك يعني أنه لم يقض معه أكثر من ثلاث سنوات.

ورغم قصر هذه المدة الا أنها تعتبر مهمة بالنسبة لأبي بكر، ذلك لأنها تمثل أوائل مرحلة تلقيه للعلم، وبداية اتصاله بالشيوخ، وقد أشار ابن العماد الى مايفهم منه ذلك فقال: "سمع في صغره من الكديمي"[12]،

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٦/٢٨٤-٢٩٠، ومعجم الأدباء ٢/٢٥٧-٢٦١ والمنتظم ٥/١٥١ ـ ١٥٣، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ٩٢ ـ ٩٥، وتذكرة الحفاظ ١/٦٢٥-٦٢٦، وطبقات الحفاظ ٢٧٥، وطبقات المفسرين للداودي ١/١٠٥-١٠٧، وبغية الوعاة ١٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٨٤.

(٣) معجم الادباء ٢/١٥٨.

(٤) تاريخ بغداد ٦/٢٨٤.

(٥) الديباج المذهب ٩٣.

(٦) تاريخ بغداد ٦/٢٨٥.

(٧) نفسه ٦/٢٨٤.

(٨) الديباج المذهب ٩٤.

(٩) نفسه ٩٣.

(١٠) نفسه ٩٤ـ ٩٥.

(١١) تاريخ بغداد ٦/٢٩٠.

(١٢) تأتي ترجمته ص ١٠٤ وما بعدها.

واسماعيل القاضى "(١) ، ولذلك نراه يروى عنه بكثرة ولا سيما فى كتاب "إيضـــاح الوقف والابتداء" ، وكتاب" الزاهر" ، ولم يرو عنه فى الأضداد إلا خمس مرات.

وتنص كثيرا من المصادر على أنه أخذ عنه القراءة ، وقد ذكر أبو بكر ذلك فى مقدمة الوقف والابتداء ، ونص على أنه روى عنه قراءة نافـــع فقال : " فماكان فى كتابنا هذا عن نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ (٢) ، فحدثنا بـــه إسماعيل بن اسحاق القاضى "(٣) . وتنص بعض المصادر على أنه سمع منه الحديث أيضا يؤكـد لنا صحة هذا مايرويه أحيـــانا عنه بسنده من أحاديث فـــى بعض مؤلفاتـــه . (٤)

وفيما عدا ذلك نجده يروى عنه عن نصر بن على(٥) عن الأصمعى روايـــات كثيرة فى اللغة ، كما يروى عنه بهذا السند بعض الأخبـــار والحكايات اللغوية نجدها متفرقة فى كتبه وبخاصة "الوقف والابتداء" ، وهذا يؤكـد أنه أخذ عنـه اللغة الى جانب القراءة والحديث .

وقد كان إسماعيل القاضى — كما وصفه بعض الباحثين — من كبار عشاق الكتب فى القرن الثالث الهجرى (٦) ، ومعنى ذلك أنه كان صاحب مكتبة عظيمة ، ولا شك أن ابن الأنبارى — وقد كان كثير القراءة كما تقدم — استفاد منها فـى سنه المبكرة أثناء اتصاله بشيخه .

كما أن القاضى ممن يطيلون فى التأليف على ما نفهمه من وصف مؤلفاتـه (٧) ، ويشبهه ابن الأنبارى فى هذه الصفة — كما سيأتى — وربما اكتسبها عنه ، ولاعجب فى ذلك فقد اتفق معه أيضا فى الاتجاه إلى علوم القرآن فى التأليف ، وربمـــا

---

(١) شذرات الذهب ٢ / ٣١٥ ، وانظر طبقات النحاة اللغويين ٢٣٣ .
(٢) هو أحد القراء السبعة ، ومقرئ أهل المدينة ، ثقة ، صالح ، أخذ القراءة عن جماعة من تابعى أهل المدينة ، توفى سنة تسع وستين ومائة وفيها خلاف ، ذكره ابن الجزرى انظر طبقات القراء ٢ / ٣٣٠ — ٣٣٤ ، وميزان الاعتدال ٤ / ٢٤٢ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠٧ — ٤٠٨ ، وخلاصة التذهيب ٣٩٩ .
(٣) ١ / ١١١ .
(٤) انظر الأضداد ٢٤٨ ، ٣٦٠ ، والزاهر ٢٨٥ / ب و ٢٨٨ / أ .
(٥) هو نصر بن على الجهضمى البصرى من أئمة اللغة والنحو والحديث ، أخذ عن الأصمعى وتوفى سنة ٢٥٠ هـ . انظر تزهة الألباء ١١٦ ، وانباه الرواة ٣ / ٣٤٠ ، والبلغة فى تاريخ ائمة اللغة ٢٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٥١٩ .
(٦) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ٢٨٨ .
(٧) انظر الديباج المذهب ٩٤ — ٩٥ .

أخذ عنه الكثير فى هذا الجانب ، نستشف ذلك من كثرة رواياته عنه فى " الوقـــف والابتداء " وهو الكتاب الوحيد الذى وصل إلينا من مؤلفات ابن الأنبارى فـى الدراسات القرآنية . لكن الجانب الذى برع فيه القاضى هو الفقه ، فهل أخذ أبوبكـــر عنه شيئا فى هذا الجانب ؟ هذا مالا أعرفه ، فلا يمكن أن أقول فيه شيئا ، اذ الأدله عنه مغيبة .

يتضح مما تقدم أن أبا بكر تأثر بأستاذه أبى إسحاق وأفاد منه كثيرا ، ولوكان بين أيدينا مؤلفات أخرى لأبى بكر وبخاصة فى الدراسات القرآنية ، لأمكن أن نخرج بنتائج أخرى ولكن لم تجد مؤلفاته الموجودة ، ولا كتب التراجم بمادة أغنى .

( ٤ ) محمد بن يونس بن موسى بن سليمان ، أبو العباس الكديمى[1] ( ١٨٣ــ٢٨٦هـ ) : سمع الخريبى[2] ، وروح بن عبادة[3] ، وأبا زيد[4] وأبـا عبيدة[5] والأصمعى ، وغيرهم ، وروى عنه أبوبكر بن الأنبارى وعلى بن محمد بن عبيد الحافظ[6] وأبوعمر الزاهد[7] وغيرهم .

---

( ١ ) انظر تاريخ بغداد ٣ / ٤٣٥ــ٤٤٥ ، والمنتظم ٦ / ٢٢ ــ٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٦١٨ــ٦١٩ ، والعبر ٢ / ٨٧ ، وميزان الاعتدال ٤ / ٧٤ــ٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٥٣٩ ــ٥٤٤ ، واللباب ٣ / ٣١ ، وشذرات الذهب ٢ / ١٩٤ وغيرها .

( ٢ ) هوأبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الهمذانى المعروف بالخريبى ، محدث ثقة ، عابد ، روى عن اسماعيل بن أبى خالد وسلمه بن نهيط والأعمش وغيرهم . ولد سنه ١٢١هـ وتوفى سنة ٢١٣هـ انظر تهذيب التهذيب ٥ / ١٩٩ــ٢٠٠ ، وخلاصة التذهيب ١٩٦ .

( ٣ ) هوأبومحمد ، روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسى البصرى ، محدث ، ثقه صدوق ، روى عن مالك والأوزاعى وابن جريج ، توفى سنة ٢٠٧هـ انظر ميزان الاعتدال ٢ / ٥٨ــ٦٠ وتهذيب التهذيب ٩ / ٢٩٣ــ٢٩٦ .

( ٤ ) هوأبوزيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصارى ، من علماء النحو واللغة البصريين ثقة توفى بالبصرة سنة ٢١٤هـ له النوادر واللغات والإبل وخلق الانسان وغيرها . انظر تاريخ بغداد ٩ / ٧٧ ــ ٨٠ ، وأخبار النحويين البصريين ٤١ــ٤٥ ، ونزهة الألباء ١٢٥ــ١٢٩ ، وانباه الرواة ٢ / ٣٠ــ٣٥ .

( ٥ ) هو معمر بن المثنى ، تقدمت ترجمته ص ٦٣

( ٦ ) هوأبوالحسن على بن محمد بن عبيد بن عبد الله بن حسان البغدادى البزار ، محدث ثقة ، عارف ، سمع عباسا الدورى ومحمد بن الحسين الحنينى وطبقتهم توفى سنة ٣٣٠هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٣٦ ، وطبقات الحفاظ ٣٤٧ .

( ٧ ) انظر تاريخ بغداد ٣ / ٤٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٥٤٠ .

وكان حافظا كثير الحديث[١] ، معروفا بالطلب والسماع الكثير[٢] ، وكان يقول : " كتبت عن البصريين عن ألف ومائة وستة وثمانين رجلا "[٣] ، قال عنه الخطبي[٤] : " ثقة ، مارأيت جمعا أكثر من مجلسه "[٥] ، وقال الخطيب البغدادى : "كان حسن الحديث، حسن المعرفة"[٦] ، ورحل فى طلب العلم[٧].

وهو أيضا من شيوخ أبى بكر فى صغره ، ولم يقض معه على الأرجح أكثر من ست سنوات ، ذلك أنه توفى سنة (٢٨٦هـ) ، ولا أعتقد أن أبا بكر اتصل بالشيوخ قبل سن الثامنة . وهذه المدة على كل حال ليست قصيرة اذا ماوازناها بالمدة التى قضاها مع اسماعيل بن إسحاق القاضى أوغيره ممن تقدمت سنوات وفياتهم على الكديمى كماسنرى .

وبالرغم من أن[٨] ابن الجوزى نص على أن ابن الأنبارى سمع منه الحديث، الا أننا لا نراه يروى عنه فى مؤلفاته الموجودة أكثر من ستة أحاديث على النحوالتالى : ثلاثة فى "الزاهر"(٩) ، واثنان فى "الوقف والابتداء"(١٠) ، وواحد فى "الأضداد"(١١) . وقد يكون سبب ذلك تضعيف الكديمى فى الحديث عند كثير من العلماء[١٢] رغم سعة سماعه وحفظه له ، مما جعل ابن الأنبارى يمتنع عن تسجيل مسموعاته عنه الا قليلا ، أولأن مؤلفات أبى بكر التى وصلت الينا ليست مما له علاقة مباشرة بالحديث النبوى .

وتبرز أهمية الكديمى عند ابن الأنبارى فى جانبين آخرين غير الحديث، وهما اللغة وتفسير القرآن ، وكلاهما مرتبطان أحدهما بالآخر عنده ، فى نقله عنه ، وذلك أن مايرويه عنه فى تفسير بعض الآيات غالبا مايكون تفسيرا لغويا ، قلما يتطرق

---

(١) تاريخ بغداد ٣/٤٣٦ . (٢) نفسه ٣/٤٤٠ .
(٣) نفسه ٣/٤٣٧ .
(٤) هو اسماعيل بن على بن اسماعيل الخُطبى ، اخبارى ، عالم بالأدب، وكان فاضلا فهما ، ثقة ، صدوقا ، صنف تاريخا كبيرا على ترتيب السنين . ولد سنة ٢٦٩هـ وتوفى سنة ٣٥٠هـ ، انظر معجم الادباء ٢/٣٤٩-٣٥٠ وأنساب السمعانى ٥/١٦٢ وشذرات الذهب ٣/٣٠ .
(٥) تذكرة الحفاظ ٢/٩١٩ وانظر المنتظم ٦/٢٣ .
(٦) تاريخ بغداد ٣/٣٤٩ . (٧) المنتظم ٦/٢٢ .
(٨) مناقب الامام أحمد بن حنبل ٥١٠ (٩) ٢٧٣/ب، ٣٢٦/أ ، ٣٣١/أ
(١٠) ١/٥٩٨ و١٠٥ . (١١) ص ١٧١ .
(١٢) انظر المنتظم ٦/٢٢-٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢/٩ .

فيه الى تفاصيل أخرى ، ويكثر ذلك فى "الأضداد"(١)، و"الزاهر"(٢)، ولم يرو عنه ذلك فى "الوقف والابتداء" الا مرتين(٣)

ولرواية اللغة عند ابن الأنبارى عن الكديمى أهمية خاصة، ذلك أن الأخير يروى عن ثلاثة أعلام بارزين فى اللغة وهم: أبو زيد الأنصارى(٤)، وأبوعبيدة معمربن المثنى(٥) ، والأصمعى(٦) ويروى الكديمى عنهم مباشرة لأنه كان تلميذا لهـــم(٧) ، وهذا يعنى أن ابن الأنبارى كان تلميذا لأحد تلامذة هؤلاء الأئمة ،أى أنه كانت له صلة علمية قريبة بهم.

كان هؤلاء أظهر شيوخ أبى بكر ، وفيما يلى شيوخه الآخرون وأهمهم :

(٥) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم، أبواسحاق الحربى(٨) ( ١٩٨ - ٢٨٥هـ)
سمع أبا نعيم الفضل بن دكين(٩) ، وعفان بن مسلم(١٠) وخلقا ، وروى عنه موسى بن هارون الحافظ(١١)، وأبو بكر بن الأنبارى وأبوعمر الزاهد(١٢) وغيرهم.

---

(١) انظر الصفحات ١٧٥، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٢٣.
(٢) انظر مثلا ١٧٧/أ، ٣٠٧/ب، ٣١٢/أ، ٣١٢/ب.
(٣) ١/٦٤، ٦٥.
(٤) ،(٥) ، (٦) تقدمت تراجمهم.
(٧) انظر تاريخ بغداد ٣/٤٣٦.
(٨) انظر الفهرست ٢٨٧، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٧ - ٤٠ وانباه الرواة ١/ ١٥٥-١٥٨ ومعجم الأدباء ٣/ ٣٧- ٤٦، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٦-٩٣ ، ومختصره ( ٣٢٨ ) وصفة الصفوة ٢/ ٢٢٨- ٢٣٢.
(٩) محدث ، ثقة ، ثبت ، صدوق ، حجة ، روى عن الأعمش وايمن بن نابل والثورى وغيرهم ، وروى عنه البخارى ويحى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم. توفى سنة ٢١٩هـ ودكين لقب أبيه واسمه عمرو بن حماد ، انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٠ -٢٧٦ ، وخلاصة التذهيب ٢٠٨-٢٠٩.
(١٠) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار ، أبوعثمان البصرى ، محدث ، ثقة ، ثبت ، متقن ، روى عن هشام الدستوائى وشعبة وحماد بن سلمة وغيرهم روى عنه احمد بن حنبل وابن معين المدينى وغيرهم. توفى سنة ٢٢٠هـ انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٢٣٠-٢٣٥ ، وخلاصة التذهيب ٢٦٨.
(١١) هو موسى بن هارون بن عبد الله أبوعمران البزاز محدث مشهور بالحفظ والثقة ومعرفة الرجال ، روى عن ابيه وداود بن عمرو الضبى ومحمد بن جعفر الوركانى وروى عنه ابوسهل بن زياد وجعفر الخلدى وعلى بن هارون السمسار وغيرهم . انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٥-٥١ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٩-٦٧٠.
(١٢) تقدمت ترجمته ص ٥٦

" وكان إماما فى العلم ، رأسا فى الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالأحكام ، حافظا للحديث ، مميزا لعلله ، قيما بالأدب ، جماعا للغة " .(١)

وكان واسع العلم عليم الثقافة ، مع الزهد والورع قال الدارقطنى(٢) :

" وكان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وعلمه وورعه " (٣) وقال عنه إنه " إمام مصنف عالم بكل شئ ، بارع فى كل علم "(٤) . وقد برع فى الحديث ، واللغة وبخاصة غريبه حتى قيل إنه كتب بخط يده اثنى عشر ألف جزء حديثا ولغة وغريبا (٥) . وكان له اهتمام خاص باللغة وكان معاصره ثعلب يقول : " ما نقدت ابراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة "(٦) .

وقد أوسع الله له فى الرزق ، وقابل ذلك بإنفاقه فى طلب العلم والتوسع فيه ، فقضى حياته عالما عابدا زاهدا لا يشغله عن زهده غير طلب العلم(٧) .

توفى رحمه الله ببغداد(٨) ، وكان ثقة صدوقا(٩) .

وله من المؤلفات " غريب الحديث " وهو أجل كتاب وأكبر ما صنف فى هذا النوع "(١٠) ، وكتاب " الأدب " و" المغازى " و " التمر " ، وغيرها (١١) .

ولم يقض أبو بكر مع ابراهيم الحربى مدة طويلة فى التلمذة عليه ، فقد توفى الأستاذ سنة ( ٢٨٥هـ ) ، وكان عمر أبى بكر إذ ذاك أربع عشرة سنة ، وعلى ذلك فحدود تلمذته له لا تتجاوز خمس سنوات .

وقد أفاد أبو بكر كثيرا من الحربى فى الناحيتين اللتين برع فيهما وهما اللغة والحديث ، ويروى اللغة عنه عن الأثرم عن أبى عبيدة من أئمة البصريين (١٢) ، وعنه عن ابن الأعرابى من أئمة الكوفيين (١٣) ، وأما الحديث فله شأن خاص ذلك أنه يرويه عنه عن البخارى(١٤) . وقد كان للحربى اهتمام خاص بغريب الحديث ووضع

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٨ .
(٢) انظر فيما يأتى ص
(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠ .
(٤) نفسه ٦/ ٤٠ .
(٥) معجم الأدباء ١/ ٤٠ .
(٦) نفسه ٨/ ٤٠ .
(٧) انظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٨-٢٩ ، ٦/ ١١ .
(٨) صفة الصفوة ٢/ ٢٣٢ .
(٩) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠ .
(١٠) انباه الرواة ١/ ١٥٥ .
(١١) الفهرست ٢٨٧ .
(١٢) انظر مثلا الزاهر ١٣١/ب .
(١٣) نفسه ٢٨٣/ب .
(١٤) نفسه ١٤١/ ب .

فيه كتابا من أجل الكتب وأكبرها فى موضوعه ـ كما تقدم ـ ولا شك أن ابن الأنبارى تأثر كثيرا بأستاذه فى هذا الكتاب ، مما دفعه أن يؤلف فى الموضوع نفسه كتابا كبيرا (١)، ولو كان الكتاب بين أيدينا لاستطعنا أن نتعرف على جوانب أخرى كثيرة فى هذا المجال .

ولا يروى أبو بكر ـ فيما وصل الينا من مؤلفاته ـ عن الحربى إلا فى كتاب الزاهر حيث روى عنه حوالى عشر مرات ، وذلك لا يكفى لدراسة تأثره به دراسة واضحة ، أكثر ، مما أشرت اليه آنفا .

وأخيرا فقد كان ابراهيم الحربى زاهدا ورعا ، فهل تأثر أبو بكر بـــه فـــى اختياره مذهب الزهد لنفسه فى حياته ؟ هذا محتمل جدا .

( ٦ ) الحسن بن عُلَيل (٢) بن الحسين ، أبو على العنزى (٣) (ت ٢٩٠هـ)

وهو محدث وصاحب أدب وأخبار ، روى عن يحى بن معين ، وأحمد بن ابراهيم الموصلى ، وهدبة بن خالد والرياشى وغيرهم . روى عنه أبوبكر بن الأنبارى وأبوه القاسم ، والحسين بن قاسم الكوكبى وغيرهم .

توفى بسر من رأى وكان صدوقا . ويروى عنه أبوبكر فى الزاهر (٤) والأضداد (٥) وشرح القصائد السبع. ( ٦ )

---

( ١ ) معجم الأدباء ٧/٧٦ .
( ٢ ) عليل بضم العين المهملة وبلامين . وهو لقب أبيه واسمه على .
( ٣ ) انظر تاريخ بغداد ٧/٣٩٨- ٣٩٩ وغاية النهاية ١/٢٦٦
( ٤ ) انظر ٢٦٤/أ و ٣٢٨/ب .
( ٥ ) ص ١٥١ ، ١٦٨ و ١٧٠ و ٣٥٠ .
( ٦ ) ص ١١٥ و ٤٥٠ .

(٧) إدريس بن عبدالكريم ،أبوالحسن الحداد المقرئ[1] (٩٩ ١- ٢٩٢هـ)

إمام ،ضابط ،متقن ،ثقة ،سمع خلف بن هشام وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم . روى عنه أبوبكر بن الأنبارى وإسماعيل بن على الخطبى ومحمد بن الحسن بن مقسم وغيرهم .

قال عنه الدارقطنى : " ثقة ،وفوق الثقة بدرجة ".[2] وأقرأ الناس وكتبوا عنه ،ورحلوا إليه لثقته وصلاحه واتقانه وعلو سنده .

يروى عنه ابن الأنبارى فى الوقف والابتدا[3]، والزاهر[4]، والأضداد[5].

(٨) سليمان بن يحى بن الوليد[6] ،أبو أيوب الضبى المقرئ (٢٠٠- ٢٩١هـ)

محدث ومقرئ كبير ،كان يقرأ فى جامع بغداد ،وأقرأ ستين سنة روى عن خلف بن هشام البزار وعنه أبو بكر بن الأنبارى ،وأحمد بن عبدالله بن الخشف وعبدالباقى بن قانع .

وكان ثقة فى الحديث والقراءة ،يروى عنه أبو بكر فى كتاب إيضاح الوقف والابتداء"[7] .

(٩) على بن محمد بن عبدالملك بن أبى الشوارب القاضى ،أبوالحسن البصرى[8] (ت ٢٨٣هـ) :

محدث[9] ،" صفيق الستر ،كثير الطلب للحديث ،ثقة أمين ،لا مطعن عليه فى شئ ،حسن التوقى فى الحكم ،على طريقة الشيوخ المتقدمين ،متواضع مع جلالته ، حمل الناس عنه حديثا كثيرا "[10] .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٧/ ١٤-١٥ ، والمنتظم ٦/ ٥٢ ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٤ - ٢٠٥ والنشر ١/ ١٦٦ والنجوم الزاهرة ٣/ ١٥٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ١٤ .

(٣) انظر مثلا ١/ ١٣ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٣٨٥ . (٤) ١١٧/ب ، ١٣٢/أ ، ٢٦٥/أ ، ٢٧٢/ب وغيرها (٥) ٢٢٤ ، ٣٤٩ .

(٦) انظر تاريخ بغداد ٩/ ٦٠ والمنتظم ٦/ ٤٦ ، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٦ ، ٢٢١ .

(٧) انظر مثلا ١/ ١١ و ٢٤ ، ٣٦ و ١١ و ٤٠ و ٣٨٥ و ٤٣٩ .

(٨) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٥٩- ٦٠ والمنتظم ٥/ ١٦٤-١٦٥ ، والعبر فى خبر من غبر ٢/ ٧١ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٩٧ ، ٩٨ ، وشذرات الذهب ٢/ ١٨٥ .

(٩) أى محافظ على عرضه كثيرا .

(١٠) تاريخ بغداد ١٢/ ٦٠

سمع سهل بن بكار وإبراهيم بن بشار، وروى عنه يحيى بن محمد بن عاصم وموسى بن محمد الزرقي وابن الأنباري .

تقلد منصب قاضي القضاة حيث ضم إليه بغداد وسرمن رأى ، يروى عنه ابن الأنباري في الزاهر (١) ، والأضداد (٢) ، والوقف والابتداء (٣) .

(١٠) أحمد بن الهيثم بن خالد ، أبو جعفر البزاز العسكري (٤) (ت ٢٨٠هـ)

محدث ومقرئ ، ثقة ، من أهل سرمن رأى ، حدث ببغداد عن عثمان ابن الهيثم ، والخليل بن زكريا وروى عنه محمد بن عبيد الله بن الملاء الكاتب وعبدالله بن إسحاق الخراساني وأبوبكر بن الأنباري . يروى عنه أبو بكر في الزاهر (٥) والأضداد (٦) .

(١١) محمد بن أحمد بن النضر، أبو بكر الأزدي (٧) (١٩٦- ٢٩١هـ)

محدث ، كوفي الأصل ، انتقل إلى بغداد ، "وكان اماما حافظا ثقة ، من الرؤساء" (٨) .

سمع مالك بن إسماعيل ، وعبدالله بن مسلمة القعنبي وغيرهما ، وروى عنه محمد بن مخلد واسماعيل بن علي الخطبي وابن الأنباري وغيرهم .

يروى عنه أبو بكر في الأضداد (٩) .

---

(١) انظر ٢٧٩/أ ، ٢٧٩/ب، ٢٩٨/ب ، ٣١٤/أ

(٢) ص ٣٦٩ ، ٤٠١ . (٣) ١/ ٦٢و٦٧ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ٥/ ١٩٢-١٩٣ و٣/ ١٨٢ وأنساب السمعاني ١/ ٣٥٤ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢ وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٩ وغاية النهاية ١/ ١٤٧ وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٢٦ .

(٥) انظر ٢٧٦/ب ، ٢٨٣/ب ، ٢٨٤/أ ، ٣٠٠/أ (٦) ٢٢٧ ، ٣٤٣ ، ٤٠٢ .

(٧) انظر تاريخ بغداد ١/ ٣٦٤ ، ٣/ ١٨٢ ، وأنساب السمعاني ١/ ٣٥٤ ، والمنتظم ٦/ ٤٧-٤٨ والنجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ ، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٨ .

(٨) شذرات الذهب ٢/ ٢٠٨ .

(٩) ١٦٩ .

(١٢) الحسن بن الحباب بن مخلد بن محبوب ، أبوعلى المقرئ الدقاق [١]

(ت ٣٠١هـ) :

محدث ، مقرئ ، متصدر ، مشهور ، ثقة ، ضابط ، من كبار الحذاق ، أصله من واسط ، وكان كثير الحديث .

روى عن البزى ، وقرأ على محمد بن غالب الأنماطى وبشر بن هلال ، وروى عنه القراءة ابن مجاهد ، وأبوبكر بن الأنبارى وعبد الواحد بن عمر المطرز وغيرهم . يروى عنه أبو بكر فى الوقف والابتداء . [٢]

(١٣) يموت بن المزرّع بن موسى ، بن يموت ، أبوبكر العبدى البصرى [٣] :

(ت ٣٠٣هـ) :

نحوى ، أديب ، راوية ، أخبارى ، ومن مشايخ العلم والشعر وكان مقرئا متصدرا مشهورا . وهو ابن أخت الجاحظ ، اشتهر بيموت واسمه محمد .

روى عن أبى حاتم السجستانى وأبى الفضل الرياشى وأبى عثمان المازنى ، وروى عنه أبوبكر بن الأنبارى وأبوبكر ابن مجاهد . قدم بغداد فى سنة إحدى وثلاثمائة وهو شيخ كبير .

يروى عنه ابن الأنبارى فى الزاهر ، [٤] والوقف والابتداء . [٥]

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٠١—٣٠٢ ، والمنتظم ٦/ ١٢٥ ، وغاية النهاية ١/ ٢٠٩ .
(٢) ١/ ٢٤٩ ، و٢/ ٨٩١ .
(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين ٢٣٥—٢٣٦ ، ونزهة الألباء ٢٣٨ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٠٥—٣٠٦ ، وبغية الوعاة ٤٢٠ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٩٢ .
(٤) ٢٥٧/ب و٢٧٣/أ ، و٢٨٨/ب ، و٢٩٦/أ وغيرها .
(٥) ١/ ٤١ ، و ٥٢١ .

(١٤) بشر بن موسى بن صالح ، أبوعلى الأسدى[١] (١٩٠—٢٨٨هـ)

امام ، محدث ، ثقة ، ثبت ، أمين ، عاقل ، ركين ، جليل مشهور ، قديم السماع . سمع هوذة بن خليفه البكراوى ، والحسن بن موسى الأشيب ، والأصمعى ، وغيرهم . وروى عنه محمد بن مخلد وأبو بكر بن الأنبارى ومحمد بن العباس بن نجيح .

يروى عنه ابن الأنبارى فى الوقف والابتداء[٢] ، والأضداد[٣] .

(١٥) أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان ، أبوالعباس الأنبارى[٤] :

مقرئ ، ومحدث ، وهو عم القاسم بن محمد بن بشار والد أبى بكر ، قرأ على الفضل بن يحيى الأنبارى ، وقرأ عليه ابن أخيه القاسم بن محمد الأنبارى ، وحدث عن عبد الأعلى بن حماد النرسى .

وروى عنه ابن ابن أخيه أبو بكر بن الأنبارى ، وقرأ عليه ابن أخيه القاسم بن محمد الأنبارى .

يروى عنه أبو بكر القراءة بوساطة أبيه فى الوقف والابتداء[٥] ، ولم أجد ه يروى عنه الحديث فى مؤلفاته التى وصلت الينا بالرغم من إشارة الخطيب البغدادى الى ذلك .[٦]

وفيما عدا هؤلاء ، ترد فى مؤلفات ابن الأنبارى أسماء كثير من العلماء الذين يروى عنهم روايات مختلفة فى مختلف المجالات وأهم هؤلاء :

محمد بن عثمان بن محمد ، أبو جعفر العبسى[٧] (ت ٢٩٧هـ) ، وعبد الله بن الحسن الحرانى ، أبو شعيب المؤدب[٨] (٢٠٦— ٢٩٥هـ) ،

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٨٦—٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١١—٦١٢ ، والجرح والتعديل ١/ ١/ ٣٦٧ ، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٦ .
(٢) ١/ ٤ ، ١٤ ، و١٥ ، و٢٣ . (٣) ٢٣٩ ، ٢٤٩ .
(٤) انظر تاريخ بغداد ٤/ ٥٢ ، وغاية النهايه ١/ ٤٠ .
(٥) ١/ ١١٣ . (٦) تاريخ بغداد [illegible]
(٧) انظر تاريخ بغداد ٣/ ٤٢—٤٧ ، وانساب السمعانى ٨/ ٣٦٦—٣٦٧ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٦٤٢ — ٦٤٣ .
(٨) انظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٥— ٤٣٧ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٠٦ ، ولسان الميزان ٣/ ٢٧١ .

وعبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ، أبو شبيل الختلي الواقدي[١] (ت ٢٩٨هـ) ، وأحمد بن فرح — بالحاء المهملة — بن جبريل البغدادي المفسر ، أبوجعفر الضرير[٢] (ت ٣٠٣هـ) ، ومحمد بن عيسى بن محمد البياضي ، أبو علي الهاشمي[٣] (ت ٢٩٤هـ) ، ومحمد بن غالب بن حرب الضبي التمار ، أبو جعفر التمتام[٤] و ١٩٣٠ — ٢٨٣هـ) ، ومحمد بن أحمد بن البراء ، أبوالحسن العبدي القاضي[٥] (ت ٢٩١هـ) ، وموسى بن محمد بن عبد الله ، أبو عمران الخياط ،[٦] وأحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن الأسدي[٧] ، (ت ٣٠٧هـ) ، وأحمد بن سهل بن الفيرازان الأشناني ، أبو العباس[٨] ( ت ٣٠٧هـ) ، ومحمد بن يحيى بن سليمان ، أبو بكر المروزي[٩] ( — ٢٩٨هـ) ، ومحمد بن هارون التمار ، أبو بكر[١٠] ( توفي بعد سنة ٣١٠هـ) ، وعبد الله بن محمد بن ناجية بن أبومحمد البربري[١١] (ت ٣٠١هـ) ، ومحمد بن خالد بن عثمة الحنفي البصري[١٢] وعبيد[١٣] بن عبد الواحد بن شريك ، أبومحمد البزاز[١٤] (ت ٢٨٥هـ) ، وخلف بن عمرو بن عبد الرحمن ، أبومحمد العكبري[١٥]

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٠ / ٣٤٠ ، وغاية النهاية ١ / ٤٨٩ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ٤ / ٣٤٥ — ٣٤٦ ، والعبر ٢ / ١٢٥ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٦٣ وغاية النهاية ١ / ٩٥ — ٩٦ .

(٣) انظر تاريخ بغداد ٢ / ٤٠١ ، وأنساب السمعاني ٢ / ٣٨٤ — ٣٨٥ ، ووفيات الأعيان ٥ / ١٩٩ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٤٣ — ١٤٦ ، وأنساب السمعاني ٣ / ٧٥ — ٧٦ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٦١٥ .

(٥) انظر تاريخ بغداد ١ / ٢٨١ — ٢٨٢ ، والمنتظم ٦ / ٤٧ ، وغاية النهاية ٢ / ٥٦ .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٣ / ٥٢ . (٧) انظر تاريخ بغداد ٥ / ٤٢ — ٤٣ .

(٨) انظر تاريخ بغداد ٤ / ١٨٥ ، وغاية النهاية ١ / ٥٩ — ٦٠ ، وشذرات الذهب ٢ / ٢٥٠ .

(٩) انظر تاريخ بغداد ٣ / ٤٢٢ — ٤٢٣ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٥١٠ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٣ .

(١٠) انظر غاية النهاية ٢ / ١٧١ — ٢٧٢ ، والنشر ١ / ١٨٧ .

(١١) انظر تاريخ بغداد ١٠ / ١٠٤ — ١٠٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٦٩٦ — ٦٩٧ ، والنجوم الزاهرة ٣ / ١٨٤ .

(١٢) انظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣ / ١٣٨ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ١٤٢ — ١٤٣ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٣٤ .

(١٣) في بعض المصادر عبيد الله ، وفي بعضها عبد الله والاختيار من تاريخ بغداد والمنتظم .

(١٤) انظر تاريخ بغداد ١١ / ٩٩ — ١٠٠ ، والمنتظم ٦ / ٨ — ٩ ، والمشتبه ١ / ٧١ .

(١٥) تاريخ بغداد ٨ / ٣٣١ — ٣٣٢ ، والمنتظم ٦ / ٨٤ ، وشذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ .

(ت ٢٩٦هـ) ، وأحمد بن سعيد بن على، أبو بكر الجزار[١] (ت ٣١٥هـ) ، والحسن بن عبد الوهاب بن أبى العنبر، أبومحمد[٢] (ت ٢٩٦هـ) ، والحسن بن على بن شبيب المعمرى ، أبو على[٣] (ت ٢٩٥هـ) ، ومحمد بن الحسين بن شهريار ، أبوبكر القطان[٤] (ت٦/ ٣٠٥هـ) ، ومحمد بن أحمد بن محمـــد المقدمى ، أبو عبد الله[٥] (ت ٣٠١هـ) ، وغيرهم كثير .

وكل هؤلاء لقيهم ابن الأنبارى ، وسمعهم ، وروى عنهم .

نخـرج من العرض السابق لشيوخه ، ولأشهر العلماء الذين أكثـــر الرواية عنهم فى مؤلفاته ، ببعض الملاحظات ومنهـــا :

١ــ أن أقـــدم شيوخه هو أحمد بن الهيثم ، وإسماعيل بن إسحاق القاضى فقد توفى الأول سنة (٢٨٠هـ) ، وتوفى الثانى سنة (٢٨٢هـ) .

٢ــ وأن أباه القاسم من شيوخه الذين تأخرت بهم سنة الوفاة ، بل هو آخرهم، فقد توفى سنة (٣٠٤هـ) وليس فى شيوخه ، من توفى فى هذه السنـــة أو بعدها ، ويليه يموت بن المزرع وقد توفى قبل القاسم بسنة .

٣ــ وأن أبا بكر اتصل بشيوخه فى سن مبكرة ، على نحو ما نلاحظ من سنوات وفياتهم ، فقد توفى ستة منهم قبل سنة (٢٨٨هـ) أى قبل أن يبلغ أبوبكر سبع عشرة سنة من عمره على أن فيهم من توفى قبل أن يبلغ العاشرة .

٤ــ وأن مدة تلمذته عليهم بلغت حوالى أربع وعشرين سنة ، وهذه مدة طويلة بالنسبة لعمره القصير ، وهى تعادل مايقرب من نصف عمره الا قليلا .

٥ــ وأن شيوخه الأساسيين ــ غير أبيه ــ من المتقدمين فى الوفاة ، وآخرهم وفاة هو ثعلب وقد توفى فى سنة (٢٩١هـ) ، وهذا يعنى أن ابن الأنبارى عـــاش بعده بسبع وثلاثين سنة .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٤/ ١٧٢ .
(٢) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٣٩ــ ٣٤٠ ، والمنتظم ٦/ ٨٣ .
(٣) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٩ــ٣٧٢ ، وميزان الاعتدال ١ /٥٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٧ــ ٦٦٨ .
(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٢ــ٢٣٣ ، ولسان الميزان ٥/ ١٣٧ ، وغاية النهاية ٢ /١٣٠ــ ١٣١
(٥) انظر تاريخ بغداد ١/ ٣٣٦ــ ٣٣٧ ، والمنتظم ٦/ ١٢٦ .

٦— وأنهم جميعـــا من الثقـات(١) .

٧— وأن معظمهم من المحدثين والمقرئيين .

٨— وأخيرا نلاحظ أن شيوخه الأساسيين كلهم ممن برعوا فى اللغة والنحـــو، فأبوه لغوى ، وكان صاحب عربية(٢) ، مهتما بالغريب ، وثعلـــــب من أشهر اللغويين الكوفيين ، وقد انتهت اليه رياسة الدرس اللغـــوى الكوفى فى زمانه ، وكان اسماعيل ابن اسحاق "عالما باللغة والنحو"(٣) ، وكان من نظـــراء المبرّد فيهما — كما تقدم — وأما الكديمى فهـــو ممن أخذ اللغة عن كبار الأئمة كالأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد .

ومن هنا يمكن القول بأن شيوخـــه البارعين فى اللغة هـــم أســاس اهتمامه بالدراسة اللغوية واشتهاره فيها .

---

(١) ضعف من شيوخه الكديمى فى الحديث فقط ، ويرى بعض المحدثين أنه ثقه انظر المنتظم ٦/٢٢ .
(٢) بغية الوعاة ٣٨٠ .
(٣) معجم الأدبـــاء ٢/٢٥٨ .

## ١٠ ـ تلاميـــــــــــذه

ليس غريبا أن يتبوأ أبو بكر بن الأنبارى مقعد الأستاذية فى حياة أبيـــه ـ وهو أستاذه ـ وأن يجلس للاملاء فى ناحية من المسجد فى حين كان أبـوه يجلس مملليا فى ناحية أخرى منه (١) فهو ـ على هذه الصورة ـ أستاذ ، له تلاميذه الذين يكتبون عنه ، وأبوه كذلك أستاذ ، له تلاميذه الذين يكتبون عنه ، وهـــذه حقيقة نص عليها معظم المترجمين ، بل كان هو "أفضل من أبيه وأعلم "(٢) ، على نحو ماقرره ابن النديم ، ولذلك فقد "كان يجتمع فى حلقته وجوه الحضـــرة من أولاد الوزراء والكتاب والأمراء والأشراف "(٣) .

وقد اختار أبو بكر لنفسه طريقة الاملاء فى التدريس ،وكانت هذه أعلـــى مراتب التعليم آنذاك ـ حسب رأى السيوطى (٤) ـ وهى طريقة أئمة اللغة ، قـــال القفطى : " وكان يملى من حفظه لا من كتاب ، وكانت عادته فى كل مايكتب عنه من العلم هكذا : فى كتبه المصنفه ، وأماليـــه المشتملة على الفوائد اللغويـــة والنحوية ، والأخبـــار ، والتفاسير ، والأشعار "(٥) .

وقد برع أبو بكر فى التأليف ، وسمع عليه فى حياة أبيـــه أيضـــا (٦) .

ومن المهم هنا تحديد بداية جلوس أبى بكر للاملاء ، وبداية سمـــاع تلاميذه عليه ، ولا أرانى أجد كبير عناء فى هذا التحديد فقد كفانيه الزبيـــدى اذ حـــدد أن ذلك كان فى سنة ثلاثمائة (٧) ، أى فى أواخر حياة أبيـــه ، وكان عمر أبى بكر اذ ذاك تسعا وثلاثين سنة ، وهذا يعنى أنه لم يتبوأ مقعـــد الأستاذية الا بعد سنوات طويلة من الأخـــذ والتلقى ، حيث توفى معظم شيوخه ،

---

(١) مرآة الجنان ٢/٢٩٤ .
(٢) الفهرست ٨٢ .
(٣) المنتظم ٦/٣١٥
(٤) المزهـــر ١/١٤٥ .
(٥) انباه الرواة ٣/٢٠٢ .
(٦) طبقات النحويين واللغويين ٢٢٨ .
(٧) نفســـه ٢٢٨ .

ولم يبق منهم بعد هذه السنة إلا اثنان أحدهما من شيوخه الأساسيين وهو أبوه ، والآخر من الثانويين وهو الحسن بن حباب ، وقد توفى الأول بعد ذلك بأربع سنوات ، وتوفى الثانى بعده بسنة واحدة .

وبقى أبوبكر على أستاذيته بعد ذلك طوال الثمانية والعشرين سنة المتبقية من حياته — لأنه توفى سنة (٣٢٨هـ) — وهذه مدة طويلة ، أتيح فيها لكثير من طلاب العلم أن يتتلمذوا عليه ، وقد وصفت هذه الكثرة فى كتب التراجم تاره بأنها "عالم" من الأئمة فى زمانه (١) ، وتارة بأنها "جماعة كثيرة" (٢) ، وثالثه بأنها "خلائق" (٣) ، ورابعه بأنها "خلق كثير" (٤) ، وكل هذه الأوصاف تدل على كثرة عدد تلاميذه .

وسوف أشير هنا بايجاز الى أبرز هؤلاء التلاميذ ، مقتصرا على مجرد ذكر أسماء آخرين منهم .

(١) إسماعيل بن القاسم بن عيذون (٥) ، أبو على القالى البغدادى (٢٨٠ — ٣٥٦هـ) (٦) :

وهو من أئمة اللغة والنحو ، ومن أحفظ أهل زمانه للغة خاصه ، وأرواهم للشعر (٧) ، وكان متقدما فى علومه ، متقنا لها ، فاستفاد منه الناس ، وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله (٨) .

رحل إلى بغداد سنة (٣٠٣هـ) ، فأخذ فيها عن أكابر شيوخها آنذاك كابن دريد ، وابن الأنبارى ، وابن درستويه ، ونفطويه ، وغيرهم (٩) . وترك بغداد قاصدا المغرب فى سنة ٣٢٨هـ — وهى السنة التى توفى فيها أستاذه أبوبكر بن الأنبارى — ومنها — رحل إلى الأندلس (١٠) ، وهناك صنف كتبه ، وانتشر علمه ، فذاع صيته .

---

(١) أنباه الرواة ٣/٢٠١ .
(٢) النجوم الزاهرة ٣/٢٦٩ .
(٣) غاية النهاية ٢/٢٣١ .
(٤) طبقات النحاة واللغويين ، لابن شهبة ٢٣٣ .
(٥) عيذون : بعين مهملة وياء ساكنه بعدها واو ساكنة ثم نون ، انظر بغية الوعاة ١٩٨
(٦) انظر طبقات النحويين واللغويين ٢٠٢ — ٢٠٥ وانباه الرواة ١/٢٠٤ — ٢٠٩ وبغية الملتمس ٢١٦ — ٢١٩ ومعجم الادباء ٢/٣٥١ — ٣٥٤ ، ووفيات الأعيان ١/٢٢٦ — ٢٢٨ ، وبغية الوعاة ١٩٨ .
(٧) بغيه الملتمس ٢١٧ .
(٨) نفسه ٢١٧ .
(٩) بغية الوعاة ١٩٨ .
(١٠) بغية الملتمس ٢١٧ .

أشهر مؤلفـــاته : "الأمالى" ، و"البارع" ( فى اللغة ) ، و"المقصـــور والممدود" ، و"فعلت وأفعلت" (١) ، و"النوادر" و"شرح المعلقات" (٢) .

ويمكن تحديد بداية تلمذة القالى على ابن الأنبارى بحدود سنة ( ٣٠٥هـ ) ، وهى السنة التى استقر فيها ببغداد ، وأما سنة (٣٠٣هـ) التى تحدد بأنها أول سنة دخل فيها بغداد ، فاننا لا يمكننا اعتمادها بداية لاتصاله بـــه وذلك أنه لم يقم فيها ببغداد بل مربها متجها الى الموصل حيث أقام بها سنتين لسماع الحديث من أبى يعلى الموصلى ، رجع بعدهـــا فى سنة (٣٠٥هـ) إلـــى بغداد حيث استقر فيها إلى سنة (٣٢٨هـ) (٣) .

وأما فروع العلم التى أخذها عنه ، فقد نص هو على أنه سمع منه "اللغـــة والأخبار" (٤) ، كما ذكر ابن خلكان أنه أخذ عنه الأدب (٥) ونقل السيوطى أنـــه "قرأ النحو والعربية والأدب على ابن الأنبارى وغيره" . وأشار ابن الجزرى إلى أنه أخذ عنه القراءة (٧) . ومن مجموع هذه النصوص ومن مراجعة روايات القالـــى فى كتبه عن أبى بكر يتأكد لدينا أنه أخذ عنه اللغة والنحو والأدب والأخبـــار والقراءة .

ويروى القالى عن أبى بكر بن الأنبارى بكثرة ، فى كتابيه : "الأمالـــى" (٨) ، و"النوادر" (٩) ، حتى قيل انه اعتمد فى أماليه على ابن دريد وابن الأنبـــارى اعتمادا أساسيا (١٠)

---

(١) انباه الرواة ١/ ٢٠٥ — ٢٠٦ .
(٢) بغية الوعاة ١٩٨ .
(٣) انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦ — ٢٢٧ .
(٤) انباه الرواة ١/ ٢٠٧ ، طبقات النحويين واللغويين : ٢٠٤ .
(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦ .
(٦) بغية الوعاة ١٩٨ .
(٧) غاية النهاية ٢/ ٢٣١ .
(٨) انظر مثلا : ١/ ٥٤ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، و٢/ ٢٤ ، ٩٩ ، ١٧٦ وغيرها كثير .
(٩) انظر مثلا : ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢١٠ وغيرها كثير .
(١٠) المعجم العربى وتطوره ١/ ٢٩٨ .

ودرس على أبى بكر طائفة كبيرة من كتب اللغة والأدب، فمن مؤلفات ابن الأنبارى التى سمعها منه: كتاب "الزاهر"[١]، و"أخبار ابن الأنبارى"[٢].

كما قرأ عليه مجموعة كبيرة من مؤلفات ابن السكّيت اللغوية ومنها: "إصلاح المنطق"[٣] و"الألفاظ" وقرأه عليه فى سنة (٣٢١هـ)[٤]، و"القلب والابدال"[٥]، و"الأصوات"[٦]، و"الورق"[٧] و"خلق الانسان"[٨]، و"معانى الأبيات"[٩]، و"النبات"[١٠]، والأضداد"[١١]. وقرأ عليه من كتب الكوفيين أيضا "البهىّ" فى النحو[١٢] للفراء، و"الغريب المصنف"، للقاسم ابن سلام، وقرأه فى أربعة أعوام، من سنة (٣١٧–٣٢١هـ)[١٣]، و"اختيار فصيح الكلام"، لثعلب[١٤]، و"الفضليات" بشرح أبيه[١٥]، و"خلق الانسان"[١٦]، و"الفرق"، لثابت بن أبى ثابت[١٧]، و"المثلثات لقطرب"[١٨]، و"الأجناس" لأبى نصر أحمد بن حاتم[١٩]، وغيرها.

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٤١.
(٢) نفسه ٣٩٨.
(٣) نفسه ٣٣٠.
(٤) نفسه ٣٢٩.
(٥) نفسه ٣٨١.
(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) نفسه ٣٨٢.
(١٢) نفسه ٣١١ – ٣١٢.
(١٣) نفسه ٣٢٧– ٣٢٨، وأمالى القالى ١/ ١٢١.
(١٤) فهرسة ابن خير ٣٣٦.
(١٥) نفسه ١٩٠– ١٩١، ٣٩٥.
(١٦) نفسه ٣٦٤ – ٣٦٥.
(١٧) نفسه ٣٨٢.
(١٨) نفسه ٣٦٢.
(١٩) نفسه ٣٨١.

ولا شك أن هذه القائمة تؤكد طول المدة التي قضاها أبوعلي القالي في صحبة شيخه أبي بكر، وخاصة إذا علمنا أن واحدا من تلك الكتب قضى في قراءته أربعة أعوام كما نص هو عليه محددا باليوم والشهر والسنة (١). وأرجح أنه بقي مع شيخه إلى وفاة الشيخ سنة (٣٢٨هـ) ثم رحل بعدها الى المغرب فالأندلس.

وأخيرا ألاحظ أن هناك اتفاقا بين القالي وأستاذه ابن الأنباري من عدة وجوه أهمها اشتراكهما في صفات الأمانة والتوثيق والصدق والمقدرة على الحفظ والاتقان والدقة، والاحاطة باللغة ومعرفة علل النحو، والقدرة الواسعة على رواية الشعر، والتشابه في بعض وجوه التأليف كالأمالي والمقصور والممدود، وشرح المعلقات، حيث ألف كلاهما في هذه الموضوعات.

وبالطبع لا يشترط أن يكون القالي قد اكتسب هذه الصفات من أبي بكر ولكن من المحتمل جدا أن يكون لأستاذه ابن الأنباري أثر عليه في اكتساب كثير منها، وخاصة أنه قضى معه سنوات كثيرة تربو على العشرين.

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله الهمذاني[٢] (ت. ٣٧٠هـ): وهو أيضا من كبار أهل اللغة والعربية، عالم بالأدب بصير بالقراءة[٣]، ثقة، استوطن حلب، واختص بسيف الدولة[٤]، وغيره من الحمدانيين.

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٢٨.

(٢) انظر الفهرست ٩٢، ونزهة الألباء ٣١١ـ ٣١٢، وانباه الرواة ١/ ٣٢٤ـ٣٢٧، ومعجم الأدباء ٤/ ٤ـ٦، وبغيه الوعاة ٢٣١ـ٢٣٢، وفي انباه الرواة اسمه الحسين بن أحمد، ولا يتفق معه إلا ابن مكتوم في تلخيصه.

(٣) معجم الأدباء ٤/ ٤.

(٤) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، مؤسس الدولة الحمدانية بحلب، وهو ممدوح المتنبي وكان بطلا شجاعا عارفا بالأدب، جوادا ممدوحا، اشتهر بالكرم واستقطاب العلماء والادباء، توفي سنة (٣٥٦هـ). انظر شذرات الذهب ٣/ ٢٠ـ٢١ والاعلام ٥/ ١١٨ـ١١٩.

رحل اليه الناس من مختلف الأقطار، فانتشر علمه . أخذ عن أبى بكر بن الأنبارى وابن دريد وأبى عمر الزاهد وغيرهم ، وعنه المعافى بن زكريا النهروانى[١] وغيره .[٢]

أشهر مؤلفاته كتاب "ليس فى كلام العرب " ، و"المقصور والممدود " ، و" الذكر والمؤنث" و"أسماء الأسد "[٣] . توفى بحلب[٤] ويبدو أن أول اتصاله بأبى بكر كان ( سنة ٣١٤هـ) وهى السنة التى دخل فيها بغداد طالبا للعلم.[٥]

واذا تتبعنا فروع العلم التى أخذها ابن خالويه عن أستاذه ابن الأنبارى فسنجد أنه أخذ عنه النحو، والأدب[٦] ، والقراءة[٧] ، كما نصت عليه بعض المصادر .

وهو يروى عنه فى مواضع كثيرة من كتابه " القراءات الشاذة "[٨] ، ويروى عنه فى "اعراب ثلاثى سورة من القرآن".[٩]

( ٣ ) أحمد بن محمد بن اسماعيل ، أبو جعفر النَحاس النحوى المصرى[١٠] ( ت ٣٣٧هـ) :

نحوى ، لغوى عالم بالأدب[١١] ، والفقه ، والقرآن[١٢] ، مصرى الأصل ، رحل الى بغداد فأخذ فيها عن الزّجاج وابن الأنبارى ، ونفطويه ، وأمثالهم[١٣] ، وقضى فيها زمنا ، ثم رجع الى مصر فأقام بها إلى أن مات.[١٤] وكان بخيلا ، مقترا على نفسه[١٥] ، له مؤلفات حسان ، قيل انها زادت على الخمسين كتابا[١٦] ،

---

( ١ ) كان عالما باللغة ، والنحو، والفقه ، والأخبار، والأشعار . ثبتا ، ثقة ، توفى سنة ( ٣٩٠هـ) ، وله كتاب" الجليس الأنيس" ، و" التفسير الكبير" . انظر بغيه الوعاة ٣٩٤ — ٣٩٥ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٢٥٩ .

( ٢ ) بغية الوعاة ٢٣١ . ( ٣ ) انباه الرواة ١ / ٣٢٥ .

( ٤ ) الفهرست ٩٢ . ( ٥ ) بغية الوعاة ٢٣١ .

( ٦ ) معجم الأدباء ٤ / ٤ . ( ٧ ) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .

( ٨ ) انظر مثلا ص ٢٤ ، ٣٤ ، ١١٧ ، ١٦٣ وغيرها (٩) انظر مثلا ص ٣٥ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ وغيرها .

(١٠ ) انظر طبقات النحويين واللغويين ١٤٩ — ١٥٠ ، ونزهة الألباء ٢٩١ — ٢٩٢ ، وانباه الرواة ١ / ١٠١ — ١٠٤ ، ومعجم الأدباء ٢ /٧٢— ٧٤ ، ووفيات الأعيان ١ /٩٩ وبغية الوعاة ١٥٧ والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٢ .

( ١١ ) البداية والنهاية ١١ / ٢٢٢ . ( ١٢ ، ١٣ ) انباه الرواة ١ / ١٠١

( ١٤ ) معجم الأدباء ٢ / ٧٢ . ( ١٥ ) بغية الوعاة ١٥٧ .

( ١٦ ) معجم الادباء ٢ / ٧٣ .

ومعظمها في علوم القرآن والنحو، وأشهرها : " معاني القرآن" ، و"اعراب القرآن"، و" تفسير آبيات سيبويه"، و" شرح القصائد التسع المشهورات".(١)

وأما المادة التي أخذها عن ابن الأنباري فهي النحو كما نص عليه كل من ابن خلكان (٢) وابن كثير (٣) . كما ينقل عنه في شرح القصائد التسع المشهورات إلا أنه لا يصرح بذلك ، ومن يوازن بين شرح القصائد السبع الطوال وشرح القصائد التسع المشهورات يجد تشابها كبيرا بينهما .(٤)

( ٤ ) محمد بن عزيز(٥) العزيزي ، أبوبكر السجستاني(٦) (ت ٣٣٠هـ) :

مفسر ، لغوي ، أديب ، أقام ببغداد(٧) ، وكان فاضلا ، صالحا متواضعا .(٨)

وصنف غريب القرآن(٩) وأجاد فيه ، ويقال إنه صنفه في خمس عشر سنه ، وكان يقرؤه على شيخه أبي بكر بن الأنباري ، فكان يصلح له فيه مواضع(١٠) ، ويخبره بالشيء فيزيده فيه (١١) .

نفهم من هذا أن العزيزي لازم أبا بكر مدة طويلة أقلها خمس عشرة سنه ، وقد وصفه ابن خالويه بأنه من غلمان ابن الأنباري ، وهذا الاختصاص في الوصف بابن الأنباري لا شك أنه يؤكد طول الملازمة .

---

( ١ ) انظر بغية الوعاة ١٥٧ .
( ٢ ) وفيات الأعيان ١/ ١٠١ .
( ٣ ) البداية والنهاية ١١/ ٢٢٢ .
( ٤ ) للموازنة بين الشرحين انظر مثلا شرح ابن الانباري ص٦٣ وشرح ابن النحاس ١٤٥، وابن الأنباري ٦٨، وابن النحاس ١٥٢، وابن الأنباري ٧١، وابن النحاس ١٥٤، وابن الانباري ١٠٩ وابن النحاس ٢٠٠ وسيأتي الكلام عنهما .
( ٥ ) اختلف في اسم أبيه هل هو بالراء المهملة أو بالزاي المعجمة ، وما أثبته هو رأي الزبيدي والسيرز أبادي . انظر مادة (عزز) في تاج العروس والقاموس المحيط.
( ٦ ) انظر نزهة الألباء ٣١٤، واللباب ٢/ ١٣٥، والوافي بالوفيات ٤/ ١٩٥، وبغية الوعاة ٧٢—٧٣، والاعلام ٧/ ١٤٩—١٥٠، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٩٢ .
( ٧ ) بغية الوعاة ٧٣، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٩٢ .
( ٨ ) بغية الوعاة ٧٣ .
( ٩ ) نشر محمد علي صبيح هذا الكتاب مختصرا في سنة ١٩٦٣م ، وهو تفسير لغوي لا يذكر فيه ابن الانباري ولا غيره من اللغويين والمفسرين.
( ١٠ ) نزهة الألباء ٣٢٤، وبغية الوعاة ٧٣ .
( ١١ ) فهرسة ابن خير ٦٣ .

( ٥ ) عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندى ، أبوالقاسم الزجاجى[١] (ت. ٣٤٠هـ) :

نحوى ، لغوى ، أخذ عن أبى إسحاق إبراهيم الزجاج ، وأبى بكر ابن السراج ، وعلى بن سليمان الأخفش ، وأبى بكر بن الأنبارى وغيرهم.[٢] اشتهر بكتابه " الجمل " ومن مؤلفاته أيضا كتاب " الايضاح " ، واللامات" ، و"الكافى " و " الأمالى " وغيرها [٣] .

وقد ذكر الزجاجى فى كتابه " الإيضاح فى علل النحو" أبابكر بن الأنبارى ضمن شيوخه الذين لقيهم ، وقرأ عليهم شفاها .[٤]

وكان مخالفا لأستاذه أبى بكر فى مذهبه النحوى ، فقد كان يميل الى المذهب البصرى ، ولذلك كان يناقشه بجرأة وفى غير حرج ، على نحو ما نراه من المسألة التى جرت بينهما فى أصل الاشتقاق ، وقد أثبتها فى كتابه " الايضاح "[٥] ، ولم يرو عنه فى غير هذا الكتاب[٦] مما بين أيدينا من مؤلفاته المطبوعة .

( ٦ ) أحمد بن محمد بن الفضل الجراح ، أبو بكر الخزاز[٧] (ت ٣٨١هـ) :

محدث ، أديب ، ثقة ، صدوق ، فاضل ، دين ، كثير الكتب ، حسن الحال ، ظاهر الثروة [٨] . أخذ عن ابن دريد ، وابن السراج وابن الأنبارى [٩] ، ومحمد بن هارون الخضرمى [١٠] وغيرهم. وروى عنه أبوالعلاء الواسطى وأبو القاسم التنوخى والحسن بن على الجوهرى [١١] وغيرهم.

---

( ١ ) انظر الفهرست ٨٧ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٢٧ ، ونزهة الألباء ٣٠٦ ، وانباه الرواة ٢ / ١٦٠ ـ ١٦١ ، وبغية الوعاة ٢٩٧ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٥٧ والزجاجى نسبة الى شيخه الزجاج .

( ٢ ) بغية الوعاة ٢٩٧ . ( ٣ ) نفسه ٢٩٧ .

( ٤ ) انظر الايضاح فى علل النحو ٧٨ ـ ٧٩ .

( ٥ ) ص ٦١ ـ ٦٣ . ( ٦ ) انظر الصفحات ٦١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٣٢ .

( ٧ ) انظر تاريخ بغداد ٥ / ٨١ ـ ٨٢ ، ومعجم الأدباء ٢ / ٧٨ ـ ٧٩ ، وانباه الرواة ٣ / ٢٠٢ ، والمنتظم ٧ / ١٦٥ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٤٢ .

( ٨ ) تاريخ بغداد ٥ / ٨٢ . ( ٩ ) معجم الأدباء ٢ / ٧٨ .

( ١٠ ، ١١ ) تاريخ بغداد ٥ / ٨٢ .

وصف بأنه "صاحب ابن الأنبارى"(١)، وهذا يدل ـ غالبا ـ على أنه لزمه مدة ليست بقليلة، مما أتاح له أن يروى عنه شيئا من مؤلفاته وقد نص على ذلك الخطيب البغدادى بقوله: "روى عن أبى بكر بن الأنبارى قطعة من مؤلفاته"(٢)، وقال ياقوت: "سمع أبابكر بن دريد وأبا بكر بن السراج، وأبا بكر بن الأنبارى وروى كثيرا من مصنفاتهم"(٣).

(٧) محمد بن العباس بن محمد بن زكريا الخزاز، أبوعمر بن حيويه(٤) (٢٩٥ـ٣٨٢هـ):
محدث، ثقه، صالح، دين(٥)، حسن السيرة، من أهل المروءة(٦)، سمع الكثير، وكتب طول عمره(٧). سمع عبد الله بن اسحاق المدائنى، ومحمد ابن خلف المزربان، ويحيى بن صاعد وغيرهم. روى عنه أبوبكر البرقانى والحسن بن محمد الخلال والأزهرى وغيرهم(٨).

اتصف ـ كما قال الخطيب البغدادى ـ برواية "المصنفات الكبار، مثل طبقات ابن سعد، ومغازى الواقدى، ومصنفات أبى بكر بن الأنبارى"(٩).

ويفهم من هذا أنه روى مجموعة من مؤلفات أبى بكر، ولم أتعرف على كتاب من هذه المجموعة غير "إيضاح الوقف والابتداء"، وذلك حسب السماع المذكور فى إحدى نسخه المخطوطة.(١٠)

(٨) زاهر بن أحمد السرخسى، أبوعلى(١١) (ت٣٨٩هـ):
مقرئ، فقيه، محدث، كان شيخ عصره بخراسان(١٢). أخذ

---

(١) معجم الأدباء ٥/٢٢٧.
(٢) تاريخ بغداد ٥/٨٢.
(٣) معجم الأدباء ٢/٧٨.
(٤) انظر تاريخ بغداد ٣/١٢١ـ١٢٢، وأنساب السمعانى ٥/١١٤ـ ١١٥، والمنتظم ٧/١٧٠ ـ ١٧١، وغاية النهاية ٢/٧٨، والمشتبه ١/١٦١. و"حيويه": بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء وفتح الواو. انظر أنساب السمعانى ٤/٣٣٤.
(٥) تاريخ بغداد ٣/١٢١.
(٦) أنساب السمعانى ٥/١١٤.
(٧/٨/٩) تاريخ بغداد ٣/١٢١.
(١٠) انظر إيضاح الوقف والابتداء، المقدمة ١/٦٣.
(١١) انظر معجم البلدان ٣/٧٢، وتبيين كذب المفترى ٢٠٦، وطبقات الشافعيه للأسنوى ٢/٢٦ـ٢٧، وغاية النهاية ١/٢٨٨، والسرخسى: بسين وراء مهملتين ثم خاء معجمة ساكنة ـ وقيل مفتوحة ـ فياء النسب. انظر معجم البلدان ٣/٧١.
(١٢) طبقات الشافعية للأسنوى ٢/٢٧.

الفقـــه عن أبي إسحاق المروزي[١] ، وتعلم الأدب من أبي بكر بن الأنبـــــاري[٢] ، وسمع الحديث من أبي لبيد محمد بن ادريس وأقرانه[٣] . رحل إلى العـــــراق في سنه خمس عشرة وثلاثمائة ، وانصرف منها إلى نيسابور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة[٤] . وهذا يعني أنه بدأ يجلس إلى أبي بكر من سنة خمس عشرة وثلاثمائة أو بعدها .

كان هؤلاء أظهر تلاميذ أبي بكر بن الأنباري ، وسوف أكتفي فيما يلـــي بسرد أسمـــاء طائفة من تلاميذه الآخرين ، ممن رووا عنه ، ولم تشر المصادر — الا نادرا — إلى مادة أخذهم عنه ، وحدود التزامهم به ، وجلوسهم اليه ، ومتابعتهم لدروسه ومؤلفاته ، وأشهر هـــــؤلاء هم :

علي بن عمر ، أبو الحسن الدارقطني[٥] ، وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب أبو الحسين بن البواب[٦] ، ومحمد بن عبد الله بن الحسين ، أبو الحسين الدقاق المعروف بابن أخي ميمي[٧] ، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكـــــــري[٨] ، وأبو سعيد الدبيلي[٩] ، وعبد الواحد بن أبي هاشم[١٠] ، وأحمد بن نصر الشذائي[١١] ، وأحمد بن عبد العزيز بن موسى ، المعروف بابن بدهن[١٢] ، وعبد الله بن الحسين السامري[١٣] ، وصالح بن ادريس بن صالح البغدادي[١٤] ، وابراهيم بن علي بن سيبخت[١٥] ،

---

(١) طبقات الشافعية ، للأسنوي ٢ / ٢٦ — ٢٧ .
(٢) المنتظم ٧ / ٢٠٧ .
(٣) معجم البلدان ٣ / ٧٢ .
(٤) تبيين كذب المفتري ٢٠٦ ، و ٢٠٧ .
(٥) انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ ، وأنساب السمعاني ١ / ٣٥٤ ، ومعجم الأدباء ٧ / ٧٣ ، وروضات الجنات ٦٧٨ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٤٢ وغيرها .
(٦) انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ ، وأنساب السمعاني وانباه الرواة ٣ / ٢٠٣ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .
(٧) انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ ، وانباه الرواة ٣ / ٢٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٤٢ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٣٠ — ٢٣١
(٨) يروى عن ابن الأنباري في بعض مؤلفاته وهو غير أبي هلال ، انظر مثلا كتابه التصحيف والتحريف ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٦ والمصون ٢٦ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٩٤ وغيرها .
(٩) سمع من ابن الأنباري مجالس في اللغة والنحو والأخبار انظر الفهرست ٨٢ .
(١٠) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٤٢ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .
(١١) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٤٢ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .
(١٢) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣ .
(١٣) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣٠ .
(١٤) انظر فهرسة ابن خير ٤٥ وغاية النهاية ٢ / ٢٣١ .
(١٥) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣١ .

وعبد العزيز بن عبد الله الشعيرى (١) ومحمد بن أحمد الكاتب (٢) ( شيخ الدانى)، واسماعيل بن سعيد بن محمد بن سويد المعدل (٣)، وأبو الفضل بن المأمون (٤)، وطالب بن عثمان بن محمد الأزدى النحوى (٥)، وعلى بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهانى (٦)، ومحمد بن أحمد بن طالب (٧)، ومحمد بن عمران المرزبانى (٨)، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى (٩)، وحمزه بن الحسن الأصفهانى (١٠)، ومحمد بن سليمان بن محمد الصعلوكى (١١)، وعبيد الله بن محمد بن الجرانى (١٢)، والحسين بن محمد بن سليمان الكاتب (١٣)، وعلى بن محمد، أبو الحسن البديهى الشاعر (١٤)، ومحمد بن عبد الرحمن بن قريعة القاضى (١٥)، ومحمد بن عبد الله بن ابراهيم الجوخانى (١٦)، وأحمد بن محمد بن موسى بن الصلت (١٧)، والحسين بن محمد الأطروش الصيرفى (١٨)، وعبد الله بن القاسم الصواف (١٩)، وزيد بن رفاعة القاسانى (٢٠)، وأبو بكر محمد بن الحسن بن مأمون (٢١)، ومحمد بن محمد الدقاق (٢٢)، وأبو العباس عبيد الله بن أحمد الرازى (٢٣)، ومحمد بن عبيد الله شقير النحوى (٢٤)، وأبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق (٢٥)، وعمر بن محمد بن عمر الفياض (٢٦)، وغيرهم كثير.

---

(١) انظر فهرسة ابن خير ٤٥، وغاية النهاية ٢/ ٢٣١، والحلل السندسية ٣/ ١٣٢١.
(٢) طبقات النحاه واللغويين ٢٣٣ وغاية النهاية وفيه انه من أواخر الذين رووا عن ابن الأنبارى القراءة.
(٣) المنتظم ٧/ ٢٢٠، وطبقات الحنابلة ٢/ ٩٦، ومختصره (٢٢٨)، وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٣. (٤) انظر تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢، وانباه الرواة ٣/ ٢٠٢
(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٥–٣٦٦ ونزهة الألباء ٣٣٥، وانباه الرواة ٢/ ٩٢ ومعجم الادباء ٤/ ٢٧٤ وبغية الوعاة ٢٧١.
(٦) معجم الأدباء ٥/ ١٤٩، وقد روى أبو الفرج عن أبى بكر فى الاغانى أكثر من عشر مرات انظر مثلا ٢/ ٣٥، و٣/ ٢٣٩، و٤/ ٢٢ و٤٥ وغيرها.
(٧) معجم الأدباء ٦/ ٣٢٦. (٨) المنتظم ٧/ ١٧٧ ووفيات الاعيان ٤/ ٣٥٥.
(٩) طبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٧٧.
(١٠) الامثال العربيه القديمه ١٨٤، روى عن أبى بكر فى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف مرة واحدة ص ٦١. (١١) طبقات الشافعيه للسبكى ٣/ ١٦٨.
(١٢) المنتظم ٧/ ١٢٥. (١٣) المنتظم ٧/ ١٩٢ (١٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٨٣–٨٤.
(١٥) نفسه ٢/ ٣١٧، والعبر ٢/ ٣٤٥، وشذرات الذهب ٣/ ٦٠.
(١٦) معجم البلدان ٢/ ١٤٤. (١٧) العبر ٢/ ٨٩.
(١٨) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٣. (١٩) نفسه ٢٣٣.
(٢٠) نفسه ٢٣٣. (٢١) نفسه ٢٣٣.
(٢٢) معجم الادباء ٥/ ٢٩٣ المقابسات ٩٦، وأخلاق الوزيرين ٣٠٨.
(٢٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٨ (٢٤) انباه الرواة ١/ ٨٤ (٢٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥١
(٢٦) نفسه ١١/ ٢٥٦.

ويمكن أن نخرج مما سبق بالملاحظات التالية :

١ــ كثرة عدد تلاميذه والذين رووا عنه ، وقد يكون سبب ذلك شهرة أبى بكر فى الأوساط العلمية فى عصره ، وبراعته فى علمه ، مما دفع الناس أن يقبلوا عليه ، ويضاف إلى ذلك سبب آخر وهو طول المدة الزمنية التى قضاها فى الأستاذية ، وهى ثمانية وعشرون سنة ، على اعتبار أن بداية تصدره للتدريس والإقـــراء كانت سنة ثلاثمائة للهجرة ، كما حددها لنا الزبيدى (١) .

٢ــ اختلاف تخصصاتهم العلمية ، حيث يوجد فيهم اللغويون ، والنحاة ، والأدباء والأخباريون ، والمقرئون ، والمحدثون ، والفقهاء ، ونـــلاحظ أن النسبة الغالبة من هذه التخصصات هى اللغويون والنحاة .

٣ــ وأن معظمهم قدموا الى بغداد من أقطار أخرى لطلب العلم .

٤ــ وأن فيهم أئمة ، وبعضهم أعلام مشهورون كالقالى ، وابن خالويه ، والزجاجى ، وابن النحاس ، والدارقطنى ، وغيرهم .

٥ــ وأن معظم هؤلاء أخذوا عنه أكثر من مادة .

قالقالى مثلا أخذ عنه اللغة والنحو ، والادب ، والأخبار والقراءة .

وأخذ عنه ابن خالويه النحو والأدب والقراءة .

وأخذ عنه ابن النحاس النحو والأدب .. وهكذا .

٦ــ كما نلاحظ عليهم الاهتمام برواية مؤلفاته ، وبخاصة القالى الذى نقل علم أبى بكر ومؤلفاته الى الأندلس ، وأبو بكر بن الجراح ، وأبوعمر ابن حيويه ، وصالح بن ادريس ، وعبد العزيز الشميرى وغيرهم .

٧ــ وبالرجوع الى تراجم تلاميذه ، والذين رووا عنه نجد أن غالبيتهم من الثقات .

٨ــ وقد يكون القالى من أقدمهم ، إذ انه بدأ يأخذ عنه فى حدود سنة خمس وثلاثمائة كما تقدم .

٩ــ والسرخسى آخر تلاميذه وفاة ، وقد عاش بعده احدى وستين سنة ، وكانـــت وفاته فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٢٨ .

## ١١ــ وفاتـــــــــــه

فى وفاة أبى بكربن الأنبارى روايتـــــان ،

الأولى : أنه توفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وبها قال الزبيـــــــــدى[١]

فى إحدى روايتيه .

والثانية : أنه توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وبها قال الصولـــى[٢] وابن النديم[٣]،

والخطيب البغدادى[٤] وغالبية المترجمين .

وعندى أن الصحيح هو الرواية الثانية ــ أى القول بوفاته سنة (٣٢٨هـ)

ــ لمايأتى من الأسباب :

(١) أن القائلـــين بها هم الغالبية ، وقد أحصيت منهم مايزيد على ثلاثين عالما وفيهم مجموعة من متقدمى أصحاب التراجم كالمرزبانى[٥] وابن النديـــــم والخطيب البغدادى .

(٢) أن القائلين بالروايه الأولى قلة لا يتجاوز عددهم الستة حسب تتبعى للموضوع وهم : الزبيدى ، والقفطى[٦] ، وياقـوت[٧] ، وابن خلكان[٨] ، والسيوطى[٩] وابن الجزرى[١٠] .

(٣) وهـــؤلاء جميعا ــ بمافيهم الزبيدى ــ ذكروا الروايتين معا ، ولم يجزموا بالرواية الأولى دون الثانية ، بل إنهم ــ ماعدا الزبيدى ــ يقدمـــون الرواية الثانية على الأولى فى الذكـــر ، وهذا يرجح عندى ميلهم إلى الثانية

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٧٢ . (٢) أخبار الراضى والمتقى ١٤٤ .
(٣) الفهرست ٨٢ . (٤) تاريخ بغداد ٣/١٨٦ .
(٥) نور القبس المختصر من المقتبس ٣٤٥ .
(٦) انباه الرواة ٣/٢٠٧ .
(٧) معجم الأدباء ٧/٧٧ .
(٨) وفيـــات الأعيان ٤/٣٤٢ .
(٩) بغية الوعـــاة ٩٢ .
(١٠) غاية النهاية ٢/٢٣١ .

وربما أشار بعضهم الى مايفيد هذا الترجيح ، كما فعل القفطى فقد أورد الرواية الثانية أى القول بوفاته سنة (٣٢٨هـ) ، ثم ذكر الرواية الأولى وهى القول بوفاته سنة (٣٢٧هـ) ، وعلق عليها بقوله :

" وكأن الأول أثبت والله أعلم"(١) ، ويقصد بالأول سنة (٣٢٨هـ) .

(٤) ومما يرجح أنه توفى سنة (٣٢٨هـ) أن بعض المصادر نصت على أنه توفى عن سبع وخمسين سنة(٢) ، وقد تقدم أن مولده كان سنة (٢٧١ هـ) بلا خلاف ، وباضافة السبع والخمسين الى واحد وسبعين ومائتين يتأكد لدينا سنة وفاته بالتحديد وهى (٣٢٨هـ) .

(٥) وأخيرا فالرواية الثانيه أقوى وأوثق من غيرها بكثير ، وذلك لقرب مصدرها من ابن الأنبارى فقد نقلت عن طريقين :

أولهما : أبوعمر بن حيويه الخزاز المتوفى سنة (٣٨٢هـ) ، وهو تلميذ ابن الأنبارى .

وثانيهما : أبو بكر الصولى(٣) المتوفى سنة (٣٣٥هـ) ، وقد كان معاصرا لابن الأنبارى ، وعاش معه فى بلاط الراضى ، فى حين أن الرواية الاولى ليس لها سند ، ولا توثيق ، غير نقل الزبيدى المجرد من المصدر .

---

(١) انباه الرواة ٣/٢٠٧ .

(٢) انظر مثلا الصبر فى خبر من غبر ٢/٢١٤ ، وطبقات الحفاظ ٣/٨٤٤ ، ومرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، وشذرات الذهب ٢/٣١٥ وغيرها .

(٣) هو محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبوبكر الصولى ، أخبارى عالم بالآداب وطبقات الشعراء ، واسع الرواية حسن الحفظ ، توفى سنة ٣٣٥هـ بالبصرة . له : أدب الكاتب والأوراق ، وكتاب الشطرنج وغيرها . انظر : تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ — ٤٣٢ ، ونزهة الألباء ٢٧٣ — ٢٧٤ ، وانباه الرواة ٣/٢٣٣ — ٢٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢/١٠٥ — ١٠٦ .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الخلاف ليس أمرا خطيرا .

ويبدو أنه أرهق نفسه فى أواخر حياته بكثرة القراءة ، فأتعب جسمه ، وتكلف أمرا عظيما لا يطيقه الناس — كما قال له طبيبه — (١) فضعف وضعفت صحته ، ومرض أياما انقطع فيها عن الخروج إلى المسجد (٢) ، ثم توفى رحمه الله ، فى يوم عيد الأضحى (٣) ، فدفن فى داره ببغداد (٤) . وقد ذكر ابن الزيات أن تربة ابن الأنبارى تقع فى " القرافة " (٥) ، وهى مقبرة أهل مصر — كما قال ياقوت (٦) وكما فى القاموس المحيط (٧) — ولم يوافق ابن الزيات أحد على ذلك ، لأن ابن الأنبارى لم تكن له أصلا رحلة إلى مصر ، ولأن من عداه من أصحاب أجمعوا على أنه دفن بداره فى بغداد .

---

(١) المنتظم ٦/٣١٥ .
(٢) نفسه ٦/٣١٥ .
(٣) أخبار الراضى والمتقى ١٤٤ .
(٤) الفهرست ٨٢ .
(٥) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ١٤٦ .
(٦) انظر معجم البلدان ٤/٤٨ .
(٧) انظر مادة ( قرف ) .

## القسم الثاني

جهود أبي بكر بن الأنباري اللغوية

- تمهيد .

١ـ فهرسة مؤلفاته .

٢ـ كتاب ايضاح الوقف والابتداء .

٣ـ كتاب الزاهر .

٤ـ كتاب الأضداد .

٥ـ كتاب المذكر والمؤنث .

٦ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .

تمهيـــــــــد :

إنما يخلد العلماء بآثارهـــم ، وماخلفوا لنا من مؤلفـــات ، وماتركـوا فيمن بعدهم من علوم ومعارف تخلـــد ذكراهم ، وتجعلهم يشاركوننا الحيـاة العلمية التى نحياها ، نتتلمذ على كتبهم ونستفيد من مؤلفاتهم ، وننتفع بمالهم من الآراء السديدة ، ونخلع على أنفسنا من ثقافتهم خلع الجدة والحداثة ، ويثيرون فينا بما ابتكروا ، وما ابتدعوا من مذاهب ، رغبة فى الجدال ، واتجاها الى المعارضة ، وهم أصحاب الفضل فى الحالين ، لأن معارضة الرأى بالرأى تعطى السابـــق فضلا على اللاحق ، كما أن الانتفاع بعلم السابقين ، يوجب علينا أن نقف أمـــام آثارهم العلمية وقفة التكريم ، والعرفان بالجميل ، كما يوجب علينا الاعتـــزاز بهذه الآثار ومتابعة السير على هديهم ، والنسج على منوالهم ، وبذا نبقـــى ذكرهم ، ونخلد مجـــدهم ، ونؤدى بعض حقهم ، وفاء بما قدموا ، واعترافـــا بما أبدعوا ، وإجلالا وإكبار لهم .

وبالرغم من أن ابن الأنبارى لم يعش أكثر من ثمانية وخمسين عاما ، إلا أنه قضاها حياة علمية نشيطة ، حتى قال السيوطى عنه : إنه أملى هووأبـــــوه " مالا يحصى "[1] ووصفت مؤلفاته بالكثرة فى معظم كتب التراجم ، وبـــــرع فى مجالات مختلفة من العلم وألف فيها ، قال تلميذه أبو على القالى : " وله أوضاع شتى كثيرة "[2] ، وهذا حق فقد صنف فى اللغة ، والنحو ، والأدب ، والأخبـــار ، وعلوم القرآن ، والحديث ، وبخاصة غريبـــه .

---

(١) المزهـــــر ٢/٣١٣ .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ١٧١ .

كما اتصف بالاطالة فى التأليف على نحو ما نراه فى كتابه غريب الحديث، الذى قيل : إنه بلغ خمسا وأربعين ألف ورقة[١] ، ومع ذلك فلم يتمه[٢] !!

— وهذا أمر غريب — وشرح الكافى الذى بلغ حجمه ألف ورقة[٣] ، والمقنعات نحو ألف ورقة أيضا[٤] ، والمشكل فى معانى القرآن الذى قضى فى املائه سنين طويلة ، ولم يتمه[٥] .

وقد أحصيت من مؤلفاته فى مختلف المصادر أربعين كتابا ، ولم يصل إلينا منها غير ستة هى : " الأضداد " ، و"شرح القصائد السبع الطوال "، و"إيضاح الوقف والابتداء" ، والألفات "، و"الزاهر"، و"المذكر والمؤنث".

وليس غريبا ألا يصل إلينا غير ستة من مؤلفاته ، فقد فقد معظمها منذ زمن بكر ، وذلك لأنه كان يمليها إملاء ، قال محمد بن جعفر[٦] : " ومات ابن الأنبارى فلم نجد من تصنيفه إلا شيئا يسيرا ، وذاك أنه كان يملى من حفظه " [٧] .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٤.
(٢) الفهرست ٨٢.
(٣)، (٤) نزهة الألباء ٣٦٥.
(٥) تاريخ بغداد ٣/١٨٤.
(٦) سبقت ترجمته ص
(٧) طبقات الحنابلة ٢/٧١.

## ١ــ فهرسة مؤلفـــــــاته

(١) "أخبار ابن الأنبارى" : ذكره ابن خير فى فهرسته[١] ، ونص القالى أنه جلب معه إلى الأندلس خمسة أجزاء منه.[٢] وهذا يعنى أنه كان أكثر من ذلك .

(٢) "أدب الكاتب" : ذكره ابن النديم[٣]، والقفطى[٤] ، وياقوت[٥] ، والسيوطى[٦] ، والصفدى[٧] ، وحاجى خليفة[٨] ، وعمر رضا كحالة[٩] . قال ابن النديم : لم يتمه.[١٠]

(٣) "الأضـــــداد": ذكرته غالبية المصادر التى ترجمت لابن الأنبارى ، وأثنت عليه كثيرا[١١] . قام بنشره الأستاذ هوتسما فى ليدن سنة (١٨٨١م) ، وعن هذه الطبعة نشر فى مصر طبعة رديئة سنة (١٣٢٥هـ) ، ثم طبع فى الكويت ضمن سلسلة التراث العربى التى تصدرها دائرة المطبوعات بوزارة الأعلام ، وذلك فى سنة (١٩٦١م) بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم.

وسيأتى الكلام عن هذا الكتاب إن شاء الله مفصلا .

(٤) "الألفـــــات" : ذكره ابن النديم[١٢] ، وياقوت[١٣] ، والصفدى[١٤] ، وابن شهبة[١٥] ، واسماعيل باشا البغدادى وسماه ألفات القطع والوصل ، وبروكلمان[١٦] وسماه مختصر فى ذكر الألفات. نشره باسم شرح الألفات أبو محفوظ الكريم معصومى[١٧] ، فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة (١٩٥٩م) ، العدد (٣٤) .

---

(١) ص٣٩٨ .
(٢) فهرسة ابن خير ٣٩٨ .
(٣) الفهرست ٨٢ .
(٤) انباه الرواة ٣/٢٠٨ .
(٥) معجم الأدباء ٧/٧٦ .
(٦) بغية الوعاة ٩٢ .
(٧) الوافى بالوفيات ٤/٣٤٥ .
(٨) كشف الظنون ١/٤٨ .
(٩) معجم المؤلفين ١١/١٤٣ .
(١٠) الفهرست ٨٢ .
(١١) انظر على سبيل المثال الفهرست ٨٢ ، وانباه الرواة ٣/٢٠٨ ، وتاريخ بغداد ٣/١٨٤ وغيرها .
(١٢) الفهرست ٨٢ .
(١٣) معجم الأدباء ٧/٧٧ .
(١٤) الوافى بالوفيات ٤/٣٤٥ .
(١٥) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(١٦) هدية العارفين ٢/٣٥ ، وايضاح المكنون .
(١٧) تاريخ الأدب العربى ٢/٢١٦ .

(٥) " الأمـــــالى " : ذكر فى معظم المصادر[١] ، ونص ابن خلكان أنه نقـــل منه[٢] ، ونص ياقـوت على قراءته فيه[٣] .

(٦) "الأمثـــــال" : ذكره الصفدى[٤] ، وابن شهبة[٥] ، وحاجى خليفة[٦] ، والزركلى[٧] ، وزلهايم[٨] ، وهو غير كتاب الزاهـر ـ الآتى الذكر ـ .

وأحسب أن زلهايم وهم حين قال[٩] : " ان حاجى خليفة يعنى به " الزاهر"، وذلك أن حاجى خليفة ذكر الكتابين كليهما[١٠] ، وكذلك فعل الصفـدى[١١] ، وابن شهبة الأسدى[١٢] ، والزركلى[١٣] ، كما أن زلهايم نفسه فرق بين الكتابين حين قال " . . . وأول كتاب وصل إلينا بعد ذلك من كتب الأمثـــــال ، ألفه ابن الأنبارى " ثم قال فى الموضع نفسه : " ومن بين مؤلفات ابن الأنبارى كتاب فى الأمثال كذلك بعنوان (الزاهر فى معانى كلمات الناس) . . . "[١٤]

(٧) "ايضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل" : ذكرته غالبية المصادر التى ترجمت لابن الأنبارى[١٥] ، وهو من أقدم كتبه ، قال ابن الجزرى : " وكتابه فى الوقف والابتداء أول ما ألف فيه وأحســن"[١٦] ، وهو من أهم المصادر التى بين أيدينا فى موضوعه ، وقد أثنى عليه كثير من العلماء . طبعه فى جزأين محى الدين عبد الرحمن رمضان فى دمشق ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية ، سنة (١٩٧١م) . وسيأتى الكلام عنه إن شاء الله .

---

(١) انظر مثلا : نزهة الألباء ٣٦٥ ، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٦ وكشف الظنون ١/ ١٦٢ ، وغيرها .
(٢) انظر وفيات الأعيان ٦/ ١٥٤ .
(٣) انظر معجم الأدباء ٢/ ١٥٣ .
(٤) الوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٥ .
(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(٦) كشف الظنون ١/ ١٩٧ .
(٧) الاعلام ٧/ ٢٢٧ .
(٨) الأمثال العربية القديمة ١٧٦ .
(٩) الأمثال العربية القديمة ١٧٦ .
(١٠) كشف الظنون ١/ ١٩٧ و ٢/ ٩٤٧ .
(١١) الوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٥ .
(١٢) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(١٣) الاعـــــلام ٧/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١٤) الأمثال العربية القديمة ١٧٦ .
(١٥) انظر مثلا طبقات الحنابلة ٢/ ٦٩ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤١ .
(١٦) غاية النهاية ٢/ ٢٣١ .

(٨) "تفسير الصحابة" : انفرد بذكره إسماعيل باشا البغدادى[١] ، ولعلـه مخطئ فى نسبته إلى ابن الأنبارى والله أعلم.

(٩) "خلق الانسان" : ذكره الصفدى[٢] ، وابن شهبة[٣] ، والفيروزآبادى[٤] ، والزركلـى[٥] .

(١٠) "خلق الفرس" : ذكره الصفدى[٦] ، وابن شهبة[٧] ، والفيروزآبادى[٨] ، وحاجى خليفه[٩] .

(١١) "الرد على الملحدين فى القرآن" : أشار إليه أبو بكر فى "الأضداد" عدة مرات[١٠] ومنها قوله : "استقصينا الكلام فى تقسيم "أو" فى "كتاب الرد على الملحدين فى القرآن"[١١] . ويسميه أحيانا : "الرد على أهل الإلحاد فى القرآن".

(١٢) "الرد على من خالف مصحف العامة" : أشارت إليه غالبية المصادر التى ترجمت لابن الأنبارى[١٢] ، ونقل منه السيوطى فى صفحات مختلفة من "الدر المنثور" ، والقرطبى فى تفسيره عدة مرات[١٣] ومن ذلك اقتباس طويل بلغ ست صفحات[١٤] .

(١٣) "رسالة المشكـل" : ذكرتها غالبية المصادر التى ترجمت له[١٥] ، وألفهـا ردا على ابن قتيبة وأبى حاتم السجستانى وتتبعا لبعض أقوالهما[١٦] ، وهى غير كتاب "المشكل" الآتى الذكر.

---

(١) هدية العارفين ٢ / ٣٥ .
(٢) الوافى بالوفيات ٤ / ٣٤٥ .
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(٤) البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٢٤٦ .
(٥) الاعلام ٧ / ٢٢٧ .
(٦) الوافى بالوفيات ٤ / ٣٤٥ .
(٧) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(٨) البلغـة ٢٤٦ .
(٩) كشف الظنون ١ / ٧٢٣ .
(١٠) انظر الصفحات ٢٨٢ ، ٣٦٨ ، ٤٢٨ .
(١١) الاضداد لابن الأنبارى ص ٢٨٢ .
(١٢) انظر مثلا تاريخ بغداد ٣ / ١٨٢ وطبقات الحنابلة ٢ / ٦٩ ، وروضات الجنات ٦٧٧ .
(١٣) انظر مثلا ١ / ٥ ، ٥٤ .
(١٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١ / ٨٠ — ٨٦ .
(١٥) انظر مثلا تاريخ بغداد ٣ / ١٨٤ ، وانباه الرواة ٣ / ٢٠٨ ، والمنتظم ٦ / ٢١٣ وغيرها .
(١٦) تاريخ بغداد ٣ / ١٨٤ .

(١٤) "الزاهر فى معانى كلمات الناس" : ذكرته غالبية المصادر[١]، قال ابن شهبة : "وهو من أنفس الكتب وأحسنها"[٢]، أشار اليه أبو بكر فى "المذكر والمؤنث" فقال : "وفى قولهم :(حياكَ الله وبياك) ثمانية أقوال ذكرتها فى الزاهر"، كما أشار اليه فى شرح القصائد السبع[٣]، ونص صاحب البرهان على نقله منه[٤]. يوجد منه حوالى احدى عشرة مخطوطة. ولم يطبع حتى الآن. وسيأتى الكلام عن هذا الكتاب ونسخه ان شاء الله.

(١٥) "شرح غريب خطبة عائشة فى الثناء على أبيها"، ذكر ابن خير أنه قرأه على اثنين من شيوخه باسناد متصل الى أبى بكر بن الأنبارى[٥].

(١٦) "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات" : ذكرته أغلب المصادر التى ترجمت لأبى بكر، وقد نسبه السيوطى[٦] إلى والده القاسم ابن محمد الأنبارى، وهو خطأ باتفاق المصادر. نشرته دار المعارف بمصر سنه (١٩٦٩م) فى طبعة جيده بتحقيق عبد السلام هارون. وسيأتى الكلام عنه فى موضعه إن شاء الله.

(١٧) "شرح الكافى" : ذكر فى معظم المصادر[٧] وهو ليس "الكافى" الآتى الذكر وإنما هو شرحه بدليل أن بعض المصادر ذكرت الكتابين ضمن مؤلفاته[٨]، وهو من كتب النحو، وأغلب الظن أن أبا بكر ألف كتابه "الكافى" مختصرا ثم شرحه وسماه "شرح الكافى".

---

(١) انظر مثلا : وفيات الأعيان ٤/ ٢٤١ وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ وكشف الظنون ٢/ ٩٤٧.
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥.
(٣) ص ٢٩٨.
(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢/ ٥٠٥.
(٥) فهرسة ابن خير ١٦٦ و١٩٧—١٩٨.
(٦) انظر بغية الوعاة ٣٨٠.
(٧) انظر مثلا نزهه الألباء ٣٦٥ وسماه "كتابا فوشرح الكافى" وهذا يدل أنه غير "الكافى" والمنتظم ٦/ ٢١٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٣، وهدية العارفين ٢/ ٣٥.
(٨) انظر مثلا : نزهة الألباء ٣٦٤، ٣٦٥، وانباه الرواه ٣/ ٨٠٤، ٢٠٨، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٦ وغيرها

(١٨) "شعر الأعشى": ذكره ابن النديم[١]، وياقوت[٢]، وابن شهبة[٣]، والسيوطي[٤] والخوانساري[٥]، وحاجي خليفة[٦]، واسماعيل باشا البغدادي[٧].

(١٩) "شعر الراعي": ذكره كل من ابن النديم[٨] وياقوت الحموي[٩].

(٢٠) "شعر زهير" ذكره ابن النديم[١٠]، وياقوت الحموي[١١]، والصفدي[١٢] والسيوطي[١٣]، وابن شهبة[١٤]، والخوانساري[١٥]، وحاجي خليفة[١٦]، واسماعيل البغدادي[١٧].

(٢١) "شعر النابغة الجعدي": ذكره ابن النديم[١٨]، وياقوت الحموي[١٩]، والصفدي[٢٠]، والسيوطي[٢١]، وابن شهبة[٢٢]، والخوانساري[٢٣]، وحاجي خليفة[٢٤]، واسماعيل البغدادي[٢٥].

(٢٢) "ضمائر القرآن": ذكره حاجي خليفة[٢٦]، واسماعيل البغدادي[٢٧]، وقال الزركشي "وقد صنف ابن الأنباري كتابا في تعيين الضمائر الواقعة في القرآن في مجلدين"[٢٨].

(٢٣) "عجائب علوم القرآن": ذكره الزركلي[٢٩]، وحمد الجاسر[٣٠]. ولم أجد له ذكرا في المصادر القديمة بين مؤلفات أبي بكر!

---

(١) الفهرست ٨٢.
(٢) معجم الأدباء ٧/ ٧٦، وسماه شرح شعر الأعشى.
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥، وسماه شرح شعر الأعشى
(٤) بغية الوعاة ٩٢.
(٥) روضات الجنات ٦٧٨.
(٦) كشف الظنون ٢/ ١٠٤٢
(٧) هدية العارفين ٢/ ٣٥ وسماه شرح شعر الأعشى.
(٨) الفهرست ٨٢.
(٩) معجم الأدباء ٧/ ٧٧.
(١٠) الفهرست ٨٢.
(١١) معجم الأدباء ٧/ ٧٦ـ٧٧ وسماه شرح شعر زهير.
(١٢) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٤٥.
(١٣) بغية الوعاة ٩٢.
(١٤) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ وسماه شرح شعر زهير.
(١٥) روضات الجنات ٦٧٨.
(١٦) كشف الظنون ٢/ ١٠٤٢
(١٧) هدية العارفين ٢/ ٣٥ وسماه شرح شعر زهير.
(١٨) الفهرست ٨٢.
(١٩) معجم الأدباء ٧/ ٧٦ وسماه شرح شعر النابغة.
(٢٠) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٤٥.
(٢١) بغية الوعاة ٩٢.
(٢٢) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ وسماه شرح شعر النابغة.
(٢٣) روضات الجنات ٦٧٨.
(٢٤) كشف الظنون ٢/ ١٠٤٢.
(٢٥) هدية العارفين ٢/ ٣٥ وسماه شرح النابغة.
(٢٦) كشف الظنون ٢/ ١٠٨٧.
(٢٧) هدية العارفين ٢/ ٣٥.
(٢٨) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٢، وانظر ٤/ ٢٤.
(٢٩) الأعلام ٧/ ٢٢٦.
(٣٠) مقدمة كتاب المناسك ٢٥١.

(٢٤) "غريب الحديث" : ذكرته غالبية المصادر[١]، وأشار إليه ابن الأنبارى فى كل من "الزاهر"[٢]، و"الأضداد"[٣]، وذكره ابن الأثير فى "النهاية" ضمن مصادره التى رجع إليها[٤]، وهو من أماليه المدققة[٥] ومن أجل كتبه، قيل : إنه بلغ خمسا وأربعين ألف ورقة[٦]، ولم يتمه[٧]! والله أعلم.

(٢٥) "الكافى" : ذكره أبو البركات بن الأنبارى[٨]، والقفطى[٩]، وياقوت[١٠]، واسماعيل باشا البغدادى[١١]، وعمر رضا كحالة[١٢]، وابن الصلاح وأشار إلى مايفيد أنه قرأ فيه[١٣].

(٢٦) "كتاب ابن الأنبارى فى النقط والشكل" : ذكره ابن النديم بهذا الاسم[١٤]، ولعله يقصد به كتاب المصاحف الآتى.

(٢٧) "كتاب الخيل" : ذكره حسين نصار فى المعجم العربى[١٥]، ولم أجد له ذكرا فى المصادر القديمة.

(٢٨) "اللامات" : ذكر فى معظم المصادر التى ترجمت لأبى بكر.[١٦]

(٢٩) "المجالس" : ذكره كل من ابن النديم[١٧]، وياقوت[١٨]، والقفطى[١٩]، ولعله كتاب الأمالى الذى تقدم ذكره، لأن الأمالى عبارة عن مجالس متنوعة غالبا ماتكون فى محيط اللغة والنحو والأدب والأخبار، وقد يقوى هذا قول ابن النديم: "وله مجالسات لغة، ونحو، وأخبار، وسمعها منه جماعة ممن رأيته من أهل العلم"[٢٠]، وهذا يعنى أن الكتاب كان يضم موضوعات الأمالى بعينها.

---

(١) انظر مثلا تاريخ بغداد ٣/١٨٢، ونزهة الألباء ٣٦٥، وشذرات الذهب ٢/٣١٦ وغيرها.
(٢) الورقة ٣٤٥/أ (٣) ص ٣٢٦ — ٣٢٧، و ٣٨٢.
(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر ص ٧.
(٥) شذرات الذهب ٢/٣١٦. (٦) تاريخ بغداد ٣/١٨٤.
(٧) الفهرست ٨٢. (٨) نزهة الألباء ٣٦٤.
(٩) انباه الرواة ٣/٢٠٨. (١٠) معجم الأدباء ٧/٧٦.
(١١) هدية العارفين ٢/٣٥ وايضاح المكنون ٢/٢٥٩.
(١٢) معجم المؤلفين ١١/١٤٣. (١٣) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ٣٣٠.
(١٤) الفهرست ٣٨. (١٥) ١/١٢٦.
(١٦) انظر مثلا الفهرست ٣٨، ونزهة الألباء ٣٦٥، وايضاح المكنون ٢/٣٢٥ وغيرها.
(١٧) الفهرست ٨٢ وسماه "مجالسات". (١٨) معجم الأدباء ٧/٧٧.
(١٩) انباه الرواة ٣/٢٠٨. (٢٠) الفهرست ٨٢.

(٣٠) "المذكر والمؤنث" : "ذكرته غالبية المصادر [١]، وقال الخطيب البغدادى: "ماعمل أحد أتم منه "[٢] يعنى فى موضوعه . ومازال الكتاب مخطوطا، وذكر بروكلمان منه أربع نسخ كلها فى "استانبول"[٣] وسيأتى الكلام عنه إن شاء الله .

(٣١) "المشكل فى معانى القرآن" : ذكرته غالبية المصادر [٤]، وهو من كتبه الطوال ، وقد أملاه سنين كثيرة ، وبلغ فيه إلى سورة طه ولم يتمه [٥] ، وقد خلط بعض الباحثين بينه وبين "رسالة المشكل" ، وظن أنهما كتاب واحد [٦] ، وليس الأمر كذلك ، فهذا كتاب ضخم ، وتلك رسالة صغيرة ، وقد ذكر الكتابان معا فى بعض المصادر ، وسمى هذا كتابا ، وتلك رسالة [٧] ، مما يؤكد أنهما مختلفان .

(٣٢) "المصاحف" : ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" عدة مرات ونقل منه فى مواضع كثيرة [٨] ، وذكره ابن هشام فى "مغنى اللبيب" ونقل أيضا [٩] ، وحاجى خليفة فى "كشف الظنون" [١٠] ، ويبدو من نقول السيوطى الكثيرة أن أبا بكر تعرض فى هذ الكتاب لكثير من القراءات الشاذة . وذكر لبيب السعيد أن كتاب ابن الأنبارى هذا من أشهر كتب المصاحف [١١] .

(٣٣) "المقصور والممدود" : ذكره ابن النديم [١٢] ، وياقوت [١٣] ، والقفطى [١٤] ، والصفدى [١٥] ، وابن خير [١٦] ، وابن شهبة [١٧] ، والسيوطى [١٨] ، واسماعيل البغدادى [١٩] .

---

(١) انظر مثلا نزهة الألباء ٣٦٥ ، والمنتظم ٦/٢١٣ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٤٢ وغيرها .
(٢) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ . (٣) تاريخ الأدب العربى ٢/٢١٧ .
(٤) انظر مثلا الفهرست ٣٧ و ٨٢ ، وروضات الجنات ٦٧٧ ، وهدية العارفين ٢/٣٥ وغيرها .
(٥) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ .
(٦) انظر شرح القصائد السبع (مقدمة المحقق) ص ١٠ ، والدرس النحوى فى بغداد ١٢ .
(٧) انظر مثلا نزهة الألباء ٣٦٥ ، ومعجم الأدباء ٧/٧٦ وروضات الجنات ٦٧٧ .
(٨) انظر مثلا ١/٣ ، ١٥ ، ٣٠٢ . (٩) انظر ١/٣٥٤ . (١٠) ٢/١٧٠٣ .
(١١) الجامع الصوتى الأول للقرآن الكريم ٤١٠ . (١٢) الفهرست ٨٢ .
(١٣) معجم الأدباء ٧/٧٧ . (١٤) انباه الرواة ٣/٢٠٨ .
(١٥) الوافى بالوفيات ٤/٣٤٥ . (١٦) فهرسة ابن خير ٣٥٤ .
(١٧) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ . (١٨) بغية الوعاة ٩٢ .
(١٩) هدية العارفين ٢/٣٥ .

(٣٤) "الموضح" : ذكره ابن النديم[١]، وياقوت[٢]، والقفطي[٣]، وابن شهبة[٤]، والسيوطي[٥]، وحاجي خليفة[٦]، واسماعيل باشا البغدادي[٧]، وهو من كتب النحو على ماذكره ابن النديم.

(٣٥) "ناسخ القرآن" : ذكره الزركشي في البرهان[٨]، ولم يذكره أحد غيره حسب علمي.

(٣٦) "نقض مسائل ابن شَنَبوذ"[٩] : ذكره ابن النديم[١٠]، وياقوت[١١]، والقفطي[١٢]، والصفدي[١٣]، وابن شهبة[١٤]. ويرد ابن الأنباري في هذا الكتاب على ابن شنبوذ في قراءته الشاذة فقد ذكر صاحب المنتظم أن ابن شنبوذ "قد تخير لنفسه حروفا من شواذ القراءات، وقرأبها، فصنف أبو بكر ابن الأنباري وغيره كتبا في الرد عليه"[١٥].

(٣٧) "الهاءات في كتاب الله عز وجل" : ذكرته غالبية المصادر[١٦]، ونقل منه الزركشي في "البرهان"[١٧]. وذكر زيدان أنه توجد "منه نسخة في باريس"[١٨]، وليس كذلك، فالنسخة الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس وردت ضمن مجموعة برقم (٦٥١)، ومايتعلق منها بكتاب الهاءات عبارة عن أربع ورقات فقط[١٩] ـ كما ذكره زميل لي في وصف المجموعة[٢٠] ـ في حين أن الكتاب وصف بأنه يقع في ألف ورقة[٢١].

---

(١) الفهرست ٨٢.
(٢) معجم الأدباء ٧/٦٠.
(٣) انباه الرواة ٣/٢٠٨.
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥.
(٥) بغيه الوعاه ٩٢.
(٦) كشف الظنون ٢/١٩٠٥.
(٧) هدية العارفين ٢/٣٥.
(٨) البرهان في علوم القرآن ٢/٢٨.
(٩) هو محمد بن أحمد بن أيوب، أبو الحسن بن شَنَبوذ، مقرئ ومحدث، حدث عن أبي مسلم الكجي وبشر بن موسى وغلق وكان دينا وفيه سلامة وحمق، توفي سنة ٣٢٨هـ انظر معجم الأدباء ٦/٣٠٠-٣٠٣، والمنتظم ٦/٣٠٧-٣٠٨، وغاية النهاية ٢/٥٦، و"شنبوذ" بفتح النون بعد الشين المفتوحة.
(١٠) الفهرست ٨٢.
(١١) معجم الادباء ٧/٧٧ وسماه مسائل ابن شنبوذ
(١٢) انباه الرواة ٣/٢٠٨.
(١٣) الوافي بالوفيات ٤/٣٤٥.
(١٤) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥.
(١٥) المنتظم ٦/٣٠٨.
(١٦) انظر مثلا: المنتظم ٦/٢١٣، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٤٥، وروضات الجنات ٦٧٧ وغيرها.
(١٧) انظر البرهان في علوم القرآن ٣/١٢٧.
(١٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٢١١.
(١٩) من الورقة ٦٧ الى الورقة ٧٠.
(٢٠) في رسالة بعثها الي من باريس بتاريخ ٣/١٠/١٩٧٨م، وذلك بعد أن تعسر عليه تصوير النسخة.
(٢١) نزهة الألباء ٣٦٥.

والأقرب إلى الصواب ما قرره بروكلمان من أن هذه الوريقات جزء من كتاب الهاءات[1]، وقد يؤكد رأى بروكلمان عنوان هذه النسخة وهو: "كتاب الواضع التى يكتب فيها التاء بدل الهاء من القرآن"، فكأنى به عنوان فصل من فصول "الهاءات".

(٣٨) "الهجاء": ذكره ابن النديم [2]، وياقوت [3]، والقفطى[4]، والسيوطى[5]، واسماعيل باشا البغدادى[6].

(٣٩) "الهمزة": لم يذكره أحد غير اسماعيل البغدادى[7].

(٤٠) "الواضح": ذكره ابن النديم، وقال: "كبير"[8]، وياقوت[9]، والسيوطى[10]، واسماعيل البغدادى[11]، وهو من كتبه فى النحو.[12]

هذا مبلغ معرفتى بمؤلفات أبى بكر، وقد رأيت بعض الباحثين ينسب إليه كتاب شرح المفضليات، كابن النديم[13]، من القدامى، وكل من أحمد أمين[14]، ومحمد أبى الفضل ابراهيم[15]، وشوقى ضيف[16] من المحدثين، وهذا خطأ منهم، لأن أبا بكر ليس له فى هذا الكتاب الا الرواية، وأما التأليف فلأبيه القاسم، وذلك ثابت فى مقدمة الكتاب.[17]

* * *

---

(١) انظر تاريخ الادب العربى ٢/٢١٥-٢١٦.
(٢) الفهرست ٨٢.
(٣) معجم الأدباء ٧/٧٧.
(٤) أنباه الرواة ٣/٢٠٨.
(٥) بغية الوعاة ٩٢.
(٦) إيضاح المكنون ٢/٢٣٠، وهدية العارفين ٢/٣٥.
(٧) إيضاح المكنون ٢/٣٥١.
(٨) الفهرست ٨٢.
(٩) معجم الأدباء ٧/٧٦.
(١٠) بغية الوعاة ٩٢.
(١١) هدية العارفين ٢/٣٥، وايضاح المكنون ٢/٣٤٨.
(١٢) معجم الادباء ٧/٧٦.
(١٣) الفهرست ٨٢.
(١٤) ظهر الاسلام ٨/٢٣٩.
(١٥) نزهة الألباء (المقدمة ص ٣).
(١٦) المدارس النحوية ٢٣٩.
(١٧) انظر شرح المفضليات ص١.

# كتاب إيضـــاح الوقـــف والابتـــداء
## فى كتاب الله عزوجـــل

==========

* تقديـــــــم
* نسخ الكتـــاب
* المقصود بالوقف والابتداء
* مؤلفو الوقف والابتداء
* عرض مـــــادته
* منهجـــــــه
* نقد الكتـــــاب
* ذكر أوجه العربية فى القراءات
* تفسير القرآن بالشعر
* الربط بين الوجه الاعرابى والوقف
* الربط بين الخط والوقف
* الاتجاه الكوفى فى الكتاب
* موازنة بين "كتاب ايضاح الوقف والابتداء" و"كتاب القطع والائتناف"
* أهميـــة الكتاب وأثـــره

* * *

## ٣ـ كتـــاب ايضـاح الوقف والابتـــــداء
## في كتاب الله عز وجـــــل

==========

تقديـــــــم :

أجمع أصحاب التراجم والطبقات أن هذا الكتاب من أحسن وأدق ماألفه ابن الأنبارى ، ولاغرو فى ذلك ، فقد احتل هذا الكتاب مكانة مرموقة عند أهـل العلـــم ، وذاع صيته واشتهر ذكره فى أوساط علمية شتى ، لأن موضوعـــــــه ذو اتصال مباشر بالقرآن الكريم ، وتتوقف على معرفة هذا الموضوع دقة الأداء القرآنى ، وحسن التلاوة ، وفهم الآيـات ، وتدبر المعانى .

كما أن عدم معرفة أصول الوقف والابتداء قد يؤدى إلـى عدم الدقـــة فى الأداء القرآنى ، والى الخطأ فى التلاوة ، مما يترتب عليه سوء الفهـــــم ، وعدم وضوح المعانى ، مما يحدث بسبب الخلط بين الجمل والعبارات .

ومن أجل ذلك وجب على كل مسلم أن يتعلم ما يصح أن يوقف عنـــــده ومالا يصح ، وأن يكون هذا جزءا مكملا لمعرفة كيفية التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم .

على أن هذا الأمر ليس مقصورا على قراءة القرآن الكريم ، بل هو واجـــب على كل من يستخدم اللغة العربية ، فقد يغير الوقف معنى مرادا ، وربما قلب المعنى الى عكس ما يراد من الكلام ، وأمثلة ذلك مبسوطة فى مقدمة هذا الكتاب ، وكذا فى مقدمة كتاب القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس .

قال أبو جعفر النحاس : وحدثنى أحمد بن محمد **الأزدى** قال : حـدثنا يزيد بن سنان قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان ـ يعنى الثورى ـ عن عبد العزيز بن رفيع ، عن تميم بن طرفة ، عن عدى بن حاتم الطائى قال : "جـاء رجلان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتشهـــد أحدهما ، فقال : من يطع الله جل وعز ، ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهمـا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس الخطيب أنت قم ، كان ينبغـــى أن تصل كلامك . : ومن يعصهما فقد غوى ، أو تقف على : رسوله فقد رشد ." فإذا كان هذا مكروها فى الخطب وفى الكلام الذى يكلم به بعض الناس بعضا ــ كان فى كتاب الله عزو جل ــ أشد كراهة ، وكان المنع من رسول الله فى الكلام بذلك أوكـد ، والله نسأله التوفيق .(١)

وكذلك روى أبو جعفر النحاس الحديث الآتى عن أبى هريرة : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، اقرءوا ولا حـرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا تختموا ذكر عـــذاب برحمـــة" .

ثم يقول أبو جعفـــر :

فهذا تعليم التمام توقيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنه ينبغـــى أن يقطع على الآية التى فيها ذكر الجنة والثواب ، ويفصل مما بعدها ، إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب ، نحو : "يدخلُ من يشاءُ فى رحمتهِ " لا ينبغى أن يقول : " والظالمين " لأنه منقطع مما قبله ، منصوب باضمـــار فعل ، أى : ويعذب الظالمين ، أو : وأوعـــد الظالمين .(٢)

ومما قاله أبو بكر بن الأنبارى فى تقديم كتابه :

ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه ، فينبغى للقارئ أن يعرف الوقف التام ، والوقف الكافى الذى ليس بتام ، والوقف القبيـح الذى ليس بتام ولا كاف . . .(٣)

ونخلص من هذا كله إلى أن الكلام العربى لا يفهم معناه ، ولا يدرك محتواه ، الا بمعرفة مواضع الوقف فيه ، ومعرفه مايصح الابتداء به ، وذلك بالفصل بين الجمل والعبارات المؤدية لمعنى تام يحسن السكوت عليه ، وبذا يؤمـن اللبس ، ويظهر القصـد .

---

(١) كتاب القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس ١/ ٨٨ .
(٢) كتاب القطع والائتناف جـ١ / ٨٩ .
(٣) كتاب ايضاح الوقف والابتداء ــ الجزء الاول / ١٠٨ .

وقد تصدى ابن الأنبارى فى هذا الكتاب لتوضيح ذلك وبيان مايصح الوقف عليه ، ومايصح الابتداء به ، وذلك فى كتاب الله عزوجـــــل .

نسخ الكتـــــــاب :

ساعد الجَدّ هذا الكتاب فوصل الينا ، عبر أكثر من ألف عام ، وهو ضمن مطبوعات مجمع اللغه العربيه ، بدمشق ، وقد قام على تحقيقه محى الدين عبدالرحمن رمضان ، سنة (١٩٧١م) ، واعتمد على معظم نسخه المعروفـة ، وجاء الكتاب بعد الطبع فى اثنتين وتسعين وتسعمائة صفحة ، ألحق بها أكثـر من مائتى صفحة للفهارس ، وسبقها مايزيد على المائة للتقديم ، والدراســـــة ووصف المخطوطات.

والمعروف من نسخ الكتاب المخطوطه هو أربـــع عشرة نسخه[1] ، فـى مكتبات مختلفة ، موزعه على النحو التالى :

* أربـــع نسخ فى استانبول بتركيـــــا وهى :

١ــ نسخة مكتبة عاشر أفندى ، ورقمها ( ٧/١ ) ، ويرجح أنها مما نسخ فـــى القرن الرابع الهجرى .

٢ــ نسخة مكتبة كوپريلى ، ورقمها ( ١١ ) ، وهى مكتوبة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

٣ــ نسخة مكتبة سليم آغا ، ورقمها ( ٣٢ ) ، وهى مكتوبة سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

٤ــ نسخة مكتبة عاطف أفندى ، ورقمها ( ٩ ) ، وهى مكتوبة سنـــة ألف ومـــائه وسبع وأربعين للهجره .

* وثلاث نسخ فى مصر هى :

٥ــ نسخة دارالكتب ، بالقاهره ، ورقمها ( ٠ اقراءات ) ، وهى مكتوبه سنة عشرين وأربعمائه .

٦ــ نسخة الأزهـــر بالقاهرة ، أيضا ، ورقمها ( ١٠٠ ) ، وهى مماكتب فى القرن الخامس.

٧ــ نسخة مكتبة بلدية الاسكندريه ، وهى بدون رقم .

---

( ١ ) انظرمقدمه محقق ايضاح الوقف والابتداء ص٣٧ ، وقد ذكر محى الدين رمضان أنها خمس عشرة نسخة ، ثم استدرك فذكر أن نسخة المتحف البريطانى ، بلندن ليست كتاب ابن الأنبارى ، وانما هى كتاب آخر فى التاريخ . وعلى ذلك تبقى النسخ المعروفه من كتاب ايضاح الوقف والابتداء أربع عشره نسخه .

* وثلاث نسخ فى سوريا هى :

٨- نسخة الظاهرية ، بدمشق ، ورقمها ( ٣٢٤ قراءات ) ، وهى مكتوبة فى القرن الخامس الهجرى .

٩- نسخة أخرى بالظاهرية ، ورقمها ( ٣٢٥ قراءات ) ، وهى مكتوبة سنة ثلاث وسبعين وألف ، للهجرة .

١٠- نسخة مكتبة الأحمدية ، بحلب ( بدون رقم ) ، وهى مكتوبة سنة تسع عشرة وسبعمائة .

* وتوجد نسخة واحدة فى كل من المكتبات التالية :

١١- مكتبة الأسكوريال ، بالأندلس ، ورقمها - كما ذكر بروكلمان (١) - ( ثانى ١٣٨٤ ) وتاريخ نسخها مجهول .

١٢- مكتبة صوفيا ببلغاريا ورقمها ( OP3337 ) ، وتاريخ نسخها مجهول .

١٣- مكتبة القرويين ، بفاس ، بالمملكة المغربية ، ورقمها : ( ١٦٥/٨٠ ) ، ولها رقم آخر هو ( ١٦٥/١٠٤٠ ) .

١٤- مكتبة آل باشى أعيان العباسيين بالبصرة ، بالجمهورية العراقية ، وهى بدون رقم ، وتاريخ نسخها سنة أربعين وخمسمائة .

وقد وصف محى الدين رمضان معظم النسخ السابقة فى مقدمة تحقيقه ، وأوجز عنه هنا وصف نسخة عاشر أفندى وهى التى اتخذها أصلا ، وتعرف أيضا باسم رئيس الكتاب ، وهى - كما تقدم - فى استانبول بتركيا ، ورقمها ( ٧/١ ) ، وتقع فى ( ١٩٨ ) ورقة بحجم ( ٢٥×١٥ سم ) ، ومسطرتها ( ١٦ ) فى كل سطر ( ١٢ ) كلمة ، مشكولة شكلا خفيفا ، وعليها سماعات ، وبلاغات ، ومقابلات قيمة .

ويرجح محى الدين رمضان أنها كتبت فى القرن الرابع ، وأن ناسخها هو : شجاع بن فارس الذهلى . وإذا صح ترجيحه هذا للناسخ ، فسيكون ترجيحه لتاريخ النسخ فى القرن الرابع خطأ ، لأن الذهلى ولد سنة ( ٤٣٠ هـ ) ،

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/٢١٥ .

وتوفى سنة (٥٠٧هـ)[١]، وهذا يعنى - إن صح أنه هو الناسخ - أن النسخة كتبت إما فى القرن الخامس أو أوائل القرن السادس.

وأما سند هذه النسخة فكما يأتى :

" أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن المسلمة قراءة عليه وأنا أسمع ، فأقر به ، قيل له : أخبركم أبوالقاسم إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل بن محمد بن سويد الشاهد ، قراءة عليه ، قال : أخبرنا : أبوبكر محمد بن القاسم الأنبارى "[٢] .

وعلى ذلك فهذه النسخة ذات قيمة علمية كبيرة لأن راويها هو ابن سويد تلميذ المؤلف .

المقصود بالوقف والابتداء :

لا يمكن فهم اللغة فهما صحيحا تاما مالم يقطع الكلام بفواصل ، تحدد نهاية كل عبارة ، وتفرق بينها وبين أخواتها . هذه الفواصل ضرورية فى الكلام ، ولولاها لتداخلت المعانى ، واختلطت العبارات ، ووقع اللبس والغموض والنقص والتناقض فى فهم المعنى ، فلو أراد قائل أن يقول : " لا تصل فى أوقات الكراهة " ، ووقف على " تصل " ، لوقع النهى على الصلاة مطلقا ، ومنه فى القرآن الكريم ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ )[٣] ، و ( قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى )[٤] ، فإذا وقف القارئ على ( المصلين ) فى الآية الأولى ، و( صدقة ) فى الآية الثانية ، لفسد المعنى .

فالفواصل إذن مهمة فى اللغة للتفرقة بين معنى وآخر ، وهى للمتكلم بمثابة محطات استراحة لاسترجاع نَفَسه حتى يتمكن من الاستمرار فى الحديث أوالقراءة ، وللسامع بمثابة علامات وحدود تميزله مواضع انتهاء العبارات ، بحيث يفهم منها كلاما مفيدا لا يختلط بعضه ببعض.

---

( ١ ) انظر ترجمته فى المنتظم ٩ / ١٧٦ ، وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٤٠ ، وشذرات الذهب ٤ / ١٦ .
( ٢ ) انظر وصف النسخة مفصلا فى المقدمة ص ٤٣-٥٢ .
( ٣ ) سورة الماعون / ٤ ، ٥ .  ( ٤ ) سورة البقرة ٢٦٣ .

هذه الفواصل هى المعنية بالوقف فى الكلام .

والوقف لغة: الكف عن الفعل والقول[١] . واصطلاحا هو قطع الصوت آخر الكلمة ، زمنا ما ، أو هو قطع الكلمة عما بعدها .

والوقف والقطع والسكت بمعنى ، وقيل القطع عبارة عن قطع القراءة رأسا ، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس[٢] .

وأما الابتداء فهو الشروع فى الكلام بعد الوقف ، ويختلف الابتداء عن الوقف فى كونه اختياريا ، وأما الوقف فقد تدعو اليه ضرورة أو اضطرار ، ومن هنا كان لابد من اختيار الموضع المناسب للابتداء ، فلا يبتدأ بموضع مستقل بالمعنى ، موف بالمقصود .

وموضوع الوقف والابتداء ليس موضوعا جديدا فى اللغة ، فقد كان معروفا عند العرب ، وحرص المتقدمون على مراعاة الفصل بين المعانى فى كلامهم ، وقد روى أبو هلال العسكرى أخبارا تؤكد ذلك ، ومنها :

ماروى عن معاوية أنه قال : " يا أشدق ، قم عند قروم[٣] العرب وجحاجحها ، فصل لسانك ، وجل فى ميادين البلاغة ، وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال ، فانى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على على بن أبى طالب رضى الله عنه كتابا ، وكان يتفقد مقاطع الكلام ، كتفقد المصرم صريمته "[٤] .

ومنها ماروى عن الأحنف بن قيس أنه قال : " مارأيت رجلا ، تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضى الله عنه ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وغاص فى استخراج المعنى بألطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ ، وكان كثيرا ماينشد :

---

(١) انظر لسان العرب ( وقف ) ١١/٢٧٦ و٢٧٨ ، والقاموس المحيط ( وقف ) ٣/٢١٢ .
(٢) منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ص ٥ .
(٣) القروم جمع أقرم وهو السيد . انظر القاموس المحيط ( قرم ) ٤/١٦٤ .
(٤) الصناعتين ٤٣٩ .

إذا مابدا فوق المنابر قائلاً  أصاب بما يُومى إليه المقاتلا" (١)

" وكان يزيد بن معاوية يقول : اياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فانه أشد وأعيب من اللحن .

وكان أكثم بن صيفى ، إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : افصلوا بين كل معنى منقض ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض .

وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش : إذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ماأنتغيه ، فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ ، فانك ان مذقتَ الفاظك بغير مايحسن أن تمذق به نفرت القلوب عن وعيها ، وملته الأسماع ، واستثقلته الرواة ."(٢)

فهذه أخبار تؤكد حرص العرب على تحسس مواضع الوقف فى كلامهم .

وإذا كانت معرفة الوقف لازمة فى الكلام المعتاد ، فهى فى كتاب الله ألزم ، ذلك أن الخطأ فى أداء الآية القرآنية قد يؤدى إلى فهم خلاف ماأراده الله سبحانه وتعالى من الأوامر والنواهى .

ولذلك جرد أبو بكر بن الأنبارى كتابه هذا لايضاح مواضع الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل ، واقفا على أهم الآيات مبينا فيها مرتبة الوقف ، وكيفيته ، وأثره فى المعنى .

---

(١) الصناعتين ٤٣٨ .
(٢) نفسه ٤٤٠ .

مؤلفـــو الوقف والابتداء:

حظى هذا الموضوع باهتمام كبير ، وعناية بالغة من قبل القـــراء واللغويين والنحاة ،ونال نصيبه من التأليف فى وقت مبكر، وذلك منذ أواخـــر القرن الثانى الهجرى ،فقد ذكر أبو جعفر النحاس أن أول من ألف فى وقف التمام هو نافع بن عبدالرحمن بن أبى نعيم مقرئ أهل المدينة،(١) المتوفى سنة مائـــة وتسع وستين فى إحدى الروايات ، كما ذكر الأشمونى جماعة من المتقدمين اشتهر عنهم فن الوقف والابتداء منهم : على بن حمزة الكسائى المتوفى سنة ( ١٨٩ هـ) فى احدى الروايات ، ويعقوب بن اسحاق الحضرمى المتوفى سنة ( ٢٠٥هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، المتوفى سنة ( ٢٠٨هـ) فى إحدى الروايـــات ، وسعيد بن مسعدة الأخفش ، المتوفى سنة ( ٢١٥هـ) فى إحدى الروايات وغيرهم.(٢)

الا أن أشهر الذين ألفوا فى الوقف والابتداء هـــم :

- أبوجعفر ، محمد بن الحسن الرؤاسى إمام الكوفيين .
- أبوحاتم ،سهل بن محمد السجستانى ( ت ٢٤٨هـ) .
- وأبو العباس ،أحمد بن يحى ثعلب (ت ٢٩١هـ) .
- و أبو إسحاق، ،إبراهيم بن السرى الزجاج ( ت ٣١٠هـ) .
- وأبو بكر ، محمد بن القاسم الأنبارى ( ت ٣٢٨هـ) .
- وأبو عبدالله ،محمد بن محمد بن عباد ( ت ٣٣٤ هـ) .
- وأبو جعفر ،أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ( ت ٣٣٨ هـ ) .
- وأبو بكر، محمد بن الحسن بن مقسم العطار( ت ٣٥٣ هـ) .
- و أبو سعيد ، الحسن بن عبدالله السيرافى (ت ٣٦٨هـ) .
- وأبو الفضل ، محمدبن جعفر الخزاعى ( ت ٤٠٨هـ) .

---

(١) انظر الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ص ٣٨٩ وكتاب القطع والائتناف / ٧٥ .

(٢) انظر منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء ص ٤ .

- أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى ( ت ٤٣٧هـ ) .
- أبو عمرو ، عثمان بن سعيد الدانى المقرئ ( ت ٤٤٤هـ ) .
- أبو محمد ، عبد السلام بن على الزواوى (ت ٦٨١هـ ) .
- برهان الدين بن عمر الجعبـــرى ( ت ٧٣٢هـ ) .
- حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازاه (ت ٩٠٣هـ ) .
- أبو جعفر ، محمد بن طيفور السجاوندى [1] .
- أحمد بن عبد الكريم الأشمونى .

ولم يصـــل الينا من كتب هؤلاء مطبوعا غير كتاب ابن الأنبارى وكتـــــاب الأشمونى ، والأخير مطبوع طباعة رديئة غير محققة فى المطبعة الخيريـــــــة ، بالقاهرة ، سنة ( ١٣٠٧ هـ ) .

وكتاب القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس قد طبـــع فى العراق سنة ١٩٧٨م ، وقد قام بتحقيقه الدكتور أحمد خطاب العمر ، وحصل به على درجة الدكتـــوراه بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، باشراف الأستاذ الدكتور حسين نصار عميد الكلية .

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ١٤٤٧٠ - ١٤٧١ ، وايضاح الوقف والابتداء ١/ ٩٦ و ٢٦ ، و ٢/ ١١٧٩ .

مـــادة الكتـــــــاب :

بالنظر فى مادة هذا الكتاب من أوله إلى آخره نرى أن صاحبـــه قد جعلـــــه أنواعا ثلاثـــة :

النوع الأول :

مقدمة طويلة تشتمل على الموضوعات التالية :

١ ) فضائل القرآن .

٢ ) اللحن فى اللغة .

٣ ) تفسير غريب القرآن بالشعر .

٤ ) منهج المؤلف فى الكتاب .

٥ ) مصـــــــــادره .

٦ ) باب ذكر ما لا يتم الوقف عليه .

٧ ) وفى آخر هذا الباب بيـــان مراتب الوقف .

النوع الثانى :

دراسة مستفيضة لموضوع الوقف والابتداء ، يوجه المؤلف فيها اهتمامه الى كيفية الوقف على آخر الكلمة ، فى حالات الصحة والاعتلال ، ولذلك يعقد عدة أبواب لدراسة الألفات والياءات والواوات بأنواعها ذاكرا فيها مختلف قواعدها .

النوع الثالث :

تطبيق لهذه الدراسة على القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

النـــــــــوع الأول :

وتبدأ المقدمة بافتتاحية نثرية جميلة شبيهة بمقدمة الزاهـــــر كما يأتـــى[1]، ومحتواها الثناء على الله ورسوله ، وتبدأ الافتتاحية على النحوالتالى :

" الحمد لله الأول بلا ابتداء ، والآخر بلاانتهاء ، والظاهر الفائـــت نوافـــذ الأبصـار ، والباطن المدرك بوجود الآثـار ، والكائن من غيرحدوث ، والباقـــى الى غيرمدى ولا وقت ، والقديم السابق للأزمنة ، والقائم الدائـــم قبـــل الأمكنة ، والعلى المتعالى عن كل شيء عظمة ، والقريب الشاهد لكل نجوى معرفة ، والفرد المنزه عن الحاد الملحدين ، والواحد المبرأ من إشراك المشركين ، بالحجج القوية القاهرة ، والشواهد الجلية الظاهرة ، أحمده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده ، لا شريك له ، وأشهـــد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم". (٢)

( ١ ) يلى ذلك فصل مطول يعقده فى فضائل القرآن ، من غيرأن يضـــع له عنوانا ، رغم طوله . ويبدأ هذا الفصل بالثناء على كتاب الله ، وبيان فضـــل من شغل به حفظا وتدبرا ، وثوابه إذا مات. ثم يتكلم عن فصاحة لغة القرآن ، ويناقش أهميـــة اعرابـــه وكراهية اللحن فيه ، فيقول : " وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه وتابعيهم ، رضى الله عنهم ، من تفضيل إعراب القرآن ، والحض على تعليمه ، وذم اللحن وكراهيته ، ماوجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد فى تعلمه"( ٣ ) ، ثم يدعم مذهبه هذا بطائفة من الآثـــار والأخبـــار ، ومن ذلك ماروا ه أبـــو هريـــرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

( ١ ) انظر ص ٢٢٥ .
( ٢ ) إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٣ - ٤ .
( ٣ ) ١/ ١٤ .

" أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "(١) ، ومارواه الضحاك عن عبدالله بن مسعود قال : " جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه ، فانه عربى ، والله يحب أن يعرب "(٢) .

( ٢ ) وخرج من هذا الموضوع الى قضية اللحن فى اللغة وانتشاره وما ترتب عليه من فساد الألسن ، وروى فى ذلك مجموعة كبيرة من الأخبار والآثار والطرف، مؤكدا بها رأيه فى ذم اللحن عند العرب ، وبخاصة فى القرآن الكريم ، ومن الأمثلة التى ذكرها فى ذلك أن أعرابيا وقف على رجل وهو يعلم آخر القرآن، وهو يقول : ( أنَّ اللهَ برئٌ مِن المشركينَ ورسولِه ) (٣) ، فقال له الأعرابى : والله ماأنزل الله هذا على نبيه محمد صلى الله عليه ، قال فوثب اليه الرجل ، فلبب الأعرابى ، ثم قال : بينى وبينك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فذهب به الى عمر فقال له : ياأمير المؤمنين : إنى كنت أعلم رجلا فسمعنى هذا وأنا أقول ( أن الله برئٌ من المشركين ورَسولِه ) فقال والله ماأنزل هذا على محمد . فقال عمر : صدق الأعرابى ، إنما هى ( ورسولُه ) (٤) .

ومنها ماروى عن مجاهد أنه قال : " لأَن أخطئ بالآية ، أحب الى من أن ألحن فى كتاب الله تعالى "(٥) .

وقيل للحسن : " إن لنا إماما يلحن ، قال : أخِّروه "(٦) .

وقال أبو الأسود : " إنى لأجد للحن غَمرا كغَمر اللحم "(٧) .

---

( ١ ) ١/ ١٥ ، وانظر الحديث فى الجامع الصغير ١/ ٤٥ ، وفضائل القرآن لابن كثير ٢٠١ .
( ٢ ) ١/ ١٦ ، وانظر الحديث فى تفسير القرطبى ١/ ٢٣ .
( ٣ ) سورة التوبة / ٣ .
( ٤ ) ١/ ٣٧ ، وانظر الخبر فى تفسير القرطبى ١/ ٢٤ .
( ٥ ) ١/ ٣٦ .
( ٦ ) ١/ ٢٩ .
( ٧ ) ١/ ٣١ ، والغَمر بالتحريك ريح اللحم ومايعلق باليد من دسمه . انظر مادة ( غمر ) فى لسان العرب ، والقاموس المحيط .

ومثل هذه الأخبار كثيرة فى الكتاب .

وقد أطال أبو بكر الحديث عن اللحن ومنه دخل فى تاريخ وضع النحو، ومن الروايات التى ذكرها فى ذلك أن عمر بن الخطاب هو الـــذى أمـــر أبا الأسود الدؤلـــى بوضع النحو :

ذلك أن أعرابيا قدم فى زمان عمر فقال : من يقرئنى مما أنزل اللـــه على محمـــد ؟ فأقرأه رجـــل من سورة التوبة فقال : ( أنَّ اللهَ بَـــرِئٌ من المُشركين ورسُولِه ) (١) بالجـــر، فقال الأعرابى : أو قد برئ اللـه من رســوله ؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منـــه .

فبلغ عمر مقالة الأعرابى فدعاه ، فقال : ياأعرابـى : أتبرأ من رسول الله ؟ فقال : ياأمير المؤمنين : إنى قدمت المدينه ، ولا علم لى بالقرآن ، فسألـــت : من يقرئنى ، فأقرأنى هذا سورة براءة ، فقال ( أنَّ اللهَ بَرِئٌ من المشركينَ ورَسُولِه ) فقلت أو قد برئ الله من رسوله ؟ ان يكن الله برئ من رسوله ، فأنا أبرأ منـــه . فقال عمر : ليس هكذا ياأعرابى . قال : فكيف هى ياأمير المؤمنين ؟ فقـــال : أنَّ اللهَ بـــرِئٌ من المشركينَ ورَسُولُـــهُ ) . فقال الأعرابى : وأنا واللـــه : أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه .

فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرئ القرآن الا عالم باللغة ، وأمر أبا الأســود ، فوضع النحو .(٢)

وهذه رواية غريبه ، ولكن أمر عمر بن الخطاب الأول ليس غريبـــا ، والثقة فيه فوق الشبهات، لكثرة ما أثر من هذا المعنى عن عمر ، ولما عرف من سيرته عن حرصه الشديد على صحـــة الأداء فى تلاوة القرآن .

وأما أمره أبا الأسود بوضع النحو فلعله طلب إليه أن يرشد الناس إلى صحة الأداء فى تلاوة القرآن ، فكان بعد ذلك ماكان من أمر أبى الأسود بعد أيام عمر وعثمان .

---

(١) سورة التوبـــة /٣ .
(٢) ١/٣٨ — ٣٩ .

ومن الروايات التى ذكرها فى تاريخ وضع النحو أن زياد بن أبيه هو الذى أمر أبا الأسود ، أن يضع للناس شيئا يصلح به كلامهم ، ويعربون به كتاب الله .(١)

ومنها أن أبا الأسود فعل ذلك باجتهاد منه دون أن يشير عليه أحد بذلك ، وربما استوحى الفكرة من أمر عمر السابق ، ذلك أنه سمع رجلا يقرأ " ( أن اللّه برئ من المشركين ورسوله ) بالجر ، فقال : لا أظننى يسعنى الا أن أصنع شيئا أصلح به لحن هذا ، أو كلاما هذا معناه" (٢) .

وعرض عدة روايات أخرى فى ذلك ، ونخرج من مجموعها بملاحظة هامه هى الحاح ابن الأنبارى على الآراء التى تذهب الى أن الحث على تعلم العربية كان فى وقت مبكر ، وأن هذا الحث اتخذ طريقه الى التطبيق والتنفيذ بسرعة .

( ٣ ) ثم ناقش قضية أخرى هى موقف الاسلام من رواية الشعر ، والاحتجاج به وبلغة العرب على غريب القرآن ، فهل يجوز ذلك ؟

أما أبوبكر نفسه فهو ممن يجيز رواية الشعر ويجيز الاحتجاج به على غريب القرآن ، ولذلك فهو يعرض هذه القضية ويدافع عنها بقوة معضدا مذهبه فى الجواز بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من مختلف الأخبار التى تؤكد اجازتهم رواية الشعر ، والاحتجاج به على غريب القرآن ، وتؤكد حرصهم على ذلك ، بل وتوسع بعضهم فيه . يقول ابن الأنبارى : " وجاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وتابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ، ما بيّن صحة مذهب النحويين فى ذلك ، وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم" (٣) .

---

(١) ١/٤٠ .
(٢) ١/٤٢ .
(٣) ١/٦١ .

ومما احتج به على مذهبه ، ماجاء عن ابن عباس أنه قال : " اذا سألتمونى عن غريب القرآن ، فالتمسوه فى الشعر ، فان الشعر ديوان العرب "(١) .

ومنه ماأورده عن عكرمة من استشهاده بالشعر فى تفسير قوله تعالى : ( ذَواتا أفنان ) (٢) ، قال عكرمة : " ذواتا ظل وأغصان ، ألم تسمع الى قول الشاعر :

ماهاجَ شَوقكَ من هديلِ حمامةٍ تدعو على فنن الغُصون حماما
تدعو أبا فرخَينِ صادَ فطائرا ذا مخلبَينِ من الصقورِ قطاما "(٣)

وقد ذكر أبو بكر أمثلة كثيرة من احتجاج الصحابة والتابعين على غريب القرآن بالشعر وكلام العرب ، وتوج ذلك بشئ غير قليل من مسائل نافع بن الأزرق .

ثم توقف عن عرض أدلته وقد شعر أنه أكثر منها قائلا :

" وهذا كثير فى الحديث عن الصحابة والتابعين ، الا أنا نجتزئ بماذكرنا كراهية لتطويل الكتاب . وانما دعانا الى ذكر هذا أن جماعة لاعلم لهم بحديث رسول الله صلى الله عليه ، ولا معرفة لهم بلغة العرب ، أنكروا على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر ، وقالوا : اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن . "(٤)

ثم أخذ يفند أدلة هذه الجماعة قائلا :

" فأما ما ادعوه على النحويين ، من أنهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن ، فليس كذلك ، انما أرادوا أن يتبينوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى قال ( انّا جَعَلناهُ قرآنا عربيا ) (٥) وقال : ( بلسان عربيّ مبين "(٦) .

---

(١) ١/٦٢ .
(٢) سورة الرحمن /٤٨ .
(٣) ١/٦٥ ، وانظر تفسير القرطبى ١/٢٥ .
(٤) ١/٩٩ — ١٠٠ .
(٥) سورة الزخرف /٣ .
(٦) ١/١٠٠ و الآية من سورة الشعراء /١٩٥ .

وبعد أن ذكر طائفة من الأدلة التى تؤكد ضرورة الرجوع إلى الشعر فى تفسير القرآن ، وذكر مجموعة أخرى غير السابقة من أقوال الصحابة والتابعين ، ختم كلامه فى ذلك بعرض موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من رواية الشعر قال : " وكيف يجوز أن يصح ماذكر هؤلاء من ذم الشعر ، وقد جاء عن النبى صلى الله عليه ، وعن أصحابه وتابعيهم تفضيله ، من ذلك قوله : ( إنّ من الشّعر حكما ) "(١) ثم ساق مجموعة من الأحاديث والأخبار التى تؤكد قبول الرسول صلى الله عليه وسلم واقراره على إنشاد الشعر . ومن ذلك ماروواه الزهرى عن سعيد ابن المسيّب قال : " مر عمر بحسان بن ثابت الأنصارى ، وهو ينشد الشعر فى المسجد ، فلحظ إليه عمر فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ، ثم التفت الى أبى هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( أجب عنى اللهم أيّدهُ بروح القُدُس ) ، قال نعم "(٢) .

منهجه :

( ٤ ) وينهى أبوبكر مناقشته قضية الاحتجاج بالشعر على غريب القرآن بعد أن يشبعه بحثا ليرسم لنا منهجه بدقة واحكام فيقول :

" ومن تمام معرفة اعراب القرآن ، ومعانيه ، وغريبه - معرفة الوقف والابتداء فيه ، فينبغى للقارئ أن يعرف الوقف التام والوقف الكافى الذى ليس بتام ، والوقف القبيح الذى ليس بتام ولا كاف .

وينبغى له أيضا أن يعرف ما يوقف عليه بالياء والواو والألف ، وما يحذف منه لعلة أوجبت ذلك فلا يجوز إثباتهن من أجلها . وما يوقف عليه بحذف الياء والواو والألف اتباعا للمصاحف ولو اثبتن لجاز . وما اتفق القراء والنحويون على حذف الياء منه فى الوصل والوقف ، وما اتفقوا على حذف الياء منه فى الوصل ، واختلفوا فى الوقف ، وما يوصل بالتنوين ويوقف عليه بالألف ،

---

(١) ١/١٠٤ .

(٢) ١/١٠٤ .

وماتثبت فيه الياء والواو والألف في الوقف ويحذفن من الوصل بلاخلاف بين القراء والنحويين ، ومالا يوقف عليه إذا نصب مابعده ، فاذا رفع مابعده حسن للمضطر أن يقف عليه . وينبغي له أن يعرف ألف الأصل في الأسماء والأفعال وألف الوصل في الأسماء والأفعال ، وألف القطع في الأسماء والأفعال - وهي عندنا مخالفة لألف الوصل - وألف الاستفهام في الأسماء والأفعال ، وألف المخبر عن نفسه في الأفعال دون الأسماء ، وألف مالم يسم فاعله أيضا في الأفعال دون الأسماء ، وغير ذلك من أبواب الوقف والابتداء .

قال أبو بكر : وأنا مفسر ذلك كله بابا بابا ، وأصلا أصلا ، وذاكرا اختلاف القراء والنحويين فيه ، ومبين ذلك بعد استقصاء هذا الوقف التام والكافي ، في كل سورة من أول القرآن إلى آخره إن شاء الله"(١) .

ويتوقف أبو بكر عند هذا الحد من عرض تفصيل النقاط في منهجه ليذكر مصادر كتابه في أربع صفحات ونصف - كما سيأتي - ثم يرجع مرة أخرى لينهي الكلام عن منهجه بذكر مخططه العام في عرض مادة كتابه قائلا : "وأنا مبتدئ في أول الأبواب بما لا خلاف فيه بين القراء والنحويين ، وعاقد أصول الباب في أوله ، ثم مفرعها بعد ذلك ، وذاكر الاختلاف بعد الاتفاق .

ونسأل الله المعونة على ذلك ، والتوفيق للصواب والسداد والرشاد ، والعصمة من الخطأ ، والزلل في القول والعمل ، وعليه تكلاننا ، وإليه ننيب"(٢) .

ولا أعرف ما الذي دفع أبا بكر إلى الفصل بين هذا الجزء الأخير من المنهج وبين الجزء الذي قبله بذكر مصادره ، ولا أكاد أجد مسوغا لذلك ، فليته لم يفصل بينهما .

---

(١) ١/١٠٨ - ١١٠ .
(٢) ١/١١٥ .

( ٥ ) وقد كانت المصـــادر الرئيســـة لدراسه موضوع الوقـــف والابتداء عند أبى بكر هى القراء والنحويون واللغويون ، ولما كان لهذا الموضوع علاقه وثيقة بعلم التفسير فقد كان المفسرون أيضا مصدرا من مصادر دراسته ، ولذلك فلابد لمن يتصدر للتأليف فيه أن يكون عالما بالنحو واللغة والقراءات والتفسير ، فقد روى عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال : " لا يقوم بالتمام الا نحوى ، عالم بالقراءات عالم بالتفسير ، عالم بالقصص ، وتلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التى نزل بها القرآن ".(١)

وقد تحققت هذه الشروط كلها لأبى بكر ، فتيسر له التأليف فى موضـــوع الوقف والابتداء ، معتمدا على كبار القراء الذين اشتهرت قراءاتهم فى مختلـف المناطق الاسلامية ومنهم القراء العشرة المشهورون وهم :

نافـع بن أبى نعيم المدنى ، وعبد الله بن كثير المكـــــــى ، وأبوعمرو بن العلاء البصرى ، وعبد الله بن عامر الشامـــــــى ، وعاصم بن أبى النجود الكوفى ، وحمزة بن حبيب الكوفى ، وأبوجعفـر يزيد بن القعقاع المدنى ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمـــــــى ، وخلف بن هشام البزار ، وللأخير شأن خاص إذ يأخذ عنه قراءته عن طريق شيخه إدريس بن عبد الكريم وهو أحد راويتى البزار ، كما يأخذ عن إدريس عن البزار قراءة عاصم بن أبى النجود ، ويأخذ عنه البـــزار عن سليم بن عيسى قراءة حمزة الكوفى .

يعتمد أبو بكر على هؤلاء العشرة ، كما يعتمد على غيرهم من القراء الكبار أمثـال شيبة بن نصاح مقرئ أهل المدينة وسليمان بن مهران الأعمش ، ويحى بن زياد الفراء .

---

( ١ ) ١ / ٢٥ ، وكذلك ذكر هذا صاحب القطع والائتناف ١ / ٩٤ .

ويأخـــذ عن هؤلاء وغيرهم بوساطة شيوخه وأشهرهم هنا إدريس بـــن عبد الكريم المذكور آنفا ، واسماعيل بن اسحاق القاضى ، والحسن بن على المعمرى وعبيد الله بن عبد الرحمن الواقدى ، وسليمان بن يحى الضبى ، وأبوه القاســـم ابن محمد الأنبارى ، ومحمد بن هارون التمار وغيرهم .

ومن مصادره أيضا القاسم بن سلام ، وأحمد بن يحيى ثعلب وغيرهما كثير .

وهؤلاء جميعا وغيرهم أشهر مصادر ابن الأنبارى وهو ينص بدقة على أخذه عنهم ذاكرا أسانيد الأخـــذ فى موضع مستقل من المقدمة[1] ، قبل أن يدخـــل فى موضوع " مالا يتم الوقف عليه " وهو أول أبواب الكتاب .

وبلغ من دقته فى عرض قائمة مصادره أن ينص على تعدد طرق أخذه مـــن المصدر ، إذا زادت على طريق واحد ، يقول : " فماكان فى كتابنا هذا عن نافع ابن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ ، فحدثنا به اسماعيل بن إسحاق القاضى ، قال : حدثنا عيسى بن مينا ، ويلقب " قالون " ، قال : قرأت على نافع بـــن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ ، هذه القراءة غير مرة ، وأخـــذتها عنه .

وحدثنا أيضا بها سليمان بن يحى بن الوليد التميمى ، المعروف بالضبى ، عن أبى جعفر محمد بن سعدان عن المسيبى عن نافع .

وحدثنا بها أيضا محمد بن سليمان عن ابن سعدان عن المسيبى عن نافع "[2] .

فهو هنـا ينص على سماعه قراءة نافع من ثلاثة طـــرق هى : شيوخـــه الثلاثـــة : إسماعيل القاضى ، وسليمان الضبى ، ومحمد بن سليمان الباغندى .

وإذا سمع من شيخه بعض القراءة وليس كلها فانه ينص على ذلك أيضـــا كما فعل فى نصه على سماعه بعض قراءة عاصم بن أبى النجود — بروايـــة أبى بكـــر شعبة بن عياش — من شيخيه إدريس بن عبد الكريم ، ومحمد بن سليمان فقال : " وما كان فيه من روايه أبى بكر عن عاصم فحدثنا ببعضها ادريس عن خلف عن يحيى عن أبى بكر عن عاصم .

---

(١) ١/١١١ — ١١٥ .
(٢) ١/١١١ .

وحدثنا ببعضها محمد بن سليمان عن ابن سعدان ،عن المعلى ،عن أبى بكر عن عاصم.

وحدثنا بها كلها من أول القرآن الى آخر محمد بن سليمان عن ابن سعدان عن محمد بن المنذر عن يحيى عن أبى بكر عن عاصم" (١)

واذا كان سماعه من المصدر مباشـــرة بدون وساطة فانه ينص على ذلك أيضـا كقوله : " وماكان فيه عن أبى العباس أحمد بن يحيى فهو مما سمعته مـــن لفظـــه" (٢) .

على أن أبا بكر لم يذكر مصادره كلها فى هذا الموضع خشية أن "يطول الكتاب بتعديدها واحصائها" ،(٣) فاكتفى بالنص على اعتماده على مصادر أخرى كثيرة ترد فى مواضعها من الكتاب (٤) .

وهذه الدقة والأمانة فى عرض المصادر مما رفع من شأن الكتاب حتى أصبـــح من أشهر كتب الوقف والابتداء.

ولا يحدد أبو بكر فيما سبق عدد الكتب التى رجع اليها ، ولكننا نفهم من خبر أورده أبو البركات بن الأنبارى أن أبا بكر رجع الى نيف وسبعين كتابا ،ذلك أن الصاحب بن عباد " لما صنف كتابه "الوقف والابتداء" ،(٥) كان ذلك فى عنفوان شبابه ، فأرسل اليه أبوبكر بن الأنبارى وقال له : انما صنفت كتاب الوقـــف والابتداء بعد أن نظرت فى نيف وسبعين كتابا تتعلـــق بهذا العلم ، فكيـف صنعت هذا الكتاب مع حداثة سنك ؟! فقال الصاحب للرسول : قل للشيخ : نظرت فى النيف والسبعين التى نظرت فيها ، ونظرت فى كتابك أيضا" (٦)!!

وهذ النص يكشف لنا ـ بالاضافة الى معرفه عدد المصادر التى اعتمد عليها أبوبكر فى تأليف كتابه ـ أنه بذل جهدا كبيرا فى جمع مادته ، وأنه ألف كتابه فى سن متأخـرة بعض الشئ ، لأنه يستغرب من تأليف الصاحب كتابه فى شبابه.

---

(١) ١/١١٢.
(٢، ٣، ٤) ١/١١٥.
(٥) ذكر القفطى هذا الكتاب للصاحب بن عباد . انظر انباه الرواه ١/٢٠٣.
(٦) نزهة الألباء ٣٢٦.

(٦) باب ذكر مالا يتم الوقف عليه :

وهذا هو الموضوع الأخير من المقدمة ، وهو موضوع بالغ الأهمية ، لأن المؤلف يذكر فيه الحالات التى لا يمكن أن يكون الوقف فيها تاما ، وقد ذكر منها اثنتين وثلاثين حالة ، أثبت منها ههنا خمس عشرة حاله مكتفيا بمثال واحد لكل منها :

١ــ لا يتم الوقف على المضاف دون ماأضيف إليه ، كالوقف على ( كلمة ) فى قوله تعالى : ( وتمت كلمة ربك الحسنى ) (١)

٢ــ ولا على المنعوت دون النعت ، كالوقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى : ( الحمد لله رب العالمين ) . (٢)

٣ــ ولا على الرافع دون المرفوع ، كالوقف على ( أعجب ) فى قوله تعالى : ( أعجب الكفار نباته ) . (٣)

٤ــ ولا على المرفوع دون الرافع ، كالوقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى : ( الله خالق كل شئ ) . (٤)

٥ــ ولا على الناصب دون المنصوب كالوقف على ( نادى ) فى قوله تعالى : ( ونادى نوح ابنه ) (٥) .

٦ــ ولا على المنصوب دون الناصب ، كالوقف على ( اياك ) فى قوله تعالى : ( اياك نعبد، واياك نستعين ) (٦) .

٧ــ ولا على المؤكد دون التوكيد ، كالوقف على ( الملائكه ) فى قوله تعالى : ( فسجد الملائكه كلهم أجمعون ) (٧) .

٨ــ ولا على المنسوق دون مانسق عليه ، كالوقف على ( السماوات ) فى قوله تعالى : ( ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض ) . (٨)

---

(١) سوره الأعراف / ١٣٧ .
(٢) سوره الفاتحه / ٢ .
(٣) سوره الحديد / ٢٠ .
(٤) سوره الرعد / ١٦ .
(٥) سوره هود / ٤٢ .
(٦) سوره الفاتحه / ٥ .
(٧) سوره ص / ٧٣ .
(٨) سوره الحج / ١٨ .

٩ــ ولا على ( إنَ ) وأخواتها دون اسمها ولا على اسمها دون خبرها ، كالوقف على (إنَ )في قوله تعالى ( إنَ ابراهيم لحليم أواه منيب )[١] ، وكالوقف على ( ابراهيم ) في الآيه نفسها .

١٠ــ ولا على ( كانَ ) وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، كالوقف على ( كانَ ) في قوله تعالى ( وكان الله غفورا رحيما )[٢] ، وكالوقف على لفظ الجلاله في الآيه نفسها .

١١ــ ولا على ( ظنَ ) وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، كالوقف على ( تحسبنَ ) في قوله تعالى ( ولا تحسبنَ الله غافلا عما يعمل الظالمون )[٣] ، وكالوقف على لفظ الجلاله في الآيه نفسها .

١٢ــ ولا على المقطوع منه دون القطع[٤] ، كالوقف على ( المؤمنات ) في قوله تعالى ( يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات )[٥] .

١٣ــ ولا على المستثنى منه دون الاستثناء كالوقف على ( خسر ) في قوله تعالى : ( إنَ الانسانَ لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات )[٦] .

١٤ــ ولا على المفسَر عنه دون التفسير[٧] ، كالوقف على ( الأرض ) في قوله تعالى : ( فلن يقبلَ من أحدهم ملءُ الأرض ذهبا )[٨] .

١٥ــ ولا على المترجم عنه دون المترجم[٩] ، كالوقف على ( الخالقين ) في قوله تعالى : ( أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين )[١٠] .

---

( ١ ) سوره هود / ٧٥ .
( ٢ ) سوره الفرقان / ٧٠ .
( ٣ ) سوره ابراهيم / ٤٢ .
( ٤ ) القطع هو الحال ، والمقطوع منه صاحبها ، وهو مصطلح كوفي كما تقدم .
( ٥ ) سوره الممتحنه / ١٠ . ( ٦ ) سوره العصر / ٢ ، ٣ .
( ٧ ) التفسير هو التمييز ، والمفسر عنه هو المميز .
( ٨ ) سورة آل عمران / ٩١ .
( ٩ ) المترجم هو البدل ، أو عطف البيان .
( ١٠ ) سوره الصافات / ١٢٥ ، ١٢٦ .

هذه بعض الحالات التى لا يتم فيها الوقف ويمكن الرجوع إلى الكتاب لمعرفة بقيتها.(١) وهى تكشف لنا دور علم النحو فى دراسة موضوع الوقف والابتداء، كما تؤكد رأى ابن مجاهد المتقدم(٢) — من أنه لا يتمكن من دراسة هذا الموضوع الا نحوى ، لغوى ، عالم بالقراءات والتفسير.

(٧) أنواع الوقف ومراتبه

فى نهاية النوع الأول ، وبعد ذكر ما لا يتم الوقف عليه عرض أبو بكر بايجاز لمراتب الوقف ، مكتفيا بتعريف قصير وأمثلة قليلة لكل مرتبة ، وسأبين مراتبه عند إن شاء الله بعد معرفة أنواع الوقف.

والمقصود بأنواع الوقف هنا بيان ما يوقف به على آخر الكلمة ، أو كيفية الوقف على آخر الكلمة من حيث النطق وتتمثل فى خمسة أنواع :

أولا — السكون : وهو الأصل ، والأكثر استعمالا ، ويكون فى الحركات الثلاث : الفتحة ، والكسرة ، والضمة . وهو أيسر فى النطق وأبلغ فى الاستراحة .

ثانيا — الروم : وهو أن تشير إلى الحركة بصوت ضعيف ، حتى يذهب معظمها ، وهذا يسمعه القريب فقط من القارئ . ويكون فى المرفوع والمجرور والمكسور ، ولا بد مع الروم من حذف التنوين من النون .

ثالثا — الإشمام : وهو ضم الشفتين — من غير صوت — بعد إسكان الحرف الأخير من الكلمة ، ويكون فى المرفوع والمضموم فقط ، وهو يرى فى حركة الشفتين ولا يسمع .

رابعا — الابدال : وهو أن يبدل تنوين المنصوب ألفا — نحو ( وكان اللهغفورا رحيما ) — مالم يكن تاء تأنيث نحو — حياة وزكاة — ، فانها تبدل هاء .

---

(١) ج ١ من ص ١١٦ — ١٤٩ .

(٢) راجع ص .

خامسا — الحذف : وهو حذف التنوين من المرفوع والمجرور المنون ومثاله : سميع، عليم .(١)

وقد أضاف بعض اللغويين نوعين آخرين للوقف فى اللغة هما : التشديد والاتباع ، والمقصود بالأول أن يشدد الحرف الأخير من الكلمة نحو : هذا عمرّ، وهذا خالدّ ، والمقصود بالثانى أن يحرك ماقبل الأخير فى الرفع والجر ، نحو: هذا بكر ، ومررت ببكرِ . وهذا الأخير يسمى الوقف بالنقل ،أى نقل حركة الحرف الأخير إلى الساكن قبله ، كما مثل .

وقد ذكر أبو بكر بايجاز أشهر الأنواع السابقة فى "باب ذكر مذاهب القراء فى الوقف" فقال :

" وفى الوقف على الأسماء خمسة أوجه : أجودهن أن تقول فى الرفع ( هذا زيد ) بالاشارة الى الضمه ، وفى الخفض ( مررت بزيد ) بالاشاره الى الكسره ، و( رأيت زيدا ) باثبات الألف فى النصب، ومنهم من يقول فى روايه بعض البصريين ( رأيت زيدَ ) فيشير الى الفتحه ، ولا يثبت الألف.

ومنهم من يقول فى الرفع : ( هذا زيدو) ، وفى النصب ( رأيد زيدا ) وفى الخفض ( مررت بزيدى ) .

ومنهم من ينقل الحركة الى وسط الاسم اذا أمكن النقل اليها فيقول ( هذا بكْر ) فى الرفع و(رأيت بكْر ) فى النصب ، و( مررت ببكِر ) فى الخفض.

ومنهم من يقف بغير اعراب فيقول ( هذا زيد ) ، و( رأيت زيد ) ، و(مررت بزيد ) .

والوجه الأول هو الوجه العالى عند العرب ، وهو عند النحويين أثبت فى القياس .

وآخر الخمسة فى الوقف تشديد آخر الاسم اذا أمكن ذلك كقولهم (هذا عمرّ ) فى (عمر ) .(٢)

---

(١) انظر تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين ١٤١ .

(٢) ١/٣٨٩ .

هذا هو مبلغ كلامه عن أنواع الوقف هنا ، ولكنه عاد وبسط القـــول فى بعض هذه الأنواع فى الأبواب التى عقدها لدراسة الألفات والياءات والواوات[١] ، وفى بـــاب التنويـــن[٢] ، و" باب ذكر ما يوقف عليه بالتاء والهاء "[٣] وقد وجـــه اهتمامه فى هذه الأبواب لتوضيح كيفية الوقوف على الحروف المعتلة وعلى المنون وعلى تاء التأنيث وفصل فى ذكر الأمثلة لكل نوع.

وأما مراتب الوقف فالمقصود بها تقســيم ما يوقف عليه من حيث الجـــودة والرداءة ، ومن حيث اكتمال المعنى وانقطاع الكلام عما قبله وعدم تعلقه بما بعده أو العكس، أى عدم اكتماله وارتباطه بما قبله أو بعده .

وقد اختلف العلماء فى تقسيم هذه المراتب :

- فمنهم من قال بثلاثة أقسام : تام ، وحسن ، وقبيح .

- ومنهم من ذهب الى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جـــــائـز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

- ومنهم من قسمها الى خمسة أقسام : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجـــوز لوجه ، ومرخص ضرورة[٤] .

- وقد أطنب بعض العلماء وأكثر فجعلها ثمانية أقسام : كاملا ، وتامـــا ، وكافيا ، وصالحا ، ومفهوما ، وجائزا ، وناقصا ، ومتجاذبا[٥] .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فى تقسيم مراتب الوقف فهو ليس خطيرا ، لأنه خلاف اصطلاحى فحسب ، قال أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى : " والناس فى اصطلاح مراتبه مختلفون ، كل واحد له اصطلاح ، وذلك شائع ، لما اشتهر أنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، بل يسوغ لكل أحد أن يصطلح على ما شاء "[٦] ،

---

(١) ١/ ١٥١ ومابعدها .
(٢) ١/ ٣٥٧ ومابعدها .
(٣) ١/ ٢٨١ ومابعدها .
(٤) منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ص٥.
(٥) تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين ص١٣٠ .
(٦) منار الهدى ص ٥.

ذلك أن الوقف مرتبط بالمعنى والاعراب فقد يكون على تقدير حسنا ، وكافيا على آخر ، وتاما على غيرهما ، كالوقف على ( المتقين ) فى قوله تعالى : (هدًى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب) (١) فاذا جعلت ( الذين يؤمنون بالغيب) صفة للمتقين ، فالوقف على المتقين حسن ، واذا رفعتها على تقدير هم الذين يؤمنون بالغيب ، فيكون الوقف كافيا ، وكذلك إذا نصبتها على تقدير أعنى الذين يؤمنون بالغيب . واذا جعلت ( الذين يؤمنون بالغيب ) مبتدأ وخبره قوله تعالى : ( أولئك على هدى من ربهم ) (٢) فيكون الوقف تاما "(٣) .

وقد اختار أبو بكر بن الأنبارى فى كتابه ثلاث مراتب هى :

الوقف التام ، والوقف الحسن ، والوقف القبيح .

فالوقف التام عنده "هو الذى يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلق به"(٤) تعلقا معنويا أو لفظيا كقوله تعالى : ( إن الذين كفروا سواء عليهم ،أأنذرتهم ،أم لم تنذرهم لا يؤمنون ) (٥) الوقف على ( لا يؤمنون ) تام لأنه يحسن أن تقف عليها ، ويحسن الابتداء بما بعدها وهو قوله تعالى : ( ختم الله على قلوبهم ) ومثلها الوقف على ( ما هدى ) فى قوله تعالى : ( وأضل فرعون قومه وما هدى ) (٦) ، والوقف على ( تبصرون ) فى قوله تعالى : ( أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ) (٧) ، والوقف على (الناس ) فى قوله ( وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ) (٨) ،

و"الوقف الحسن هو الذى يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده"(٩) لتعلق ما بعده بما قبله ، كالوقف على ( وأدبارهم ) فى قوله تعالى : ( فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ) (١٠) ،فهذا وقف حسن

---

( ١ ) سورة البقرة / ٢ و ٣ .
( ٢ ) سورة البقرة / ٥ .
( ٣ ) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٢٩ .
( ٤ ) ١ / ١٤٩ .
( ٥ ) سورة البقرة / ٦ .
( ٦ ) سورة طه / ٧٩ .
( ٧ ) سورة الأنبياء / ٣ .
( ٨ ) سورة الحج / ٧٨ .
( ٩ ) ١ / ١٥٠ .
( ١٠ ) سورة محمد / ٢٧ .

لأن مابعده يتعلق به فى المعنى وهو قوله ( ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ) ومثلها الوقف على ( العصيان ) فى قوله تعالى ( وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ) (١) ، والوقف على ( قليلا ) فى قوله تعالى ( وذرنى والمكذبين أولى النعمة ، ومهلهم قليلا ، إن لدينا أنكالا وجحيما ) (٢) .

والوقف القبيح هو الذى " ليس بتام ولا حسن " (٣) مما لا يتم عليه كلام ، ولا يفهم منه معنى أو مما يغير المعنى المقصود ، ومثاله الوقف على ( الحمد ) وعلى ( ربّ ) و( مالك يوم ) ، و( صراط الذين ) فى سورة الفاتحة ، فالوقف على مثل هذه المواضع لا يتم عليه كلام ، ولا يفهم منه معنى ، ومثال ما يغير المقصود الوقف على ( الموتى ) فى قوله تعالى ( إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ، ثم اليه يرجعون ) (٤) ، وكذلك الوقف على لفظ الجلالة ، فى قوله ( فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين ) (٥) ومثلها الوقف على ( يهدى ) فى الآية نفسها . فالوقف على المواضع السابقة قبيح لأنه يفسد المعنى ويغير المقصود ، وقال ابن الجزرى : " لا يجوز الا اضطرارا لانقطاع النفس أو نحو ذلك من عارض لا يمكنه الوصل معه " (٦) .

---

( ١ ) سورة الحجرات / ٧ .
( ٢ ) سورة المزمل / ١١ ، و ١٢ .
( ٣ ) ١ / ١٥٠ .
( ٤ ) سورة الأنعام / ٣٦ .
( ٥ ) سورة البقرة / ٢٥٨ .
( ٦ ) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٣٠ .

النوع الثانـــــــــى :

يحتوى هذا الجزء على عشرة أبواب يعنى فيها المؤلف بدراسة بعض حالات الوقف ، وبخاصة الوقف على الألفات ، والياءات ، والواوات ، وعلى تاء التأنيث ، وعلى الألفاظ المنونة فى حالات الرفع والنصب والجر .

وأول أبواب هذا النوع هو "باب ذكر الألفات اللاتى يكن فى أوائل الأفعال"(١)، ويتكلم فيه عن أقسام هذه الألفات ، وكيفية التعرف عليها ، ضاربا لكل قسم مجموعة كبيرة من الأمثلة قرآنية وغير قرآنية ، ومكثرا من الحجج والعلل والتحليلات أثناء شرحه لها .

وعلى هذا النحو ذكر أقسام الياءات والواوات مدعمة بالأمثلة والحجج والعلل ثم يمضى أبو بكر فى الأبواب الثلاثة التى تلى هذا الباب وهـــــى : "باب ذكر الألفات اللاتى يكن فى أوئل الأسماء"(٢) و "باب ذكـــر الياءات والواوات والألفات اللاتى يحذفن علامة للجزم ، فلا يجوز إثباتهـــن فى الوقف"(٣) و "باب ذكر الياءات والواوات والألفات المحذوفات اللاتى يجوز فى العربية إثباتهن"(٤) ، ويقصد بالمحذوفات هنا التى حذفت فى المصاحف، فيعرض لموضوع الرسم القرآنى ، ويبين الفرق بين جواز حذف الحرف فى اللغة العربية وعدم جوازه فى الرسم . ويبدو ابن الأنبارى متقنا هذا الفن ، ولا غرو فهو ممن ألف فى الرسم القرآنى ، وقد مر بنا ضمن مؤلفاته كتابه "المصاحف"(٥) .

وإذا قابلنا بعض نصوص الأبواب السابقة بنصوص كتاب شرح الألفات للمؤلف تبين لنا أن ثمة تشابها كبيرا بين المادتين أحيانا فمن ذلك مثـــلا اتفاقهما فى تخصيص ألفات الأفعال بباب وألفات الأسماء ببـــاب آخـــر ،

---

(١) ١/١٥١ .
(٢) ١/٢٠٢ .
(٣) ١/٢٢٢ .
(٤) ٨/٢٤٦ .
(٥) راجع ص ١٤٠ .

ومن النصوص التى تتشابه تشابها كبيرا قوله فى ايضاح "الوقف والابتـــــداء" :

"باب ذكـر الألفات اللاتى يكن فى أوائل الأفعال : وانما بدأنا بها قبـــل ألفات الأسماء لأن الأصـــول فيها أبين وأقرب على المتعلمين من ألفـات الأسماء"(١) يقابل هذا فى أول كتاب شرح الألفات قوله : "باب ذكر الألفـات التى يبتدأ بها فى أوائل الأفعال : وانما قدمناها على ألفات الأسماء ، والأدوات لقرب أصولها على المستفيدين ، وسهولة التفريع منها ، وقلة التباس العلل فيها عليهم"(٢) . ومثل ذلك قوله فى الايضاح : " اعلم أن ألفات الأفعال تنقسم على ستة أقسام : ألف وصل ، وألف أصل ، وألف قطع، وألف المخبر عن نفسه ، وألف الاستفهام ، وألف مالم يسم فاعله"(٣) يقابله فى "شرح الألفات" قوله : "اعلم أن الألفات المبتدأ بها ، فى أوائل الأفعال ست : ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف الاستفهام ، وألـف المخبر عـن نفسه ، وألف مالم يسم فاعله"(٤).

وقد يكون التشابه حرفيا إلى حد ما ومثال ذلك فى الايضاح تعليلـــه سبب كسر ألـف الأمر من الثلاثى يقول :

" فان قال قائل : هلا فتحت اللام اذا كان الثالث مفتوحا ، كما تكسرهـــا ، اذا كان الثالث مكسورا ، وتضمها اذا كان الثالث مضموما ؟

فقـــل : كرهت أن أفتحها فيلتبس الأمر بالخبر ، وذلك أنى لو قلت فى الأمر: أذهب يارجل ، أصنع يارجل ، لالتبس بقولى فى الخبر : أنا أذهب ، أنا أصنع، فكسرناها لمابطل فيها الفتح ، لأن الكسر أخو الفتح ، وذلك أن الحركات ثلاث؛ فتحة وكسرة وضمة ، فالفتحة أخف الحركات ، ثم الكسرة تليها ، والضمة أثقل الحركات، فحركت الألف بالكسر، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة"(٥)

---

(١) ١/١٥١ .
(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٣٤/ص ٢٨٣ .
(٣) ١/١٥١ .
(٤) مجلة المجمع العلمى العربى ٣٤/ص ٢٨٣ .
(٥) ١/١٧٧ .

وفى شرح الألفـــات :

" فان قال قائل : هلا فتحتها (١) ، اذا كان الثالث مفتوحـــا ، كما تكسرها اذا كان الثالث مكسورا ، أوتضمها إذا كان الثالث مضموما ؟

فقل : كرهت أن أفتحها ، فيلتبس " الأمر " بالخبـــر " ، ألا ترى أنك لوقلت فى الأمـــر : أذهب يارجل ، أصنع يارجل ، لا لتبس بقولك فى الخبر ، أناأذهب أنا أصنع ، فكسرناها ، لمابطل فيها الفتح ، لأن الكسر أخو الفتح ، وذلك أن الحركات ثلاث : فتحة ، وكسرة ، وضمة ، فالفتحة أخف الحركات ، ثم الكسرة تليها ، والضمة أثقل الحركات ، فتحركت الألف بالكسر ، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة . "(٢)

ومثل هذا التشابه الذى يصل إلى حد التوافق يؤكـد لنا رجوع المؤلـــف فى أحد الكتابين إلى الآخـــر ، والراجح عندى أنه يرجع فى ايضاح الوقـــف والابتداء الى شرح الألفات اذ يغلب على الظن أن الايضاح ألف فى سن متأخرة لاستنكار مؤلفه على الصاحب بن عباد تأليف كتابه فى الوقف والابتداء وهـــو شاب كما تقدم .(٣)

يلى الأبواب التى خصها ابن الأنبارى بالألفات والياءات والواوات " باب ذكـــر مايوقف عليه بالتاء والهاء " .(٤) ويقرر فى هذا الباب " أن كل هاء دخلت للتأنيث فالوقف عليها بالهاء والتاء جائز "(٥) ثم يستثنى من ذلك مواضع فـــى القرآن يكون الوقف فيها على التاء فقط يحددها آية آية ، كقولـــــه : " وكل ما فى كتاب الله تعالى من ذكر ( الكلمة ) فهو بالهاء الا فى ثلاثة أمكنة ، فى الأعراف ( وتمت كلمة ربك الحسنى )(٦) ، وفى يونس ( حقت كلمة ربك على الذين فسقوا )(٧) ، وفى المؤمن ( حقت كلمة ربك على الذين كفروا )"(٨) .

---

( ١ ) أى لام الفعل فى " اصنع "
( ٢ ) مجلة المجمع العلمى العربى ٣٤/ص ٢٨٧ .
( ٣ ) راجع ص ١٦٣ .
( ٤ ) ١/ ٢٨١ .
( ٥ ) ١/ ١٨١ .
( ٦ ) سورة الاعراف .
( ٧ ) سورة يونس / ٣٣ .
( ٨ ) ١/ ٢٨٦ ، والآية فى سورة غافر / ٦ وهـــى سورة المؤمن .

يلى ذلك "باب ذكر الحرفين اللذين ضم أحدهما الى صاحبه فصارا حرفا واحدا لا يحسن السكوت على أحدهما دون الآخر ، والحرفين اللذين يحسن الوقف على أحدهما دون الآخر"(١) .

ويعالج فيه هذا الباب الحروف المركبة محددا مواضع جواز الانفصال وعدم جوازه ، ومن الحروف التى يذكرها هنا : "انما" المكسورة الهمزة ، و"أنما" المفتوحه الهمزه ، و"عما" ، و"فيما" و "مما" ، و"ماذا" وغيرها . وهذا الموضوع أيضا من موضوعات الرسم القرآنى .

ويخص بابا للتنوين ، ومايبدل منه فى الوقف(٢) ، فيضرب فيه أمثله كثيرة من الوقف على المنون ، ويعقد حديثا خاصا لبعض الألفاظ المنونه فى القرآن مما اختلف فيه القراء مثل ( ثمود ) و( سلاسل ) و( قوارير ) ومنها يستطرد الى موضوع الممنوع من الصرف ، ثم يتكلم عن أصل الألف فى ( الظنونا ) ، و(الرسولا ) و ( السبيلا ) ، وحكم الوقف عليها .

وقبل أن يختم هذا النوع ينتقل الى باب يسميه "باب ذكر مذاهب القراء فى الوقف" (٣) ويعرض فيه مذاهب بعض القراء فى الوقف على الهمزة ، ثم يبسط القول فى المهموز من الألفاظ ذاكرا بعض قواعد النحو فيها ، ومنها القاعدة العامة فى طريقه التلفظ بالمهموز التى ينقلها عن الفراء وهى أن : "للعرب فى الهمز ثلاثة مذاهب : التحقيق ، وترك الهمز وهو يراد ، والابدال منه : فمن حقق الهمزه قال : استهزأت ومستهزئون ، ومن أبدل من الهمزه قال : استهزيت ، كمايقول : استقصيت ، ويقول مستهزون ، كمايقول مستقصون . ومن ترك الهمز وهو يريده ، قال استهزات بغير همز ، وقال مستهزون بكسر الزاى ، وتسكين الواو من غير مد ولا همز "(٤) .

وفى نهاية هذا الباب يعرض طائفه من المواضع التى يقبح الوقف عليها ، فيقول : " واعلم أن الوقف يسمج على مثل قوله :

---

(١) ١/٣١٢ .
(٢) ١/٣٥٧ .
(٣) ١/٣٨٤ .
(٤) ١/٤٠٠ .

( اللّه لا إله الا هو )[١] يقبح الوقف على ( لا إله ) ، وكذلك ( ما من إلـــه )[٢] الوقف عليه سمج ، وكذلك ( قالوا اتخذ الرحمن ولدا )[٣] الوقف على ( قالوا ) والابتداء ( اتخذ الرحمن ولدا ) قبيح ، ولا تقف على قوله ( ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم بمصرخي اني كفرت )[٤] ، ولا على قوله ( ألا انهم من إفكهم ليقولون .... )الخ[٥]

وآخر باب في هذ القسم ــ الثاني ــ هو "باب ذكر أوائل الســـور اذا وصلت بأواخر السور التي قبلها ، وذكر الوقف على أسماء السور"[٦] .

لم يلتزم ابن الأنباري عنوانه في هذا الباب ، فالمفهوم منه أنه يعالج كيفية القراءة في حالة وصل أواخر بعض السور بأوائل السور التي تليها كوصل آخـــر سورة القارعة ــ وهو قوله تعالى ( نار حاميه ) ــ بأول سورة التكاثر وهو قولـه : ( ألهاكم التكاثر )[٧] .

هذا هو مفهوم عنوان الباب ، ولكن أبا بكر لم يذكر مثالا ينطبق على عنوانه غير المثال الذي ذكرته ، وهو وصل آخر القارعة بأول التكاثر ، وأما سائر أمثلتـــه فهي مخالفة للعنوان فقد ذكر مثلا وصل آخر الزلزلة بأول القارعة ، وآخر البينـــة بأول القارعة ، وكلتا السورتين ليستا من السور التي يقع ترتيبها قبل القارعة مباشرة ، كما اختار آيات متفرقة من القرآن ليبين قراءتها في حـــالة وصلها ببعض أوائل السور ، كوصل قوله تعالى : ( يأيها الذين آمنوا قو )[٨] بأول سورة العلق وهو قوله : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) ، ووصل قوله تعالى ( ليسجنـــن )[٩] بأول سورة التكاثر ، وغيرها .

---

( ١ ) سورة البقرة / ٢٥٥ .
( ٢ ) سورة آل عمران / ٦٢ .
( ٣ ) سورة مريم / ٨٨ .
( ٤ ) سورة ابراهيم / ٢٢ .
( ٥ ) ١ / ٤٥٠ ، والآية من سورة الصافات / ١٥١ .
( ٦ ) ١ / ٤٥٣ .
( ٧ ) ١ / ٤٦١ .
( ٨ ) سورة التحريم / ٦ .
( ٩ ) سورة يوسف / ٣٢ .

وقد يختار آيتين من موضعين مختلفين فى القرآن ويبين قراءتهما فى حالة الوصل كوصل قوله تعالى ( ولو أنا كتبنا عليهم أن ) (١) بقوله ( فليؤد الذى اؤتمن أمانته ) (٢) .

ومن هنا يتبين أن الصبغة الظاهرة فى هذا الباب هى الدراسة الصوتية لاظهار كيفية نطق بعض الآيات فى حالة الوصل بغيرها .

وأما الشطر الثانى من هذا الباب فهو لذكر الوقف على أسماء السور كما هو واضح من عنوانه ، ويهتم فيه باعراب بعض أسماء سور القرآن اذا وردت فى جمل كقولهم ( قرأت هودا ) و ( قرأت يونس وابراهيم ولقمان ) و (قرأت "اقتربت") وغيرها .

ولا يطيل فى ذكر أسماء السور ، بل يختار بعضها معالجا اياها بايجاز .

وبهذا ينتهى القسم الثانى من كتاب ايضاح الوقف والابتداء وقد استنفذ من جزئه الأول ثلاثة أرباعه تقريبا ، اذ وصل إلى الصفحة الثالثة والسبعين بعد أربعمائة .

---

(١) سورة النساء / ٦٦ .
(٢) سورة البقرة / ٢٨٣ .

النـــــوع الثـــــالـث :

وفى هذا النوع بدأ المؤلف يطبق القواعد التى استنبطهـــــــا وينفذ الخطـة التى وضعها ، كى يحقق النتائج المرجوة ، ويدعم الآراء التـــى ارتضاها ، مؤيـــدة بالأدلـــة والبراهين .

وقد بين ذلك كله مفصلا فى القسمين السابقين ، كماتقدم . ثم درس ابن الأنبارى مواضع الوقف والابتداء فى كتاب الله ، حسب ترتيب السور المعروف ، فابتدأ بسورة الفاتحة وبعدها سورة البقرة ، وهكذا حتى انتهى إلى سورة الناس، من غير أن يغفل سورة ولو كانت قصيرة ، كسورة "العصر" مثلا ، فقد وضع لهـــا عنوانا ، كتب تحته : " الوقف التام فيها آخرها ".

وقد بدأ هذا القسم التطبيقى فى الكتاب من الصفحه الرابعة والسبعين بعد أربعمائة ، وانتهى فى الصفحه الثانية والتسعين بعد تسعمائه .

ومماينبغى توكيده أنه لاغنى لقارئ القرآن ، ولا لدارس اللغة العربيـــــة من إتقان هذا الموضوع، لاجادة الوقف والابتداء .

## نقد الكتـــــــــاب

ان أول مايجب على من يتصدى لنقد كتاب من الكتب أن يكون بصيرا بمافيه ، لذا يجب أن يبدأ بقراءته قراءة واعية ، ثم يتدبر كل ماجاء فيه ، كى يصل الى معرفة ما لهذا الكتاب من مزايا ، وما عليه من مآخـــذ . وقد كان هذا شأنـــــى مع " كتاب ايضاح الوقف والابتداء " فى كتاب الله عز وجل ، لأبى بكر بن الأنبارى ، ومع غيره من كتبه التى يسر الله لى طريق دراستها .

ولعل أول مايعرض للناقـــد بعد القراءة والاستيعاب والتدبـــر — هو النظر فى تطبيق المنهج الذى وضعه صاحبه لعرض المادة العلمية التى جاءت فيه . وهنا نواجه بسؤال يمكن أن تكون الاجابة عنه تبيانا لذلـــك ، وهذا السؤال خـــاص ب : منهجـــــه :

هل التزم ابن الأنبارى منهجه الذى وضعـــه . ؟

وهل سار على خطته التـــى رسمهـــــا لهذا الكتاب؟

لقد سبق الاستشهاد بالفقرات التى عرض فيها أبو بكر منهجه عرضا مفصلا ، وذلك فى أثناء الكلام عن مقدمته[1] ، ويمكن أن نلخص عناصر منهجه مما سبق علـــى النحو التالى :

- ذكر مراتب الوقف .
- ذكر أنواع الوقـــف .
- ذكر اختلاف النحويين والقراء .
- مراعاة ترتيب سور القرآن فى العرض .
- الابتداء بما لا خلاف فيه بين القراء والنحويين .
- وضع أصـــول البـــاب ثم تفريعهـــــــــا .
- ذكـــــر الاختـــــلاف بعـــــد ذكـــر الاتفاق .

---

(١) راجـــع ص ١٥٩ و ١٦٠ .

فأما مراتب الوقف فقد نص عليها فى المقدمة ـ كما تقدم[١] ـ ثم طبقها على سور القرآن وهى عنده ثلاث : ( تام وحسن وقبيح ) ، وطريقته فى تطبيقها هى أن يذكر الآية أو بعضها ـ وهو الأكثر ـ الى موضع الوقف الذى يريد أن يبينه فيها ويتبعها بذكر مرتبة الوقف وقد يذكر سبب تمام الوقف أو عدم تمامه أو قبحه كقوله : " ( أوفوا بالعقود )[٢] وقف تام ، ( الا مايتلى عليكم )[٣] وقف غير تام لأن قوله ( غير محلى الصيد )[٤] منصوب على الحال كأنه قال : ( لا محلى الصيد ) ، والوقف على ( وأنتم حرم )[٥] حسن .

ومثله ( يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا )[٦] ، وكذلك : ( فاصطادوا )[٧] ، ( عن المسجد الحرام أن تعتدوا )[٨] ، ( ولا تعاونوا على الاثم والعدوان )[٩] ، ( ان الله شديد العقاب )[١٠] تام .

وأما أنواع الوقف : فقد درسها مفصلة ـ كما رأينا ـ فى الأبواب التى عقدها لدراسة الألفات والواوات والياءات ، وفى الباب الذى عقده لدراسة تاء التأنيث ، وفى باب التنوين ، كما عرض لبعضها فى باب ذكر مذاهب القراء فى الوقف.

وقد اهتم أبوبكر بعرض وجهات نظر القراء والنحويين ، معتنيا بابرازها فى قراءة الآية ، والوقف عليها ، والاختلاف فى اعرابها وتفسيرها على نحو ما وعد به فى مقدمته[١٢] ، وتتجلى هذه الصفة بارزة فى معظم صفحات الكتاب ، بل لاتكاد تمر صفحة دون أن يقف فيها المؤلف على شئ قليل أوكثير من الخلافات بين الأئمة فى النحو والقراءات ، ومن ثم فى التفسير ويمكن أن نتابع على سبيل المثال معالجته الآية الكريمة ( وحور عين ) فى سورة الواقعة[١٣] يقول :

---

(١) راجع ص ١٥٩.
(٢، ٣، ٤، ٥) سورة المائدة / ١ .
(٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) سورة المائدة / ٢ .
(١٢) راجع ص ١٥٩.
(١٣) الايـــة / ٢٢ .

"( ولحم طير مما يشتهون )[1] وقف حسن ، ثم تبتدئ : ( وحور عين ) على معنى وعندهم حور عين ، وبهذه القراءة قرأ نافع وابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو . وكان أبوجعفر والأعمش وحمزة والكسائى يقرؤون ( وحور عين ) بالخفض ، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على ( يشتهون ) ، لأن الحور منسوقات على ( الأكواب ) ، وان شئت جعلتها نسقا على قوله : ( فى جنات النعيم )[2] وفى ( حور عين ) .

وقال السجستانى : لا يجوز أن تكون ( الحور ) منسوقات على (الأكواب) لأنه لا يجوز أن يطوف الولدان بـ ( الحور العين ) .

وهذا خطأ منه ، لأن العرب تتبع اللفظة اللفظة ، وان كانت غير موافقة لها فى المعنى . ومن ذلك قراءة أكثر الأئمة فى سوره المائده ( وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين )[3] فخفضوا الأرجل على النسق على ( الرؤوس) ، وهى تخالفها فى المعنى لأن الرؤوس تمسح ، والأرجل تغسل ، قال الحطيئة :

اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

فنسق ( العيون ) على ( الحواجب ) والعيون لا تزجج انما تكحل ، وهذا كثير فى كلام العرب .

وقال الفراء : يلزم من رفع ( الحور العين ) ـ لأنهن لا يطاف بهن ـ أن يرفع ( الفاكهة ) و( اللحم ) لأنهما لا يطاف بهما ، انما يطاف بالخمر وحدها .

وقال الفراء : الخفض وجه القراءة ، وبه يقرأ أصحاب عبد الله . وفى قراءة أبى بن كعب ( وحورا عينا ) بالنصب ، على معنى ويزوجون حورا عينا ، ويعطون حورا عينا . فمن هذه القراءة أيضا يحسن الوقف على ( يشتهون )"[4] .

---

( ١ ) سورة الواقعة / ٢١ .
( ٢ ) سوره الواقعة / ١٢ .
( ٣ ) سوره المائدة / ٦
( ٤ ) ١/٢١/٩ .

بين أبوبكر هنا اختلاف القراء والنحويين فى الآية ،وذكر مذهب كل منهم فى قراءتها واعرابها ، والمهم فى كل ذلك عنده توضيح اختلاف الوقف باختلاف القراءه .

ونواه يرد على أبى حاتم السجستانى فى انكاره أن تكون ( الحور ) معطوفه على ( الأكواب ) بحجة عدم جواز أن يطوف الولدان بـ ( الحور العـــــين ) ، ويبدو رده مقنعا ، فهو يستعين فيه بقاعده لغوية ، وآية ، وبيت شعر ، وقول الفراء وكلها دعائم قوية وحجج مقنعة فى الرد كما هو واضح فى النص.

وعلى هذا النحو تعقب أبوبكر أبا حاتم السجستانى فى مواضع كثـــيره من الكتاب(١) .

وهو فى عرضه هذه الخلافات يقدم ذكر ما اتفق عليه العلماء ، ثم يتبع ذلك ببيان ما اختلفوا فيه من مراتب الوقف ، وأوجـــه الاعراب ، وارتباط المعنى بذلك .

وهذه القاعدة واضحه عنده فى عرض مادته ،على ما فعل فى وقوفه على الآيه الكريمه ( يأيهـــــا النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )(٢) فذكر أن الوقف على لفظ الجلاله حســن اذا نصبت ( ومن اتبعك من المؤمنين ) بفعل مضمر ،كأنك قلت : يكفيك الله ، ويكفى من اتبعك من المؤمنين ، قال الشاعر:

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

فحسبك والضحاك سيف مهنـد

أراد يكفيك ويكفى الضحاك . وان جعلت ( من ) فى موضع رفع علـــى النسق على ( اللـــه ) لم يحسن الوقف على الله تعالى .

وقال السجستانى : معناه ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم اللـــــه ، قال أبوبكر وهذا غلط ،لأن المفسرين والنحويين على خلافه ، وانما رغب النحويون عنه لأنه ينقطع من الأول اذا فعل به ذلك ، وهو متصل على مذهبهم فليست بهم حاجة الى قطعه منه(٣)

---

(١) انظر مثلا ١/ ٥٨٦، ٥٠٥، ٥٤٢، ٥٤٢/٢، ٥٨٩، ٥٩٤، ٧٠٠ و ٧٩٢، ٨٨١، ٩١٠، ٩٣٩، ٩٤٣ وانظر النص المقتبس بعد قليل .

(٢) سوره الانفال/ ٦٤ .

(٣) ٢/ ٦٨٧ .

وقال ابن الأنباري في قوله تعالى : ( أن الله بريء من المشركين )[1]

" كان القراء كلهم يفتحون ألف (أن) إلا الحسن البصري فانه كان يكسرها. فعلى مذهب العامة لا يحسن الوقف على ( يوم الحج الأكبر )[2]، لأن ( أن ) متعلقة بما قبلها كأنه قال : لأن الله ، وبأن الله ، وعلى مذهب الحسن يتم الوقف على ( الحج الأكبر ) لأن ( ان ) مكسورة على الابتداء ، وقوله ( أن الله بريء من المشركين ورسوله ) ، اجتمعت القراء على رفع الرسول ، الاعيسى بن عمر ، وابن أبي اسحاق فانهما كانا ينصبانه . فمن رفعه كان له مذهبان : أحدهما : أن تقول نسقته على مافي (بريء) من ذكر الله ، فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على ( الرسول ) ، ولا يحسن على المشركين ) .

والوجه الآخر أن تقول : رفعته على الاستئناف ، وأضمرت له رافعا ، كأني قلت " أن الله بريء من المشركين ورسوله بريء منهم . فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على ( المشركين ) ولا يحسن على ( الرسول ) ، وعلى مذهب ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر يحسن الوقف على الرسول ، ولا يحسن على ( المشركين )[3] ، لأن الرسول نسق على الله "

فهو هنا يقدم ذكر ماتفق عليه القراء من فتح همزة ( أن ) ويعرض بعده خلاف ذلك وهو كسر همزة ( إن ) ولم يقل بهذا أحد غير الحسن البصري .

---

(١) سورة التوبة / ١ .
(٢) سورة التوبة / ٣ .
(٣) ٢ / ٦٨٩ .

ثم يعرض سؤال آخر هو : كيف تتبع الخطة التى وضعها لكتابه ؟

لقد بدأ بعد مقدمته التى عرض فيها منهجه ومصادره بباب لا خلاف فى موضوعه بين القراء والنحويين هو "باب ذكر مالا يتم الوقف عليه" كما أسلفت[1] ، وهو مما وعد به فى مقدمته أيضا .

ومما وعد به فى المقدمة عرض أصول الباب فى أوله ثم ذكر الفروع وتفاصيلها ، وقد التزم هذه القاعدة فى جميع الأبواب ، مما أكسب الكتاب دقة وتنظيما فى عرض مادته ، فالأفكار العامة تذكر أولا فى الباب ثم تعرض الفروع والتفاصيل مدعمه بالعديد من الأمثلة ، ولنأخذ مثالا واحدا على هذه القاعدة "باب ذكر الألفات اللاتى يكن فى أوائل الأسماء" علما أن كل الأبواب أمثلة .

بدأ هذا الباب بالأصول العامة وهى أقسام هذه الألفات ثم تحدث عن كل قسم بالتفصيل ، قال أبو بكر : " اعلم أن ألفات الأسماء تنقسم على أربعة أقسام : ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف الاستفهام .

فألف الأصل تعرفها بمحنتين : بأن تجدها فاء من الفعل ، ثابتة فى التصغير ، من ذلك قوله تعالى : ( وأخذتم على ذلكم اصرى )[2] ، هذه ألف أصل ، لأن ( اصرى ) مثاله من الفعل ( فعلى ) ، فالألف بحذاء الفاء ، وتقول فى تصغيره : ( أصير ) ـ كما ترى ـ فتجد الألف ثابتة فى التصغير .

واعلم أن ألف الأصل فى الأسماء ، تكون مضمومة ومفتوحة ومكسورة :
فالمضمومه قوله تعالى : ( قل أذن خير لكم )[3] ، الألف فى "أذن" أصلية ، لأنك تقول فى مثالها ( فعل ) ، فالألف بحذاء الفاء ، وتقول فى تصغيرها ( أذينة ) ،

---

( ١ ) راجع ص ١٦٠ .
( ٢ ) سورة آل عمران / ٨١ .
( ٣ ) سورة التوبة / ٦١ .

فتجد الألف ثابته فى التصغير ،وكذلك ( يا أخت هارون )[1] ، الألف فى (أخت ) أصلية ،لأنها فاء من الفعل ، وهى ثابته فى التصغير، ألا ترى أنك تقول فى التصغير ( أُخيـــه ) .

والمفتوحه قوله : ( أعجلتم أمر ربكم )[2] ، الألف فى (أمر ) أصليه لأنك تقول فى مثاله ( فعل ) ،فتجد الألف بحذاء الفاء وتقول فى تصغيره (أُمير ) ،فتجد الألف ثابته فى التصغير، وكذلك ( ماكان أبوك امرأ سوء )[3] ، الألف فى الأب ،ألف أصل ،لأنك تقول فى تصغيره ( أبى ) ،وتقول فى مثاله ( فعيل ) ،فالألف بحذاء الفاء.

والمكسورد قوله : ( وأخذتم على ذلكم اصرى ) .

والابتداء فيها بمثل الوصل ،إذا وجدتها مكسورة فى الوصل كسرتها فى الابتداء ،واذا وجدتها مضمومة فى الوصل ضممتها فى الابتداء ،واذا وجدتها مفتوحه فى الوصل فتحتها فى الابتدء ..." [4]

ذكر أبوبكر فى هذا النص أصول الباب أولا وهى أقسام ألفات الأسماء ثم شرح القسم الأول وهو ألف الأصل فبدأ شرحه بذكر كيفيه التعرف على ألف الأصل ،ثم ذكر علامات هذه الألف وأنها تكون مضمومه ومفتوحه ومكسوره مدعما كلامه بالأمثله ،ثم ختم هذا القسم بتوضيح كيفية الابتداء بألف الوصل ، مستقرئا مواضعها مبينا مايجب ومايجوز فيها من حركات.

وعلى هذ النحو شرح بقية الأقسام.

ويتبين مماسبق أن ابن الأنبارى سار على منهجه الذى وعد به ولم يتخلعنه ، وذلك يدل على دقته فى التأليف ، ومقدرته على عرض مادته ولم أفكاره فى سهولة ويسر .

---

(١) سوره مريم / ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف/ ١٥٠ .
(٣) سوره مريم / ٢٨ .
(٤) ١/٢٠٢ — ٢٠٤ .

خصائص أخـــــرى

وبالاضافـــة الى مانص عليه هو في منهجه ، فاننا نجد فـــي الكتـاب خصائص أخرى لم ينص عليها ، ولكنها بدت واضحة في الكتاب ومـــــن هذه الخصائص :

( أ ) ذكر أوجه العربية في القراءات :

لا يمكن دراسة الوقف والابتداء من غير الاحاطة بالقراءات القرآنيـة ، فهي أشد الموضوعات ارتباطا بهذه الدراسة ، ذلك أن مواضـــع الوقف ومراتبه تختلف باختلاف القراءات ، فقد يكون الوقف تاما في قراءة وغير تـام في قراءة أخرى ، وقد يكون حسنا في قراءة ولا يحسن في قراءة أخرى ، ولذلـــك فالمؤلف دائم الربط بين القراءات والوقف ، ونأخـذ مثالا على ذلك ماذكره فـــي حكم الوقف على ( الجن ) من قوله تعالى " ( وجعلوا لله شركاء الجن )[1] : حسن غير تام ، ثم تبتدئ : ( وخلقهم ) بفتح اللام . وقرأ يحيى بن يعمر : ( وخلقهم ) بتسكين اللام وفتح القاف على معنى وجعلوا له خلقهم ، أي : قالوا : ان الجـن شركاء لله في خلقه إيانا . فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف على ( الجـــــن ) لأن ( الخلق ) منسوقون على الشركاء "[2] .

ومن الأمثلة على الربط بين أوجه القراءات والوقف ما ذكره في قوله تعالى :

( وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون )[3]

---

( ١ ) سورة الأنعام آية / ١٠٠ .
( ٢ ) ٢ / ٦٤١ .
( ٣ ) سورة الرعد / ٤ .

فالوقف على ( يسقى بماء واحد ) " حسن ، ثم تبتدئ : ( ونفضّل ) بالنون ، وهى قراءة نافع وابن كثير ويحيى وعاصم وحميد وأبى عمرو .

وكان الأعمش وحمزة والكسائى يقرؤون : ( ويفضل ) بالياء ، فعلى هذه القراءة لا يتم الوقف على ( يسقى بماء واحد ) ويتم على ( لآيات لقوم يعقلون ) "(١)

ومثل هذا الاختلاف فى حكم الوقف باختلاف القراءة هو الذى دفع بابن الأنبارى أن يتتبع القراءات فى كتابه بحرص بالغ.

وهو يذكر أوجه العربية فى هذه القراءات ، ولكنه يفصل ذلك على ما يأتى.

١ــ ماقرئ به من هذه الأوجه مع تعيين القارئ أو القراء ، وهذا كثير فى الكتاب ومثاله ماتقدم فى النص السابق حيث ذكر أن الذى قرأ (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ) بتسكين اللام وفتح القاف ، هو يحيى بن يعمر .

وغالبا مايفسر ويعلل الوجه أو الأوجه التى يذكرها ، كما نرى فى معالجته قول الله عز وجل : ( انه عملٌ غيرُ صالح ) (٢) قال أبوبكر : " قرأ النبى صلى الله عليه وسلم ، وابن عباس وعروة ابن الزبير وعكرمة والكسائى :

( انهُ عملَ غيرَ صالح ) بكسر الميم وفتح اللام . وكان ابن مسعود ، والشعبى ، والحسن ، وأبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، وابن كثير ، وعاصم ، والأعمش ، وأبو عمرو ، وحمزة يقرؤون :(انه عملَ غيرَ صالح ) ، بفتح الميم ، وضم اللام ، فمن قرأ ( انه عملَ غيرَ صالح ) لم يقف على ( ليسَ من أهلك ) ، لأن الهاء الثانيه تعود على الهاء الأولى . ومن قرأ : ( انه عملَ غيرَ صالح ) وقف على ( ليسَ من أهلك ) لأن الهاء تعود على السؤال ، فانقطعت مما قبلها كأنه قال : إن سؤالك اياى ماليس لك به علم عمل غير صالح .

---

(١) ٢/٧٣٢ .
(٢) سورة هود / ٤٦ .

قال أبو بكر وقد أجاز بعض أهل العربية إعادة الهاء فى ( انّه ) على الابن، و( عمل ) و(غير) مرفوعان ، وقال المعنى عندى : ان ابنك ذو عمل غير صالح ، فحذف ذو ، وقام ( عمل )مقامه ،كما قالت العرب : "عبد الله اقبـــال وادبار"، وهم يريدون "عبد الله ذو اقبال وادبار" ،ومثله ( يومنا مطر وريـــح ، يعنى به "ذو مطر وريح" ،فمن بنى على هذا القول ألحق هذه القراءة بقراءة من قرأ : ( إنه عمل غير صالح ) فى الوقف ولم يجعل بينهما فرقا".(١)

٢ــ مالا يجوز أن يقرا به لأنه لا إمام له ،أو لأنه لا يعلم له اماما ، ومن ذلك قراءة قوله تعالى ( انما حرم عليكم الميتة ) (٢) برفع (الميتة ) على معنى : إن الذى حرم عليكم الميتة . قال ابوبكر: "ولا يجـوز لأحد أن يقرأ بهذا لأنه لا إمام له".(٣)

ومنه قراءة قوله تعالى ( انما صنعوا كيد ساحر ) (٤) ، بنصب ( كيـــــد ) ب ( صنعوا ) ، باعتبار انما حرفا واحدا . قال ابن الأنبارى : "ولا أعلم له اماما".(٥)

وقد يلحق بهذا النوع ماقرأ به من هو غير امام فى القراءة وذكر أبوبكـر مثالا على ذلك فى معالجته الآية الكريمة ( إن الله لا يستحيى أن يضرب مثـــلا مابعوضـه) (٦)، قال ابن الأنبارى : " وقرأ رؤبـة بن العجاج ــ وليس بامام فـــى القراءة ــ (مابعوضه ) بالرفع على معنى ماهى بعوضه ،فأضمر ( هى ) (٧) .

٣ــ مالا يجوز أن يقرأبه لمخالفته المصحف ، وقد توسع أبوبكر فى دراســـة هذا النوع فى كتابه "الرد على من خالف مصحف عثمان" ونجد بعض الأمثلـــة منه فى كتاب" الايـضاح " ، وهو كثير الاحتجاج بالمصحف وقد رفض قراءة من قرأ ( يأيه النبى ) (٨)بالوقف على الهاء فى ( يأيه ) فقال : "ولا يجوز لأحـــــد أن يقرأ بهذه اللغة ،لأنها تخالف المصحف"(٩) .

---

(١) ٢/٧١٣ــ٧١٤ وانظر أمثلة أخرى ص٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٣، ٥٧٥، ٦٠٧، ٦٧١، ٧٤٣، ٨٨٧، ٩٤٨، وغيرها (٢) سورة البقرة /١٧٣.
(٣) ١/٣٢١ (٤) سورة طه /٦٩.
(٥) ١/٣١٩، وانظر أمثلة أخرى ص٤٥٤، ٤٦٥، ٧٨٥.
(٦) سورة البقرة /٢٦.
(٧) ١/٣٥٥.
(٨) سورة التحريم /١
(٩) ١/٢٨٧

وقد رد أكثر من مره آراء السجستانى فى الوقف لمخالفتها المصاحف ، ومن ذلك ماذهب اليه السجستانى من ضروره إثبات الواو فى الوقف على مثل (يدع) و( سندع ) و( ويمح ) من قوله تعالى : (ويدعُ الإنسان )[1] و ( سَنَدْعُ الزبانية )[2] ، و ( ويمحُ الله الباطل )[3] ، قال أبوبكر : " وهذا غلط منه ، لأن العرب حذفت واو الجمع ، فحذف واو الجمع أغلظ من حذف لام الفعل ، فإذا جاز حذف مايدل على الجمع ، كان حذف مالا يدل على معنى أسهل . ويدل على بطلان قوله اجتماع المصاحف على حذف اللام . "[4]

وقد رفض أبوبكر أيضا الوقف على ( ثمود ) فى قوله تعالى (ألا إن ثمود ...)[5] لمن لم يمنعه من الصرف بلا ألف " لأنه يخالف المصحف "[6].

والوقف على هذا النحو من التقيد برسم المصحف من خصائص الكوفيين فى الدراسة[7] وأمثلة هذا النوع فى الكتاب كثيرة .

٤ـ ماسكت عنه ولم يبين أنه قرئ به ، أو لم يقرأ به ، وهذا النوع يورده فى الكتاب لجوازه فى العربية ، وغالبا ما ينص على ذلك بقوله : " ويجوز فى العربية ... كذا " ، فمن ذلك مثلا قراءة ( سواءً ) بالنصب فى قوله تعالى : ( سواءً محياهم ومماتهم )[8] ، والقراءة المشهوره ( سواءٌ ) بالرفع .

قال أبوبكر : " ويجوز فى العربية ( سواءً محياهم ومماتهم ) ، بالنصب على معنى : سواءً فى محياهم ومماتهم ، فلما أسقطنا الخافض ، نصبنا على المحل . "[9]

---

(١) سوره الاسراء/ ١١ .
(٢) سوره العلق /١٨ .
(٣) سوره الشورى/ ٢٤ .
(٤) ١/ ٢٨٠ .
(٥) سوره هود /٦٨ .
(٦) ١/ ٣٦٤ .
(٧) انظر التيسيرفى القراءات السبع ص. ٦٠ .
(٨) سوره الجاثيه/ ٢١ .
(٩) ١/ ٨٩٢ .

وقد ذكر أحمـــد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى أن النصب قراءة حمـــزة والكسائى وحفص عن عاصم[١] ، وأضاف ابن الجزرى اليهم خلفا[٢] .

ومنه قراءة قوله تعالى : ( فَالحَقَّ والحقَّ أقول ) [٣] برفع ( الحـــق ) فى الموضعين ، والمشهور فيها رفع الأول ونصب الثانى وقد قرأ بها مجاهد ، وعاصم ، وحمزة وغيرهما[٤] . وكان أبو جعفر وشبة ونافع وأبوعمرو ينصبونهما جميعا .

قال ابن الأنبارى : " ويجوز فى العربية : ( فالحَقّ ، والحَقّ أقولُ ) ، برفعهما جميعا . فالأول مرتفع بـ ( لأملأنّ ) ، والثانى معطوف عليه . و(أقول ) صلة الثانى ، والهاء المضمرة تعود عليه ، وتلخيصه : قال فالحق والذى أقوله . ولا يجوز أن ترفع الحق الثانى برجوع الهاء المضمرة مع ( أقول ) ، لأن الهـــاء اذا لم تلفظ بها كان الفعل أنفذ عملا منها "[٥] .

وقد نص على هذا الوجه الذى ذكره ابن الأنبارى ، أحمد بن عبد الكريم الأشمونى فقال : " ( فالحقَّ والحقَّ ) قرأ بنصبهمـــا ورفعهما ورفع الأول ونصب الثانى "[٦] .

ثم ذكر أن الرفع فى الموضعين قراءة ابن عباس ومجاهد والأعمش[٧] .

(ب) تفسير القرآن بالشعر :

تقدم أن ابن الأنبارى أجاز رواية الشعر والاحتجاج به على غريب القرآن ، ودافع عنها دفاعا قويا[٨] وأكثر من عرض الأدلة عليها فشفى وكفى .

وقد التزم مذهبه هذا التزاما ، وطبقه تطبيقا ، فأكثر فى كتابه من الاستشهاد بالشعر العربى مستدلا به على تفسير كلمة مفردة ، أو على بيان معنى تركيب ورد فى القرآن الكريم ، أو توضيح معنى أداة من الأدوات ، أو على قضية من قضايـــا اللغة والنحو أو قاعدة من قواعدهما .

---

(١) منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ٢٢٧ .
(٢) النشر فى القراءات العشر ٢/ ٣٧٢ ، وانظر السبعة فى القراءات ٥٩٥ .
(٣) سورة ص ٨٤ .
(٤) ٢/ ٨٦٥ .
(٥) ٢/ ٨٦٦ .
(٦ ، ٧) منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ص ٢١١ ، وانظر أمثله أخرى من هذا النوع ص ٦٢٠ ، ٦٧٣ ، ٩٥٨ ، ٩٨٧ .
(٨) راجع ص ١٥٧

فمن استشهاده على تفسير المفردة قول الشاعر :

تبوأن جنات كريما مقامها  وزحزحت عن باب من النار مؤصد

استشهد به لتفسير لفظة ( مؤصدة ) التى وردت فى سورة " الهمزة "(١) وقال معناها مطبقه .(٢)

وذكر فى تفسيرقوله تعالى : ( كتاب مرقوم )(٣) أى مكتوب ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

سأرقم فى الماء القراح اليكم  على بعدكم إن كان للماء راقم(٤)

ومن ذلك أيضا الشواهد التى ذكرها فى عرضه بعض مسائل نافع .(٥)

ومن استشهاده على بيان معنى تركيب قول الشاعر :

نفالى اللحم للأضياف نيئا  ونرخصه إذا نضج القدور

الشاهد فيه قوله ( نفالى اللحم ) حيث أسقط حرف الجر ونصب الاسم بعده والتقدير نفالى باللحم .

ذكره للاحتجاج بقراءة من قرأ ( قال ائتونى )(٦) بلا مد ، والتقدير ائتونى بقطر أى جيئونى به ، بحذف الباء .(٧)

وذكر فى تفسير قوله تعالى : ( ويكأنه لا يفلح الكافرون )(٨) ثلاثة أوجه فقال :

" ان شئت قلت ( ويك ) حرف ، و( أنه ) حرف ، والمعنى ألم تر أنه :

الدليل على هذا قول الشاعر :

سألتانى الطلاق اذ رأتانى  قل مالى قد جئتمانى بنكر

ويك أن من يكن له نشب يحـ  ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

... والقول الثانى أن يكون ( ويك ) حرفا و( أنه ) حرفا ، والمعنى : ويلك اعلم أنه ، فحذفت اللام كما قالوا : لا أباك ، يريدون : لا أبالك قال عنترة بن معاوية :(٩)

---

(١) الآية / ٨ .
(٢) ١ / ٤٠٣ .
(٣) سورة المطففين / ٢٠ .
(٤) ٢ / ٩٧٠ .
(٥) انظر ص ٧٦ ـ ٩٩ .
(٦) سورة الكهف / ٦٩ .
(٧) ١ / ١٨٩ .
(٨) سورة القصص / ٨٢ .
(٩) قيل هو عنترة بن معاوية بن شداد العبسى ، وقيل عنترة بن شداد بن معاوية انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩٣ .

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها  قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقال الآخـــر :

أبـا الموت الذى لابد أنـى  ملاق لا أباك تخوفيـــنى

أراد لا أبالك فحـذف اللام . . . والقـــول الثالث :

يكـون ( وى ) حرفا و(كأنه ) حرفا فيكون معنى (وى ) التعجب ،كما تقـول : وى لم فعلت كذا وكذا ، ويكون معنى ( كأنه ) أظنه وأعلمه كماتقول فى الكلام : كأنـك بالفرج قد أقبـل ، فمعناه أظن الفرج مقبـــلا ".(١)

ومن استشهاده على توضيح معنى أداة قول امرئ القيس :

تروح من الحى أم تبكـــر  وماذا يضيرك لو تنتظـــر

أورده شاهدا على مجئ ( أم ) استفهاما لا مردودة على شئ ، ذلك أن " العرب فرقت بين الاستفهام الذى سبقه كلام ، وبين الاستفهام الذى لم يسبقه كلام ، فجعلوا للاستفهام المبتدأ : ( هل ) و( الألف ) وما أشبه ذلك ، وجعلوا للاستفهام المتوسط ( أم ) ليفرقوا بين الاستفهام المتقدم والاستفهام المتوسط، الدليل على هذا قوله تعالى :ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه )(٢) . أتى ب (أم) ولم يسبقها استفهام ،لما وصفنـــاه ".(٣)

وأورد شاهد آخـــر على ذلك قول الأخطل :

كذبتك عينك ،أم رأيت بواسط  غلس الظلام من الرباب خيالا

" أتـى ب ( أم ) ، ولم يسبقها استفهام ،فجعلها هى الاستفهام ليفرق بين المتقدم والمتوسط "(٤) .

---

(١) ١/ ٣٩٤ — ٣٩٧ .
(٢) سورة السجدة / ١ — ٣ .
(٣) ١/ ١٩٤ — ١٩٥ .
(٤) ١/ ١٩٥ .

أما شواهده على قواعد النحو وقضاياه، فانها تكاد تنتشر فى سائر أجزاء الكتاب، ومنها قول كعب بن مالك الأنصارى:

مابال هم عميد بات يطرقنى  بالوان من هند اذ تعدو عواديها (١)

وقد ذكره شاهدا على جواز حذف الياء من الاسم المقصور المعرف "بأل" اكتفاء بالكسرة من الياء.

ومنها قول الشاعر:

متى تنج حبوا من سنين ملحه  تثمر لأخرى تنزل الأعصم الفردا

ذكره شاهدا على جواز اعراب ( سنين ) اعراب غسلين، أى بالحركات الثلاث على النون، وهى هنا مجرورة بالكسرة لا بالياء، وذكر أن العرب تقول "هذه سنين كماترى، وأتيتك سنينا، ونظر الى سنين، فيعربون النون بالرفع والنصب والخفض" (٢).

وذكر أن النون الأخيرة فى ( سنين ) يجوز اثباتها فى حاله الاضافة، ومن ذلك قول الشاعر:

ذرانى من نجد فان سنينه  لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا (٣)

وبالاضافة الى الشعر، وبالاضافة الى الآيات القرآنيه ـ بقراءاتها المختلفة ـ التى هى أساس الكتاب، نرى ابن الأنبارى يستشهد بالحديث النبوى أحيانا، ولا تزيد شواهده من الحديث على أربعة عشر حديثا، تنحصر كلها فى فضل القرآن واللغة العربيه وكراهة اللحن، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه".

كما يستشهد أحيانا بالمأثور من كلام العرب كقولهم ( مطرنا مازبالة فالثعلبية فزرود ) (٥)، وقد ذكر هذه العبارة حجة لجواز حذف ( بين ) بعد ( ما ) ووقوع الاعراب على مابعدها، وتقدير العبارة (مطرنا مابين زباله ...).

وحكى الكسائى عن العرب: "أقبل يضربه لا يأل" (٦)، وقد استشهد أبو بكر بهذه العبارة على جواز حذف الواو واكتفاء بالضمه.

---

(١) ١/٢٤٤.  (٢) ١/٣٠٨.
(٣) ١/٣٠٩.  (٤) ١/١٥.
(٥) ١/٣٥٤.  (٦) ١/٢٧٠.

(جـ) الربط بين الوجه الإعرابـــى والوقف:

للإعراب أهمية كبرى فى تفسير المعانى ، ودور أساسى فى أمـــن اللبس ، وإزالة الغموض عن الفهم ، كما يعين على تحديد المراد من الكـــــلام إذا احتمل أكثر من وجه .

لذا يعتمد ابن الأنبارى كثيرا على الإعراب ، لتعيين مرتبة الوقف ، فقد يكون الوقف على الآية حسنا فى أحد الأوجـــه الإعرابيه ، ولكنه لا يحسن فى وجه آخـــر . وشأن المؤلف هنا أن يوضح الأوجه المختلفة فى كل آية ، ليحدد مرتبة الوقف فيها .

ويمكن أن تتضح هذه الحقيقة ببعض الأمثله من الكتاب :

ـ قال ابن الأنبارى فى إعراب قوله تعالى : ( وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَب )[1] " فى ( المرأة ) ثلاثة أوجه :

أحدهن : أن ترفعها على النسق على مافى ( سيصلى ) ، فيحسن الوقف عليها ، ثم تبتدئ : ( حمالة الحطب ) ، على معنى هى حمالة الحطب .

والوجه الثانى : أن ترفع ( المرأة ) بما عاد من الهاء والألف فى قولـــه : ( فى جيدِها ) ، فلا يحسن الوقف من هذا الوجه على (المرأة ) .

والوجه الثالث : أن ترفع المرأة بـ ( حمالة ) و( حمالة ) بها ، فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ( حمالة الحطب ) ، ثم تبتدئ : ( فى جيدِها حبلٌ من مسد ) ، فترفع الحبل بـ ( فى ) .

وقرأ ابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر : ( حَمَّالَةَ الحطب ) بالنصـــــب على الذم والشتم ، كما تقول : قام زيد الفاسق الخبيث ، ويجوز النصب على الحال كأنه قال : حمالةَ للحطب ، وفى قراءة عبد الله :(وَمُرَيتُهُ حَمَّالَةً لِلحَطَب) "[2] .

فنحن هنا أمام خمسة أوجه إعرابية يحسن فى بعضها الوقف على ( المرأة ) ولا يحسن فى بعضها الوقف عليها ، فموضع الوقف ومرتبته يختلفان من وجه إلى آخر .

---

(١) سورة المسد / ٤ .
(٢) ٢/ ٩٩٠ ـ ٩٩١ .

— وفى إعراب (أربعين ) من قوله تعالى : ( قالَ فإنها محرمة عليهم أربعينَ سنة يتيهونَ فى الأرض)[١]، قال ابن الأنبارى : " ينصب من وجهـــن : ان شئت نصبتها بـ( محرمة عليهم ) ،فلا يتم الوقف على ( عليهم ) . وان شئت نصبتها بـ( يتيهون فى الأرض) ،فعلى هذا المذهب يتم الوقف على ( عليهم )"[٢].

— وقال تعالى : ( واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمـــانَ ، وما كفرَ سليمانَ ولكنَ الشياطينَ كفروا يعلمونَ الناسَ السحرَ وماأنزل على الملكين ببابلَ هاروت وماروتَ )[٣].

قال أبو بكر فى معالجته هذه الآية : " وفى قوله ( وماأنزلَ على الملكين ) وجهان: يجوز أن تكون ( ما ) منصوبة على النسق على (السحر ) أى : ويعلمونهم ما أنزل على الملكين . ويجوز أن تكون جحدا ،فاذا كانت جحدا كان الوقف على ( السحر ) أحسن منه إذا كانت منسوقة على ( السحر ) ،لأنها إذا نسقت على ( السحر ) كانت متعلقة به من جهة اللفظ والمعنى . وإذا كانت جحدا كانت متعلقة به من جهة المعنى لا من جهه اللفظ . ويجوز أن تكون منصوبة بالنسق على قوله ( واتبعوا ماتتلوا الشياطين ، وما أنزل على الملكين )"[٤].

— وقد يحتج أبو بكر بالشعر لإثبات الوجه الإعرابى ،الذى يقوم عليه الوقف ، كما فى إعرابه مطلع سورة الأعراف ،قال : " الوقف على (المَصَ)[٥] حسن، ثم تبتدئ : ( كتابٌ أنزل اليكَ ) ،على معنى هذا كتاب أنزل إليك، أنشد الفراء:

فبعثتُ جاريتى فقلتُ لها اذهبى فقولى : محبكِ هائماً مخبولا

أراد قولى : هذا محبك . ويجوز أن يرفع الكتاب بـ( المَصَ) ،فلايحسن الوقف على ( المَصَ) من هذا الوجه .

---

(١) سورة المائدة/ ٢٦.
(٢) ٢/ ٦١٦.
(٣) سورة البقرة /١٠٢.
(٤) ١/ ٥٢٦.
(٥) سورة الأعراف /١.

قال أبوبكر : سألت أحمد بن يحيى عن هذا فقال : إذا رفعت مابعد الهجاء به ، فالهجاء مرتفع به . وإذا رفعت مابعد الهجاء بمضمر أضمرت للهجاء مايرفعه".(١)

تتضح من الأمثلة السابقة أهمية الربط بين الوجه الاعرابى والوقف ، ولذلك فقد أولاها المؤلف عناية كبيرة ، وبين أكثر من مرة خطأ الذين تصدوا لدراسة الوقف والابتداء لجهلهم قواعد العربية فقال فى عرضه للآية الكريمة : ( مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا . . )(٢): " قال قوم لا معرفة لهم بالعربية : الوقف ( مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ) ، وهذا غلط منهم ، لأن ( مِنْ ) صلة لـ( كَتَبْنَا ) ، كأنه قال : من أجل قتل قابيل هابيل ، كتبنا على بنى إسرائيل ، فلايتم الوقف على الصلة دون الموصول .

قال أبوبكر : فإن ذهب ذاهب إلى أن ( مِنْ ) صلة لـ( النادمين ) ، والمعنى فأصبح من الذين ندموا من أجل قتل قابيل هابيل ، أو إلى أن ( مِنْ ) صلة لـ( أَصْبَحَ ) ينوى بها : فأصبح من أجل قتله أخاه من النادمين ، كان الوقف على ( من أجل ذلك ) جائزا . والاختيار الأول ، أعنى الوقف على ( النَّادِمِينَ )"(٣) .

---

(١) ٢/ ٩٤٩ — ٩٥٠ .
(٢) سورة المائدة / ٣٢ .
(٣) ٢/ ٦١٧ — ٦١٨ .

(د) الربط بين الخط والوقـــف :

تحدثت فيما مضى عن جانب من اهتمام ابن الأنبارى بالرســـم القرآنى ، وتمسكه الشديد بعدم مخالفة الرسم ، وقد خصص لهذه القضيه أكثـــر من باب كما تقدم.(١)

وللوقف على الياء والواو والألف أحكام خاصة ، والقاعدة التى يأخذ بها ابن الأنبارى هى اتباع المصحف فى الوقف على الألفاظ المنتهية بهذه الحروف، فان كانت هذه الحروف محذوفة من المصحف وقفنا على تلك الألفاظ بحذفها ، وان كانت مثبتة وقفنا عليها باثباتها .

والأمثلة على ذلك كثيرة " فكل اسم منادى أضافه المتكلم الى نفسه فالياء منه ساقطة "(٢) والوقف عليه بغير ياء . لقوله تعالى : ( يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ) (٣) و ( رَبِّ اغْفِرْ لِى ) (٤) ، و ( يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ ) .(٥)

وقد وردت بعض الاستثناءات من هذه القاعدة وذلك فى قوله تعالـــى : ( يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ ) فى سورة العنكبوت(٦) ، وفى قوله تعالى ( قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ) فى سورة الزمر(٧) ، فالوقف على (العباد ) فى هذين الموضعين بالياء ، لأن الياء ثابتة فى المصحف . وقد أخرج الاستعمال على الأصل هنا فثبتت الياء ، لأنها ياء متكلم(٨) .

وأضاف ابن الأنبـــارى : " وكلّ ما فى كتاب الله تعالى من ذكر ( العباد ) على غير معنى النداء فالياء فيه ثابتة كقوله : ( يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ )(٩) ، ( قُلْ لِعِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا )(١٠) ، ( وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ )(١١) فالوقف علـــى هذا وما أشبهه بالياء الا حـــرفا فى ســـورة الزمـــر : ( فَبَشِّرْ عِبَادِ )(١٢)

---

(١) راجع ص ١٤٠ و ١٧١ .
(٢) ١/ ٢٤٦ .
(٣) سورة الأعراف / ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف / ١٥١ .
(٥) سورة الزمر / ١٦
(٦) الآية / ٥٦ .
(٧) الآية / ٥٣ .
(٨) انظر ص ٢٤٩ .
(٩) سورة الأنبياء / ١٠٥
(١٠) سورة ابراهيم / ٣١ .
(١١) سورة سبأ / ١٣ .
(١٢) الآية / ١٧ .

**فالوقف عليه بغير يـاء** لأن الياء ساقطـــة من الكتاب"[١] .

وقد احتج لهذه القاعدة بشئ من شعر العرب ومنه قول الأعشى :

ومن كاشح ظاهر غمـزه  إذا ما انتسبت له أنكـرن[٢]

أراد أنكرنى ، وقول الآخـر :

إذا حاولت فى أسد فجورا  فإنى لست منك ولست منـــن[٣]

والواو ثابتة فى كل فعل لم يدخل عليه جازم ، وقد حذفت من أربعة أفعال مرفوعة فى قوله تعالى : ( ويدع الإنسان بالشر )[٤] ، و ( يمح الله الباطل )[٥] ، و ( يوم يدع الداع )[٦] ، و ( سندع الزبانيه )[٧] ، فالوقف على هذه الأفعال كلها بغير واو لأنها كتبت بغير واو فى المصاحف . قال ابن الأنبارى : "والعلة فى هؤلاء الأربعة ، أنهم اكتفوا بالضمة من الواو فأسقطوها ، ووجدوا الواو ساقطة من اللفظ لسكونها وسكون اللام فبنى الخط على اللفظ"[٨] .

وأما واو الجماعة فهى ثابتة فى جميع المواضع كقوله تعالى : ( قالوا الحق )[٩] وغيرهـــا .

ويقع الوقف على الألف إذا تأخر الفعل وأما الفعل المتقدم فهو مفرد كقوله تعالى ( قال رجلان )[١٠] الوقف على ( قال ) بغير ألف لأنه متقدم ، ومثال الفعل المتأخر قوله تعالى ( ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله )[١١] فالوقف على ( قالا ) بالألف لأنه فعل متأخر وكذلك ( واستبقا الباب ) و ( ألفيا سيدها )[١٢] وغيرها كثير .

---

(١) ١/ ٢٥٠ .
(٢) ص ٢٥٩ .
(٣) ص ٢٦٠ .
(٤) سورة الاسراء/ ١١ .
(٥) سورة الشورى/ ٢٤ .
(٦) سورة القمر / ٦ .
(٧) سورة العلق / ١٨
(٨) ١/ ٢٧٠ .
(٩) سـورة سبأ / ٢٣ .
(١٠) سـورة المائـدة / ٢٣ .
(١١) سورة النمـل / ١٥ .
(١٢) سورة يوسـف / ٢٥ .

ومما يرتبط وقفه بالخط ماكان منتهيا بتاء التأنيث ، وفيه خلاف فهل يوقف عليه بالتاء أو بالهاء ، قال أبو بكر : " واختلف القراء فى ذلك ، فكان أكثرهم يقولون : الوقف على مافى المصحف لا يتعدى ، فماكان فى الصحف بالتاء وقفنا عليه بالتاء ، وماكان بالهاء وقفنا عليه بالهاء . وقال آخرون : أنت مخير فى ذلك : إن شئت وقفت على كل هاء للتأنيث فى كتاب الله عزوجل بالهاء ، وإن شئت وقفت بالتاء ، فإذا وقفت بالهاء احتججت بأنك مريد للسكت ، وإذا وقفت بالتاء احتججت بأنك مريد للوصل .

قال أبو بكر : وهذا المذهب لا يعجبنا ، لأنه لوجاز خلاف المصحف فى الوقف جاز خلافه فى الوصل . فلما اجتمع القراء على ترك كل قراءة تخالف المصحف كان كل من تعمد خلاف المصحف فى وصل أو وقف مخطئا "(١) .

ومن أمثلة ماكتب بالهاء والتاء فى المصحف لفظ ( المعصية ) فهى بالهاء فى كل المواضع إلا فى آيتين من سورة المجادلة هما قوله تعالى ( وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ )(٢) وقوله جل شأنه ( إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ) (٣) .

" فالمواضع التى يوقف عليها بالهاء الحجة فيها اتباع المصحف وإنما كتبوها فى المصحف بالهاء لأنهم بنوا الخط على الوقف ، والمواضع اللاتى كتبوها بالتاء الحجة فيها أنهم بنوا الخط على الوصل "(٤) .

---

(١) ١/ ٢٨١ — ٢٨٢ .
(٢) الآية / ٨ .
(٣) الآية / ٩ .
(٤) ١/ ٢٨٧ .

الاتجاه الكوفـــى فى الكتـــــاب :

تقدم أن أبا بكر بن الأنبارى كان من أكثر تلاميذ ثعلب إخلاصـــــا للمذهب الكوفى[١] ، ويمكن أن نضيف هنا شاهدا يزيد هذا الأمر تأكيـــــدا ، وهـــذا الشاهد لا يخلو منه باب من أبواب هذا الكتاب ، فقد جمع فيه مؤلفـــه كثيرا من الآراء الكوفيـــة حتى غلبت عليه النزعة الكوفية إلى درجه كادت تختفـــى فيها الآراء البصريـــة .

وأول مظاهر ذلك تمسك المؤلف بالـــرسم القرآنى وعدم جوازه مخالفتـــه وقد صرح بذلك فى مواضع كثيرة كما تقدم[٢] .

وثانى هذه المظاهـــر إصرار مؤلفه على إبراز المصطلحات الكوفية فيه والحاحه الشـــديد فى استعمالها ، ولم يتخل عنها آخـــذا بالمصطلحات البصرية إلا نادرا ، ولا داعى هنا لذكر المصطلحات التى يكثر ورودها فى الكتاب فقد تقدم أهمهـــا فى الحديث عن مذهبه الكوفى[٣] .

وثالثها تتبعه الدائم للقراءات القرآنية مستنبطا منها كثيرا من القواعـــد والأحكام فى اللغة والنحو والوقف والابتداء ، وغيرها . وذلك سمة من سمات النحو الكوفى .

ورابعها : إكثاره من الآراء الكوفية مع إظهار ميله لها وأخذه بها ، وتفضيله إياها ، وفيما يلى بعض الآراء الكوفيـــة المشهورة فى الكتاب :

---

(١) راجـــع ص ٨٥ و ٨٦ .
(٢) راجـــع ص ١٤٠ و ١٧١ و ١٩٦ .
(٣) راجـــع ص ٨١ .

ـ يؤكـــــد المؤلف أن الخبر رافع المبتدأ وأن المبتدأ رافع الخبر، فذكر أنه لا يتم الوقف على " المرفوع دون الرافع"(١) ومثل لذلك بقوله تعالـــى : ( الحمد لله رب العالمين )(٢) ، فقال : " الوقف على ( الحمد ) قبيـــح ، لأنـــه مرفوع باللام الأولى من اسم ( الله ) ، وكذلك : ( اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ )(٣) ، الوقف على ( الله ) قبيح لأنه مرفوع بـ (خالق ) ، و( خالق ) به . وكذلك : ( والسماوات مطويات بيمينه )(٤) ، الوقف على ( السماوات ) قبيح لأنها مرفوعه بـ ( مطويات ) ، و ( مطويات ) مرفوعة بـ ( السماوات )"(٥) . وغيرها من الآيات.

وهذا الذى أكده من رفع الخبر للمتبدأ ورفع المبتدأ للخبر ، مذهب كوفى .

وأما البصـــريون فقد ذهبوا الى أن المبتدأ يـــــرتفع بالابتداء واختلفوا فى إرتفاع الخبر فمنهم من قال : أنه يرتفع بالابتداء وحده ، ومنهم من رأى أنه يـرتفع بالابتداء والمبتدأ معا ، ومنهم من ذهب إلى أنه يرتفـع بالمتبدأ، والمبتدأ يرتفع بالابتداء(٦) .

ـ وذكر أن مفرد ( كِلتا ) ( كلت )(٧) ، وهذا مذهب كوفى ، فالكوفيون يرون أن ( كِلا ) و( كِلتا ) مثنيان لفظا ومعنى ، وأن أصل ( كلا ) (كلّ ) فخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، وزيدت التاء فى ( كلتا ) للتأنيث.

وأما البصريون فقـــد ذهبوا إلى أن فيهما إفرادا لفظيا وتثنية معنوية ، والألـــف فيهما كالألـــف فى ( عصا ، ورحا )(٨) .

---

(١) ١/١٢٢ .
(٢) سورة الفاتحة/٢ .
(٣) سورة الرعد /١٦ .
(٤) سورة الزمر /٦٧ .
(٥) ١/١٢٢ .
(٦) انظرتفاصيل هذا فى المسألة الخامسة فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/٤٤ .
(٧) ١/٤٣٥ .
(٨) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٤٣٩ ( المسألة ـ ٦٢ ) .

ـ يأخذ بمذهب الكسائى فى سبب رفع الفعل المضارع ، وهو الحرف الزائد فى أوله ، وقد نص على ذلك فى مناقشته سبب رفع ( نستعين ) من قوله تعالى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) [1] يقول :

" فان قال قائل : فما الضمة التى فى النون فى ( نستعين ) ؟

فقل : هى علامة الرفع ، وذلك أن الفعل المستقبل مرفوع بالحرف الذى فى أوله ، فى قول الكسائى فـ( نستعين ) مرفوع بالنون التى فى أوله ، والضمة علامة الرفع" [2] .

وهذا مذهب الكسائى وأغلب الكوفيين على أن الفعل المضارع يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة .

فى حين يرى البصريون أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم . [3]

ـ فسر ابن الأنبارى اعراب قوله تعالى ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ) [4] فى أحد الوجهين اللذين ذكرهما بما يتفق والمصطلح الكوفى ، مع الإشارة إلى المصطلح البصرى .

قال أبوبكر : " ( المشارق والمغارب ) فيها وجهان :

أحدهما : أن تكون منصوبة بـ( أورثنا ) على غير معنى محل ، والمحل هو الذى يسميه الكسائى صفة ، والخليل وأصحابه من البصريين ظرفا .

والوجه الثانى : أن ينصب ( التى ) بـ( أورثنا ) ، وينصب ( المشارق والمغارب ) على المحل كأنك قلت : وأورثنا القوم الأرض التى باركنا فيها فى مشارقها ومغاربها ، فلما أسقطت الخافض نصبت .

وإذا نصبت ( المشارق والمغارب ) بوقوع الفعل عليها على غير معنى محل ، جعلت ( التى باركنا فيها ) نعتا لـ ( المشارق والمغارب )" [5] .

---

( ١ ) سورة الفاتحة / ٥ .
( ٢ ) ١٥٣/١ .
( ٣ ) انظر الانصاف فى مسائل الخلاف ٢/ ٥٠٥ ( المسألة ـ ٧٤ )
( ٤ ) سورة الأعراف / ١٣٧ .
( ٥ ) ٦٦٤/٢ ـ ٦٦٥ .

ثم أورد وجها ثالثا فقال :

" وأجاز الفراء وجها ثالثا : وهو أن تنصب (الشارق والمغارب ) بوقوع الفعل عليها على غير معنى محل ، ويجعل ( التى باركنا ) فى موضع خفض على النعت للأرض ، كأنه قال : مشارق الأرض التى باركنا فيها "(١) .

فالوجه الثانى فى إعراب هذه الآية وجه كوفى ، كما أن فى النص اتجاها كوفيا واضحا وذلك فى اعتماد مصطح " المحل " بدلا من " الظرف " ، وفى الإشارة الى مصطلح كوفى آخر خاص بالكسائى وهو " الصفة " بدلا من " الظرف "(٢) ، ثم فى تخصيص نقد كسر رأى الفراء فى إعراب الآية .

— يستشهد برأى الفراء ، وينكر حجته فى أن ( أو ) ترد بمعنى (بل ) ، فهو يقول فى بيانه حكم الوقف على ( أو ) وإعرابها فى قوله تعالى ( وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون )(٣) : " الوقف على (أو ) قبيح ، لأن الفائدة فيما بعدها . وكذلك قوله : ( فهى كالحجارة أو أشد قسوة )(٤) ، الوقف على ( أو ) قبيح ، ويجوز للمضطر أن يقف عليهما ، لأنهما فى تأويل ( بل ) ، كأنه قال : وأرسلناه الى مائة ألف بل يزيدون ، هذا قول الفراء ، والحجة له ، قول الشاعر :

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى
وصورتها ، أو أنت فى العين أملح

فمعناه : بل أنت فى العين أملح "(٥) .

وقد خالف البصريون الكوفيين فى هذه المسألة فذهبوا إلى أن ( أو ) لا تكون بمعنى ( بل )(٦) .

---

(١) ٢/٦٦٥ .
(٢) ذكر عبد الرحمن الأنبارى أن الكوفيين : " يسمون الظرف المحل ومنهم من يسميه الصفة " انظر الانصاف فى مسائل الخلاف ١/٥١ ( المسألة السادسة ) .
(٣) سورة الصافات / ١٤٧ .
(٤) سورة البقرة / ٧٤ .
(٥) ٨/٤٤٠ - ٤٤١ .
(٦) انظر تفاصيل هذه المسألة فى كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف ٢/٤٨٧ ( مسألة - ٦٧ ) .

هذه بعض النصوص التي وردت فيها آراء كوفية مشهورة ، وهي كثيرة في الكتاب ، مما يضفي عليه طابعا كوفيا عاما ، بل هو كذلك لكثرة ما ورد فيه من إعرابات على مذهب الكوفيين مع اعتماد مصطلحاتهم أساسا في ذلك ، وأقتصر هنا على نماذج مختصرة من هذه الإعرابات وقد تقدم شيء غير قليل منها في النصوص المستشهد بها آنفا ، كما يتضح بعضها في النصوص التالية :

— ( يأيها النبيّ اتق اللهَ )[1] تقف عليه ( اتق ) بلا ياء لأنه موضع جزم بتأويل لام ساقطة ، كان الأصل فيه ( ليتق ) ، فحذفت اللام والياء لكثرة استعمالهم لأمر المواجهة ، ثم أدخلوا ألفا يقع بها الابتداء ، والدليل على أن أصل قوله ( اتق ) ( ليتق ) قوله ( وليتق الله ربه )[2] ، فأمر المخاطب بمنزلة أمر الغائب إلا أن اللام تحذف من أمر المخاطب لكثرة الاستعمال ، وتثبت في أمر الغائب لقلة الاستعمال ".[3]

— ( وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته )[4] : تقف عليه ( أى على يغن ) بغير ياء ، لأنه في موضع جزم على الجواب للجزاء ، . . . وموضع ( يتفرقا ) جزم بـ ( إنْ ) ، علامة الجزم فيه سقوط النون ، وموضع ( يغن ) جزم على المجاورة لـ ( يتفرقا )".[5] .

— " وقرأ ابن كثير ( غيرَ المغضوب عليهم )[6] بالنصب على القطع من الهاء والميم في ( عليهم ) ومن ( الذين )".[7] .

— ( واتقوا اللهَ الذى تساءلون به والأرحام )[8] " الوقف على ( به ) غير تام ، لأن ( الأرحام ) منسوقة على ( الله ) تعالى . وكذلك من قرأها ( والأرحام ) خفضها على النسق على الهاء ، كأنه قال : به والأرحام ، كما تقول : أسأل بالله والرحم".[9] .

---

( ١ ) سورة الأحزاب / ١ .
( ٢ ) سورة البقرة / ٢٨٣ .
( ٣ ) ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .
( ٤ ) سورة النساء / ١٣٠ .
( ٥ ) ١ / ٢٢٩ .
( ٦ ) سورة الفاتحة / ٧
( ٧ ) ١ / ٤٧٧ .
( ٨ ) سورة النساء / ١
( ٩ ) ٢ / ٩٢ ، وقد استشهد الكوفيون بقراءة الجر على جواز العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ( المسألة ٦٥ من الانصاف ) .

— ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم )[1] ، " وفى ( غير ) أربعة أوجه : النصب على الاستثناء ، وعلى القطع من ( القاعدين ) ، والرفع على النعت لـ ( القاعدين ) ، والخفض على النعت لـ ( المؤمنين )[2] .

— ( قالوا : يا أبانا مانبغى )[3] " فى ( ما ) وجهان : يجوز أن تكون جحدا ، على معنى : لسنا نبغى دراهمك ، ويجوز أن تكون منصوبة على معنى : أى شئ نبغى ."[4]

وكل هذه النصوص تؤكد قوة الاتجاه الكوفى فى الكتاب ، ولا يغير هذا الحكم تنازل المؤلف أحيانا وفى حالات نادرة جدا عن بعض المصطلحات الكوفية آخذا بمصطلحات بصرية ، كاستعماله "الحال" بدلا من "القطع" ، عندما تناول قوله تعالى : (أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون )[5] فقال : " الوقف على ( يؤمنون ) حسن وليس بتام ، لأن قوله : ( ختم الله على قلوبهم )[6] متعلق بالأول من جهة المعنى .

قال أبوبكر : هذا إذا أضمرت مع ( ختم ) ( قد ) وجعلته حالا للضمير الذى فى ( يؤمنون ) ، وتقديره خاتما الله على قلوبهم ، فان جعلته استئنافا منعا "عليهم ، ولم تنو الحال كان الوقف على ( يؤمنون ) تاما "[7] .

وقد تخلى عن مصطلح "القطع" مستخدما "الحال" عدة مرات.[8]

---

(١) سورة النساء / ٩٥ .
(٢) ٢ / ٤٠٦ .
(٣) سورة يوسف / ٦٥ .
(٤) ٢ / ٢٥٧ .
(٥) سورة البقرة / ٦ .
(٦) سورة البقرة / ٧ .
(٧) ١ / ٤٩٤ .
(٨) انظر ص ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٩٠٢ .

## مـــــــــوازنـــــــــة

## بـــــــــين

## "كتـــاب إيضاح الوقـــــف والابتداء" ،

## لأبى بكر بن الأنبارى

## و" كتـــــاب القطع والائتنـــــــــاف" ،

## لأبى جعفر النحـاس

لقد كان مفتاح هذه الموازنـة عبارات قرأتها للدكتور أحمد نصيف الجنابى عن كتاب أبى جعفر النحاس . تقول هـــــذه العبارات :

أ ـ "أول كتاب كامل فى القطع والائتناف ، يتناول أنواع الوقف أو القطـــــع بالتحليل والتعليل" .(١)

ب ـ وذكـــر الدكتور كذلك أن الذين سبقوا النحاس إلى هذا الموضـــوع "مؤلفون كثيرون ابتداء بنافع ( ت ١٦٩هـ ) وانتهاء بأستاذه أبى بكر محمد ابن القاسم الأنبارى ( ت ٣٢٨هـ ) لكنهم جميعا ، اما لم يستوعبوا المصادر الأساسية ، وإما أنهم لم يعللوا الا تعليلات جزئية ، وفى مواضع قليلة"(٢) .

جـ ـ وقد بدا من وصف الدكتور لكتاب أبى جعفر ، أنه تأثر بأبى بكر بن الأنبارى فى منهجـه ، وذلك لوجود تشابه بين الكتابين ، فى بدء كل منهما بذكر فضائل القرآن ، ثم الحديث عن مراتب الوقف وأنواعه ، مع الاتفاق فى ذكر سور القرآن الكريم على ماهى عليه من ترتيب فى المصحف الشريف ، وكذا الوقوف على أقوال النحاة ، وخلافاتهم ، والاهتمام بعرض القراءات وتوجيهها كلما دعت الحاجـــة إلى ذلك .(٣)

---

(١) و (٢) الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ص ٣٨٩ .

(٣) انظر المصـــــــــدر السـابق نفسه ص ٣٨٠ ـ ٣٨٨ .

وقد توقفت مليا أمام ماتقدم نصا أو اقتباسا عن الدكتور الجنابى ، وملت الى معارضته فى أكثر ماكتب ، لأن حديثى عن سعة مصادر أبى بكر وكثرتها ، وماذكرته من عنايته بالتحليل والتعليل ، وربطه بين مراتب الوقف وتوجيه كل مرتبة ، واهتمامه بالقراءات وبالرسم ، كل هذا جعلنى أميل الى معارضة الرجل فى أكثر ماكتب ، ولكن الجد أسعدنى بالاطلاع على كتاب أبى جعفر " القطع والائتناف " ، وترتب على هذا الاطلاع أن أعدت النظر فيما ملت اليه من معارضه الجنابى ، وأن أعود الى الموضوعية كى أعقد موازنة بين الكتابين .

وقد اخترت من الكتابين سورة من سور المفصل هى سورة " النجم " لتكون موضوعا لهذه الموازنة المقاربة ، علما بأن الموازنة التامة بين هذين الكتابين تتسع لبحث علمى كبير ، ثم نظرت فيهما فخرجت من ذلك النظر ببعض الحقائق التى ظهرت لى ومنها :

— أن حجم كتاب أبى جعفر يزيد بمقدار الخمس على حجم كتاب أبى بكر بالتقريب .

— مقدمة أبى جعفر تقع فى ثمان وعشرين صفحة ، ومقدمة أبى بكر جاءت فى ثلاث وسبعين وأربعمائة صفحة ، وقد قاربت منتصف الكتاب .

— اقتصر أبو جعفر فى مقدمته على خمسة أبواب هى :

" باب ذكر أشياء من فضائل القرآن "(١) .

" باب ذكر قراءة النبى صلى الله عليه وسلم "(٢) .

" باب ذكر من تكلم من الصحابة والتابعين فى القطع والائتناف "(٣) .

" باب مايحتاج اليه من حقق النظر فى التمام "(٤) .

" باب ذكر الأسانيد لما فى هذا الكتاب "(٥) .

أما أبوبكر فقد فصل القول فى المقدمات تفصيلا نافعا على ماتقدم(٦) .

---

(١) ص ٧٨ .
(٢) ص ٨٦ .
(٣) ص ٩٠ .
(٤) ص ٩٤ .
(٥) ص ٩٩ .
(٦) انظر ص ١٥٤ وما بعدها .

وقد بين أبوجعفر أن صاحب علم التمام يحتاج إلى المعرفة بأشياء :

أ ) اختلاف الفقهاء فى أحكام القرآن ، لارتباط ذلك بالوقف.

ب ) المعرفة بالنحو وتقديراته ، ليكون الوقف على كلام مفيد .

جـ ) المعرفة بالتفسير وبالقراءات، كى يتفهم القارئ مايقرأ ، ويحرص على أن يفهم السامعين ، فيقف عند كلام مستغن ، ويبتدئ ابتداء حسنا .

د ) ومن لم يعرف الفرق بين ماوصله الله عزوجل فى كتابه ، وبين مافصله لم يحل له أن يتكلم فى القطـــع والائتناف.

" سورة النجـــم " فى كل من الكتابين :

ذكر أبو بكر أربعة أمثلة من هذه السورة فى مقدمته ، فبين أن الوقف على ( الذى ) فى قوله تعالى : ( أفرأيت الذى تولى ) قبيح ، لأن ( تولى ) صلـــه (١) .

وذكر أن الكسائى كان يقف على ( اللات ) بالهاء ( اللاه ) (٢) .

وذكر أن نافعا وابن كثير وعاصما وأبا عمرو يجرون ( ثمودا ) وينونونه (٣) .

وذكر أن حمزة كان يقف على نحو: (من الحق شيئا ) بغير همز (٤) .

وفى عرض كل منهما للسورة (٥) :

يـرى أبـــوبكر أن الوقف على قولـــه : ( وما ينطق عن الهـوى ) حسن غير تام.

ويرى أبو جعفـــر أن الوقف التام : ( وماينطق عن الهوى )

وقد ذكر كل منهما رأى أبى حاتم السجستانى فى كون قوله : ( إن هو الا وحى يوحى ) بدلا مما وقع عليه القسم ويكون المعنى عنده : ( والنجم اذا هوى إن هو إلا وحى يوحى ) .

---

(١) ص ١٣٣.
(٢) ص ٢٨٨.
(٣) ص ٣٦٣.
(٤) ص ٤٠٣.
(٥) ايضاح الوقف والابتداء ص. ٩١٠ـ٩١٢ ، والقطع والائتناف ص٦٨٨ـ٦٩٣.

ويعلق أبو بكر على رأى أبى حاتم بقوله : " وهذا غلط لأن (إنْ) المخففة لا تكون مبدلة من ( ما ) الدليل على هذا أنك لا تقول : والله ماقمت إنْ أنا لقاعد .

أما أبو جعفر فيعلق على ذلك بقوله : " وهذا لا يعرف فى الأبدال التى ذكرها النحويون ، ولوكان على هذا لبعد التمام ، لأن (يوحى ) ليس بتام ، وكذا (شديدُ القُوى) وكذا ( ذو مِرةٍ فاستَوى ) ، لأن ( وهُو بالأفق الأعلى ) فى موضع حال على قول أبى إسحاق ."

وهنا نرى كيف نظر كل منهما الى رأى أبى حاتم . أما أبو بكر فقد غلطه ، وعلل هذا بأن ( إنْ ) المخففة لا تكون مبدلة من ( ما ) ، وذكر مثالا لا يجوز .

وقد أخطأ هو فى هذا التعليل لأن ( إنْ ) هنا ليست المخففة — كما زعم — وإنما هى (إنْ) النافية التى استخدمت مع ( إلا ) لافادة التأكيد والحصر .

وأما أبو جعفر فقد قال : " وهذا لا يعرف فى الأبدال التى ذكرها النحويون ". ثم فرض صحة هذا الرأى قائلا : " ولوكان على هذا لبعد التمام .. " الخ

والفرق بين تناول كل منهما لرأى أبى حاتم ظاهر جلى .

ثم يذكر كل منهما رأى الفراء ، فيقتصر أبو بكر عليه ، ولكن أبا جعفر يذكر الرأى الآخر ، واليك النصين :

قال أبو بكر : " وقوله : ( فاستوى وهُو بالأفق الأعلى ) الوقف على ( استوى ) قبيح ، لأن ( هو ) نسق على مافى ( استوى ) والمعنى : فاستوى جبريل ومحمد عليهما السلام بالأفق الأعلى . أخبرنا بهذا أبو العباس ، وأنشد الفراء :

ألم ترأنّ النبع يصلب عوده ... ولا يستوى والخروع المتقصف

جعل ( الخروع ) نسقا على مافى ( يستوى ) .

وقال أبو جعفر : " ( وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعلَى ) فى موضع الحال ،على قول أبى اسحاق وهو نسق على قول الفراء ، والمعنى عنده : فاستوى ومحمد ، أى فاستوى جبريل ومحمد ( عليهما السلام ) ، وعطف بظاهر على مضمر مرفوع كما قال : ( من الطويل )

ألم ترأن النبع يضعف عوده ولا يستوى والخروع المتقصف

وأنشد البصريون : ( من الخفيف )

قلت إذ أقبلت وزهرتها دى كنعاج الملا تعسفن رملا

قال أبوجعفر : وهذا عند الخليل وسيبويه وأصحابه ، إنما يجوز فى الشعر ولا يجوز عندهم فى الكلام : قمت وزيد ،وأبعد منه : قام وعمرو ، ولا يحمل كتاب الله ( جل وعز ) على مثل هذا ولكن ( هو.. ) فى موضع الحال ، كما قال أبو اسحاق ،ويصلح أن يقف على ( وهو بالأفق الأعلى ) والتمام: ( فأوحى الى عبده ماأوحى ) .

ومثل هذا الذى اقتصر عليه أبوبكر يدل على تمسكه بالرأى الكوفى ، دون أن ينظر فى الرأى الآخر ، وكان ينبغى أن يعرض رأى الخليل وسيبويه وأصحابه ،ويقيم الحجة ضده مستشهدا بهذا التوجيه الجيد لقبح الوقف على ( استوى ) ، ويجعل من هذا التوجيه شاهدا أصيلا على جواز العطف على الضمير المرفوع المستتر دون الفاصل الذى يشير اليه ابن مالك فى قوله :

وان على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ماوبلا فصل يرد فى النظم فاشيا وضعفه اعتقد

ثم يسكت أبو بكر عما يكون جائزا من أنواع الوقف فى باقى آيات السوره ، ويقتصر على مايأتى فى قوله :

"( فلله الآخره والأولى ) وقف تام ،ومثله : ( لمن يشاء ويرضى ) . (وان الظن لايغنى من الحق شيئا ) ( ذلك مبلغهم من العلم ) والمعنى قدر عقولهم ومبلغ أفهامهم أن آثروا الدنيا على الآخره . وقال قوم : معناه ، قدر عقولهم ومبلغ أفهامهم أن جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه .

( إن ربك واسع المغفرة ) تـــام . ( بمن اتقى ) ومثله : ( فبأى آلاء ربك تتمارى ) ( من النذر الأولى ) ( ليس لها من دون الله كاشفـــــــه ) ( وأنتم سامدون ) ".

هذه عشره مواضع ذكرها أبو بكر فى سورة النجـــم بعد ما تقدم ذكره .

أما أبو جعفر فانه لم يقتصر على ذلك ، بل فصل كثيرا مما تـــــــرك أبوبكـــر ، فأتبع قوله المتقدم : " والتمام : ( فأوحى الى عبده ما أوحـــى ) بقوله :

" وكذا ( ماكذب الفؤاد مارأى ) ، وكذا ( أفتمارونه على مايـــرى ) قوله ( نزلة أخرى ) ليس بتام الى ( إذ يغشى السدرة مايغشى لأن (إذ ) متصلة بـ ( رأه ) . ( مازاغ البصر وماطغى ) قطع حسن ، والتمام : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) إلى : (تلك اذا قسمة ضيزى ) . والتمام بعده عند الأخفش ، وأحمد بن موسى ، وأبى حاتم : ( وماتهوى الأنفس) . ( من ربهم الهدى ) قطع كاف ، والتمام ( فلله الآخرة والأولى ) ، وكذا ( لمن يشـــاء ويرضى ) . ( وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ) قطع حسن ، وكذا (ذلك مبلغهم من العلم ) ، والتمام ( بمن اهتدى ) على قول من جعل ( ليجزى ) متعلقا بما قبله ، وفى ذلك اختلاف كثير ، فعلى هذا القول التقديـــــر : ولله مافى السموات ومافى الأرض ، فهو يضل من يشاء ، ويهدى من يشـــاء ، ليجزى الذين أساءوا بماعملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . "

ثم يذكر أبو جعفر رأيا لأبى حاتم ، لاأدرى : كيف غفل عنه أبو بكر؟ وهو فى قوله : " والتمام عند أبى حاتم : ( ولله مافى السموات ومافى الأرض) ، ثم ابتدأ بما فيه اللام ، وزعم أنها لام قسم" .

وكانت هذه فرصة لأبى بكر كى يخطئ أبا حاتم ، كما خطأه فيما شابه ذلك من قوله : " وقال السجستانى : اللام فى ( ليجزيهم )[1] لام اليمين ، كأنه قال :

---

( ١ ) من قوله تعالى : ( ... ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ) سورة التوبـــة / ١٢١ .

ليجزينهم الله ، فحذفوا النون وكسروا اللام ، وكانت مفتوحة فأشبهت في اللفظ لام ( كي ) فنصبوا بها كما نصبوا بلام (كي ) . وهذا غلط لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ، ولو جاز أن يكون معنى ( ليجزيهم ) ليجزينهم لقلنا : والله ليقم زيد بتأويل : والله ليقومن ، وهذا معدوم في كلام العرب ، واحتج بأن العرب تقول في التعجب : أظرف بزيد ، فيجزمونه لشبهه لفظ الأمر . وليس هذا بمنزلة ذاك لأن التعجب عدل إلى لفظ الأمر ، ولام اليمين لم توجد مكسورة قط في حال ظهور اليمين ولا في حال اضمارها "(١) .

ومثل هذا الرد كان مناسبا للاحتجاج به هنا أو الاحالة عليه ، ولكن أبا بكر لم ينتفع منه بشيء .

ويتابع أبو جعفر بيان آراء النحويين الى أن يذكر رأى يعقوب من أن الوقف على ( اللمم ) . ويذكر أنه خولف في هذا لأن قوله ( إن ربك واسع المغفرة ) متصل بما قبله فلا ينبغي أن يوقف على ما قبله ، لأن المعنى عند أهل التفسير : ان ربك واسع المغفرة لمن أتى اللمم .

ويرد أبو جعفر القول بأن ( إلا ) بمعنى الواو قائلا : " فإذا كانوا يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واللمم ، فما الذي يغفر لهم ؟ وإلا بمعنى الواو لا يعرفه النحويون القدماء" .

ثم يتابع أبو جعفر ذكر آراء المفسرين في معنى ( اللمم ) ، فيذكر من الآراء أنه الصغائر ، أو ما تيب منه ، أو ما كان في الجاهلية ، أو ما لم يكن فيه حد ، أو هو الرجل يعمل الذنب والخطيئة ثم لا يعاود ، أو هو ما سلف يعني الجاهلية ، أو أن يأتي الذنوب ثم يتوب .

ويستوعب أبو جعفر كل ما في السورة الكريمة من أنواع الوقف قائلا :

" والتمام عند يعقوب وجماعة معه ( إن ربك واسع المغفرة ) . والتمام ما روى عن نافع : ( وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ) . قال يعقوب : ومن الوقف

---

(١) ٢/٧٠٠ .

قول الله عزوجل ( فلاتزكوا أنفسكم ) . والتمام عند يعقوب وأبى حاتم : ( هو أعلم بمن اتقى ) . وعن نافع : ( أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ) ثم، قال أبو جعفر : وهذا لامعنى له ، لأن ( وابراهيم ) معطوف على ( موسى ) بلا اختلاف فى ذلك فلايتم المعنى حتى يأتى بالمعطوف اذا كان مفردا ولا سيما فى الخفض.

( وابراهيم الذى وفى ) قطع كاف ،ان جعلت ( أن ) فى موضع رفع على إضمار مبتدأ . وان جعلتها فى موضع خفض بدلا من ( ما ) لم تقف على (وفى) وكان الكلام متصلا . ( ثم يجزاه الجزاء الأوفى ) قطع كاف على ماحكى عن الفراء ، لأنه حكى ( وان إلى ربك المنتهى ) بكسر الهمزة .

وروى الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ ( وانه ) بكسر الهمزة ، فعلى هذه القراءة يقف على ( المنتهى ) وعلى ( وأبكى ) وعلى ( وأحيا ) لأنه يقرؤهن كلهن بالكسر، فمن قرأ بالفتح فالكلام متصل الى ( وقوم نوح من قبل ) فان العباس بن الفضل قال : هذا تمام الكلام ،ويتم على قول الفراء : ( انهم كانوا هم أظلم وأطغى ) لأنه قال : ( والمؤتفكة ) منصوب بـ(أهوى ) ، والتمام عند أبى حاتم ( فبأى آلاء ربك تتمارى ) ، وكذا عنده ( هذا نذير من النذر الأولى ) ، وكذا عنده ( ليس لها من دون الله كاشفة ) ،وكذا ( وأنتم سامدون ) وهذا كاف عند غيره ، والتمام آخر السورة .

فاذا أعدنا النظر فيما تقدم خرجنا بنتائج تشيع عند المؤلفين منها :

١ــ اقتصار أبى بكر على الوقف التام غالبا ،واستقصاء أبى جعفر لسائر الأوجه .

٢ــ الحرص على تتبع الآراء المختلفة وتوجيه كل رأى ، عند أبى جعفر أكثر منه عند أبى بكر .

٣ــ الشرح والتوضيح والتفسير لكثير مما يرتبط به الوقف الذى يذكره أبو جعفر ،على حين لا تبرز هذه الصفة عند أبى بكر .

٤ــ ميل أبى جعفر نحو آراء البصريين ، ونقد مالا يراه صالحا ، والـــرد على من خالـــفه .

٥ ــ وعندما ننظر فى فهرس الأعلام لنوازن بين اتجاه كل منهمـــــا نلاحظ استعانة أبى جعفر بأئمة البصرة والكوفة من القراء فيما يتصل بتوجيـــه الوقف تبعا للقراءة ، فنراه يذكر الكسائى أربعا وسبعين مرة ، على حين ذكـره أبوبكر أقل منه بعشر مرات ، ويذكر الفراء خمسا وثلاثين مرة على حين ذكـــــره أبوبكر أقل منه بعشرين مرة ، ويذكر ثعلبا عشر مرات ، ويذكره بن الأنبارى ( ٤٠ ) مـــرة .

والخليل بن أحمد يذكر عند النحاس ( ١٧ ) مرة ، ولا يذكره بن الأنبارى الا خمس مرات ، وكذا سيبويه يذكر فى "كتاب القطع" ستين مرة ، ولا يذكر فـــى "كتاب الايضاح" الا مرتين ، والأخفش سعيد بن مسعدة يذكره أبو جعفـــر ( ٢٠٧ ) مرات ، ولا يذكره ابن الأنبارى الا ستعشرة مرة . أما أبو حاتم السجستانى فقد تكرر ذكره فى كتاب النحاس ( ٣٩٦ ) مرة ولم يذكر عند ابن الأنبارى الا ( ٥٢ ) مرة .

٦ــ وقد تـأكـد عند كل من يطلع على كتاب أبى جعفر اعتماده على كتاب نافع ويعقوب ، وقد نوه بذلك فى قوله : "ولست أعلم أحدا من القراء الأئمة الذين أخذت عنهم القراءة ، له كتاب مفرد فى التمام إلا نافعا ويعقوب ، فانـــى قد وجدت لكل واحد منهما كتابا فى التمام" .

وهذا النص دليل قاطع على صحة ماقدمنا ، لذا نراه يذكر نافعا فى كتابه حوالى ( ٢٧٠ ) مرة ، ويذكر يعقوب حوالى ( ١٦٠ ) مرة فى الوقت الذى ذكـــر نافع عند ابن الأنبارى ( ٦٦ ) مرة ، وذكر يعقوب خمس مرات .

وبعد فلست مستطيعا أن أفضل أحد الكتابين على الآخر ، بعد أن قررت فيما مضى مزايا وخصائص أبى بكر فيما صنع وأبدع فى المقدمة التى وضعها بين يدى الكتاب ، وبعد أن أوضحت ما فى كتاب أبى جعفر من تفصيل القول وتوجيه القراءات والشرح .

وأجدنى أمام عملين علميين عظيمين لست أهلا للمفاضلة بينهما .

---

( ١ ) ص ٥٧ .

أهميـــة هذا الكتاب وأثـــره :

يعتبر" كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل" من أهـــم كتب ابن الأنباري ، وأكثرها شهرة .

وقد أصبح هذا الكتاب كالعلم بالنسبة الى صاحبه ، فلاغرو أن يذكر قرين اسمه ، وأن يعرف مؤلفه بذكره ، عند علماء القراءات ومؤلفي الطبقات والتراجم وبعض علماء التفسير ، ذلك أنه من أحسن ماألف في هذا الموضوع : موضـــوع الوقف والابتداء .

ويمكن أن نجمل مانراه من أهميته في أمور عدة منها :

أولا ـ أنه أقدم كتاب وصل إلينا يدرس هذا الموضوع دراسة علمية ، مبنية على أصول قوية من الرواية والدراية ، كما ظهر من العرض الذي قدمت به دراسة هذا الكتاب ، وقد عرفنا أن أشهر من سبقوه إلى التأليف في هذا من القراء نافع بن أبي نعيم ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، ومن اللغويين والنحويين : أبوحاتم السجستاني ، وأبو العباس ثعلب ، وهؤلاء الأعلام لم تصل الينا كتبهم .

أضف الى ذلك مايختص به الكتاب من الاتقان والحرص على التحليل ، والعناية بالتعليل ، وذكر أوجه الاعراب ، وتوجيه القراءات ، مع بيان أثر الرسم في ذلك ، مما تقدم بسطه في هذه الدراسة .(١)

ثانيا ـ أنه مصدر هام من مصادر دراسة الوقف والابتداء ، ولا سيما أن الكتب المتخصصة في هذا الموضوع تكاد تكون مفقودة ، ولم يسلم لنا منها غير ثلاثة كتب ـ فيما أعلم ـ وهي : كتاب" القطع والائتناف" لأبي جعفر النحاس ، وقد طبع مؤخرا وسبقت موازنة بينه وبين كتاب أبي بكر ، وكتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء" ، لأحمد بن عبد الكريم الأشموني ، وقد طبع طباعة رديئة ـ كما تقدم(٢) ـ وكتـــاب " الابانة في الوقف والابتداء" ، لأبي الفضل الخزاعي ، وهو مايزال مخطوطا(٣) .

---

(١) راجـــع ص

(٢) راجـــع ص

(٣) ومنه نسخة ، في مكتبة القرويين ، بفاس ، رقمها ١٧٩/١٠٥٤ .

ثالثا ــ ومع فقدان كتب الوقف والابتداء يبرز كتاب ابن الأنبارى ليلقى ضوءا على بعضها وبخاصة كتب متقدمى الأئمة كنافع بن أبى نعيم الذى ذكر فى الكتاب أكثر من خمس وستين مرة ، وأبى حاتم السجستانى الذى ذكر أكثر من خمسين مرة ، وأبى العباس ثعلب الذى ذكر أكثر من أربعين مرة .

وهذه المواضع عبارة عن نصوص مقتبسة غالبا ، ولذلك فكتاب ابن الأنبارى يساعدنا كثيرا فى التعرف على كتب أولئك .

وفيما لو عثر على أحدها ، فانه يساعدنا أيضا فى تحقيق نصوصه .

رابعا ــ وهو مصدر من مصادر دراسة النحو الكوفى التطبيقى ، وذلك بما احتواه من عرض دقيق لآراء الكوفيين فى اللغة والنحو ، وتتبع دائم لأقوالهم فى المسائل الهامة التى تمر فى الكتاب ، فيقف عليها أبوبكر ويشرحها ذاكرا أقوال أشهر أئمة المدرسة الكوفية فيها ، مستشهدا بحججهم وأدلتهم فى كل مسألة .

وكثيرا ما يقف على الآيات مبينا الأوجه والاحتمالات الاعرابية فيها بالتفصيل ، مستخدما فى مناقشاته لها وللآراء النحوية التى يذكرها مصطلحات كوفية كثيرة ، وقد تقدمت أمثلة كثيرة على ذلك الاتجاه الكوفى فى الكتاب ويمكن أن نلتمسها فى مواضعها ، فلا حاجة لتكرارها مرة أخرى .

خامسا ــ وأخيرا لا شك أن المتأخرين قد أفادوا كثيرا من كتاب " إيضاح الوقف والابتداء " ، ومما يمكن أن نؤكده أن الصاحب بن عباد رجع إلى كتاب ابن الأنبارى ، عندما ألف كتابه فى الوقف والابتداء وقد نص هو على ذلك ــ كما تقدم آنفا (٢) ــ فى رده على رسول أبى بكر إليه .

وأما النحاس ( ت ٣٣٨ هـ ) فى كتابه " القطع والائتناف " فقد خصصته بحديث من قبل عرضت فيه إلى أن أبا بكر أستاذه ، ولكنى لا أستطيع الجزم بأن النحاس قد تأثر بابن الأنبارى كما استنبط ذلك الدكتور الجنابى .

---

( ١ ) راجع ص ١٦٣ .

وأما أحمد بن عبد الكريم الأشمونى فقد أفاد كثيرا من "كتاب ايضـــاح الوقف والابتداء" ونقل منه فى مواضع كثيرة من كتابه "منار الهدى فى بيـــان الوقف والابتداء"[(١)].

كما رجع إليه القرطبى فى تفسيره، ونقل منه نقولات بلغت صفحة كاملـــة أحيانـــا[(٢)].

وقد أفاد منه القالى - تلميذ ابن الأنبارى - فى أماليه ناقلا بعض ماورد من الأخبار والأحاديث فى موضوع اللحن فى اللغة[(٣)]، الذى عالجه ابن الأنبـــارى فى أول كتابه.

كما نقل منه السيوطى فى "الجامع الصغير"[(٤)].

هذا مبلغ علمى بالعلماء الذين انتفعوا بكتاب ابن الأنبارى، ولو كان بين أيدينا اليوم كتب الوقف والابتداء لخرجت بنتيجة أوضح وفائدة أكبر.

وللأسباب السابقة كلها اتخذ "كتاب إيضاح الوقف والابتداء" مكانتـــه المرموقة، وشهرته الذائعة، بين القراء واللغويين والنحويين وغيرهم مـــن حملة العلم وأرباب المعرفة.

---

(١) انظر مثلا: ص ٩، ٢١، ٢٤ وغيرها.
(٢) انظر مثلا: ١/٨، ٢٣، ٢٤، وغيرها.
(٣) ١/٤، ٥.
(٤) ١/٤٥.

## كتاب الزاهـــــــر فى معانى كلمات الناس

* نسخ الكتـــــــــــاب .
* عرض الكتـــــــــــاب .
* منهجـــــــــــــه .
* موقف ابن الأنبارى من الأمثال والعبارات اللغوية .
* أنواع العبارات اللغويـــــــه فـــى الزاهـــر .
* طريقة ابن الأنبارى فى شرح العبارات والأمثـال .
* شـــواهـــــــــــــده .
* نمـــــــاذج مـــــن شـــــرحه .
* هل التزم ابن الأنبارى منهجه فى الزاهـــــر ؟
* مصـــــــــــــــادره .
* تأثـــــــره بالسابقـــــين .
* أهمية الزاهـــــــر وأثره فى اللاحقين .

* * *

## ٣ــ كتاب الزاهــر فى معانى كلمات الناس،
## فى العــادات ، والعبادات
## من قبــل اللغة

هذا هو العنوان الذى نصبه أبو بكر علما على كتابه ، وإن كانت بعض المصادر تقتصر على تسميته "الزاهــر".

وقد رأيت فى هذا الكتاب من نادر اللغة ، وجودة الشرح ، وغزارة الشواهد كثيرا ، من أجل هذا حظى الزاهر باهتمام الباحثين ، وجذب قراء العربيــــــــــه فى مختلف العصور .

نسخ الكتـــــــاب :

ولذلك فلا غرو أن تكثر نسخه ، فقد بلغ عدد النسخ المعروفة منه اثنتى عشره نسخة ، ثمان منها فى استانبول بتركيا ــ وقد رأيت سبعا من هذه ــ ويمكــن ترتيبها ــ استنادا على تواريخها ، وعلى معرفة شكل الأوراق وطبيعة الخــط فيما لم يؤرخ منها ــ على النحو التالى حسب قدمها :

١ــ نسخة "أسعد أفندى" (أ) [1] : وهى مكتوبة سنة ( ٣٧٨هـ ) ، ورقمها ( ٣٢١٥ ) ، وهى أقدم النسخ التى وصلت إلينا ، ولها أهمية خاصــــه لقدمها ، ولقرب عهدها بالمؤلف ، فهى مكتوبه بعد وفاة ابن الأنبارى بخمســـين سنه .

٢ــ نسخة "فاتـــح" : وهذه مجهولة التاريخ ، ولعلها مكتوبة فيما بين القرن الخامس والسادس الهجريين ، ورقمها ( ٣٩١٢ ) .

٣ ــ نسخة "أسعد أفندى" (ب) ، وهى مكتوبة سنة (٦٢٢هـ) ورقمهـــا ( ٣٢١٦ ).

---

( ١ ) هذا الحرف وضعته للتمييز بين هذه النسخة ، ونسخة أخرى موجودة فى المكتبة نفسها ، ورمزت لها بالحرف ( ب ) كما سيأتى .

٤ــ نسخة "كوپريللى" : وهى مجهولة التاريخ ، ويبدو أنها مما كتب فى القرن الخامس الهجرى ، ورقمها ( ١٢٨٠ ) ، ومنها صورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقمها ( ٨٨٥لغة )[1] .

٥ ــ نسخة "لالەلى" ، وهى مكتوبة فى سنة ( ١٠٨٩هـ ) ، ورقمها (١٧٨٧) ، وعندى منها مصورة[2] .

٦ــ نسخة "راغب باشا" ، وهى مكتوبة سنة ( ١١٠٩هـ ) ، ورقمها ( ١٤١٦ ) .

٧ــ نسخة "بايزيد" ، وهى مماكتب فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وخطهما يشبه خط نسخة "راغب باشا" تماما ، وتتشابه النسختان أيضا فى الزخارف المحلى بها كل منهما .

٨ــ نسخة "فيض الله" ، وهذه لم أوفق إلى رؤيتها لبعض الظروف ، ورقمها ( ١٠٦٨ ) ، ولا أعرف موقعها فى هذا الترتيب فأخرتها .

وهنـــاك أربع نسخ أخـرى لم أرها أيضا وهى :

٩ــ نسخة جامعة "بـــرل" لندبرج بألمانيا الغربية ، ورقمها ( ١٩٥ )[3] .

١٠ ــ نسخة "مراد البارودى" ، ببيروت ، وهى مكتوبة فى حوالى القرن السابع الهجرى[4] .

١١ــ نسخة مكتبة "قَوَلَـه" ، بدار الكتب بالقاهرة ، ورقمها ( ٢٣/ق )[5] .

١٢ــ نسخة "عبد العليم الطحـاوى" ، وقد كتبها عن مصورة "كوپريللى" الموجودة بدار الكتب[6] .

وأما النسخة الثانية التى بدار الكتب ، و" نسخة ميونخ " ، فهما المختصر ، للزجاجى وليستا الزاهـر نفسه[7] .

---

( ١ ) انظر فهرس دار الكتب المصرية ٢ / ١٦ .
( ٢ ) سوف تكون اقتباساتى منها إن شاء الله .
( ٣ ) انظر تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ٢ / ٢١٥ .
( ٤ ) انظر مجلة المجمع العلمى العربى ، بدمشق ٥ / ٣٢ ، سنة ١٩٢٦م
( ٥ ) انظر فهرس مكتبة قوله بدار الكتب المصرية بالقاهرة ق ٢ / ٣ .
( ٦ ) انظر مقدمة تحقيق الفاخر ، لعبد العليم الطحاوى ص (س) .
( ٧ ) انظر فهرس دار الكتب المصرية ٢ / ١٦ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢ / ٢١٥ .

وصـــف بعض المخطوطات:

(أ) سأبدأ هنا بوصف نسخة من هذه النسخ بوصفها إحدى النسخ التى قد جمعت مادة الكتاب كاملة ، وقوبلت على نسخة ابن حيّـــويه تلميذ المؤلف ، وهى نسخة "أسعد أفندى" (ب)، وهى من النسخ المهمة، وتقع فى إحدى وخمسين وثلاثمائة ورقة مقاس (٢٦×١٧ سم) ، فى كل صفحة (١٥-١٧) سطرا ، وفى كل سطر حوالى عشر كلمات ، وهى مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، ومضبوطة بالشكل . وقد كتبت الأمثال والعبارات اللغوية كلٌّ منها يتوسط سطرا مستقلا ، بخط كبير نسبيا بها خروم قليلة كما فى الورقات العشر الأولى ، وقد تصحح الكلمات التى أصابها الخرم فى الهامش بخط آخر متأخر ، دون مساس بالنص الأصلى .

وتكتب الشواهد الشعرية من أول السطر جريا على عرف المتأخرين . وعلى الورقة الأولى عنوان الكتاب واسم المؤلف ، وثَمّ أبيات من الشعر ، وقد كتب اسم الكتاب مرة أخرى فى أعلى الصفحة بخط صغير على النحو التالى : "كتاب الزاهر فى معانى كلمات الناس فى العادات والعبادات من قبل اللغة". ثم تعريف بالكتاب منقول من كشف الظنون . وعلى ظهر الورقة المقابلة لهذه ترجمة المؤلف من كتاب وفيات الأعيان .

وهذه النسخة منقولة من نسخة قبلها ، وقد رأى ناسخها نسخة ابن حيوية تلميذ ابن الأنبارى ، يفهم ذلك من بعض المعارضات والتعليقات التى سجلها الناسخ فى الحواشى كقوله : "كذا فى الأصل ، وفى أصل ابن حيويه"(١) . وبها تعليقات أخرى قليلة .

---

(١) الورقة ٢٨/أ .

وتقع فى جزأين ، ينتهى الجزء الأول منهما فى الورقة (١٨٢/ب) ، وبعدها ورقة خالية ، ثم الورقة (١٨٤/أ) ، وعليها اسم الكتاب ، واسم المؤلف، ثم بيتان من الشعر. ويبدأ الجزء الثانى فى الورقة (١٨٤/ب) بالبسملة، ثم ( وقولهم : فلان يحوم على كذا وكذا ) .

وكاتبها هو أبوعبدالله بن أبى الفضل بن محمد الدَّخْوار . وقد فرغ من نسخه فى رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

وقد قدمت وصف هذه النسخة على نسخة "لاله لى" التى اعتمدت عليها عند دراسة هذا الكتاب لسبق التاريخ المدون عليها ، ولمعارضتها بنسخة ابن حيويه تلميذ أبى بكر بن الأنبارى . ولن أتخلى عن وصف نسخة "لاله لى" لأنها مصدر نقولى ، ولأن النقول مهما كثرت فإنها لن تفى ببيان وصف المخطوطة ، ثم إنها صورة ، ولابد أن توضع الصورة فى إطار من الحقيقة بالوصف .

(ب) نسخة "لاله لى" ، وقد تقدم بيان تاريخ نسخها، وبيان الرقم الذى تحمله فى موطنها باستانبول فى تركيا ، عند سرد مخطوطات هذا الكتاب.

وعدد أوراقها ثمان وأربعون وثلاثمائة ورقة ، فى كل صفحة من صفحاتها واحد وعشرون سطرا ، وقد كتبت بخط مشرقى هو ما نسميه خط النسخ الآن ، وضبطت بالشكل ضبطا كاملا .

وقد أضيف إلى عدد الأوراق المذكور ثلاث عشرة ورقة .

وعلى الغلاف بطاقة الكتاب، واسم طالب التصوير ، وفى الورقة الأولى أربعة أبيات من الشعر ، ليس لها علاقة بالكتاب، منها :

إنى بحثت فما وجدت هدية أهديك غير دلائل الخيرات

أهديتها وعلى الجناب قبولها مقرونة مع صالح الدعوات

وفى مقابل الصفحة التى عليها هذه الأبيات ، بيان عدد الأوراق ، وعدد الأسطر فى كل صفحة ، وخاتم نقش عليه ( هذا من وقف سلطان الزمان ، الفازى سلطان سليم خان ، ابن السلطان مصطفى خان ) .

وبعد ذلك عشر ورقات ، نسق على صفحاتها فهرس الكتاب فى مربعات عددها الأفقى خمسة ، وحسابها الرأسى تسعة . ثم جاءت بعد ذلك صفحة العنوان وهو :

كتاب الزاهر فى معانى كلمات الناس فى العادات والعبادات من قبل اللغة . تأليف أبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى النحوى ـ رحمه الله ـ نفعنا ببركة مؤلفه آمين .

وتحت هذا العنوان رقم الكتاب ، وخاتم بيضاوى الشكل عليه طرة لم أستطع قراءتها ، وتحت هذا الخاتم :

زاهر فى معانى كلمات الناس . . . نسخ ٢١ سطر

وفى آخر الصفحة خاتم مستطيل للمكتبة السليمانية ، وفى آخره رقم الكتاب، وهذا الخاتم مكتوب بالحروف اللاتينية .

وقد قسم الكتاب فى هذه النسخة إلى أربعة أجزاء ، ينتهى الجزء الثانى بما انتهى به الجزء الأول من النسخة السابقة ، ويبدأ الجزء الثالث فيها بما بدأ به الجزء الثانى من النسخة السابقة ، وهذا البدء المشترك بعد البسملة هو : (وقولهم : فلان يصوم على كذا وكذا ) وذلك فى الورقة رقم (٢١٦/ب) من مخطوطة "لاله‌لى " ، وفى هذه الصفحة عنوان مستقل كتب فيه : الجزء الثالث من كتاب الزاهر ، تأليف أبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى النحوى ـ رضى الله عنه ـ آمين .

وللجزء الثانى من هذه النسخة عنوان مستقل أيضا فى الورقة (١١٩/أ) ، ولكن الخط الذى كتب به هذا العنوان مخالف للخط الذى كتب به عنوان الجزء الثالث ، يظهر ذلك بأدنى نظر، وكذلك الرسم الهجائى ، فقد ترك الناسخ رسم الهمزة فى كلمة ( الجزء ) من الجزء الثالث، جريا على عادته ، ولكن هذه الهمزة قد رسمت على واو فى عنوان الجزء الثانى .

ويبدأ الجزء الرابع فى الورقة رقم ( ٢٣٤/ب )، وقد سقط هـــذا الرقم من الـصورة ، ولعل هذه الصورة الناقصة تحمل عنوان الجزء ، واســـم المؤلف ، وهذه الصورة تشمل صفحتى ( ٢٣٣/ب ، ٢٣٤/أ ) .

ومما يسترعى النظر أن الجزء الثالث قد قلت أوراقـــه ، حتى بلغـــت ثمان عشرة ورقة .

وهذا يوجب على من يتصدى لتحقيق هذا الكتاب ، التأكـد من تقســيم الكتاب إلى أجزاء ، ومقابلة التقسيمات المختلفة فى المخطوطات جميعـها ، حتى يصل إلى حقيقة التقسيم ، أو يقاربـها .

وليس لدينا دليل قاطع على أن أبا بكر قد جعل كتابه فى أجزاء اللهـــم إلا البدء فى أول كل جزء بالبسملة ، وختم السابق له بعبارة مناسبة مثل : "تم بحمد الله" ، أو "تم الجزء .." .

وفـى آخر هذه المخطوطة :

وقع الفراغ من نسخه فى العشر الأخيـــر من شوال من سنة (١٠٨٩) من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وبعد ذلك خاتم الوقف السابق .

وفى الهامش كتب رأســـيا من تحت إلى فوق :

"كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد السند بسطى الأزهرى غفر الله له ولوالديه ، ولجميع المسلمين امـــين" .

وقد اكتفيت بوصف هاتين المخطوطتين ، لأن وصف مخطوطات الكتـاب شأن المحقق ، لا شأن الدارس ، ولأن مالا يدرك كلـــه لا يترك كله .

سبب تأليـــف الزاهـــــــر :

سبق أن تحدثت عن عمق التدين وأصالته عند أبي بكر بن الأنباري[1] ، وقد كان لهذا التدين العميق أثر كبير على إنتاجه العلمي ، حيث جعل الهدف الأول من دراساته اللغوية خدمة لغة القرآن بصفة خاصة ، أو بمعنى آخر ، لغة العقيدة التي يتداولها المسلمون ، ويستعملونها في أمورهم الدينية والدنيوية ، كالصلاه والدعاء والتسبيح ، والذكر والمعاملة وغيرها .

وقد حزّ في نفس أبي بكر بن الأنباري — وهو الحريص على تفهم العقيدة — جهلُ الناس بمعاني الألفاظ التي يستعملونها في عباداتهم ، وألمه عدم فهمهم لمعاني كثير من عباراتهم المعتادة التي يكثر استعمالها في لغتهم .

ومن هنا فقد رأى أن يتناول في كتابه هذا تفسير أهم تلك الألفـــاظ والعبارات " ليكون المصلي إذا نظر فيه عالما بمعنى الكلام الذي يتقرب بـــه إلى خالقه ، ويكون الداعي فَهِما بالشيء يسأله ربه ، ويكون المسبّح عارفا بما يعَظّم به سيده "[2] ، فالهدف إذن من تأليف الكتاب أن يفهم الناس معاني العبارات التي يستخدمونها في عباداتهم ، وهو هدف يجمع بين الحرص على سلامة اللغـــة والحرص على نقاء العقيدة . ويرى أن مثل هذا الهدف الذي يجمع بين خدمـــة العقيدة ودراسة اللغة من أحسن الأهداف وأفضل الدراسات فيقـــول :

" واعلم أن من أشرف العلم منزلة ، وأرفعه درجة ، وأعلاه رتبـــة ، معرفة معاني الكلام الذي يستعمله الناس في صلاتهم ، ودعائهم وتسبيحهم ، وتقربهم إلى ربهم ، وهم غير عالمين بمعنى ما يتكلمون به من ذلك "[3]

---

(١) ص ٢٧ .
(٢) نسخة "لا له لق" ٢/ب .
(٣) ٢/أ .

عـــــرض الكتـــــــاب :

يبدأ كتاب الزاهر ، بمقدمة نثرية جميلة ، تظهر فيها براعة ابن الأنبارى فى الكتابة ، ومقدرته الكبيرة على صياغة المعانى ، من غير مشقة ، وتتسم مقدمته هذه بأهم خصائص النثر فى عصره ، من اهتمام بالبديع وتطلب للمزاوجة بـــين العبارات ، وتتبع للجناس اللفظى فى كثير من الأحيان ، وأستشهد هنـــــا بشئ منها يعد نموذجا لنثره .

يبدأ الزاهر ـ بعد البسملة ـ على النحو التالـــــــى :

" الحمدُ لله القديمِ الدائمِ ، الذى ليس لِقِدَمِه ابتداء ، ولا لِدَيْمُومَتِهِ انتهـاء ، الذى حَجَّت الألبابَ بدائعُ حِكَمِهِ ، وخصمت العقولَ لطائفُ حُجَجِهِ ، وقَطَعـــت عُذرَ الملحدينَ عجائبُ صُنْعِه ، وكَلَّت الألسُنُ عن تفسيرِ صفتِهِ ، وانحسرت العُقُولُ عن كُنْهِ معرفتِهِ ، لا تَحْوِيهِ الأماكنُ ، ولا تحُدُّهُ لِكِبْرِيائِهِ الفِكَرُ ، مُحَرَّمٌ على نَوازِعِ ثَاقِبَاتِ الفِطَنِ تَحْدِيدُهُ ، وعلى عوامقِ الفِكَرِ تَكْيِيفُهُ ، وعلى غَوائِصِ سَابِحَاتِ النَّظَـــــرِ تَصْوِيرُهُ ، مُمْتَنِعٌ عَنِ الأَوْهَامِ أَنْ تَكْتَنِهَهُ ، وعن الأَفْهَامِ أن تَسْتَغْرِقَهُ . . . " (١)

ويسترسل أبو بكر فى مقدمته على هذا النحو ماضيا فى ثنائه على الله سبحانه وتعالـى ، وعلى صفاته ، ثم مُتْبِعا ذلك بالثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم على نحوه . ، حتى إذا ماشارف على الانتهاء منها ، أخذ فى شرح سبب تأليـــــف الكتاب موجزا ذلك على النحو الذى تبيناه .

ثم ختم المقدمة بوصف منهجه فى كلمات قليلة جدا .

وليست للمقدمة أيةُ علاقة بموضوع الكتاب ، اللهم إلا ماذكره فيها من سبب تأليفه ، وماوصف به منهجه . وكل ذلك لا يشغل من المقدمة إلا بضعـــــةَ أسطـــــر .

---

(١) ١/ب٠

وقد حرمنا هذا الايجاز المخل من معرفة تفاصيل منهج المؤلف في كتابه ، وليس لنا إلا أن نعتمد على وصفه مع تتبع أبواب الكتاب لكي نخرج بعد ذلك بصورة واضحة عن أساس هذا المنهج .

فأما المنهج الذى رسمه فى المقدمة فإنه لا يتجاوز الإشارة إلى موضوع الكتاب ، وهو : " معرفة معانى الكلام الذى يستعمله الناس فى صلاتهم ودعائهم ، وتسبيحهم ، وتقربهم إلى ربهم " ، ثم وعد بأنه سيتبع " ذلك بتبيين ماتستعمله العوام فى أمثالها ومحاوراتها من كلام العرب ، وهى غير عالمة بتأويله باختلاف العلماء فى تفسيره وشواهده من الشعر "[1] كما أشار إلى أنه سيقف - أثناء دراسته - على بعض قضايا النحو واللغة فقال : " ولن أخليه مما أستحسن إدخاله فيه من النحو والغريب واللغة ، والمصادر والتثنية والجمع ، ليكون مشاكلا لاسمه إن شاء الله "[2] .

هذا هو كل مايتعلق بالمنهج فى المقدمة ، ويمكن أن نستفيد منه ما يأتى :-

أولا - أن المؤلف سيقسم موضوع الكتاب إلى قسمين ( الأول منها ) دراسة لأهم العبارات اللغوية فى العبادات ، والتى يسميها " الكلام الذى يستعمله الناس فى صلاتهم ودعائهم ، وتسبيحهم وتقربهم إلى ربهم " . ( والثانى ) دراسة للأمثال والمحاورات ، وسنعرف أن المحاورات هى الأخرى نوع من العبارات اللغوية . وعلى هذا فالعبارات اللغوية تشغل الحيز الأكبر من الكتاب .

ثانيا - أنه سيهتم بعرض اختلاف العلماء فى تفسير تلك العبارات والأمثال .

ثالثا - أنه سيهتم بالشواهد فى تفسير العبارات والأمثال .

رابعا - أنه سيوجه عناية خاصة ببعض القضايا اللغوية والنحوية كالاهتمام بالغريب والمصادر والتثنية والجمع .

---

(١) و(٢) ٢/ب٠

وسنرى بعد دراسة الكتاب إلى أى حد التزم المؤلف بما صرح به من منهجه ؟

وأول ما نلاحظه على مادة الكتاب أنها غير مرتبة ، فالمؤلف لم يتبع فيها نظاما معينا للعرض ، اللهم إلا ما نراه فى مطلع القسم الأول من الكتاب حيث أورد فيه سبعين عبارة متتالية - بشروحها - من عبارات العبادات ، وهذه ليست مرتبة ترتيبا دقيقا ، فالمؤلف لم ينظم هذه العبارات بحسب موضوعاتها فى العبادات ، كأن يجمع فى العرض بين العبارات التى تفيد ذكر الله منها كقولهم ( حَسْبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيل ) ، و ( لا حول ولا قوةَ إلا بالله ) و ( اللهمَّ لا مانعَ لما أعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِيَ لما منَعْتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ ) و ( أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله ) ... الخ ، فكان من المناسب أن تجمع مثل هذه العبارات متتالية إلا أن أبا بكر كان يفصل بينها ببعض العبارات التى تفيد معانى أخرى فى العبادات كتلك التى تذكر تعبيرا عن العبادات البدنية الظاهرة كقولهم : ( قد تيمم الرجل ) و ( قد صلى الرجل ) و ( قد سجد الرجل ) ، ( وقد قنت الرجل ، وأخذ فى القنوت ) و ( قد حج الرجل إلى بيت الله ) و ( قد اعتمر الرجل ) وبين هذه العبارات الأخيرة صلة من حيث إنها تعبير عن عبادات تؤدى فى صورة حركات ظاهرة . وكان من المناسب أن يخصص قسما لكل نوع دون أن يخلط بينه وبين غيره .

لم يفطن أبو بكر إلى مثل هذا الترتيب الداخلى بين العبارات فى هذا القسم رغم أنه فطن إلى شىء من الترتيب الموضوعى فيه بحيث جعل عبارات العبادات معا . ومع ذلك فقد بقى هذا النظام مقصورا على أوائل الكتاب ، ولم تضم إلى تلك العبارات عبارات أخرى فى بابها ، فهناك عبارات تتعلق بالعبادات جاءت منثورة فى مواضع أخرى كقولهم : ( نعوذ بالله من جهنم ) ، و ( فلان من أهل السنة ) ، و ( أنا مؤمن بوحى الله ) و ( اللهم أوزعنا شكرك ) وغيرها .

ومرة أخرى لم يستفد من الفكرة الأساسية فى هذا الترتيب بحيث ينظم سائر عباراته وأمثاله تنظيما عاما ، يرتب فيه بقية العبارات والأمثال بحسب معانيها ، فيخصص بابا لما قيل فى معنى الغباء ، وآخر لما قيل فى معنى الشجاعة ، وثالثا للحمق ، ورابعا للغنى ، وخامسا للغضب ... وهكذا .

ففى باب الغباء مثلا يمكن جمع العبارات والأمثال التالية وهى فى مواضع متفرقة : ( ما يَعْرِفُ قَبِيلاً مِنْ دَبِير ) ، و( فلان رَكِيكٌ ) ، و( فلان بَسُوٌّ ) ، و( فلان غَثٌّ ) وغيرها .

وفى باب الشجاعة قولهم : ( فلان كمىٌّ ) و( رجل باسِلٌ ) و( فلان يُسْمِع فلانا ) ، و( فلان لا يُصْطَلى بِنَارِه ) وغيرها .

وهناك نظام سهل غفل عنه أبوبكر وهو الترتيب الهجائى الذى يمكن أن ينظم فيه مادته بحسب الحروف الأولى للعبارات والأمثال .

ومن هنا فالكتاب فى حاجة ماسة إلى تحقيق علمى تلحق به جملة من الفهارس تجعل الإفادة منه قريبة المنال من الطالب ، فهو يتعب الدارس لعدم وجود أى نوع من الربط ، أو النظام ، أو الترتيب بين مفردات مواده .

موقف ابن الأنبارى من الأمثال والعبارات اللغوية :

يمكن تصنيف المادة التى يعرضها أبوبكر فى الزاهر إلى نوعين هما : الأمثال ، والعبارات اللغوية . ولكى نعرف الفرق بينهما أرى أنه لابد من تقديم بعض التعريفات لكل منهما .

فأما المثل فهو فى " لغة العرب بمعنى المِثل ، كالشَّبه والشِّبْه ، ونظيرهما البَدَل والبِدْل ، والنكل والنَّكل ، للشجاع الذى ينكل أعداءه ، ثم سميت هذه الجملة من القول - المقتضبة من وسْطها أو الموسلة بذاتها المتسمة بالقبول ، المشتهرة بالتداول - مثلا لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلا ونظيرا لمضربها "[1] .

---

(١) مقدمة المستقصى /هـ .

وهذا هو تعريف الزمخشري ، والفكرة الأساسية فيه هي إفادة معنى المماثلة والمشابهة ،بل ويؤكد الزمخشري هذا المعنى بقوله : " والتمثل تطلب المماثلة"(١) وهذه الصيغة تفيد التعمد في طلب الشيء ،فكأن ضارب المثل يتعمد ذلك لاستحضار صورة حسية مشابهة لمقتضى الحال .

ويشبه هذا تعريف ابن السكيت فالمثل عنده : " لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره ". (٢)

ويعرف أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأمثال بأنها : " حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ،وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ماحاولت من حاجاتها في المنطق بكناية من غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ،وحسن التشبيه ".(٣)

ونلاحظ في هذا التعريف صلة الأمثال بالحكمة الناتجة عن تجربة ، والتي يعبر عنها بصورة غير مباشرة ، ويفيد هذا التعريف أيضا معنى المماثلة، نفهم ذلك من الخَلة الثالثة التي ذكرها أبو عبيد ، وهي حسن التشبيه، والمقصود بها هنا مشابهة حال المضروب له المثل بأصل المثل ،ولا أحسب أن أبا عبيد ذهب إلى معنى التعبير التصويري ،لأنه ساق في كتابه مجموعة كبيرة من الأمثال التي لاتعتمد على مثل هذا الأسلوب .

وقد كثرت تعريفات القدماء للمثل تفيد مفهوم المماثلة والمشابهة ، وقد تضيف بعضها معاني أخرى كالذيوع والبلاغة والحكمة وغيرها من سمات المثل وشروطه .(٤)

---

(١) مقدمة المستقصى /هـ .
(٢) مجمع الأمثال ١/٦ .
(٣) المزهر ١/٤٨٦ .
(٤) انظر نماذج أخرى لهذه التعريفات في لسان العرب ( مثل ) ١٤/١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، و(ضرب ) ٢/٣٦ - ٣٧ ، والصحاح ( مثل ) ٥/١٨١٦، ومجمع الأمثال ١/٥-٦ ، والمزهر ١/٤٨٦ - ٤٨٧ .

ويمكن أن نقول ـ با فادة منها جميعا ـ إن المثل قول مأثور بليـــــغ، يتسم بالشيوع ، وأساسه تشبيه حال بحال تشبيها محضا يربط بين حال مضـــت وانقضت ، وحال واقعة حاصلة ، أو تشبيها تصويريا ، فمثال التشبيه المحـــض قولهم ( أَجْشَعُ من أَسْرَى الدَّخَانِ )[1] ؛ وهؤلاء قوم خدعوا بدخان طعام اتخذ ـ لاصطيادهم ـ على رأس حصن ، فافـــتروا بالدخان ، ودخلوا الحصن فأصفق عليهم الباب ، وبقوا فيه ممتهنين فى أعمال البناء وغيره فهلكوا ، وبقى نفر منهم حتى مجيء الاسلام ، فضرب بهم المثل ، وصاروا نموذجا يشبه به كل ذى جشع .

ومثال التشبيه التصويرى قولهم لمن يسأل البخيل : ( تَضْرِبُ فى حَدِيدٍ بَـــارِدٍ )[2] ، ذلك أن الحديد البارد ليستغيه مرونة ولا قابلية للمطل ، مهمـــا يلقى من الضرب ، وكذلك شأن البخيل .

وأما العبارة اللغوية فإنها تعتمد على أحوال الحياة المتكررة من العادات والعبادات والعلاقات والصفات الإنسانية فى جمل موجزة مشهورة بالتداول بين الناس. ولا يشترط فيها تشبيه حال بحال ، وإن كان ذلك واردا ، كما لا يشترط فيهـــا البلاغة ، وإن كانت هى الأخرى صفة غير منتفية فيها ، فالعبارة اللغوية كثيرا ما تكون جملة معتادة تعنى بإبراز وتأكيد صفة معينة ، كقولهم ( رَجُلٌ عَابِدٌ )[3] ، و( رَجُلٌ عَاقِلٌ )[4] ، و( رَجُلٌ مُنَافِقٌ )[5] ، و( فلان نادِمٌ سَادِمٌ )[6] ، وحَسْبُنَا اللهُ ، وَنِعْمَ الوَكِيلُ )[7] ، و( ما يَعْرِفُ قَبِيلاً من دَبِيرٍ )[8] ، و( أَجْوَدُ من حَاتِمٍ )[9] ، و( أَحْمَقُ من الرِّخْلِ )[10] ... الخ .

---

(١) الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ١/ ١٢٠ ، والمستقصى ١/ ٤٩ - ٥٠ .
(٢) المستقصى ٢/ ٢٩ .
(٣) الزاهـــر ٤٠/أ .
(٤) نفســـه ٤١/ب .
(٥) نفســه ٤٩/ب .
(٦) نفســه ٤٨/أ .
(٧) نفسه ٢/ب .
(٨) نفسه ٦٦/أ .
(٩) الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ١/ ١٢٦ .
(١٠) نفسه ١/ ١٥١ ، والرِّخْل الانثى من الضأن .

واذا بحثنا عن العبارات اللغوية في مصادرنا القديمة ، فإننا نجدها قد سيقت في كتب الأمثال ، وكأنها هي والأمثال - عند القوم - سواء بالرغم من اختلافهما في بعض الخصائص على ماتبين فيما سبق وفيما سيأتي .

وقد فَطِنَ أبو بكر بن الأنباري إلى الفرق بين الأمثال والعبارات اللغوية ، فلم يجعل اسم كتابه "الأمثال" - كما هو عادة المتقدمين - بل سماه "الزاهر في معاني كلمات الناس" ، وفي بعض النسخ "الزاهر في معاني كلمات الناس في العادات والعبادات ، من قبل اللغة" (١) ، وهو عنوان دقيق ومطابق لمادة الكتاب تماما ، وذلك لدلالته على الأمثال من ناحية وعلى العبارات اللغوية من ناحية أخرى ، وكلاهما مركب من كلمات الناس في مختلف أحوالهم .

وقد قسم أبو بكر - كما تقدم - العبارات اللغوية إلى قسمين أولهما مايحمل معاني كلمات الناس في العبادات ، وثانيهما مايحمل معاني كلماتهم في سائر الأحوال المعتادة ، وقد سمى الثاني بالمحاورات ونص على ذلك في المقدمة (٢) .

وإذا تتبعنا مادة "الزاهر" فإننا نجد أبا بكر يعرض عدة أنواع من العبارات اللغوية ، أشهرها :

أولا - عبارات خاصة بالعبادات ، وتقع على عدة أقسام ، فقسم خاص بذكر الله كقولهم : ( حَسْبُنا اللهُ ، ونعمَ الوَكِيل )(٣) ، وقولهم ( لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله ) (٤) ، وقولهم ( أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ) (٥) .

وقسم خاص بالأدعية كقولهم ( اللهم اغفِرْ لنا ذُنُوبَنا )(٦) ،

---

(١) نسختي "لاله لي" ، "وأسعد أفندي" (أ) .
(٢) و(٣) ٢/ب .
(٤) ٤/أ .
(٥) ١٣/أ .
(٦) ٦/ب .

وقولهم: ( اللهمَّ إنا نعوذ بكَ مِنْ وعْثاءِ السفَرِ ، وكآبة المنقلَبِ ، ومن الحَوْرِ بعد الكَوْرِ )[١]، وقولهم ( اللهمَّ تغمَّدنا مِنكَ بِرَحْمَةٍ )[٢]، ومنه الدعاء على الآخرين كقولهم: ( أبادَ اللهُ خَضْراءَهم )[٣]، أى خصبهم ، و( أسْكَتَ اللهُ نَأْمَتَه )[٤] أى صوته ، و( لا أرقأَ اللهُ دَمْعَةَ فلان )[٥] أى لا أقطعها ، وهو كثير .

وقسم خاص بمصطحات فقهية كقولهم ( قد تَيَمَّمَ الرجلُ )[٦]، و( قد اعتَمَرَ الرجلُ )[٧]، و( قد قَنَتَ الرجلُ ، وقد أخذَ فى القنوت )[٨].

وقسم خاص بأسماء الله الحسنى كقولهم ( باسمِ العزيزِ الحكيمِ )[٩] ، وقولهم فى أسمائه عز وجل ( الفَتّاحُ العليمُ )[١٠]، و( الغَفورُ الشَّكورُ )[١١] .

وهذا النوع من العبارات يحتل جزءا كبيرا من الكتاب ومعظمه من إضافات أبى بكر الخاصة .

ثانيا ـ عبارات خاصة بالتحيات والتبريكات والتهانى كقولهم ( السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ )[١٢]، و( حَيّاكَ اللهُ وبَيّاكَ )[١٣]، و( مرحباً وأهْلاً وسَهْلاً )[١٤]، وقولهم فى الترحيب بالذى يقدم من الحج ( مَبْرُوراً مأجُوراً )[١٥]، أى قدمت مبرورا مأجورا ، و( بالرَّفاءِ والبَنِينَ )[١٦] لمن يتزوج .

---

(١) ١٠/أ .
(٢) ٧٤/ب .
(٣) ٧٠/أ .
(٤) ٧٣/أ .
(٥) ١٣٥/ب .
(٦) ١٦/ب .
(٧) ١٧/أ .
(٨) ٣٦/ب .
(٩) ٣٠/أ .
(١٠) ٣٥/أ .
(١١) ٣٦/أ .
(١٢) ٢٥/أ .
(١٣) ٢٤/أ .
(١٤) ٨٥/أ .
(١٥) ٨٥/ب .
(١٦) ١٠٧/أ .

ثالثا - عبارات الثناء كقولهم ( فلانٌ أمّةٌ وحدَه )[1]، و( للهِ دَرُّكَ )[2]، و(سألتُ أبا فلانٍ عن كذا وكذا فما تلعثَمَ )[3]، و( ما في البَرِيّةِ مثل فلان )[4]، و(فلان من أهل السُّنّةِ )[5]، و( فلان نَظيفُ السَّرَاويل )[6].

رابعا - عبارات النصح والتوجيه وهي كثيرة ومنها قولهم :(لا تُمازِحَنَّ صَبِيّاً ولا تُفاكِهَنَّ أمَةً )[7]، وقولهم (لا تَبلُمْ )[8] أي لا تجمع على غيرك أنواع المكروه ، وقولهم ( طُوبَيْكَ إنْ فَعَلْتَ كذا وكذا )[9] أي خير لك ، والأصل طوبى لك ، وقولهم ( إنْ فَعَلْتَ كذا وكذا كان وَبالاً عليكَ )[10] أي ثقيلا ، و( هذا الكلامُ غَيْرُ مُجْدٍ عليكَ )[11] أي غير نافع لك ، و( الْزَمِ الوَفَا )[12] أي الخلق الشريف، و( الْزَمْ هذا النَّمَط )[13] أي المذهب .

خامسا - عبارات خاصة بالصفات والطباع ، وهي كثيرة أيضا ومنها قولهم : (رَجُلٌ مؤمِنٌ )[14]، و( رَجُلٌ عَاقِلٌ )[15] ،و( زَاهِدٌ ومُزْهِدٌ )[16] ، و( كَيِّسٌ )[17]، وظريفٌ )[18]، وحازمٌ )[19]، وشَهْمٌ )[20]، وظالمٌ )[21]، وبليدٌ )[22] ... الخ )، و( فلان ذَرِبُ اللسَانِ )[23] أي فاسد ، و ( قلبُ فلانٍ قَاسٍ )[24]، و( فلان ظَلِيفُ النَفْسِ )[25] أي ممتنع من أن يأتي أمرا دنيئا يدنسه .

سادسا - عبارات من الكلام المعتاد ، نحو قولهم (فلانٌ يَشْرَبُ النَّبِيذَ )[26] و( فلان صديقُ فلانٍ )[27]، و(فلان عدوٌ فلانٍ )[28]، و( فلان ربُّ الدارِ )[29]، و( قد أَسِفَ فلان على كذا وكذا )[30]، و ( بشّرتُ فلانا بكذا وكذا )[31]، ومنه قولهم (أنشأ الشاعرُ يقول )[32]، و ( قد طال سفرُ الرجلِ )[33].

---

(١) ٥٥/ب. (٢) ١٣٩/ب. (٣) ٢١٣/أ.
(٤) ٢٢٥/ب. (٥) ٣٢٢/ب. (٦) ١٥٤/أ.
(٧) ٥٨/أ. (٨) ١٢١/ب. (٩) ١٦٠/ب.
(١٠) ١٦٤/أ. (١١) ٢٣٤/ب. (١٢) ٢٧٩/ب.
(١٣) ١٩٦/ب (١٤) ٣٩/أ (١٥) ٤١/ب.
(١٦) ٤٠/أ. (١٧) ٤١/ب (١٨) ٤٢/أ.
(٢٠) ٤٢/ب. (٢١) ٤٣/أ. (٢٢) ٤٤/أ.
(٢٣) ٩٩/ب. (٢٤) ١٢١/أ. (٢٥) ٨٩/ب.
(٢٦) ٦٧/أ. (٢٧) ٧٨/ب (٢٨) ٧٩/أ.
(٢٩) ١٦٧/ب (٣٠) ٧٨/أ) (٣١) ٢٣٠/ب
(٣٢) ٧٤/أ. (٣٣) ٢٨٢/ب.

سابعا ــ عبارات احتوت على صيغة الاتباع : وقد ذكر أبوبكر طائفة منها من غير أن يتوقف عليها إلا نادرا ، ومن هذا النوع قولهم : (فلان جائعٌ نائِعٌ)(١) و(شيطانٌ لَيْطانٌ)(٢) ، و( حَسَنٌ بَسَنٌ)(٣) ، و( قضيتُ كلَّ حاجهٍ وداجهٍ)(٤) ، و(لا بارَكَ اللهُ فيه ولا تَارَكَ ولا دَارَكَ)(٥) ، و( رُطَبٌ صِقِرٌ مَقِرٌ)(٦) إذا كان كثير العسل ، و(إنه لَثَقِفٌ لَقِفٌ)(٧) ، و( سليحٌ مليحٌ)(٨) ، و( قُبْحاً له وسُحْقاً ، وقَبْحا وسَحْقاً)(٩) ، و(حارٌ بارٌ وجارٌ)(١٠) ، ... الخ .

ثامنا ــ عبارات تفيد المبالغة في التشبيه على صيغة " أفعـــل " : كقولهم : هو ( أَجْبَنُ مِنْ صافِر ) و( أَنْتَنُ من العَذِرَةِ ) أى أنتن من فناء الدار ، و( أَحْمَقُ من رِجْلِهِ )(١١) ، و( هو أشأَمُ من طُوَيْس )(١٢) ، و( أَسرَعُ من نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ )(١٣) و (أَكْيَسُ من قَشْة )(١٤) ، وهى الصغيرة من أولاد القردة .

ورغم كثره العبارات من هذا النوع لم يذكر أبوبكر منها إلا قليلا .

وإذن فقد فهم أبوبكر معنى العبارة اللغوية فهما واضحا ــ إلى حـــد كبير ــ يقوم على الفصل بينها وبين المثل ، ولذلك لا يعتبر الأنواع السابقـــة أمثالا ، وإنما هى محاورات وعبارات تقليدية جامدة كثر تداولها بين النـــاس ، واستعملت على سبيل تأكيـــد الموقف في صورة كلام مأثور يجرى مجرى الأمثال .

فهم أبو بكر العبارات اللغوية هذا الفهم ، ومرة أخـرى لم يفد من فهمه في ترتيب مادة كتابه ، فلو أنه عرض عباراته بحسب الأنواع السابقة ، لكان عرضه منظما يمكّن قارئه من الإفادة منه بسهولة .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ٢٠١/أ (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ٢٧٤/أ .
(٨) ٢٧٤/ب .
(٩) ، (١٠) ٢٧٤/أ ، في لسان العرب (حرر) ٥/٢٥٠ شئ حارٌ بارٌ جارٌ وهو حران يران جران .
(١١) ١٤٦/أ .
(١٢) ١٧٥/ب هذه العبارة مما يخطئ فيه العامة ، وصوابها ( أَحْمَقُ من رِجْلَةٍ ) وقد أثبتها أبوبكر كما يقولونها والرِّجْلَة نبت . انظر القاموس المحيط ( رجل ) ٣/٣٩٢ .
(١٣) ٢٦٨/أ .
(١٤) ٢٨٨/أ .
(١٥) ٢٢١/أ .

وقد اهتم المؤلف بالعبارات اللغوية في الكتاب اهتماما كبيرا حتى زاد عددها على سبعمائة عبارة لغوية من مختلف أنواعها .

وأما الأمثال فيه فلايزيد عددها على مائة وعشرين مثلا . وعلى ذلك يتضح لنا أنها ليست أساسا في الكتاب ، وانما أوردها المؤلف لصلتها الوثيقة بالعبارات اللغوية ، وكأنه يرى أنه لا يمكن الفصل في الدراسة بين الأمثال ، والعبارات اللغوية ، ذلك أن الفروق بينهما قليلة ، وتجمعهما ميزات وخصائص مشتركة ، ومن هنا فقد سلك في دراسته لهما سبيل الجمع بينهما مع الاهتمام بالعبارات اللغوية .

ويبدو أنه لم يكلف نفسه عناء في البحث عن الأمثال التي أوردها ، فقد كانت قريبة منه عند أبيه ، وغالبا ماينص على روايته لها عنه .

وقد كان أبوه اخباريا ، ومن المهتمين بجمع الأمثال وألف فيها كتابا[1] لم يصل إلينا ، حتى الآن ، ولكن من الواضح أن أبابكر كان ينقل منه ، وينص على ذلك أحيانا بقوله " نقلت من كتاب أبي " ويعتمد عليه في شرح الأمثال كثيرا .[2]

والأمثال التي يوردها أبو بكر أمثال معروفة ، وليس فيها جديد فكلها مذكورة في كتب السابقين ، ومن هنا فهو لم يقدم منها مايستحق الوقوف عليه ، فقد كان اهتمامه منصرفا إلى العبارات اللغوية .

وخلاصة القول عن أمثال الزاهر أنها ليست كثيرة في الكتاب ، وأن أبابكر يوجه اهتمامه فيها إلى الشرح اللغوي لألفاظها ، وأنه يضع فصلا بينها وبين العبارات اللغوية غالبا بقوله " يضرب هذا مثلا لكذا . . "[3] أو " يضرب هذا القول مثلا لكذا . . "[4] أو " وهو مثل "[5] وماشابه ذلك ، وكأنه يريد توضيح أن ذلك القول ليس من العبارات اللغوية ، وانما هو من الأمثال ، وهذا أيضا مما يؤكد استيعابه الواضح للفرق بين الأمثال والعبارت اللغوية .

---

(١) الفهرست ٨١ .
(٢) انظر الأوراق ٢٥٧/ب ، ٢٧٠/ب ، ٢٧١/ب ، ٢٧٢/أ ، ٣٠٤/أ ، ٣١١/أ ، ٣١٦/أ ، ٣٢٤/ب ، ٣٣٠/ب وغيرها .
(٣) انظر الورقة ٢٧٢/أ .
(٤) انظر ٢٩٣/ب .
(٥) انظر ١٧٨/ب .

ومن الأمثال التى نص فيها على ذلك قولهم ( العاشية تهيج الآبية )[١] ويضرب للرجل ينشط بنشاط صاحبه ، وللدابة تسير بسير دابة أخرى ، وقولهم (فى الصيف ضيعت اللبن )[٢] ويضرب لمن يترك الشئ وهو ممكن ويطلبه وهو متعذر ، وقولهم ( لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه )[٣] ويضرب عند الرجل يبلغك عنه أمر جميل فإذا رأيته احتقرته ، وقولهم ( أنجز حر ما وعد )[٤] ويضرب لمن يفى بوعده ، وقولهم ( لو ترك القطا لنام )[٥] ويضرب لمن يؤمر بترك مالا يصل إلى تركه مما هو مؤذٍ له ، وقولهم ( أطرق كرا أطرق كرا ، إن النعام فى القرى )[٦] ، ويضرب لمن يتكلم عنده بكلام فيظن أنه هو المراد بالكلام .

ولا يهتم أبو بكر بقصة المثل إلا نادرا ، كما لا يهتم بتتبع أول من قال المثل إلا نادرا فهو يعتبرهما أمرين ليس لهما علاقة مباشرة باللغة ، ولذلك فلا حاجة لمتابعة عرضهما . وأهم شئ عنده على الاطلاق شرح المثل شرحا لغويا مع تتبع ألفاظه بصورة دقيقة واحتجاجه لها بالشواهد ما أمكن .

طريقة ابن الأنبارى فى شرح العبارات والأمثال :

تقوم مادة الزاهر أساسا على شرح العبارات والأمثال التى يوردها ابن الأنبارى ، وطريقته فى إيرادها أن يقدم عليها لفظة " قولهم " مسبوقة بالواو العاطفة ، ثم يشرحها . وقد غير لفظة التقديم هذه الى " وقول العامة " فى عبارتين هما " وقول العامة ( قد شوشت الشئ وشئ مشوش )"[٧] وقول العامة ( قد بلغ فلان الصكال )"[٨] ، وغيرها الى " وقول الناس فى عبارة واحدة هى " وقول الناس ( رجل بليد السراويل )[٩] . وجاءت عبارة واحدة خالية من لفظة التقديم وهى : ( خبر شائع ، وقد شاع الخبر فى الناس )[١٠] ، أما سائر العبارات والأمثال فكلها مسبوقة بلفظة " وقولهم " .

---

(١) ٢٧٠/ب (٢) ٢٧٢/أ .
(٣) ٢٧٧/أ . (٤) ٢٩٣/ب .
(٥) ٢٩٤/أ . (٦) ٣٣٢/ب .
(٧) ١٢٣/أ . (٨) ١٢٧/أ .
(٩) ١٥٤/ب ومعناها لا يحل إزاره لفاحشة .
(١٠) ١٨١/ب .

ويقف أبو بكر على المعنى اللغوى للعبارات ، ولا يشير — إلا نادرا — إلى المعنى الاصطلاحى الذى تعارفه الناس ، بعد أن تطورت الألفاظ واتخذت العبارات قالبا يدل على معنى جديد قد يصعب إدراكه من غير معرفة الأصول اللغوية التى قد تتطور بوساطة استعمالات مجازية للعبارات ، أو بأية وسيلة أخرى . ومع أن أبا بكر يذكر الأصول اللغوية إلا أنه لا ينص على صلة أصل المعنى اللغوى بالمعنى المتداول بين الناس — إلا نادرا — فهو يترك ذلك للقارئ ، ولو أنه فعل لكان أيسر للفهم وأبعد عن اللبس الذى قد يقع نتيجه عدم إدراك صلة المعنى المتداول بالأصل اللغوى .

ومن الأمثلة على عدم ذكره المعانى الاصطلاحية قولهم : ( قد دقه دقا نعما )(١) ، وقد شرح أبو بكر هذه العباره ناقلا عن الكسائى على النحو التالى : ( " معنى قولهم نعما : بالغا زائدا ، قال ويقال : دققت الدواء فأنعمت دقه أى زدت فيه " . ثم ساق بعض الشواهد لهذا المعنى . فالشرح هنا منصرف إلى المعنى اللغوى ، والأصل اللغوى للفظة ( نعما ) ، وأما الدلالة الاصطلاحيه للعبارة كلها فلا يلتفت إليها . وكذلك شرح معنى قولهم ( مابرد فؤادى منه شئ )(٢) ، فقد اكتفى بشرح لغوى موجز لمعنى برد فقال : " معناه ماثبت فى يدى منه شئ " ثم ذكر شاهدا لهذا المعنى .

والعبارات التى يشرحها على هذا النحو من الاهتمام بالأصل اللغوى — دون الاصطلاحى — للمعنى كثيرة وفيما يلى أمثلة منها اخترتها من مواضع مختلفة فى الكتاب :

---

(١) ٧١/ب ( نعما ) أصلها نعم ما ، وفى " ما " عند البصريين قولان : معرفة تامة فاعل ، نكرة تامة تمييز ، وعليهما فالمخصوص محذوف ، أى نعم الشئ الدق أو : نعم شيئا الدق .
وعند الكوفيين ( نعما ) اسم محكى بمنزلة ( تأبط شرا ) فهى اسم للممدوح . شرح التصريح ٢/٩٤ ، ٩٦ .

(٢) ٧٢/ب .

( ثابتٌ مُصْمَت )[1] ، و( فلان فى الدِّيماس )[2] ، و( فى أىِّ حَزَّةٍ جئتنا )[3] ، و( قد بلغ فلان السِّكال )[4] ، و( لا تلوس بكذا وكذا )[5] ، و( قد بذلتُ مُهْجتى )[6] ، و( ملحٌ ذَرْآنى )[7] ، و( فلان من أهل المِرْبَد )[8] ، و( قد لعب بالدَّوامة )[9] ، و( قد قَطَعَ هذا الكلام نياطَ قلبه )[10] .

وأحيانا ينص على المعنى الاصطلاحى لألفاظ العبارات والأمثال فيذكر المناسبة التى تقال فيها العبارة أو يشير إلى التطور الذى لحق بالدلالة حتى أفادت هذا المعنى الاصطلاحى كقوله فى شرحه لقولهم ( فلان بَوٌّ )[11] معناه فلان ذو جسم وطلل وليس له باطن ولا عقل ، والبوُّ عند العرب أن يذبح فصيل الناقة فيسلخ برأسه وقوائمه ثم يحشى تبنا لتطف عليه أمه وتشمه ولا تنكره وتدر عليه حتى لا ينقطع لبنها . . . " وكذلك شرحه لقولهم : ( قد حيل بين العَيْر والنَّزَوان )[12] " قال أبوبكر: النزوان مصدر بمنزلة النَّزْو ، ويقال نزا الحمار نَزْواً أو نَزَوانا ، كما يقال غلت القدر غليا وغليانا ، وغثت نفسه غثيا وغثيانا ، . وأول من قال هذا صخر بن عمرو - أخو الخنساء - ثم جعل كالمثل يضرب عند الشئ يحاوله الإنسان ، ويتمناه ، فلا يصل إليه " .

وقد انكشف الغموض ههنا بذكر مناسبة استعمال المثل وهى سبب ضربه ، وكذلك شرحه للعبارات والأمثال التالية على سبيل المثال :

( فلان ضخم الدَّسعة )[13] أى كثير العطاء ، أخذ من قولهم : قد دسع الرجل يَدْسَع ، إذا أعطى وأجزل " . و( أمر لا يُنادَى وليده )[14] أى عظيم لا ينادى فيه الصغار ، وإنما ينادى فيه الكبار . ( وكلام مُبْهَم ، وأمرٌ مُبْهَم )[15] معناه لا يعرف له

---

( ١ ) ٧٤/ب .
( ٢ ) ١١٢/أ .
( ٣ ) ١٢٢/أ .
( ٤ ) ١٢٧/أ .
( ٥ ) ١٣٨/أ .
( ٦ ) ٢٨٨/ب
( ٧ ) ٣١٩/أ .
( ٨ ) ٣٢٩/أ .
( ٩ ) ٣٣١/أ .
( ١٠ ) ٣٤٤/ب .
( ١١ ) ٣٧٥/ب
( ١٢ ) ٣٢٠/أ .
( ١٣ ) ١٠٧/ب ، فى لسان العرب ( دسع ) ٩/٤٣٩ "يقال فلان ضخم الدَّسيعة ، ومنه حديث : قيس ضخم الدسيعة ، الدسيعة ههنا مجتمع الكتفين وقيل : هى العنق . . يقال ذلك للرجل الجواد ، أى كثير العطاء " .
( ١٤ ) ١١٥/ب .
( ١٥ ) ١١٩/ب .

وجه يؤتى منه ، وهو مأخوذ من قولهم : حائط مبهم ، إذا لم يكن فيه باب."
و ( قد صَبَغُونى فى عينك )[1] أى غيرونى عندك ، وأخبروا أنى قد تغيرت عما كنت عليه ، والصَبغ معناه فى كلام العرب التغيير" . و ( تركه جَوْفَ حمار )[2] أىٌ لا خير فيه ، ولا يوجد فيه شىءٌ ينتفع به ، وذلك أن جوف الحمار لا ينتفع منه بشىءٍ ، ولا يوجد فيه شىءٌ ينتفع به". و ( فلان ضيّق العَطَن )[3] أى " قليل العطاء ضيق النفس ، فكنى بالعطن عن ذلك ، والأصل فى العطن الموضع الذى تنزل فيه الإبل إلى الماء ، إذا شربت ، وأبركوها عند الحياض ليعيدوها إلى الشرب. . . ".

ويتفاوت شرحه طولا وقصرا بحسب العبارة أو المثل المشروح ، فإن كان ما يشرحه غريبا أو متعدد التفاسير ، أو مختلفا فيه من حيث الاعراب ، أو متضمنا فوائد لغوية خاصة ، جذب ذلك اهتمام المؤلف فطال شرحه ، ووقوفه عليه ، كما فعل فى تفسير قولهم ( اللهمّ لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا مُعْطِىَ لما منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ )[4] ، فقد شرح هذه العبارة فى ست صفحات ، وبدأ بعرض الأقوال المختلفة فى شرحها ، وهى ثلاثة أقوال ، أولها قول أبى عبيد القاسم بن سلام وثانيها قول آخر لم يحدد قائله ، وإنما عبر عنه بـ" غير أبى عبيد " ، وثالثها قول أبى العباس ثعلب . وقد وقف على الأقوال الثلاثة بشواهدها وتعليقات قائليها ، وشرحها شرحا مفصلا ، ثم وقف وقفة طويلة على لفظة ( الجَدّ ) وذكر معانيها المختلفة باختلاف حركة الجيم من فتح إلى كسر ثم ضم . وكذلك فعل فى شرحه لقولهم ( حَسْبُنا اللّهُ ونِعْمَ الوكيل )[5] فقد أسهب فى شرحها أيضا . وفى مقابل هذا الإسهاب فى الشرح نجده يختصر أحيانا حتى لا يتجاوز شرحه

---

(١) ١٢١/ب .
(٢) ١٢٦/ب .
(٣) ٣٤٦/أ .
(٤) ٧/ . .
(٥) ٢/ب .

بضع كلمات ، كما فعل في شرحه لقولهم ( لا تلوسُ بكذا وكذا )[١] . " قال أبو بكر معناه لا تناله ، وهو مأخوذ من قولهم ما ذقتُ لِواسا ، أي ما ذقت ذَواقا " ، وكذلك فعل في شرح قولهم ( قد رَطَّل فلانٌ شَعْرَه )[٢] ، إذ اكتفى في شرحها بقوله : "معناه قد أرخاه وأرسله ، من قول العرب، رجل رِطْل إذا كان مسترخيا لين المفاصل ."

وليست العبارات المشروحة على هذا النحو من الإيجاز كثيرة ، فغالبا ما يدعم الشرح القصير بشاهد واحد على الأقل إن لم يجد إلى الشواهد سبيلا ، فقد شرح معنى قولهم ( رجل مَفْشٌ )[٣] بما يأتي : " قال أبو العباس معناه رجل شرير ، وقال المفش عند العرب الشر ، واحتج بقول الشاعر :

نُوَلِّيها المَلامَةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَفْشٌ أو لِحاءُ[٤]

معناه إذا ما كا شر أو ملاحاة " ، ومثله شرحه لقولهم ( نَظَرَ في الفُرقان )[٥] ، فقد اكتفى بتفسير معنى ( الفرقان ) في سطر واحد وأتبعه بشاهد واحد فقط . إلا أن الأغلب أن تكثر الشواهد وتتنوع حتى تصل إلى عشرين شاهدا - من القرآن والشعر والقول المأثور ومثال ذلك ما جاء في شرح معنى قولهم ( لا حَولَ ولا قوةَ إلا بالله )[٦] .

وقد اهتم أبو بكر بالشواهد اهتماما كبيرا ، ولم تخل شروحه منها إلا نادرا كما رأينا في شرح ( لا تلوسُ بكذا وكذا ) و( قد رَطَّلَ فلان شعره ) .

وتتنوع شواهده ، بين آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأبيات شعرية ، وأقوال مأثورة من كلام العرب .

وأهم الشعراء الذين يستشهد بشعرهم : الأعشى ميمون بن قيس ، وامرؤ القيس ، ولبيد بن ربيعة ، وهؤلاء أكثر الشعراء الذين احتج بأشعارهم ، وقد تكرر ذكر كل منهم أكثر من ستين مرة ، يليهم زهير وجرير وذو الرمة وقد جاء ذكر كل منهم أكثر من ثلاثين مرة ، ثم طرفة وعنترة وعدي بن زيد العبادي

---

(١) ١٣٨/أ .  (٢) ١٦٨/أ .  (٣) ٤٧/ب .
(٤) البيت في لسان العرب ( مفش ) ٣/١٢ .  (٥) ٢٩/أ .
(٦) انظر الأوراق ٤/أ - ٨/ب .

والنابغة الذبياني ، ورؤبة بن العجاج ، وأبو ذؤيب الهذلي ، وحسان ، والفرزدق ، والكميت ، وهؤلاء من الشعراء الذين ذكر كل واحد منهم أكثر من خمس عشرة مرة ، وغيرهم كثير .

وكل ذلك مما يدل على اهتمامه البالغ بالشواهد ، واعتماده عليها في تفسير وشرح عباراته وأمثاله .

ويستعين في شرحه بكثير من أئمة اللغة والنحو كثعلب والفراء والأصمعي ، وأبي عبيدة وغيرهم ، كما يستعين في شرحه للعبارات الإسلامية - أي التي تتعلق بالعبادات والأدعية والمصطلحات الفقهية - بأقوال الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ، والحسن البصري ومجاهد ، وغالبا ما يقدم تفسيرهم على تفسير غيرهم .

وإذا تتبعنا شرح ما جاء في الزاهر من عبارات وأمثال فسنجد أن اهتمام ابن الأنباري فيه ينصرف إلى الغريب من ألفاظ العبارات، يتتبعه في كل واحدة منها ، ويظهره من بين سائر الألفاظ ويخصه بالتفسير والاستشهاد ، وهذا هو السر في جمعه كثيرا من العبارات المعتادة والتي قد يراها القارئ لا تستحق الدراسة عندما ينظر فيها أول الأمر ، وأما هو فإنه يتعمد اختيارها ، لبيان غريب ألفاظها .

وإذا تأملنا في عبارات الزاهر فسنجد كثيرا منها يتردد على الألسن ويطرق الأسماع ، إلا أن معاني ألفاظها غير مشهورة : " فالتحيات" في قولهم (التحيات لله والصلوات الطيبات)[1] مختلف في معناها ، فذهب قوم إلى أن معناها السلام ، وقال آخرون : الملك ، وقال فريق ثالث : البقاء ، ولكل شواهده وحججه . " وسمع " في قولهم ( سمع الله لمن حمده )[2] تكون بمعنى أجاب ، و" نحفد " في قولهم ( إليك نسعى ونحفد )[3] ، بمعنى نخدمك ونعمل لك ، و" التوراة " في قولهم ( قد نظر في التوراة )[4] معناها اللغوي : الضياء والنور ،

---

(١) ، (٢) ٢٣/ب .
(٣) ٢٧/أ .
(٤) ٢٨/أ .

و" الزُّهْر" فى قولهم ( قد نَظَرَ فى الزُّبُور ) (١) معناها الكتاب ، و"الفَتَّاح" من قولهم (فى أسمائه عزوجل الفَتَّاحُ العليم ) (٢) بمعنى الحاكم ، والغفور من قولهم ( فى أسمائه عز وجل الغَفُور الشكور ) (٣) بمعنى الساتر على عباده ، المغطى ذنوبهم . و" ملحِـــد " فى قولهم ( رجـل مُلْحِد ) (٤) بمعنى الجائرعن الحق ، و" الورْطة" فى قولهم ( وَقَعَ الرَّجُلُ فى وَرْطَة) (٥) أهوية تكون فى رأس الجبـــل ، يشق على من وقع فيها الخروج منها ، أو هـــى الوحل تقع فيه الغنم فلا يمكنها التخلص.

وشواهد هذه المعانى متعددة أوردها أبـوبكر فى مواضعها .

وكثيرا ماتختلف الأقوال فى معانى غريب بعض العبارات وعندئذ يـــورد كل ماقيل فى معنى اللفظة ، ذاكـرا لكل قول حجته وشواهده ، وناسبا إياه إلى صاحبه غالبا ، أو مكتفيا بتسمية صاحب القول تسميات غير صريحة ـ إن كان لا يحضره القائل ـ كقوله " قال بعض أهل اللغة" أو " قال بعضهم . . " أو " وقال آخرون " أو " قال فلان كذا . . وقال غيره كذا . . " . . الخ .

ولابـــد لى هنا أن أنقل بعض نصـــوص" الزاهر" ، فى شرح العبارات والأمثال لكى نرى فيها صورة واضحة للشرح من واقع الكتاب .

وسأختار لذلك بعض النماذج التى تظهر فيها طريقة ابن الأنبـــــارى فى الشرح ، واهتماماته فى العرض ، ومن ذلك :

١ـ قولهم ( لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ) " قال أبو بكر : فيه خمسة أقوال ؛ قال يونس بن حبيب البصرى : هو ( لا دَرَيْتَ ولا أَتْلَيْتَ ) بفتح الألف وتسكين التاء ، وقال المعنى : ولا أَتْلَيْتَ إبلك ، أى لا كان لإبلك أولاد تتلوها ، يدعو عليه بالفقر وذهاب المال .

---

(١) ٢٨/ب .
(٢) ٣٥/أ .
(٣) ٣٦/أ .
(٤) ٥٤/أ .
(٥) ٩٩/أ .

وقال الفراء : هو ( لا دَرَيْتَ ولا ائْتَلَيْتَ ) ، وقال: ائتليت معناه افتعلتَ من أَلَوْتُ في الشيء ، إذا قصرت فيه ، والمعنى لا دريت ، ولا قَصَّرْتَ في طلب الدراية ، ثم لا تدري ليكون ذلك أشفى لك ، قال امرؤ القيس :

وما المرءُ ما دامتْ حَشَاشَةُ نَفْسِه بمدرِكِ أطرافِ الخطوب ولا آلِي (١)

معناه ولا مقصر .

وقال الأصمعي : هو ( لا دَرَيْتَ ولا ائْتَلَيْتَ ) ، ائتليتَ من أَلَوْتُ الشيءَ إذا استطعته ، يقال ما ألوتُ الصيام بأي ما استطعته ، قال الأخطل :

فمنْ يبتغي مَسْعاةَ قومي فليَرُمْ صُعُودا إلى الجوزاء هَلْ هو مؤتلي ؟ (٢)

معناه هل هو مستطيع ؟

والوجه الرابع ( لا دَرَيْتَ ولا تَلَوْتَ ) على معنى لا أحسنت أن تتبع ، فيكون من قولهم تَلَوْتُ الرجل إذا تبعته .

قال أبو بكر : وحكى أبو العباس أحمد بن يحيى ( دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ) وقال : الأصل فيه ( لا دَرَيْتَ ولا تَلَوْتَ ) فردوه إلى الياء ، فقالوا : تليت ليزدوج الكلام فيكون ( تليت ) على مثال دريت ، كما قالوا : إنه ليأتينا بالعشايا والغدايا ، فجمعوا الغداةَ غدايا ، ليزدوج مع العشايا ، وكما قال الشاعر :

هَتَّاكِ أَخْبِيَةٍ ، وَلَّاجِ أبوبةٍ يخلط بالجِدِّ منه البرَّ واللِّينا (٣)

فجمع الباب أبوبة ليزدوج مع الأخبية .

وحكى أبو عبيدة وجها سادسا ( لا دَرَيْتَ ولا أَلَيْتَ ) ولم يفسره ، والأصل فيه عندي : ( ولا أَلَوْتَ ) أي ولا قصَّرت ، وعلى مذهب الأصمعي ولا استطعت ، فرده إلى الياء ليزدوج مع دريت ، على ما مضى من التفسير" . (٤)

---

(١) ، (٢) البيتان في لسان العرب ( ألا ) ١٨/٤٣ .

(٣) البيت في لسان العرب ( بوب ) ١/٢١٦ وعجزه فيه : "يخلط بالبر منه الجد واللينا" وقائله هو القلاخ بن جناب ، وقيل تميم بن مقبل .

(٤) ٦٢/أ٥

٢ــ ومن قولهم (أُفٌّ وتُفٌّ) : قال أبوبكر فيه قولان :

قال الأصمعى : الأفُّ : وسخ الأذن ، والتُّفُّ : وسخ الأظفار ثم استعمل ذلك عند كل شئ يضجر منـــه .

وقال آخرون : الأفُّ : القلة ، وقالوا هو مأخوذ من الأفَفِ وهو القلة ، قالوا : والتُّفُّ منسوب على أفٍّ ، ومعناه كمعناه كما قال الشاعر :

ألا حبّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ وهندٌ أتى من دونها النأْىُ والبُعْدُ (١)

فإذا أفردت أفّ ، ففيها عشرة أوجـه : (أفٌّ لك) بفتح الفاء ، و(أفِّ لك) بكسر الفاء ، و(أفُّ لك) بضم الفاء ، و(أفاً لك) بالنصب والتنوين ، و(أفٍّ لك) بالخفض والتنوين ، و(أفٌّ لك) بالرفع والتنوين ، و(أُفٍّ لك) باثبات اليـاء ، و(إفٍّ لك) بكسر الألف ، و(أُفة لك) بضم الألف وادخال الهـاء ، و(أفْ لك) بضم الألف وتسكين الفاء ، قال حسـان بن ثابت :

فأفٌّ للحيان على آلـــــةٍ على ذكرهم فى الذكر كل عفاء (٢)

وأنشدنا أبوالعباس لأبى حية النمـــيرى :

حيّاً وبَقْياً أن تشـــــيعَ نميمةٌ بنا وبكم ، أفٍّ لأهل النمائم (٣)

وقال الآخـــر :

عَصَيْتُمْ رسول الله أفٍّ لبغيكم وأمركم السّوْءُ الذى كان غاويا (٤)

فمن قال : (أفٌّ) جعله بمنزلة قولهم : مُدّ يدك يارجل ، ومن قال أفٍّ جعله بمنزلة قولهم مُدِّ يدك ، ومن قال (أفٌّ لك) جعله ، بمنزلة قولهم مُدَّ يدك ، قال الشاعر :

إذا أنت لم تنفعْ فضُرَّ فإنّما يُرجى الفتى كيما يضرُّ وينفعا (٥)

---

(١) البيت فى شرح القصائد السبع الطوال ٢٠٢ ، وانظر عجزه فى لسان العرب (نأى) ٢٠/١٧٠ .

(٢) ، (٣) ، (٤) لم اهتد الى الأبيـــات

(٥) البيت فى شرح شواهد المغنى ١/٥٠٧ برفع ينفع ، ونسبه السيوطى الى النابغه الذبيانى أو الجعدى ، وفى خزانه الأدب ٣/٥٩١ برفع ينفع ونصبها ، ونسبه البغدادى إلى عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر .

كذا رواه يونس بضم الراء فى قوله يَضُرّ (١) ، حكاه محمد بن سلام عنه ، وقال الراجز:

قالَ أبو ليلى لحبلى مُدّه
حتى إذا مَدَدْتَه فشُدّه
إنّ أبا ليلى نَسيجُ وحْدِه (٢)

ومن قال (أفا لك) نصبه على مذهب الدعاء ، كما تقول ويلا للكافرين ، ومن قال: (أفٌ لك) رفعه باللام ، كما قال الله جل وعز (ويلٌ للمطففين) (٣).

ومن قال: (أفٌ لك) خفضه على التشبيه بالأصوات . كما تقول صَهٍ ومَهٍ ، ومن قال: (أفّ لك) نصبه أيضا على مذهب الدعاء ، ومن قال: (أفّى لك) أضافه الى نفسه ، ومن قال: (أفْ لك) شبهه بالأدوات بمَنْ ، وكم ، وبل ، وهل " (٤)

٣ — و" قولهم (تَعَالَ يارجل) قال أبوبكر: قال الفراء: أصل تعال تفاعل من العلو أى ارتفع ، ثم أكثروا استعماله حتى جعلوه بمنزلة أقبِلْ ، فصار الرجل يقول وهو فى الموضع المنخفض للذى هو على المكان المرتفع: "تعَال": يريد أقبل .

ويقال للرجلين تَعالَيا ، وللرجال تعالَوا بفتح اللام ، وللمرأة تعالَى بفتح اللام ، وللمرأتين تَعالَيا ، وللنسوة تعالَين .

وإذا قيل للرجل تَعالَ ، فأراد أن يقول لا أفعل قال: لا أتعالى على مثال لا أتقاضى " (٥).

٤ — و" قولهم (هَلُمَّ جرًا) قال أبوبكر: سيروا على هينتكم ، ولا تجهدوا أنفسكم ، ولاتشقوا عليها ، أخذ من الجرّ فى السوق ، وهو أن يترك الابل والغنم ترعى فى السير ، قال الراجز:

---

(١) أى على أنها منصوبة وعلامة النصب فتحة مقدرة منع من ظهورها الضم العارض لاتباع الضاد ، بدليل نصب (ينفع) أما على رفع ينفع فالضمة علامة الرفع فى "يضر" وما" مصدرية ، و"كى" حرف تعليل وجر أى: للضرّ والنفع.
(٢) لم أجد الأبيات.
(٣) سورة المطففين / ١.
(٤) ٦٦/ب — ٦٧/أ.
(٥) ٢٩٠/أ.

لَطالَما جَرَرْتَكُـــــنَّ جَـــرّا
حتى نَوَى الأعجـــفُ واسْتَمرّا
فاليومَ لا آلوالركاب شَـــــرّا (١)

معنى نوى الأعجف صار له نِـنٌّ ، والـنِّـنّ الشحم ، والنِّنّ بكسر النون والهمزاللحم الـــذى لم ينضج .

وجَـــــرّا فى نصبه ثلاثة أوجه :

هوفى قول الكوفيين منصوب على المصدر ، لأن هَلُـمّ معنى جرّ وأجَبـــرّ .

وهو فى قول البصريين مصدر وضع موضع الحال ، والتقدير عندهم هَلُـــمَّ جارِينَ مُتَثَبِّتِينَ (٢) ، وهذا قياس على قولهم : جاء عبد الله مشيا ، وأقبل ركضـــا .

قال الكوفيين تنصب ركضـا ومشيا على المصدر ، والمعنى عندهم مشى عبد الله مشيا، وركض ركضا . وقال البصريون : تنصب الركض والمشى لأنهما جعلا موضع الحال ، والمعنى عندهم جاء عبد الله ماشيا وأقبل راكضا .

والقول الثالث قاله بعض النحويين : انصب جرّا على التفسير .

ويقال للرجلين هَلُـمّ جـرّا ، والاختيار التوحيـد ، لأن هَلُمَّ ليست فعلا تتصرف، والتوحيد نزل كتاب الله ، قال الله عزوجل : (القَائِلِين لإِخْوانِهِم هَلُـمَّ إِلينَا ) (٣) ، قال الشاعر :

وَكانَ دَعَـــا دَعْوَةً قومَـهُ  هَلُمَّ إِلى أمرِكم قد صُرِمْ

ويقال للمرأة هَلُمَّ جَرّا يا امرأة ، وهَلُمِّى جرّا ، وللمرأتين بمنزلة الرجلـين ، ويقال للنسوة هَلُمَّ جَـــرّا يا نسوة ، وهَلُمْنَ جرّا ، وهَلُمِّينَ جرّا يا نسوة (٤) .

---

(١) الأبيات فى لسان العرب ( جـرر ) ٥/٢٠١ .
(٢) العبارة هنا فى صيغة الجمع لأن المؤلف فسرها مجموعة فى أول الباب فقال : معناها "سيروا على هينتكم" ، وتقدير القول عند البصريين : هَلُمَّ جارِينَ مُتَثَبِّتِينَ وهو فى صيغة الجمع أيضا ، ومعنى متثبتين متأنين .
(٣) سورة الأحزاب / ١٨ وفى الأصل إلينا هلم وهو خطأ .
(٤) ١٣٢/أ — ١٣٢/ب فى لسان العرب ( هلم ) ١٦/١٠٢ وفى تاج العروس (هلم) ٩/١٠٨ "وقال ابن الأنبارى : يقال للنساء هَلُمْنَ وهَلُمُمْنَ" وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش ٤/٤٢ — "وحكى أيضا عن بعضهم : هلمين يا نسوة ، يجعل الزائد للوقاية يا ء ، وهذا شاذ" .

٥ــ وقولهم (شَتَّانَ مابينَ الرَّجلين) قال أبوبكر معناه مختلف مابينهما .

وفيه ثلاثة أوجــه : يقال شَتَّانَ أخوك وأبوك ، وشَتَّانَ مابين أخوك وأبوك ، وشَتَّانَ مابين أخيك وأبيك ، فمن قال : شتان أخوك وأبوك ، رفع الأخ بشتــان ، ونسق الأب على الأخ ، وفتح النون من شتان لاجتماع الساكنين ، وشبههمــا بالأدوات . ومن قال شتان مابين أخوك وأبوك رفع الأخ بشتان ، ونسق الأب عليه ، وجعل "ما" صلة ، ويجوز فى هذا الوجه كسر النون من شتان على أنه تثنية شت ، والشَّتُّ فى كلام العرب المتفرق ، وتثنيته شَتَّان ، وجمعه أشتات ، قال الله عزوجل : ( يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوا أَعْمَالَهُمْ )(١) معناه يرجع الناس متفرقين مختلفين . وواحد الأشتات : شَتٌّ .

ومن قال شتان مابين أخيك وأبيك رفع "ما" بشتان ، ولا يجوز فى هــذا الوجه كسر النون من شتان ، لأنها رفعت اسما واحدا "(٢) .

هذه خمسة نماذج لشرح أبــى بكر للعبارات اللغوية نلاحظ فيها بوضوح منهجه العام فى الشرح ويمكن أن نلخص نقاط هذا المنهج فيمايلى :

١ــ يبدأ بتفسير المعانى العامة لألفاظ العبارات .

٢ــ ويهتم بعــرض الأوجه المختلفة للألفاظ ومعانيها ، معلقا عليها بمــا يتيسر له من تعليقات وفوائد وملاحظات لغوية .

٣ــ يهتم بالاستشهاد للمعانى التى يذكرها سواء كانت هذه المعانى رئيسة تتعلق بالعبارات وألفاظها أو كانت فرعية تتعلق بمايرد فى الشرح من ألفاظ ومعان مختلفة .

٤ــ يستشهد بأقوال أئمة اللغة والنحو ، كما ينقل ــ بكثرة ــ شروحهم للألفاظ التى يعرضها .

٥ــ يعالج الشرح بالإضافة والتعليق المستمر على ماينقله من آراء وأقــوال ، أو ما يستشهد به من روايات كقوله فى النص الأول : " وحكى أبوعبيدة وجها سادسا : ( لا دريت ولا أَلَيْتَ ) ، ولم يفسره ، والأصل فيه عندى : ولا ألَوْت أى ولا قصــرت ، وعلى مذهب الأصمعى ولا استطعت ، فرده إلى الياء ليزدوج مع دريت " . وكقولــه

---

(١) سورة الزلزلة / ٦ .

(٢) ١٧٦/أ ــ ١٧٦/ب .

فى النص الثانى معلقا على لفظ "يضرّ" فى قول الشاعر:

إذا أنتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فإنما  يُرجى الفتَى كيما يَضُرُّ وينفعا ـ

"كذا رواه يونس بضم الراء فى قوله يَضُرّ، حكاه محمد بن سلام عنه".

٦ـ يرجح رأيه من غير تردد إذا توفر له الدليل، فقد رأى فى (هَلُمَّ جَرّا) أنها مفردة، واستشهد لرأيه بآية وبيت من الشعر كما مر فى النص الرابع.

٧ـ يبدو أبو بكر بارز الشخصية فى الشرح، فنراه محللا ومعلقا ومرجحا ومستشهدا وموازنا، كما نراه صاحب رأى مستقل فيما يعرضه من آرائه وأقواله الخاصة.

٨ـ وأخيرا يعنى كثيرا بالمسائل اللغوية والنحوية فى الشرح، وتكاد تكون هذه العناية سمة بارزة فى الكتاب، حتى إن المؤلف يورد بعض العبارات ليس لما فيها من غريب الألفاظ، بل لتضمنها قضايا لغوية وخلافات نحوية، وبخاصة فى الإعراب، ففى النص الأول نراه يهتم بأصل "تَلَيْتَ"، وهو تلوت، ويذكر سبب قلب الواو فيها إلى الياء، ويميل فى ذلك إلى رأى يستوحيه من تفسير أستاذه ثعلب موفقا بينه وبين مذهب أبى عبيدة، فأصل قولهم (لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ) عند أبى بكر على هذا الأساس هو (لا دَرَيْتَ ولا تَلَوْتَ) ولكن الأذن العربية تهوى التناسب فى الإيقاع بين الألفاظ، ولذلك قلبت الواو فى (تلوت) ياء "ليزدوج فيكون تليت على مثال دريت، كما قالوا: إنه ليأتينا بالعشايا والغدايا، فجمعوا الغداة غدايا ليزدوج مع العشايا".

وفى النص الثانى نراه يهتم باللغات الجائزة فى لفظة (أفّ) وهى عشر ذكرها كلها، ثم فسر بعضها، وهو دائم الاهتمام بتتبع اللغات المختلفة فى الكلمة الواحدة، ولا تكاد تمر كلمة فيها أكثر من لغة إلا يعرضها بلغاتها المختلفة، وهذه سمة بارزة فى "الزاهر" وقد أشار اليها أبوبكر فى مقدمته.(١)

وفى النص الثالث اهتم باستعمالات لفظة (تَعَالَ) للأمر فى حالات الإفراد والتثنية والجمع مذكرا ومؤنثا، ثم بين أنه إذا قيل للرجل: تعال، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: لا أتعالى على مثال: لا أتقاضى بمعنى لا أُقبِل.

---

(١) الورقة ٢/ب

وفى النص الرابع ذكر أوجه نصب ( جَرّا ) من قولهم ( هَلُمَّ جرّا ) ، ثم بين استعمال هذه العبارة فى خطاب المؤنث والمذكر إفرادا أوتثنية وجمعا .

وبين فى النص الخامس أوجه استعمالات شتان فى الكلام مع الاهتمام بضبط حركة النون فى كل وجه ، إذ يجوز فيها الفتح والكسر بحسب استعمال (شتان) فى الجملة .

وقد بلغ من إهتمامه بالقضايا اللغوية والنحوية فى الكتاب أنه يسوق عبارات لا يشرحها إلا من حيث مسائلها اللغوية والنحوية ، وكأنه يتعمد إيراد هذا لمعالجة مافيها من ملاحظات وفوائد فى اللغة والنحو بوجه خاص ، كما نرى فى شرح قولهم ( شَتّانَ مابين الرَّجلين ) فى النص الخامس ، وكما فى شرحه لقولهم (هَلُمَّ يارجل )،[1] و( بِضْعَةٌ وعشرون درهما )[2] ، و( افعل هذا إمّالا )[3] . وقد أورد ذات مرة ضمن عباراته قولهم ( بَلَى ونَعَمْ )[4] ، ولا يمكن أن نعتبر هذين اللفظين من العبارات اللغوية فهما كلمتان تستعملان فى الجواب ، ولا تمثلان عبارة ،[5] ولكن المؤلف أورد هما ضمن العبارات رغبة منه فى عرض ماورد فيهما من قواعد وملاحظات لغوية ، وملخص الكلام الذى ذكره فيهما :

— أنّ ( بَلَى ) تكون جوابا للكلام الذى فيه الجحد كقوله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُم نَذِيرٌ ؟ قَالُوا بَلَى )[6]

— وأن (نَعَمْ) تقع جوابا للكلام الذى لا جحد فيه كقوله عز وجل : (فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكم حَقّاً ؟ قالُوا : نَعَمْ )[7]

— وأن أصل ( بَلَىَ ) بَلْ ، لأن ( بَلْ ) سبيلها أن تأتى بعد الجحد ، كقولهم ماقام أخوك بل أبوك ، وماأكرمت أخاك بل أباك ، فإذا قال الرجل للرجل : ألا تقوم ؟ فقال له : بلى ، أراد بل أقوم ، فزادوا الألف على ( بَلْ ) ليحسن

---

(١) ٢١٤/ب .
(٢) ٣٢٣/ب .
(٣) ٥٩/أ .
(٤) ٢٠٢/أ .
(٥) ولعله يرى رأى من يقولون بأن من يقولون بأن حرف الجواب جملة تامة لفهم المراد من واقع الحال .
(٦) سورة الملك/ ٩ .
(٧) سورة الأعراف/ ٤٤ .

السكوت عليها ، لأنه لو قال له: بل ، كان يتوقع كلاما بعد ( بل ) فزادوا الألف على ( بل ) ليزول عن المخاطب هذا التوهم" (١)

ـ وأن ( في (نَعَمْ) لغتين : ( نَعَمّ ) بفتح العين ، و( نِعِمْ) بكسرها ، وذكر لكل لغة شواهدها .

## هل التزم ابن الأنباري منهجه في "الزاهر" ؟

إذا أعدنا النظر في المنهج الذي وضعه أبو بكر لنفسه في المقدمة فسنراه منهجا ميسرا سهلا على المؤلف ، إذ لم يفرض فيه قيودا شاقة على نفسه ، بل على العكس من ذلك أباح فيه لنفسه التجاوز ، فها هو ذا يقول عنه : " ولن أخليه مما أستحسن إدخاله فيه من النحو ، والغريب ، واللغة والمصادر ، والتثنية والجمع" (٢).

فهو بهذا يجعل هذه المسائل محتواة ضمن المنهج فليس هدفه أن يشرح العبارات والأمثال مجرد شرح ظاهري لمعانيها العامة ، وإنما يرمي إلى أبعد من ذلك ، فهو يريد أن تتبع العبارات تتبعا دقيقا ، وأن يستخرج ما فيها من مسائل لغوية ونحوية .

وإذن فهذا التجاوز هدف في المنهج الذي وضعه هو. فهل التزم أبو بكر منهجه على هذا النحو ؟ لا شك أنه فعل ، وقد رأينا ذلك جليا في عرض مادة الكتاب حيث وفّى العبارات حقها من الشرح ، ووقف بصفة خاصة على الغريب ، والتثنية والجمع والمصادر وغيرها من مسائل اللغة والنحو، ويمكن أن نرجع إلى النماذج الخمسة المتقدمة لنرى دقة التزامه هذا المنهج ، كما يمكن أن نرجع إلى شرح العبارات التالية لتتأكد لنا فيها هذه الدقة أيضا :

---

(١) ٢٠٢/أ ـ ٢٠٢/ب وانظر لسان العرب ( بلا ) ١٨/ ٩٥ .
(٢) ٢/ب .

( فـــلانٌ نَسيجُ وَحْدِه )[١] ، و(لاجَرَمَ أنَّكَ مُحْسِن)[٢] ، و( قَالَ ذاكَ إنسان مـــن النَّاس )[٣] ، و( يابَاقِلَاءُ حارٌ )[٤] فى الصياح بصاحب الباقلاء ، و ( فلان أَحْمَـــقُ )[٥] ، و( نَعُوذُ باللهِ مِنْ جَهَنَّمَ )[٦] ، و( نَعُوذُ باللهِ مِنْ سَقَر )[٧] ، و(شرابٌ سَلْسَالٌ )[٨] ، و ( قَدْ قَضَيْتُ كلَّ حَاجَةٍ وَدَاجَةٍ )[٩] ، و( قَالَ الخَليفةُ )[١٠] و ( هوذا أَلْقَى فلانًا )[١١] ، و ( القومُ ظلمةٌ حاشافلانا )[١٢] ، و( بِضْعةٌ وعشرون درهمًا )[١٣] ، و( أمابعدُ فقدكان كذا وكذا )[١٤] .

وإذا تأملنا الجوانب الأخرى فى المنهج ، فاننا نجد أبابكر يعدنا بعرض طائفة من العبارات اللغوية التى تتعلق بشئون العبادة ، وأنه سيتبعها بطائفة من الأمثال والمحاورات ، ويقصد بالمحاورات بقية العبارات اللغوية السائرة ، وأنه سيشرحها مبينا وجهات نظر العلماء واختلافاتهم فى تفسيرها ، ومدعما كلامـــه بالشواهد .

وقد التزم الترتيب الذى ذكره فى المقدمة ، فقدم العبارات التى تتعلـــق بالعبادات على غيرها ، ولكنه لم يلتزم اعطاءها الأولوية فى التقديم دائما ، فقد كان يؤخر بعضها أحيانا من غير سبب يدعوه إلى ذلك ، فبعد أن قدم طائفة منها انتقل إلى ذكر بعض العبارات الأخرى من غير هذا النوع ، ثم رجع مرة ثانية إليها فعرض قولهم ( اللهمَّ تَغَمَّدْنا منكَ بِرَحْمَةٍ )[١٥] ، وأورد بعدها طائفة من العبارات المعتادة كقولهم (فلانٌ وغدٌ )[١٦] ، و( يَسْحَرُ بكلامه )[١٧] وغيرهما ثم رجع للمرة الثالثة إلى مايتصل بمسائل الدين فعرض قولهم ( عَلَى الكافرِ لَعْنَةُ اللهِ ولَعْنَةُ اللَّاعِنِين )[١٨] ، وتكرر الرجوع إلى هذا النوع من العبادات بعد الانقطاع عنها عدة مرات ، ومن عبارات التعبد التى رجع إليها بعد انقطاعه عنها قولهم ( الحَمْدُ لله والشـــــكرُ )[١٩] ،

---

(١) ٨٤/أ٠ (٢) ٩٨/أ٠ (٣) ٢٣٦/ب
(٤) ٢٨٨/أ٠ (٥) ١٩٢/أ٠ (٦)، (٧) ٢٣٩/ب٠
(٨) ٢٦٠/ب (٩) ٢٧٣/ب (١٠) ٢٧٤/ب
(١١) ٢٩٠/ب (١٢) ٣٠٠/أ٠ (١٣) ٣٢٣/ب
(١٤) ٣٢٦/ب٠ (١٥) و(١٦) ٧٤/ب٠
(١٧) ٧٥/ب٠
(١٨) ١٣٨/ب٠
(١٩) ٢١٢/أ٠

و( محمد صلى الله عليه نبي الله )[1] ، و( في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم )[2] ، و( قد درس الرجل القرآن )[3] ، و( نعوذ بالله من جهنم )[4] ، و( قد قتل في سبيل الله )[5] ، ثم ختم الكتاب بشرح معنى قولهم ( اللهم أوزعنا شكرك )[6] ، وقد يعذر فهذه العبارة الأخيره لأنها مناسبة لإنهاء الكتاب حتى يكون ختام عباراته بالشكر لله ، أما العبارات الأخرى التي ذكرها في معزل عن أخواتها من العبارات المرتبطة بها تمام الارتباط فلا يمكن أن تفسر إلا بالخروج عن الترتيب في المنهج الذي وعد به .

هذا الخروج عما وعد به من ترتيب ، لا يكاد يذكر بجانب مادة الكتاب الكثيرة ، لأنه يسير جدا ، وفيما عداه لا نكاد نرى ما يشير إلى خروج أبي بكر عن منهجه ، فقد كان عند وعده في شرح معاني العبارات والأمثال ، مع الوقوف على اختلاف العلماء فيها ، والاهتمام بعرض شواهدها ، وتتبع المسائل اللغوية والنحوية فيها كما تقدم ، وهذا هو كل ما أشار إليه في المقدمة عن منهجه في الكتاب .

ومن الممكن بعد ذلك أن نقرر أنه التزم منهجه التزاما كبيرا ، ولم يحد عنه إلا في تأخير بعض العبارات المتعلقة بالعبادات عن أخواتها التي ذكرت مجموعة في أول الكتاب .

---

(١) ٢٢٥/أ .
(٢) ٢٢٨/ب .
(٣) ٢٣١/أ .
(٤) ٢٣٩/ب .
(٥) ٢٦١/أ .
(٦) ٣٤٨/أ .

مصـــــادره :

مصادر ابن الأنبارى فى الزاهر كثيرة ، ويشير إليها بدقة ، وأهـــم العلماء الذين يرجع إلى آرائهم ، وينقل أقوالهم مؤلفو الامثـــال ، ومن بين هـؤلاء بعض متقدمى الرواة أمثال أبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ، والشرقى بـــن القطامى ( ت ١٥٨هـ) والمفضّل الضبىّ ( توفى نحو ١٦٨هـ) ، ويونس ابن حبيب ( ت ١٨٣هـ) ، والنضر بن شميل ( ت ٣/ ٢٠٤هـ) وغيرهم .

ومن مؤلفى الأمثال المشهورين الذين ينقل عنهم : أبوعبيد القاســـم ابن سلام الهروى ( ت ٢٢٤هـ) ، وأبوه القاسم بن محمد بن بشار الأنبـارى (ت ٥/ ٣٠٤ هـ) ، ويعقوب بن السكيت (ت ٣/ ٢٤٤هـ ) ، وأبو زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ) .

إلا أن أهم مصادره هو الفراء ( ت ٢٠٧هـ) ، وقد ذكر فى الكتاب أكثـر من تسعين ومائتى مرة ، يليه أستاذه ثعلب ( ت ٢٩١هـ) وقد ذكر أكثر من ستين ومائتى مرة ، فأبوعبيدة ( ت ٢٠٨هـ) ـ أكثر من ثمانين ومائة مرة ـ فالأصمعى (ت ٢١٠هـ) ـ أكثر من ثلاثين ومائة مرة ـ فابن الأعرابى ( ت ٢٣١هـ) ـ أكثر من ثمانين مرة ـ وكل هؤلاء ـ عدا الفراء ـ من مؤلفى الأمثال .

والى جانب هؤلاء وهؤلاء يأخذ عن طائفة من شيوخه ، وأهمهم هنـــا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، ومحمد بن يونس الكديمى ، وإدريس بن عبـــد الكريم ، وإبراهيم الحربى وغيرهم .

كما يأخذ عن أبى عكرمة الضبى ، وله شأن خاص من بين المصادر رغم أنه لا يذكر بكثرة ، ذلك أن أبابكر يأخذ عنه ـ دون غيره ـ شيئا من العبـارات اللغوية التى نادرا مانجدها عند السابقين .

## تأثـــره بالسابقـــين :

إن معرفه التأثر بالسابقين من الأمور المهمة لدراسة أى كتاب، لأنها تكشف عن حدود الأصالة فيه ، وهنا بعض الجوانب الهامة فى البحث عن تأثر أبى بكـــر بالذين سبقوه فى دراسة العبارات اللغوية والأمثال ، فهل كان أبو بكر مقلـــدا أومبتكـــرا ؟

الواقع أنه لم يكن هذا ولا ذاك ، بل كان بينهما ، فهو ليس أول عالم يدرس العبارات اللغوية ، فقد سبقه فى هذا المجال ثلاثة من علماء اللغة المتقدمـــين وهم : أبـــوفيد مـــؤرج بن عمرو السدوسى ( توفى نحو ١٩٨ هـ) ، وأبو عكرمة عامر بن عمران الضبى ( ت ٢٥٠ هـ) فى كتابيهما ( الأمثال ) ، وأبوطالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ) فى كتابه ( الفاخر ) ، وأما سائر المتقدمين فقد كـــان اهتمامهم منصرفا إلى الأمثال ولم يعنوا بالعبارات اللغوية إلا نادرا ، ومن غير أن يدركوا الفرق بينها وبـــين الأمثال .

وأشهر جمّاع الأمـــثال والمؤلفـــين المتقدمين فيها : عبيد بن شَرِيَـــة الجرهمى (١) (توفى حوالى ٨١ هـ) ، وعـــلاقه بن كريم (٢)، وصحار بن العباش، (٣) والمفضل الضبى (٤) ( توفى حوالى ١٦٨ هـ) ، ويونس بن حبيب (٥) ( ت ١٨٢ هـ) ، وأبو عبيده معمر بن المثنى (٦) (ت ٢١٠ هـ) ، وأبوزيد الأنصارى (٧) ( ٢١٥ هـ) ، وأبوسعيد الأصمعى (٨) ( ت ٢١٦ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٩) (ت ٢٢٤ هـ) ، ومحمد بن زياد الأعرابى (١٠) (ت ٢٣١ هـ) ، ومحمد بن هارون التوزى (١١) (ت بعد سنة ٢٣٥ هـ) ، ويعقوب بن السكيت (١٢) (ت ٢٤٤ هـ) ، ومحمد بن حبيب (١٣) (ت ٢٤٥ هـ) ، وابراهيم بن سفيان الزيادى (١٤) (ت ٢٤٩ هـ) ، وأحمد بن يحيى ثعلب (١٥) (ت ٢٩١ هـ) ، والقاسم بن محمد الأنبارى (١٦) ( ت ٥/ ٣٠٤ هـ) .

وقد أفاد أبوبكر من معظم هؤلاء فى جمع مادة "الزاهر".

---

(١) ، (٢) ، (٣) الفهرست ١٠٢ . (٤) انباه الرواة ٣/ ٣٠٢ . (٥) ، (٦) كشف الظنون ١/ ١٦٧ .
(٧) بغية الوعاة ٥٥ . (٨) انباه الرواة ٢/ ٣٠٢ . (٩) الفهرست ٧٨ .
(١٠) كشف الظنون ١/ ١٦٧ . (١١) الفهرست ٦٣ . (١٢) الأمثال العربية القديمة ٢٢٤ .
(١٣) الفهرست ١٦٩ .
(١٤) ، (١٥) الأمثال العربية القديمة ٢٢٤ .
(١٦) الفهرست ٨١ .

ولا بد لنا هنا من معرفة مدى تأثر أبى بكر بكل من أبى فيد ، وأبى عكرمة والمفضل بن سلمة لنتصور حدود الأصالة فى كتابه ، وهؤلاء بخاصة هم أقرب من يمكن أن يوازن بين كتبهم وكتاب أبى بكر ، فقد تعرض الأول والثانى لبعض العبارات اللغوية بالإضافة إلى الأمثال ، وأورد الثالث مجموعة كبيرة منها .

فأما أبو فيد فكتابه صغير جدا إذا ما قيس بالزاهر من حيث المقدار والمادة اللغوية إذ لا يتجاوز عدد أمثاله وعباراته المائة ، ومع أن العبارات اللغوية كثيرة فى الكتاب الا أن نسبة الأمثال فيه تكاد تكون غالبة . ولا يبد و أن أبا فيد يميز بين الأمثال والعبارات اللغوية ، بل يعتبرها شيئا واحدا بدليل أنه سمى كتابه ( الأمثال ) ولم ترد فيه إشارة يفهم منها الفصل بينهما .

ويصعب أن نتلمس تأثر ابن الأنبارى بأبى فيد فى هذا الكتاب ذلك أنه لم ينقل عنه غير مرة واحدة (١) ، وهى فى شرحه لمعنى ( ما يواسى فلانٌ فلانـــاً ) ، فقد ذكر أبو بكر فى معنى مايواسيه ثلاثة أقوال :

الاول : للمفضل الضبى ومعناها عنده مايشاركه ، ثم ذكر شاهده لهذا المعنى ، وهو بيت من الشعر .

والثانى : لأبى فيد ومعناها عنده مايصيبه بخير ، قال أبو بكر "وقال مؤرج : معنى قولهم مايواسيه ، مايصيبه بخير ، وقال هو مأخوذ من قول العرب : أُسّ فلانا أى أصبه به". (٢) وهذا هو كل مانقله عن أبى فيد .

ثم ذكر القول الثالث: ولم ينسبه إلى أحد مكتفيا بقوله "وقال غيرهما" ، ويذهب صاحب هذا القول الى أن المقصود بهذه العبارة هو: مايعوضه من مودته ولا قرابته شيئا .

ومثل هذا النص لا يكشف لنا شيئا عن تأثر أبى بكر بأبى فيد ، فابن الأنبارى ينقل عنه كما ينقل عن غيره من المتقدمين ، من غير أن يعلق على كلامه أو يرجحه ، أو يضعفه ، فضلا عن أن هذا النص غير وارد فى أمثال أبى الفيد !

---

(١) ، (٢) الزاهر ١٠٦/ب .

ولكن هل نقل أبو بكر عن أبى فيد من كتابه ( الأمثال ) بدون أن ينص عليـــه ؟ هذا ماأستبعده تماما ، بدليل واحد هو أنه لاتتكـــرر فى كتاب الزاهر من العبارات المائة التى أوردها أبو فيد فى كتابه غير عبـــارة واحدة هى قولهم ( بَقِينا بَيْنَ كلِّ حَاذِفٍ وقَاذِفٍ )[1] ، ولا نلمس شيئا من تأثـــر أبى بكر بأبى فيد فى شرحه لهذه العبارة ، لأنه أساسا لم يرجع إليه ، كما أن الشرحين مختلفان جدا ، وقد أورد أبوفيـــد العبارة على النحو التالـــى ( هُوَ بَيْنَ حَاذِفٍ وقاذِفٍ ) ثم شرحها قائلا: " الأصل أن الأرنب تُحذَف بالعصا ، وتقذَف بالحجر ، ويطمع فيها كل شئ ، وقال المسيب بن علس :

فلا تقعدوا غَرَضاً لِلمَنونِ حَـذْفا كما تُحذَفُ الأرنبَ "

وأما أبوبكر فشرحه أطول ، وعبارته ( بَقِينا بَيْنَ كلِّ حاذِفٍ وقاذِفٍ ) وشرحه على النحو التالى : " قال أبو بكر: الحاذف الذى يحذف بالعصا ، والقـــاذف الذى يقذف بالحجارة .

قال الفراء : يقال ( بين كلِّ حاذفٍ وقاذِفٍ ) و ( بين كل حَاذٍ وقاذِف ) بحذف الفاء من الحاذف ، وقال بعضهم ( بَقِينا بين كل جاذفٍ وقـــاذِف ) ، وبين كل سَوْقٍ وزائفٍ ) ، السوق والزائف الرديان .

وفى الزائف وجهان : يقال درهم زائف وزيف ، قال الشاعر:

تَرَى القومَ أسواءً إذا جَلَسُوا معاً وفى القومِ زَيفٌ مثلَ زيفِ الدَّراهِمِ[2]

وقال الآخـــر:

أتيتُ بنى عَمِّى فكان عَطاؤهم ثلاثٌ مِئِينٌ منها قَسِيٌّ وزائِـــفُ[3]

---

(١) الزاهر ٢١٠/أ ، وأمثال أبى فيد ٨٠ .

(٢) فى لسان العرب ( زيف ) ٤٢/١١ ، وتاج العروس (زيف) ١٣٣/٦ "أشباها" بدل "أسواء" قال الفيروز آبادى ( وساء سواء كسحاب قبح ، والنعت أسواء وسُوَّاء . انظر القاموس المحيط (ساء) ١٨/١ .

(٣) فى لسان العرب ( زيف ) ٤٢/١١ وتاج العروس (زيف) ١٣٣/٦ :
وما زُوِّدُ وفى غَيرَ سَحْق عَمامةٍ وخَمسِمِئٍ منها قَسِيٌّ وزائِفُ
وفى القاموس المحيط قسا الدرهم زاف فهو قسى .

ويقال دراهم زائفات ، وزيف وأزياف ، وزيوف ، وزياف ، ويقال درهم بَهْرَج ، ونَبَهْرَج (١) ، ودراهم بَهْرَجة ، ونَبَهْرَجه ، وبَهْرَجات ، ونَبَهْرَجات ، وبَهارِج ".

الفرق واضح بين الشرحين ، فأبوفيد اكتفى بتفسير لفظة حاذف بالرجوع إلى أصل معناها ، وذكر شاهدا واحدا على تفسيره من غير تعليق أوتوضيح .

وأما أبوبكر فقد بدأ بتفسير معنى كل من الحاذف والقاذف ، ولم يستشهد للمعنى الذى ذكره ، بل انتقل إلى عرض الروايات الواردة فى العبارة ، وهى ثلاث ذكرها كلها ، ومنها استطرد إلى تفسير معنى زائف ثم معنى بَهْرَج وهو الزائف أيضا ، مع الاهتمام بعرض الأقوال المختلفة فيهما ، كما أورد شاهدين لمعنى زائف .

وكل هذه الزيادات فوائد لغوية قيمة لا نجدها عند أبى فيد .

وإذن فلم يتأثر أبوبكر بأبى فيد فى كتابه " الأمثال " .

فلننظر ماأثر أبى عكرمة عليه ؟

إن أول مايقال عن كتاب ( الأمثال ) لأبى عكرمة الضبى إنه هو الآخر صغير أيضا ، وعدد عباراته وأمثاله ثلاثون ومائة عبارة ومثل ، فى حين أن عبارات " الزاهر " وأمثاله تزيد على ثمانمائة وثلاثين عبارة ومثلا .

ويهتم أبو عكرمة كثيرا بالعبارات اللغوية ، ومعظم مادة كتابه منها ، ولا تزيد أمثاله على عشر مادته .

وقد فطن أبوعكرمة إلى الفرق بين العبارات اللغوية والأمثال ، فذكر فى مقدمته أن محتوى كتابه هو " معانى كلام العرب السائر " ولكنه مع ذلك سمى كتابه بالأمثال .

---

(١) النَّبَهْرَج : الزيف الرديء . انظر القاموس المحيط ( نبهرج ) ١/٢١٦ .

وإذا وازنّا بين نصوص "الزاهر"، ونصوص ( أمثال ) أبى عكرمة فلا نكاد نقع على نقاط تدل على تأثر أبى بكر المباشر بأبى عكرمة ، فلانرى فى "الزاهر" نقلا مباشرا عن كتاب "الأمثال" لأبى عكرمة ، كما لا نرى بينهما اتفاقا فى عرض المادة ، أوفى ترتيب أفكار شرح العبارات ، وأما اتفاقهما على المعانى العامة للعبارات فأمر طبيعى ، ولكن قد يضيف أبو بكر معانى لا يذكرها أبو عكرمة ، وقد يختلف معه فى بعض المعانى العامة للعبارات والألفاظ ، وقد يزيد عليه فى الشرح أو الشواهد ، وقد يحدث العكس فيكون شرح أبى عكرمة أكثر تفصيلا واستشهادا ، ولننظر حقيقة ذلك كله فى بعض النصوص :

١ــ قال أبوعكرمة : "قولهم ( جَاءَ فلانٌ بِأَبَدَةَ ) : أى بفعلة ، أو كلمة منكرة وحشية ، ليست مما يعرف ، أخذت من الأوابد ، والأُبَّد وهى الوحش، ومن ذلك قولهم ( الأمثال المُؤَبَّدَات ) أى الوحشيات اللواتى لا يهتدى لهن ، ولا تعرف معانيهن ، يقال قد أبَّد الشاعر فى قصيدته ، إذا أغلق معانيها ، وأنشدنى مسعود بن بشر :

إنْ كنتَ تدرِى ما المُؤَبَّدَاتُ
فما شِدَادُ الأَسْرِ مُحكَمَاتُ
بِيضُ البُطُونِ مُتَقَارِبَاتُ
لَهُنَّ مِنْهُنَّ قَلَنْسُوَاتُ (١)

يريد الأصابع " (٢)

ــ وقال أبوبكر فى شرح العبارة السابقة : "وقولهم ( جَاءَ فلانٌ بِأَبَدَةَ ) معناه جاء بكلمة وحشية منكرة ، واشتقاق هذا الحرف من الأوابد وهى الوحش، كذلك الأُبَّد ، يقال : قد أبَّد الشاعر إذا أتى بالعويص فى شعره ، ومما لا يكاد يعرف معناه ، قال امرؤ القيس :

وقد أغتدِى والطيرُ فى وُكُنَاتِها بِمُنجَرِدٍ قيدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٣)

---

(١) لم أجد الأبيات .
(٢) أمثال أبى عكرمة ص٨٢ .
(٣) البيت فى شرح القصائد السبع الطوال ٨٢ .

الوكن فى الجبال بمنزلة التماريد[1] فى السهل ، وهى الأوكار ، والأوابد : الوحش ، والمنجرد : القصير الشعر القليله ، والهيكل : المطيم ، وانما سمى بيت النصارى هيكلا لعظمه ، وقال الأعشى :

واذا أطاف لقائمه بسديسه فثنى وزار لجاجة وتزيدا
شبهته هقلا يوارى هقلة ربداء فى خيط ، نقانق أبدا
إلا كخارجة المكلف نفسه وابنى قبيصة أن أغيب ويشهدا[2]

اللغام : الزبد ، والسديس سن من أسنانه ، الخيط : القطعة[3] من النعام ، وفيه لغتان : خَيْط وخِيْط ، والخَيْط من الخيوط مفتوح لاغير . والرَّبْداء التى تضرب إلى السواد والأُبْد : المتوحشة ، والنقنق ذكر النعام ، وكذلك الهقل . ويقال هى أمثال مؤبدات إذا كانت وحشية ممتاصة على المستخرج لها والباحث عنها . " [4]

٢ــ قال أبو عكرمة : " وقولهم (مابه قَلَبَةٌ) أى هو سليم لاعيب فيه ، وأصل القول فى ذلك فى الدواب أى مابه داء يُقْلَبُ منه حافره فينظر إليه ، قال حميد الأرقط :

ولم يُقَلِّب أرضها بيطار ولا لِحَبْلَيْه بها حبار[5]

ثم كثر ذلك حتى قيل لكل سليم ( مابه قَلَبَةٌ ) ، قال النمر بن تولب :

بان الشباب وحُبَّ الخالة الخَلِبَهْ وقد برئت فما بالصدر من قَلَبَهْ[6]

والخالة المختالون ، أى ذهبت عنى محبة الشباب ، وواحد الخالة خائل ، مثل بائع وباعة ، والخلبة الذين يخلبون النساء ، يريد أنه قد برئ من ودهم .

---

(١) جمع تِمْراد بالتاء المثنى ، وهو بيت صغير يجعل فى بيت الحمام لبيضه . لسان العرب ( مرد ) ٤/٤٠٨ وانظر شرح القصائد السبع الطوال ٨٢ .
(٢) الأبيات فى ديوان الأعشى بتحقيق فوزى عطوى ، بيروت ١٩٦٨م ص ٢١٨ و٢١٩ والثالث منها يأتى بعد الأول بخمسة أبيات .
(٣) كذا وفى القاموس المحيط ( خيط ) ٢/٢٥٩ الجماعة من النعام .
(٤) ٢٥٨/ب .
(٥) البيت فى لسان العرب ( قلب ) ٢/١٨٠ ، وتاج العروس ١/٣٤٨ . والحبار : الأثر .
(٦) البيت فى لسان العرب ( قلب ) ٢/١٨٠ وتاج العروس ١/٤٣٨ * أودى الشباب ....

وقال الفراء قولهم ( مابهِ قَلَبَةٌ ) مأخوذ من القُلاب ، وهو داء يأخذ الأبل ، تشتكى منه أفئدتها فيموت أحدها من يومه ، يقال قد أقلَب فلان اذا أصاب القُلاب بعيره". (١)

— وقال أبوبكر : " وقولهم ( مابهِ قَلَبَة ) فيه ثلاثه أقوال : قال الطائى : مابه شئ يقلقله (٢) فينقلب من أجل تقلقله على فراشه لحزنه وغمه ، قال النمر بن تولب :

أَوْدَى الشَّبابُ وحُبُّ الخالةِ الخَلَبَهْ وقد بَرِئتُ فما فى الصَّدْرِ من قَلَبَهْ

فالخَلَبَة جمع خالب ، وهو الشباب الذين يخلبون النساء أى يذهبون بقلوبهن ، والخالة جمع خائل ، والخائل الذى يختال فى مشيه ، والخال الخيلاء ، قال الجعدى :

يابنَ الحَياءِ إنه لولا الإلهَ وما قالَ الرسولُ لقد أنْسَيْتُكَ الخَالا

وقال الآخر :

فإن كنتَ سيِّدَنا سُدْتنا وإنْ كنتَ للخالِ فاذْهَبْ فَخَلْ

وقال الفراء : ( مابهِ قَلَبَة ) معناه مابه وجع يخاف عليه منه وهو مأخوذ من قولهم : قد قَلَبَ الرجل إذا أصابه وجع فى قلبه ، وهو لا يكاد يفلت منه .

وقال الأصمعى : أصل القَلَبَة فى الدواب ، يقال مابالفرس قَلَبَة أى مابه وجع يُقلِبُ حافره من أجله ، قال الزاجر :

ولَمْ يُقَلِّبْ أرضَها البَيْطارُ ولا لِحَبْلَيْهِ بِها حَبارُ

وقال الأصمعى ( مابهِ قَلَبَة ) معناه مابه داء ، وهو مأخوذ من القُلاب وهو داء يصيب الإبل فى رءوسها فيقلبها إلى فوق". (٣)

---

(١) أمثال أبى عكرمة ص٤٦ .
(٢) قلقل : صَوّت ، والشئ قلقله حرّكه . انظر القاموس المحيط ( قلل ) ٤/٤٠ .
(٣) ٨٤/ب .

٣ــ قال أبوعكرمة : "وقولهم ( جَائِعٌ نَائِعٌ) النائع العطشان ، يقال جاع وناع ، وجائع نائع ، وأجاعه الله وأناعه ، وقال الأعجدع أبو مسروق يذكر حربا :

خَيلانِ من قَومِي ومن أعدائِهم  خَفَضُوا أَسنَتَهم وكلٌّ ناعِي(١)

المعنى أنهم خفضوا أسنتهم وكل عطشان إلى دم صاحبه ، وقال قيس ابن الحدادية الخزاعي :

وإني لأُمضِي النَّفسَ عنها تَجَمُّلا  وقلبي إلى أسماءَ بالغيبِ نائِعُ
وظَنِّي بها حِفظُ السِّرِّ ورَعيُه  لما استُرعِيَتْ والظَّنُّ بالغَيبِ أوسَعُ

وأنشد :

إذا ما أبو البَيداءِ رَمَّت عِظامُهُ  فَسَرَّكَ أن يَحيَى فَجِئْ بِنَبِيذِ
وخبزٍ رُقاقٍ يَشتَهِشُ فُؤادَهُ  لِذاكَ وجَنِّبْ من شِوائِهِ حَنيذِ
يقول إذا ما صادَفَ الهَيءُ مَنْ لنا  بِجَيءٍ فإنَّ النَّوعَ غيرُ لَذِيذِ

قال أبو فزارة : قال المفضل : الهَيءُ الأكل والجَيءُ الشرب ، وكلٌّ من دُعاءِ الإبل . والنوع العطش" (٢) .

ــ وقال أبو بكر "وقولهم (فلانٌ جائِعٌ نائِعٌ ) في النائع قولان :

قال أكثر أهل اللغة النائع هو الجائع ، وقالوا: هذا إتباع كقولهم: (شَيْطانٌ لَيْطانٌ) ، و( حَسَنٌ بَسَنٌ) و( عَطْشانٌ نَطْشانٌ ) ، وقال بعضهم النائع العطشان ، واحتج بقول الشاعر :

لَعَمْرُو بَنِي شِهابٍ ما أَقَامُوا  صُدُورَ الخَيلِ والأَسَلَ النِّياعَا

فالأَسَل أطراف الأسنّة ، والنياع : العطاش إلى الدم." (٣)

---

(١) البيت في الأصمعيات ق ١٦/ ٩ ص ٦٥ ، ولسان العرب ( نوع) .
(٢) أمثال أبي عكرمة ٦٦ .
(٣) ٢٠١/أ٥٠

٤ــ قال أبو عكرمة : " وقولهم ( أتاكَ بالأمرِ من فَصِّهِ ) أى من مفصله .

والفَصُّ واحد الفُصُوص ، وهى المفاصل ، ملتقى كل عظمين فص ، أى جاء بالأمر من مقطعه ، طبّقه تطبيقا لم يخطئ حتى تبينه .

ويقال فرس أظْمَى الفصوص أى المفاصل ، وأصل الظمأ العطش ، أى ليست مفاصله برَهْلَة ، ويقال للمفاصل المعاقم ، واحدها مَعْقِم ، وقال أبوطالب بن عبد المطلب :

لَعَمْرى لقد وهَنتم وعجزتـــم وجئتم بأمرٍ مخطئٍ للمفاصل "(١)

ــ وقال أبو بكر : " وقولهم ( هُوَ يأتيكَ بالأمرِ من فَصِّهِ ) فيه ثلاثة أقوال : قال أبو العباس : معناه يأتيـــك بالأمر من مفصله ، قال : ويقال : هو فَصٌّ، الفاء فيه مفتوحة .

وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد : ( يأتيك بالأمر من فَصِّهِ ) معناه من مخرجه الذى خرج منه ، ويقال : قد انفَصَّ من الشئ وانْفَصَى منه إذا خرج منه ، قال : ويقال : هو فَصُّ الخاتم وفِصُّ بالفتح والكسر ، قال : فالفَصُّ المصدر ، والفِصُّ الاسم ، قال ويقال : سمعت فَصَّ الجندب ، وفِصَّ الجندب ، وفَصِيصَ ، قال فالفَصُّ المصدر ، والفِصُّ والفَصِيصُ اسمان ، وفِصُّ الجندب صوته ، والجندب : الصغير من الجراد ، قال امرؤ القيس فى الفصيص :

يُغالِبْنَ فيها الجَرْءَ لولا هَواجِرٌ جَنَادِبُها جَرْعَى لَهُنَّ فَصِيصُ

والجنادب جمع الجندب ، قال عكرمة فى قول الله عزوجل اسمه ( فأرسلْنَا عليهـــم الطُّوفَانَ والجَرادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعَ ... ) القُمَّل : الجنادب وهى الصغار من الجراد ، واحدها قُمَّلة . وقال الفراء : يجوز أن يكون واحد القُمَّل قَامِلا ، فيكون قَامِل وقُمَّل بمنزلة قولهم رَاكِع ورُكَّع ، وصائم وصُوَّم .

---

(١) أمثال أبى عكرمة ص٦١ .

وقال غيرهما : ( يأتيك بالأمر من فَصِّه ) معناه يأتيك بالأمر من مفصله ، أخذ من فصوص العظام، وهى مفاصلها ، وواحدها فَصٌّ قال عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

فُربَّ امرئٍ تَزْدَريه العُيُونُ يأتِيكَ بالأَمْرِ مِن فَصِّهِ (١)

ـ قال أبو عكرمة : " وقولهم ( عَمِلَ به عَمَلَ سَبُعَةٍ ) أراد سَبُعَة وهى اللبوءة فخفف ، وإنما خصّ اللبوءة لأنها أنزق من الليث . وقال بن الكلبى : هو رجل يقال له : سَبُعَة بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن طيئ ، كان بئيسا فظا شديد العقوبة ، فضرب به المثل لفلظه "(٢) .

ـ وقال أبو بكر : " وقولهم ( أَخَذَهُ أَخْذَ سَبُعَةٍ ) قال الأصمعى : معناه : أخذ سَبُعَة بضم الباء ، والسَّبُعَة اللبوءة فسكن الباء . ومما يدل على صحة هذا أن طلحة بن مُصَرِّف وغيره قرءوا (وما أكل السَّبُعُ إلا ما ذكّيتم ) (٣) بتسكين الباء .

وفى اللَّبُوءة ستة أوجه : يقال : اللَّبُوءة بضم الباء والهمزة ، وهى اللَّبُوَة بضم الباء بغير همز، وهى اللَّبْأة بتسكين الباء والهمز، وهى اللَّبَة ، بفتح الباء همز، وهى اللَّبْوة بتسكين الباء وفتح الواو ، وحكى هشام عن إبراهيم الكرنبائى عن أبى عبيدة اللِّبْوَة بكسر اللام ، وتسكين الباء وفتح الواو، وقال أنا فيها شاك يعنى الكرنبائى . (٤)

وقال ابن الأعرابى : ( أَخَذَهُ أَخْذَ سَبُعَة ) أراد سبعة من العدد ، وقال : إنما خص السبعة لأن أكثر ما يستعملون فى كلامهم سبع ، كقولهم : سبع سموات وسبع أرضين ، وسبعة أيام .

قال هشام بن محمد السائب الكلبى : (أَخَذَهُ أَخْذَ سَبُعَة ) سَبُعَة : رجل له : سبعة بن عوف بن سلامان بن ثقل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، وكان رجلا شريفا فضرب به المثل " . (٥)

---

( ١ ) ٨٠ب .
( ٢ ) أمثال أبى عكرمة ص٨٧ .
( ٣ ) سورة المائدة / ٣ .
( ٤ ) انظر هذه اللغات وغيرها فى لسان العرب(لبأ ) ١/ ١٤٦ ، وتاج العروس(لبأ ) ١/ ١١٤ .
( ٥ ) ١٢٨/أ .

تلك نصوص كافيه للموازنة بين نصوص "الزاهر" وأمثال أبى عكرمة ، ويمكن أن تسجل عليها ملاحظات كثيرة :

ـ فأول مانلاحظه هو أن شرح أبى بكر يختلف عن شرح أبى عكرمة اختلافا كبيرا ، وذلك واضح جلا فى النصوص: الثانى والثالث والخامس ، ففى النص الثالث مثلا ذهب أبوعكرمة إلى أن معنى النائع العطشان ، ولم يذكر غيرذلك ، أما أبوبكر فذكر أن أكثر أهل اللغة ذهبوا إلى أن النائع هو الجائع وليس العطشان ، ثم قال : " وقال بعضهم النائع العطشان " .

ولا أعتقد أنه يعنى أبا عكرمة هنا لأن الشاهد الذى احتج به هذا البعض ـ والذى أورده ابن الأنبارى هنا ـ مختلف عن شاهد أبى عكرمة ، على مانراه فى النصين .

ويتضح من سياق هذا النص أن أبابكر يرجح القول الأول . وفى النص الخامس يصف ( سَبْعة ) بأنه كان رجلا شريفا فضرب به المثل ، فى حين ذهب أبو عكرمة إلى وصفه بمعانى البؤس والفلظة والشدة ، وهذا يعنى اختلاف المورد والمضرب فى بعض الأمثال .

ـ ونلاحظ عند أبى بكر زيادات كثيرة فى معانى الشرح ، كما نلاحظ اهتمامه الكبير بعرض أكثر من قول فى شرح العبارة الواحدة ، فكثيرا ما يورد أقوالا وآراء لا نجدها عند أبى عكرمة ، وذلك واضح فى معظم النصوص السابقة فقد أضاف فى النص الثانى معنى ما به شئ يقلقله فينقلب من أجل تقلقله على فراشه لحزنه وغمّه ، وأضاف فى النص الثالث معنى جائع ، وفى الرابع معنى مخرج الأمر ، وفى الخامس معنى سبعة من العدد . . وهكذا فى معظم نصوص الكتاب .

ـ ويتبين من خلال هذه النصوص أن أفكار أبى بكر أكثر ترتيبا وأحسن تنظيما ، إذ يوردها متسلسلة ، محددا فى أول الكلام عدد الأقوال والآراء المذكورة فى شرح العبارة ، بخلاف أبى عكرمة الذى لا يهتم بهذا التتبع للآراء .

ـ كما يتبين من خلالها دقة النقل عند أبى بكر ، والحرص الشديد على نسبة القول الذى ينقله إلى قائله ، أما أبوعكرمة فلا نجد عنده هذا الاهتمام البالغ بهذه الناحية ، وذلك واضح فى النصين الثانى والخامس إذ نقل فيهما عن الأصمعى من غير أن ينسب إليه قوله ، كما نقل فى النص الثانى عن الفراء ولم ينسب إليه قوله .

ـ ونلاحظ أيضا حرص أبى بكر على تسجيل الفوائد اللغوية فيما يعرضه من شروح وتوضيحات ، وتعليقات ، واستطرادات قيمة فى كثير من الأحيان ، كما فى شرحه شواهد النص الأول ، وفى تعليقاته على لفظة " فَصّ " فى النص الرابع ، وفى عرضه لغات العرب فى لفظة " اللَّبُوءة " فى النص الخامس ، وهذه سمة بارزة فى جميع مؤلفاته ، على أننا لا نفتقد هذه الصفة عند أبى عكرمة إذ قد نلاحظ عنده اهتمامات لغوية فى استطراداته أحيانا كما فى النص الثالث ، ولكنها عند أبى بكر أظهر وأوضح بكثير .

ـ وقد تختلف شواهد أبى بكر لمعانيه عن شواهد أبى عكرمة وذلك واضح جلى فى النص الأول والثالث ، وكثيرا ما يضيف أبوبكر شواهد جديدة لا توجد عند أبى عكرمة ، كما فى النص الثانى والرابع والخامس ، إلا أن أباعكرمة أورد ذات مرة ثلاثة شواهد لم نجدها عند أبى بكر وذلك فى النص الثالث .

ـ وقد تختلف عندهما صيغ العبارات بعض الاختلاف كما فى النصين : الرابع والخامس ، فعبارة أبى عكرمة فى النص الرابع ( أَتاكَ بالأَمْرِ من فَصِّـــه ) ، وأما عبارة أبى بكر فهى ( هُوَيأْتِيكَ بالأَمْرِ من فَصِّه ) ، وعبارة النص الخامس عند أبى عكرمة ( عَمِلَ بِهِ عَمَلَ سَبْعَةٍ ) ، وعبارة أبى بكر ( أَخَذَهُ أَخْذَ سَبْعَـــة ) ، ومثل ذلك يقع فى عبارات أخرى كثيرة تبدو لمن يقرأ الكتابين للموازنة بينهما .

وأخير لا نكاد نرى أبا بكر ينقل فى زاهره عن أبى عكرمـــة إلا نادرا ، رغم قرب صلته العلمية به ، وذلك عن طريق أبيه القاسم وهو ممن رووا عن أبى عكرمة الضبى .

ولم يذكر أبو عكرمة في "الزاهر" غير أربع مرات كان في ثلاث منها منشدا من غير تعليق[1] وفي الرابعة مفسرا لغويا لمعنى قولهم ( هَيْلَلَ الرَّجُلُ )[2] وقد وردت هذه العبارة في الزاهر أثناء شرح عبارة ( لا حَولَ ولا قوَّة إلا بالله ). وهاتان العباراتان لم تذكرا في أمثال أبي عكرمة، كما لم تذكر فيه الشواهد الثلاثة التي أنشدها أبو بكر عن أبي عكرمة بوساطة أبيه القاسم! فهل يعني ذلك أن أبا بكر لم يرجع إلى أمثال أبي عكرمة، أو أن المواضع التي نقلها منه ساقطة من نسخ الأمثال التي وصلت إلينا، أو أنه كان لأبي عكرمة مؤلفات أخرى لم تصل إلينا، وكان هذا النقل فيها؟ فأما الاحتمال الثاني فأستبعده، لأن النقول ذكرت في مواضع متعددة وموضوعات مختلفة، ولا يتفق سقوطها معا في جميع تلك المواضع. وأما الاحتمالان الأول والثالث فكلاهما قائم، إذ يحتمل أن أبا بكر رجع إلى غير كتاب الأمثال من مؤلفات أبي عكرمة، أو أنه نقل عنه سماعا عن طريق أبيه القاسم بن محمد من غير أن يعتمد على كتاب.

وإذن فلا يبعد أن أبا بكر قد تأثر بأبي عكرمة في أمثاله فالملاحظات السابقة تفيد أن هناك اختلافا كبيرا بين مادتي الكتابين وليس بينهما ما يشير إلى التشابه.

وهناك كتاب ثالث قيل: إنه ينافس "الزاهر" في موضوعه ومادته، وهو كتاب "الفاخر" للمفضل بن سلمة وهو ممن عاشوا في زمن أبي بكر.

فما أثر هذا الكتاب على أبي بكر في زاهره؟

وهل صحيح ما ذكره الصولي من أن "الزاهر" منقول من "الفاخر"؟[3]

ولمعرفة حقيقة هذا الحكم لابد من أن نتصرف — ولو بإيجاز — على كتاب "الفاخر"، لكي نبحث عن السبب الذي قد يدفع أبا بكر بن الأنباري لنقله، وقد نقع فيه على بعض المغريات التي قد تسوغ لأبي بكر أن ينقله.

---

(١) انظر الأوراق ٢٦١/ب، و ٣٢٤/ب، و ٣٤١/أ.

(٢) ٥/أ.

(٣) الفاخر ص١.

ومؤلف الفاخر لفوىّ كوفى مشهور ، أخذ عن أبيه سلمة بن عاصم — صاحب الفراء — وعن ابن الأعرابى وابن السكيت ، وثعلب . وروى عنه الصولى ، وتوفى سنة ثلاثمائة للهجرة حسب ماذكره ابن قاضى شهبة (١) .

وأما موضوعه فهو الأمثال والعبارات اللغوية التى يسوقها المؤلف من غير اتباع ترتيب ، أوتنظيم معين إلا نادرا كما فى الصفحات(٢١٩ — ٢٣٤)حيث ذكر طائفة من الأمثال تتعلق بأيام العرب .

وقد نقل المفضل فى كتابه هذا عن طائفة من أئمة اللغة كالأصمعى والفراء وأبى عبيدة ، والكسائى ، وأبى عمرو الشيبانى وغيرهم .

وأما الجديد الذى أضافه المفضل إلى سلفه أبى عكرمة فهو مجموعة من العبارات اللغوية التى لم يذكرها أبو عكرمة ويبلغ عددها حوالى المائة .

وأما أمثاله فقديمة معروفة فى كتب المتقدمين .

ويحسب للمفضل إدراكه الفرق بين الأمثال والعبارات اللغوية فقد ذكر فى مقدمة كتابه أنه يفسر فيه الأمثال والمحاورات (١) ويعنى بها العبارات اللغوية ، ولكنه مع ذلك خلط فى عرض مادته بينها وبين الأمثال .

وفيما عدا إضافة العبارات المائة ، وإدراك الفرق بينها وبين الأمثال ، لانكاد نرى جديدا عند المفضل فهل يحتمل أن يكون ذلك بمثابة إغراء يحفز أبا بكر لنقل "الفاخر" فى زاهره ؟!

وقبل أن نجيب عن هذ السؤال ، يجب أن نتأكد من حقيقة رجوع أبى بكر الى "الفاخر" ، فقد كان ابن الأنبارى فى شبابه ممن رأوا المفضل ، واحتمال رؤيته الكتاب وعدم اطلاعه عليه وارد ، فكثيرا ماتشتهر بعض الكتب ، بعد عصر مؤلفيها ، حيث يتسع مجال انتشارها على مرور الزمن ، وذلك متوقع هنا ، وخاصة أن أبا بكر لم ينص على أخذه عن المفضل .

---

(١) طبقات النحاة واللغويين ١/ ٢٥٤ .

ولكن الذى لا شك فيه أن أبا بكر كان قد رأى "الفاخر" فقرأه وعلق عليه ، وقد وصل إلينا شئ من تعليقاته على إحدى نسخ "الفاخر" المخطوطة.(١)

وهذه التعليقات كثيرة ، وطويلة غالبا ، وطابعها لغوى ، وكثيرا مايواجه أبو بكر اهتمامه فيها إلى قضية الأضداد ، فى ألفاظ بعض العبارات ، أو فى ألفاظ شواهدها ، أوشروحها ، كما فعل فى التعليق على العبارات التالية : ( حِدَا حِدَا وَرَاءَكِ بُنْدُقَة )(٢) ، و ( من حَبَّ طَبَّ )(٣) ، و (العَاشِيَة تَهِيجُ الآبِيَة )(٤) ، و ( هو يَسْحَزُ بكلامه )(٥) ، و ( وَمَنْ يَشترِى سَيفِى وهذا أَثَرُه )(٦) وغيرها .

وقد تعالج تعليقاته أحيانا جوانب لغوية أخرى كالزيادة فى الشرح ، أو الاستشهاد ، أو تتبع اللغات فى الكلمة الواحدة إن وجدت ، وكل ذلك واضح فى تعليقاته على العبارات التاليه :

(هوأَنَوك)(٧) ، و ( عند جُهينةَ الخَبَرُ اليقين )(٨) ، و ( ويومَ المُرَيقِب )(٩) ، و ( يوم الفروق )(١٠) وغيرها .

أما وقد رأى أبوبكر فاخر المفضل ، فهل أفاد منه فى زاهره ؟ ذلك مما لا شك فيه كما سنرى ، ولكن يبقى سؤال هام هو : إلى أى حد أفاد منه ؟ هل عمد إلى نقله كله فى كتابه ، أو نقل منه أجزاء كثيرة ، أو نقل منه متفرقات فى مواضع مختلفة ؟

ونبدأ بمناقشة حكم الصولى على "الزاهر" من أنه منقول من "الفاخر" ، ولابد أن نطلع عليه فى نصه الكامل ، فنأخذ منه المقبول ، ونترك المرفوض.

---

(١) هى نسخة مكتبة الفاتح بأستانبول ورقمها ( ٤٠٠٩ ) ، وقد انتفعت بها فى بحثى .
(٢) الورقة ١٨/ب .
(٣) ٤٧/ب .
(٤) ٧٠/أ .
(٥) ٧١/ب .
(٦) ٧٢/أ .
(٧) ٢٢/أ .
(٨) ٥٣/أ .
(٩) ٩٨/ب .
(١٠) ١٠٣/ب .

ذكر فى أول كتاب "الفاخر" أن سبب إملاء الصولى إياه على تلاميـــذه هو "أن رجلا ممن كان يحضر مجلسه ، يحضـــر مجلس أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى رحمه الله ، فرأى يوما فى يده كتابـــا ، فأخذ يقرؤه ، فوجده مجلسا من كتاب "الزاهر" ، فقال : هذا منقول من كتاب "الفاخر" للمفضل بن سلمة ، كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه فى المعارف من كتاب "المحبـــر" ، لابن حبيب . فلما كان المجلس الآخـــر ، أخرج كتابه "الفاخر" ، فأملى علينا : حدثنا أبوطالب المفضل بن سلمة بن عاصم قال : ..."(١) الكتـاب .

ذلكم هو حكم الصولى على "الفاخر" ، وتلكم هى مناسبة حكمـــه . وأكاد ألمس فيه بعض التحامل على مؤلف "الزاهر" ، وهذا غير مستبعد عن الصولى ، فقد كان ابن الأنبارى منافسا له فى بلاط الراضى ، وذلك مما يجعله منـــه موضع الحسد .

فلنعد النظر فى حكم الصولى بالرجوع إلى النص السابق أولا ثم الموازنـة بين الكتابين ، مع تتبع بعض نصوصهما ثانيا ، فالموازنة هى الحكم العـــادل لمعرفة الحقيقة .

ونحن لا نعرف المقدار الذى اطلع عليه الصولى من "كتاب الزاهر" ، كما لا نعرف موقع هذا المقدار فى الكتاب ، ولكن تحديده بلفظة "مجلس" فى النص يكشف لنا أنه ضئيـــل ، لأن المجلس عبارة عما يقدم من المادة فى جلسة واحدة من جلسات الدرس .

ويفيد النص أن الصولى قرأ مجلسا واحدا فحسب ، وليس هناك ما يشير إلى أنه أخذ الكتاب كله وقابله على "الفاخر" وحكمه هذا قد جاء بعد قراءته ذلك المجلس مباشرة ، فقال "هذا منقول من الفاخر للمفضل بن سلمة" ، ولعل ذلك لا يكفـى للحكم على الكتاب كله لأن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، والتصور لا يتأتـى إلا بالدراسة والاحاطة بالموضوع ثم إننا لا نجد تشابها كبيرا بين نص الكتابـــين

---

(١) ص١ .
(٢) أخبار الراضى والمتقى ص٩ .

ـ كما سأبين ـ إلا فى مواضع قليلة جدا ، ومتفرقة ،أى أننا لا نجد فى "الزاهـــر" نقولا طويلة ومباشرة من "الفاخر" ،بحيث إنه لوصادف وقوعها فى يد الصولى أمكنه الجزم مباشرة بأنها منقولة من "الفاخر" ، وذلك يدل على أن الصولى قد تعجـــل فى حكمه ،لأنه أوقعه على ذلك الجزء الضئيل من الكتاب فحسب ، ومن غير تثبت.

وبالموازنة بين الكتابين يتضح أن الصولى قد بعد كثيرا عن الإنصـــاف فيما قرره ،فالكتابان مختلفان جدا .

أولا : فمن حيث الحجم لا شك أن "الزاهر" أكبر من "الفاخر" بكثير وهذا ناتج بسبب زيادة عدد العبارات والأمثال ـ مع شرحها ـ عند أبى بكر بأكثر من نصف عددها عند المفضل ،فقد بلغ مجموعها عند الأخير ـ بعباراته المكررة ـ إحـــدى وعشرين وخمسمائة مثل وعبارة لغوية ،كما أن عدد الأمثال عنده أكثر من عـــدد العبارات بقليل ،وهذا يعنى أن اهتمام المفضل بالأمثال يعادل اهتمامـــه بالعبارات اللغوية ،بل يزيد بعض الشئ .

وأما أبوبكر فقد كان اهتمامه منصرفا بوجه خاص إلى العبارات اللغويـــة ، بدليل أن مجموع ما ذكره منها ومن الأمثال بلغ أربعا وثلاثين وثمانمائة ليس فيها أكثر من خمسة ومائة مثل .

ثانيا : من حيث المحتوى يختص "الزاهر" بمجموعة كبيرة من المبـــارات الإسلامية بمختلف أنواعها المتقدمة آنفا ،ولا نجد منها فى "الفاخـــر" غير ست هى : ( غفرَ اللّهُ له )[1] ، و ( محصَّ اللهُ ذُنوبَهُ )[2] ، و ( حَسِيبُكَ اللّهُ )[3] ، واستَخَرْتُ الله )[4] ، و(لَعَنَهُ اللهُ )[5] ، و ( أخْزَاهُ اللهُ )[6] .

---

(١) الفاخـــر ١٣٤، و الزاهـر ٦/ب .
(٢) الفاخـــر ١٣٥ ،و الزاهـــر٦ /أ .
(٣) الفاخـــر ١٨١، و الزاهـــر ٢/ب.
(٤) الفاخـــر ٢٢٧، ولا توجد فى الزاهـــر .
(٥) الفاخـــر ٨ ، والزاهـــر ١٣٨/ب .
(٦) الفاخـــر ٩ ، والزاهـــر ٩٨ /أ .

ثالثا : يمتاز "الزاهر" على "الفاخر" بالزيادة والتفصيل فى شرح العبارات والأمثال ، ويمكن أن نلاحظ ذلك - على سبيل المثال - فى شرح معنى قولهم ( تركته يَتضَوَّرُ )(١) - عند المفضل ( هُوَ يَتضَوَّرُ )(٢) - وقد شرحها الأخير على النحو التالى :

" قولهم : ( هو يتضوّر ) ،

أى يتلوى من جزع أو جوع أوغيرذلك مما يبلغ من الإنسان ، وقال :

لَعَلَّ الشَّمَاتَى أنْ تدورَ عليهمُ نوائبُ تأتينى فلمْ أتضَوَّرِ .

وأما أبوبكر فقد شرحها على النحو التالى : " قال أبوبكر : معناه يظهر الضُرَّ الذى وقع به بالتقلقل والاضطراب والصياح ، جاء فى الحديث " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة يقال لها أم العلاء عائدا ، وهى تُضَوَّرُ من شدة الوجع والحمى(٣) ، فقال لها عليه السلام : إن الحمى تنقى خبث المؤمن ، كما تنقى النار خبث الحديد " . ويَتضَوَّرُ يتفعّل من الضَّوْر ، والضور بمعنى الضر ، يقال ضرى يضرى ضرا وضارى يضرى ضيرا ، وضارنى يَضُورُنى ضَورا بمعنى، قال الشاعر:

كناطِحٍ صَخْرَةً يومًا لِيَفْلَقَهـا فلمْ يَضُرّها ،وأوهَى قرنَهُ الوَعَلُ(٤)

قال أبوبكر فهذا من الضير ،وكذلك قراءة من قرأ ( وإنْ تَصبروا وتَتّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كيدُهم شيئا )(٥) ، ويجوز ( لا يَضُرْكُمْ ) بضم الضاد وتسكين الراء، ومايعرف له إمام ، ومن قرأ ( لا يَضُرُّكُم ) ضم الراء على الإتباع لضمة الضاد ، وموضع الفعل جزم ،لأنه جواب الجزاء، ويجوز أن يكون فى موضع رفع على أنّ ( لا ) فى موضع ليس ، وجواب الجزاء فاء مضمرة ، والتقدير فإن تصبروا وتتقوا ، فليس يضركم شيئا ، قال أبو ذؤيب :

وقيلَ تَحَمَّلْ فوقَ طوقِكَ إنها مَطَبَعَةٌ مَنْ يأتِها لا يَضِيرُها(٦)

أراد فليس يضيرها .

---

(١) ٢٤٦/ب (٢) ص٢٧٥ .
(٣) انظر لسان العرب ( ضور ) ١٦٦/٦ .
(٤) البيت فى شرح ابن عقيل ١٠٩/٣ "لِيُوهِنها" بدل "ليفلقها" ويضرها بكسر الضاد بدل ضمها وهو للأعشى ميمون بن قيس.
(٥) سوره آل عمران / ١٢٠ .
(٦) البيتفى لسان العرب ( ضير ) ١٦٦/٦ .

قال أبوبكر : قال أبوالعباس: التَّضَوُّر التَّضَعُّف ،من قولهم : (رجل ضُوَرَةٌ ) إذا كان ضعيفا ، وامرأة ضُوَرة كذلك . أخبرنى أبوالعباس عن سلمة عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بنى عامر يقول : أحسَبْنِي ضُوَرَةً"(١)

واضح أن أبا بكر قد أتى هنا بزيادات وتفاصيل كثيرة ومهمة فى شرح العبارة، وواضح أن مقدار الزيادة كبير هنا ، فقد أضاف شاهدا من الحديث الشريف ، وشاهدين من الشعر ، وآية من كتاب الله ،مع الإشارة إلى قراءة أخرى لها ، وختم شواهده بشاهد من كلام العرب ،كما أضاف تعليقات وشروحا لغوية قيمة فى مادتى ( الضور) و( الضير) ،وقد نقل فى المادة الأولى نصا عن أستاذه ثعلب عن سلمة - والد المفضل - عن الفراء ،ومع أن سلمة بن عاصم قد روى هذا النص إلا أن ابنه المفضل لم ينقله عنه هنا ، ولعله لم يصل إليه . كما نجد عند أبى بكر شروحا إضافية لما يورده من الشواهد المختلفة مع الاهتمام بالإعراب كلما دعت الحاجة .

ومثل هذه الزيادة نجدها عنده فى شرح معظم عباراته ،ومن العبارات التى نلاحظ له فيها زيادة كثيرة فى الشرح قولهم ( قد صَبَفُونى فى عَيْنِك )(٢) ، و( فلانٌ رَكِيكُ )(٣) ، و( أقَرَّ اللهُ عَيْنَك )(٤) ،و( ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ )(٥) ،و( النَّقَدُ عند الحَافِرَة )(٦) ،و( أمرٌ لا يُنادَى وليدُهُ )(٧) .

ويتضح من الموازنة بين الشرحين السابقين لعبارة ( تركته يَتَضَوَّر) ومن الموازنة بين الشرحين لمعظم العبارات المشتركة بينهما أن إضافات أبى بكر تكاد تكون لغوية خالصة ، فنراه يكثر من تفاصيل الشرح اللغوى ،كما فى العبارة السابقة والعبارات التى تلتها ،أو تكون زيادة فى عدد الشواهد كما رأينا

---

(١) ١٤٦/ب - ١٤٧/أ ،وعبارة الأعرابى فى لسان العرب ( ضور) ٦/١٦٦ : "أحسبتنى ضورة لا أرد عن نفسى ؟"

(٢) الفاخر ١٢٦، والزاهر ١٢١/ب ، والعبارة فى الفاخر بدون : (قد ) .

(٣) الفاخر ٢٩٧ ، والزاهر ٦٧/ب .

(٤) الفاخر ٦ ، والزاهر ٧٣/أ ، والعبارة فى الفاخر: ( أقر الله عينه ) .

(٥) الفاخر ٢١ ، والزاهر ١٧٦/ب.

(٦) الفاخر ٢٧٩ ،والزاهر ١٢٨ /ب .

(٧) الفاخر ١٢، والزاهر ١١٥/ب .

فى العبارة السابقة حيث أضاف خمس شواهد لم يذكرها المفضل ، وكما فى شرحه لمعنى قولهم ( قد عِيلَ صبرِى )[١] فقد أضاف إلى المفضل فى مادتى ( عول) و( عيل ) تسع شواهد ، ومن العبارات التى أضاف فيها إلى ماذكره المفضل شواهد أخرى قولهم ( فلان ضَيِّقُ المَطَن )[٢] ، و( فلان غُرَّة )[٣] ، و(ما أُنكِرُكَ من سُوءٍ )[٤] و( رجل كيِّس)[٥] ، و( قد صَرَّح فلان بكذا وكذا )[٦] ، و( فلان أخضَرُ )[٧] ، و( دارَيتُ فلانا )[٨]

وكل ذلك يؤكد لنا حرص أبى بكر وإلحاحه فى إثبات الشواهد ، ولا يكاد يذكر قولا إلا يحتج له بشاهد أو أكثر، ويبلغ هذا الحرص عنده إلى درجة الاحتجاج بشواهد فرعية لألفاظ ترد فى الشواهد التى يوردها حججا للمادة الأساسية فى الكتاب، كما فعل فى شرح معنى (فلان ضَيِّق المطَن) فقد استشهد ضمن شرحه لمعناها بحديث ، ورد فيه لفظ "عَبْقَرِىّ" فى قوله صلى الله عليه وسلم " . . . فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَّهُ " ، - يعنى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه - قال ابن الأنبارى معلقا على هذا اللفظ ، ومحتجا لمعناه ببعض الشواهد: "العَبْقَرِىّ : الحاذق ، الفائق المتبين فضله . وقال أبو عمرو : هو الفائق من كل جنس ، والأصل فيه لبسط تعمل بقرية يقال لها عبقر، تكون فى نهاية الحسن ، واتقان الصنعة ، وكان الأصل للبسط ، ثم وصف به الناس وغيرهم ، قال الشاعر :

أكلِّفُ أن يَجُلَّ بنو سُلَيم ... جُبُوبَ الإثم ظُلمَ عَبقَرِىِّ

---

(١) الفاخر ١١١ ، والزاهر ٥٢/ب والعبارة فى الفاخر: ( قد عيل صبره ) .
(٢) الفاخر ٣١٥ ، والزاهر ٣٤٦/أ .
(٣) الفاخر ٨١ ، والزاهر ٥٥/أ .
(٤) الفاخر ٣٩ ، والزاهر ١٣٠/أ .
(٥) الفاخر ٥٥ ، والزاهر ٤١/ب والعبارة فى الفاخر: (هو كيس)
(٦) الفاخر ١١٥ ، والزاهر ١٣٧/ب والعبارة فى الفاخر: ( قد صرح بكذا )
(٧) الفاخر ٢٨٦ ، والزاهر ١٨٣/ب والعبارة فى الفاخر: (قولهم للرجل عند الذم : هو أخضر) .
(٨) الفاخر ٣١٠ ، والزاهر ٢٠١/ب .

أراد بالعبقرى الخالص ، وقال الله تعالى : ( مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ ، وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ )[1] ، أراد بالرفرف الفرش ، ويقال هى البسط . وقال أبوعبيدة : العبقرى عند العرب البسط ، وقال : البسط كلها عبقرى . وقال الفراء : العبقرى : الطَّنافِس[2] الثخان ، والرفرف رياض الجنة ، قال : ويقال : هى المحابس . وقال ابن عباس : الرفرف رياض الجنة عليها فضول المحابس والبسط . وقال الحسن : العبقرى : بسط الجنة فاطلبوها لا أب لكم . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : عِتاق الزرابى . وقال أبو عبيد : العبقرى نسب إلى قرية يقال لها عبقر يصنع فيها ضروب البرود والوشى ، وأنشد لذى الرمة :

حتى كأنَّ رياضَ القُفِّ ألبَسَها  من وَشْىِ عَبْقَرَ تجليلٌ وتَنْجِيدُ

فأما الزرابى فإنها طنافس لها خمل رقيق ، واحدتها زَرْبِيَّة . . . "[3]

وقد أورد أبوبكر هنا ثلاثة شواهد احتجاجا لكلمة ليست من ألفاظ العبارة المشروحة ، وإنما وردت فى شاهد من شواهد الشرح . وهذا استطراد يوضح شدة حرصه على إيراد الشواهد فى الكتاب كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

رابعا : الاتفاق والاختلاف بين الشرحين : قد يتفق أبو بكر مع المفضل فى الأفكار الرئيسة فى شرح العبارة ، ولكنه يختلف معه فى ترتيب عرض تلك الأفكار ، ويبدو هذا واضحا فى شرحهما لمعنى قولهم ( لا تُبَلِّمْ عليه ) ،

فقد شرحها المفضل على النحو التالى :

" قال الأصمعى : معناه لا تقبح فعله وتفسده ، قال : وهو مأخوذ من قولك أبْلَمَت الناقة إذا ورم حياؤها .

وقال بعضهم ( لا تُبَلِّم عليه ) أى لا تجمع عليه المكروه ، وهو مأخوذ من الأبْلَمَة ، وهى خوصة البقل ، يقول لا تجمع عليه أنواع المكروه كجمع الأبْلَمَة[4] أنواع البقل . يقال : أبْلَمَة ، وأبِلمَة ، أبُلمَة . وبعضهم يقول هى خوصة المقل " .

---

( ١ ) سورة الرحمن / ٧٦ .
( ٢ ) جمع الطِّنْفِسة للبسط والثياب والحصير من سعف عرضه ذراع . انظر القاموس المحيط ( طنس ) ٢ / ٢٣٥ .
( ٣ ) ٣٤٦/ب .
( ٤ ) الفاخر ١٧ .

وقال أبو بكر فى شرحها : " لا تجمع عليه أنواع المكروه وقبيح القول ، وهو يُفَعِّل من ( الأَبْلَمَة ) وهى خوصة البقل ، والمعنى لا تجمع عليه المكروه كجمع الخوصة للبقل . ويقال الأَبْلَمَة خوصة المُقل وفيها ثلاث لغات أَبْلُمَة ، وأَبْلِمَة ، وأَبْلَمَة .

وقال الأصمعى : معنى لا تبلِّم لا تقبح فعله وتفسده ، قال : وهو مأخوذ من قولهم : قد أَبْلَمَت الناقة ، إذا ورم حياؤها "(١)

فهنا الفروق قليلة بين الشرحين وتنحصر فى التقديم والتأخير فى بعض عبارات الشرح . وكذلك شرحهما للعبارات التالية ( بالرِّفاء والبنين )(٢) ، و ( تركَ جوفَ حِمار )(٣) ، و ( تَبلَّدَ الرجل )(٤) ، و ( هَوْلِيق )(٥) وغيرها مما يظهر فيه تشابها على هذا النحو.

وقد يصل التشابه إلى درجة أكبر من ذلك ، بحيث لا نكاد — عندئذ — نرى اختلافا بين الشرحين إلا فى ألفاظ يسيرة ، ولكن ذلك قليل ولم أجد له أمثلة إلا فى ثلاثة مواضع هى فى شرح العبارات التالية :

( قد بلَّحَ فى يدِى غَرِيمِى )(٦) ، و ( غَرِيمِى يَمْطُلُنِى )(٧) ، ( ولا تُلُوسه )(٨) ، وأعرض هنا الشرحين لهذه العبارات لنرى ذلك التشابه الكبير بينهما :

— قال المفضل فى شرح العبارة الأولى — (قد بلَّحَ فى يدِى غَرِيمِى ) —

" أى ليس بقى عنده شئ يقضينى . وأصل ذلك من قولهم : بلَّحت الرَّكِيَّة إذا ذهب ماؤها ، وبلح الفرس إذا انقطع جريه . وقال : متمم بن نويره :

وَنَجَّاكَ مِنَّا بعد ما مِلْتَ جانبا ... وُرِمتَ حَذارَ الموتِ كلَّ مرامِ
مُلِحٌّ إذا بَلَّحْنَ فى الوَعْثِ لاحقٌ ... سَنابِكَ رِجلَيه بِمَقْدِ حزامِ "(٩)

---

(١) الزاهر ١٢١/ب وحياء الناقة فرجها . انظر القاموس المحيط ( حيى ) ٤/٣٢٣ .
(٢) الفاخر ١٣ ، والزاهر ١٠٧/أ
(٣) الفاخر ١٤ ، والزاهر ١٢٦/ب .
(٤) الفاخر ١٦ ، والزاهر ٤٤/أ .
(٥) الفاخر ٣٠٠ ، والزاهر ٥٩/ب .
(٦) الفاخر ٢٧٠ ، والزاهر ١٨٤/ب .
(٧) الفاخر ٢٧٤ ، والزاهر ١٩٧/ب .
(٨) الفاخر ١٠ ، والزاهر ١٣٨/أ .
(٩) الفاخر ٢٧٠ .

ـ وقال أبو بكر : " وقولهم ( قد بلّحَ فلان فى يدِى ) معناه قد انقطع فلم يبق عنده جواب ، وكذلك ( قد بلّح الغريمُ فى يدِى ) معناه لم يبق عنده شىءٌ يقضينى ، وهو مأخوذ من قول العرب قد بلحت الرَّكِيَّة إذا ذهب ماؤها ، وقد بلّح الفرس إذا انقطع جريه ، قال متمم بن نويره :

ونجّاكَ منّا بعد ما ملْتَ جانبا ... ورمتَ حذارَ الموتِ كلَّ مَرام

بلّحْ إذا بلّحن فى الوَعْثِ لاحقٌ ... سنابكَ رِجلَيه بمَعْقِدِ حزام"(١)

وفيما عدا إضافة أبى بكر فى أول العبارة يكاد شرحه يشابه شرح المفضل تماما .

ـ وقال المفضل فى شرح معنى قولهم ( غريمى يمْطُلُنى ) : " معناه يطوّل علىّ ، وأصل ذلك من قولهم : قد مَطَلَ القينُ الحديد ، إذا مدّه وطوّله ، وقال العجاج :

بمُرْهَفاتٍ مُطِلَتْ سَبائِكا ... تَقُضُّ أمَّ الهامِ والتَّرائِكا "(٢)

ـ وقال أبوبكر فى شرحها : " معناه يطوّل علىّ ، يقال مَطَلَ القين الحديد يمْطُلُه مَطلا ، إذا مدّه وطوّله ، قال العجاج :

بمُرْهَفاتٍ مُطِلَت سبائِكا ... تَقُضُّ أمَّ الهامِ والتَّرائِكا "(٣)

ويكاد التشابه الحرفى فى هذا المثال يكون أوضح من سابقه ، وأوضح من ذلك شرح العبارة الثالثة وهى ( لا تَلُوسُهُ ) وعند أبى بكر : ( تُلُوس بكذا وكذا ) .

قال المفضل فى شرحها : " أى لا تناله ، وهو من قولهم ماذقتُ لَواسا أى ماذقتُ ذواقا "(٤) .

ـ وقال أبوبكر فى شرحها : " معناه لا تناله ، وهو مأخوذ من قولهم : ماذقت لَواسا أى ماذقت ذواقا "(٥) .

وهناك أمثلة أخرى يظهر فيها بعض التشابه ، ولكن ليس بهذا النحو من الوضوح ، ومنها قولهم (فلان باقِعَة)(٦) ، و( قد ازْدَمل فلان الحَمل )(٧) ، و( رزتْ ماعند فلان )(٨) . وفيما عداها لا نجد تشابها بين الشرحين .

---

(١) ١٨٤/ب .　(٢) ص ٢٧٤ .　(٣) ١٩٧/ب

(٤) ص ١٠ .　(٥) ١٣٨/أ .

(٦) الفاخر ٢٩٠ ، والزاهر ٢١٨/أ .

(٧) الفاخر ٢٨٧ ، والزاهر ٢٠٠/أ والعبارة فى الفاخر ( ازدمله ) .

(٨) الفاخر ٢٦٩ ، والزاهر ١٩١/أ .

ومع أن تلك المواضع من التشابه بين الشرحين قليلة إلا أنها تؤكد على أن أبا بكر نقل من "الفاخر" رغم أنه لم ينص عليه ، بل وتأثر به حتى فى مقدمته التى ذكر فيها أنه سيوضح معانى كلام الناس فى عباداتهم ، ثم يتبع ذلك "بتبيين ماتستعمله العوام فى أمثالها ومحاوراتها من كلام العرب ، وهى غير عالمة بتأويله ، باختلاف العلماء فى تفسيره ، وشواهده من الشعر"(١)

وهذا شبيه بقول المفضل بن سلمة فى مقدمته : "هذا كتاب معانى مايجرى على ألسن العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، من كلام العرب ، وهم لا يدرون معنى مايتكلمون به من ذلك ، فبيناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره"(٢)

فهنا تأثر ابن الأنبارى بالمفضل بن سلمة من جانبين الأول أخذه عنه مصطلح "المحاورات" ويعنى به العبارات اللغوية ، وهى الأساس الذى بنى عليه كتابه "الزاهر" .

والثانى الاهتمام بعرض الوجوه المختلفة لمعانى العبارات ، مع الاهتمام بعرض اختلاف العلماء فى تفسيرها .

وهذا هو مبلغ تأثر أبى بكر بالمفضل وهو أمر يخالف تماما ما ذهب إليه الصولى فى حكمه السابق ، فليس الأمر أكثر من اعتماد أبى بكر على المفضل فى شرح بعض العبارات أحيانا ، ومن تأثره بمنهجه بعض الشئ على ما اتضح من المقدمتين .

وفيما عدا هذا الإطار من التأثر نلاحظ أن الفروق كبيرة بين الشرحين . بل قد يختلفان تماما ، على نحو مانرى فى شرحهما لمعنى قولهم : ( ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ ) ، فقد ذهب المفضل فيها إلى أن اللَّبد وبر الابل ، وذهب ابن الأنبارى إلى أن اللَّبد صوف الضأن ، وأعرض هنا النصين لنلاحظ الجوانب الأخرى من الاختلاف بينهما أيضا .

وقد اكتفى المفضل فى شرحه بقوله : "فالسَّبد شعر المعز ، واللَّبد وبر الابل ، وقال أبوصالح : كل مالان من الصوف والوبر فهو لبد . والسبد الشعر"(٣) .

---

(١) ٢/ب .
(٢) ص ١ .
(٣) ص ٢١ .

وأما أبو بكر فقد فصل فى شرحه فقال : "السَّبَد معناه فى كلامهم شعر المعز ، واللَّبَد صوف الضأن . وحدثنا محمد بن يونس الكديمى قال : كنت عند أبى الضرير فجاء السجانى(١) فقال له : أبوعمرو : ما السَّبَد واللَّبَد ، فقال : السَّبَد الشعر، واللَّبَد الصوف . فقال أبوعمرو : هكذا قال يونس النحوى . وإنما يقصد بهذا قصد الإخبار عنه انه لا شئ له . وكذلك قولهم: ( ماله ثاغِبَةٌ ولا راغِبَة ) الثاغبة الشاة والراغبة الناقة ، وكذلك قولهم (ماله دقيقة ولا جليلة ) الدقيقة الشاة والجليلة الناقة ، وكذلك قولهم : ( ماله دارٌ ولا عقار ) يقصد به الإخبار عن قلة اليد . وفى العقار قولان : يقال العقار: متاع البيت ويقال العقار النخل".(٢)

ومن الأمثلة التى اختلفا فى شرحهما قولهم ( دعْ فلانا يَخِيس) قال المفضل فى شرحها "معناه يفسد حتى لا ينتفع به ، وهو مأخوذ من قولهم : قد خاست الجيفة إذا بدأت تُرْوِح وتُنْتِن"(٣) .

وخالفه أبوبكر فى شرحها قائلا : "معناه يلزم موضعه ، والأصل فيه من خَيْسِ الأسد ، وهو الموضع الذى يلازمه ويأويه(٤) ، قال الشاعر:

كأن حِمَى جيرانِهِ حالَ دونَهُ أبو شِبْلٍ فى خَيْسِهِ مُتَمَنِّعُ

ويقال للموضع الذى يحبس فيه الناس ، ويلزمون نزوله مخيّس قال الشاعر:

فلمْ يَبْقَ إلا داخنٌ فى مُخَيَّسٍ ومُنْجَحِرٌ فى غير أرضك فى جُحْر

أراد بالمُخَيَّس السجن والداخن الصاغر".(٥)

وكذلك اختلفا فى شرح معنى قولهم : ( فلان أخْضَرُ )(٦) و(أمرٌ لا يُنادَى وليدُه )(٧) وغيرهما .

---

(١) لم أجد له ترجمة .
(٢) ١٧٦/ب .
(٣) ص٢٤١ .
(٤) يقال أويت منزلى وأويت إليه أويا ، نزلته بنفسى وسكنته . انظر القاموس المحيط ( أوى ) ٣٠٤/٤ .
(٥) ١٩٨ /ب
(٦) الفاخر ص٢٨٦ ، والزاهر ١٨٣/ب والعبارة فى الفاخر: (قولهم للرجل عند الذم : هو أخضر )
(٧) الفاخر ٢٨٠ ، والزاهر ١١٥/ب والعبارة فى الفاخر: (وقعوا فى شئ لا يُنادَى وليدُه ) .

خامسا : يهتم أبو بكر بمسائل اللغة والنحو اهتماما خاصا ، وقد يستطرد في شرح العبارة لعرض قضية لغوية أونحوية ، ونلاحظ عنده اهتماما كبيرا بالمثنى والجمع والمصدر ، في شروحه ، وهذه مما نص على تتبعه لها في مقدمته كما تقدم (١) ، كما رأيناه يورد عبارات لا لتفسير معانيها — إذ تكون معانيها واضحة — بل لما فيها من مسائل لغوية ونحوية ، وله اهتمام كبير بتتبع اللغات المختلفة في الكلمة الواحدة يقف عليها متعمدا ، ولو أدى ذلك إلى بعده عن الشرح أحيانا .

ومثل هذه الاهتمامات لا نجدها في " الفاخر " إلا نادرا ، وإن ورد شيء منها ، عالجه مؤلفه بذكر عابر ، وإيجاز شديد ، فالمفضل لا يهمه إلا شرح معاني الأمثال والعبارات بشواهدها ، ولنضرب بعض الأمثلة لملاحظة الفرق بين الشرحين في هذه الناحية :

١ ) قال المفضل في شرح معنى :

قولهم : ( هلُمَّ جَرّا )

" أي تعالوا على هينتكم كما يسهل عليكم ، من غير شدة وصعوبة .

وأصل ذلك من الجر في السَّوْق ، وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في مسيرها .

وقال الراجز :

لَطَالَمَا جَرَرْتُكُنَّ جَرّا

حتى نوى الأعْجَفُ واسْتَمَرّا

فاليومَ لا آلُو الركابَ شَرّا " (٢)

— أما شرح أبي بكر لهذه العبارة فقد تقدم . (٣)

٢ ) وقال المفضل في شرح معنى قولهم ( أَخَذَهُ أخذَ سَبْعَة ) " قال الأصمعي : أراد سَبُعَة ، يعني اللبوة فخفف . وقال ابن الأعرابي : أراد سبعة من العدد ، وإنما قيل سبعة لأنه أكثر ما يستعملون من العدد في كلامهم ، من ذلك سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام .

---

( ١ ) راجع ص٢٦ من هذا البحث.

( ٢ ) ص ٣٢ .

( ٣ ) راجع ص٣٤٥

وقال ابن الكلبى : أراد سبعة بن عوف بن سلامان بن ثُعَل ابن عمرو بن الغوث بن طئ ، وكان شديدا فضرب به المثل "(١)

وأما شرح أبى بكر لهذه العباره فقد تقدم .(٢)

٣- قال المفضل فى شرح معنى قولهم : ( فلان نَسيجُ وحدِهِ ) "أى ليس له ثان ،كأنه ثوب نسج على حدته ،ليس معه غيره ،قال الراجز:

جاءتْ بهِ مُعْتَجِراً ببردِهِ  سَفْواءُ تَرْدِى بنسيج وحْدِهِ (٣)

وحده منصوب أبدا إلا فى ثلاثة مواضع وهى : نَسيجُ وحده ، وعَيْرُ وحدِهِ ، وجَحْيَشُ وحدِهِ ". (٤)

أما أبوبكر فقد شرحها على النحو التالى :" معناه فلان أوحد فى معناه ،ليس له فيه ثان ،كأنه ثوب نسج على حدته ،لم ينسج معه غيره ،قال الراجز:

قال أبوليلى لِحَبْلى مُدِّهِ
حتى إذا مَدَدْتَهُ فَشُدَّهِ
إنَّ أبا ليلى نسيجُ وحْدِهِ

وقال الآخر :

جاءتْ بهِ مُعْتَجِراً بِبُردِهِ  سَفْواءُ تَرْدِى بِنسيجِ وحدِهِ

ووحدَهُ منصوب فى جميع كلام العرب ، إلا فى ثلاثة مواضع : نسيج وحدِهِ ، وعَيْرُ وحدِهِ ، وجَحْيَشُ وحدِهِ ، وهو فى غير هذه المواضع منصوب كقولهم ( لا إله إلا الله ، وحدَه لا شريكَ له ) ، وكقولهم مررت بزيد وحدَه وبالقوم وحدَهم .

قال أبوبكر : وفى نصب "وحده" ثلاثة أقوال :

قال جماعة من البصريين هو منصوب على الحال .

وقال يونس : "وحده" عندهم بمنزلة عنده .

وقال هشام : "وحده" هو منصوب على المصدر ، وقال : حكى الأصمعى : وَحَدَ يحِدُ ، قال : فتقول زيد وحَدَه ، فتنصب وحَدَه على المصدر .

---

(١) ص ٣٣ .  (٢) راجع ص ٢٦٣ .

(٣) البيت فى لسان العرب ( عجر ) ٤/ ٤٦٣ ، و( سفو ) ١٩/ ١١١ وهو لدكين بن رجاء الفقيمى .

(٤) ص ٤٠ .

وقال الفراء وهشام : نسيج وحده قد رأيت ، وربَّ واحد أمه ، نكـرات ، الدليل على ذلك أن العرب تقول ربَّ نسيج وحده قد رأيت ، ورب واحد أمه قد أسرت ، واحتج هشام بقول حاتم :

أَمَاوِيَّ إِنِّي رُبَّ واحـد أمّهٍ أخذتُ فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ (١)

٤- وقال المفضل فى شرح معنى قولهم ( يالُكَعُ ) " قال أبوعمرو هو اللئيم .

وقال خالد : هو العبد ، ويقال للأنثى لَكَاعٍ ، وأنشد الكسائى :

فقلتُ لها لَكَاعِ أضعتِ أمـرى وما أنا بالمُهان ولا المُضاعِ

فقالتْ لى : هَجٍ فضحكتُ منها وقلتُ : ألا هَجٍ لكِ يالَكَاعِ

وقال الأصمعـى هو العيى بأمره الذى لا يتجه لمنطق ولا لغيره ، قال وهو مأخوذ من الملاكيع ، وهو ما يخرج من السَّلَى ، وأنشد لابن ميادة :

رمتْ الفَلاةَ بمُفْجِلٍ مُتَسَرْبِلٍ غِرسَ السَّلَى وملاكِعَ الأَمْشاجِ (٢)

- وقال أبو بكر فى شرحها : " فيه ثلاثة أقوال :

قال الأصمعى : اللُّكَع العَيِيّ الذى لا يتجه لمنطق ولا غيره ، أخذ من الملاكيع ، وهو الذى يخرج مع السلى من البطن ، قال الشاعر وهو ابن ميادة :

رَمَت الفَلاةَ بمُفْجِلٍ مُتَسَرْبِلٍ غِرْسَ السَّلَى وملاكِعَ الأَمْشَاجِ

والغِرسُ : الجلدة التى تكون على وجه المولود .

وقال أبوعمرو الشيبانى : اللكع اللئيم .

وقال خالد بن كلثوم : اللكع العبـد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

" يأتى على الناس زمان يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعُ بن لُكَع . خير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين "-

فقوله : بين كريمين فيه أربعة أقوال : قال قوم معناه بين الغزو والحج .

وقال قوم معناه : بين فرسين كريمين يقاتل عليهما فى سبيل الله .

وقال قوم معناه بين بعيرين يستقى عليهما ، ويعتزل أمر الناس .

وقال أبوعبيد : معناه بين أبوين كريمين ، فيجتمـع له مع إيمانه كرم والديه .

---

(١) ٨٤/أ .

(٢) ص ٤١ .

ويقال للرجلين ياذوى لَكيعة أقبلا ، بترك الإجراء فى لَكيعة للتعريف والتأنيث ، وإن شئت قلت : ياذوى لَكَاعةٍ أقبلا ، فتجرى لكاعة لأنها مصدر على مثال السماحة والشجاعة .

وتقول للجمع : ياأولى لَكيعَةَ أقبلوا ، وياأولى لَكَاعةٍ أقبلوا ، وياذوى لكيعة أقبلوا ، وياذوى لكاعةٍ أقبلوا .

وتقول للمرأة : يالَكَاعِ أقبلى .

وتقول للمرأتين : ياذاتَى لَكيعَة أقبلا ، ولَكَاعةٍ أقبلا ، وإن شئت قلت : ياذواتَى لَكيعة أقبلا ، ولَكَاعةٍ أقبلا .

وتقول للنسوة ياأولاتِ لكيعَةَ أقبلن ، ولكاعةٍ أقبلن ، وإن شئت قلت : ياذواتِ لَكيعةَ أقبلن ، ولَكَاعةٍ أقبلن "(١) .

٥ـ قال المفضل فى شرح معنى

قولهم : ( مَنْ حَبَّ طَبَّ )

" يقال أحبَّ وحبَّ بمعنى واحد ، وطبَّ فطن واحتال . والطُّب : الفطنة والحذق ، ومنه سمى الطبيب لعلمه وحذقه ، وأنشد :

فهلْ لكم فيها إلىَّ فإنَّنى طَبيبٌ بما أعيا النِّطاسِيَّ حِذْيَما

فمعنى الكلام : من أحب أحسن أن يحتال ، فكان فطنا لمن يحب "(٢) .

ـ وقال أبوبكر فى شرحها : " معناه من أحب فطن وحذق ، واحتال لمن يحب ، والطب معناه فى اللغة الحذق والفطنة ، وإنما سمى الطبيب طبيبا لفطنته ، يقال رجل طب وطبيب إذا كان حاذقا ، قال عنترة :

إنْ تُغْدِفِى دونى القناعَ فإننى طَبٌّ بأخذِ الفارسِ المُستَلْئِمِ (٣)

وقال علقمة بن عبدة :

فإنْ تسألونى بالنِّساءِ فإنَّنى بصيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طبيبُ (٤)

---

(١) ٥٤/أ (٢) ص ١١٤ .
(٣) البيت فى لسان العرب ( طبب ) ٢/٤٢ .
(٤) البيت فى لسان العرب ( طبب ) ٢/٤٢ .

وقال الآخـــر :

فَهَلْ لكم فيها إليَّ فإنَّنى طبيبٌ بما أعيا النِّطاسِيَّ حِذْيَما (٢)

ومعنى أحب حب . قال البصريون : لا يقال فى الماضى إلا أحب فلان فلانـــا ، وأَحْبَبْتُ فلانا بالألف ، قالوا : ويقال فى المستقبل أَحِبُّ فلانا وأُحِـــــبُّ ، ويقال فى المفعول : رجل مُحَبٌّ ومحبوب قال عنترة :

ولقد نزلتِ فلا تَظُنِّى غـــيرَه منِى بمنزلةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ (٢)

فقيل لهم كيف قالوا رجل محبوب ، ولم يقولوا حبَّ فلان فلانا ؟ فقالـــوا : قد ينطق بالدائم على بناء فعل لا يتكلم به ، من ذلك قولهم رجل مجنون ، ثم قالوا فى الماضى : أجنه الله ، فبنوا الدائم على جنَّ ولم يبنوه على أجن ، ولو بنوه عليه لقالوا رجل مُجَنٌّ .

وقال الكسائى والفراء : أحببت الرجل وحببته ، وأنشد :

أُحِبُّ أبا العصماء من حُبِّ تَمْرِهِ وأعلمُ أنَّ الرفقَ بالعبد أَرفَقُ

ووالله لولا تمرُهُ ما حَبَبْتُـــــه وماكان أَدْنَى من عُبَيدٍ ومَشْرِق

وقال السجستانى حدثنا أبو عامر عن ابن الأشهب عن أبى رجاء أنه قرأ ( فاتبعونى يَحْبِبْكُمُ الله ) (٣) ، وقولهم فى هذا المثل من حب طب ، يدل على صحة قول الكسائى والفراء" (٤) .

تلك بعض الشروح التى توضح اهتمام أبى بكر بالقضايا اللغوية والنحوية ، وفى مقابلها شروح المفضل ، التى لا نجد فيها التفاتا إلى هذا الجانب الهـــام إلا نادرا .

---

(١) البيت فى لسان العرب ( نطس ) ٨/١١٧ ) وهو لأوس بن حجر .
(٢) البيت فى شرح القصائد السبع الطوال ٣٠١ .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) ١١٨/أ .

ففى النص الأول يشرح عبارة ( هَلُمَّ جرًا ) شرحا تفسيريا يوضح المعنى العام فحسب. أما أبوبكر فقد تعرض لها مفسرا معناها ، موضحا مختلف وجوهها الإعرابية ، ومبينا أقوال البصريين والكوفيين فيها ، مع تحديد موقفه منها ، ذاكرا رأيه ، ومختتما كلامه بعرض أحوال هذا التركيب فى الإفراد والتثنية والجمع بنوعيهما . ونلاحظ مثل هذا التتبع لأحوال التركيب فى الإفراد والتثنية والجمع فى النص الرابع أيضا .

وإذا بحثنا عن سبب اهتمام أبى بكر بتتبع المثنى والجمع فى التراكيب اللغوية فى الكتاب، فلا نكاد نجد له تفسيرا غير الغرابة فى الاستعمال ، ( فَهَلُمَّ جرًا ) تركيب مألوف فى حالة الإفراد ، ولكنه ليس كذلك فى حالتى التثنية والجمع. وقد يضاف إلى هذا تفسير آخر مرتبط به وهو استلطاف القارئ لمعرفة مثل تلك الإضافات الغريبة ، رغم كونها مطابقة لقواعد اللغة .

ونلاحظ فى النص الثانى نموذجا لتتبع أبى بكر لمختلف اللغات المسموعة فى لفظة ( لَبُوءَة ) . وأما المفضل فإنه يقف عند الأقوال التى تفسر العبارة ، يعرضها من غير أن تستوقفه هذه المسألة .

ومع أنه يتعرض لإعراب ( وحده ) فى النص الثالث إلا أنه لم يفصل القول فيه ، على نحو ما فعله أبو بكر من الشرح والتعليق على إعرابه ، ومن عرض أقوال أبرز أئمة اللغة فى هذا الإعراب.

وفى النص الخامس نلاحظ لأبى بكر إضافات وتعليقات لغوية ونحوية كثيرة .

وهذه الميزة اللغوية بارزة عنده ، فهو يقف دائما على الجوانب اللغوية فى العبارات يحللها ويناقش مقدما مختلف الآراء والأقوال فيها مما لا نجده عند المفضل إلا نادرا ، فان وقف المفضل أمام بعضها فى بضع حالات نادرة ، فوقفة عجلى ، لا تعطى الموضوع حقه كما رأينا فى النص الثالث.

ويمكن توكيد هذه المظاهرة بالرجوع إلى الكتابين لكى نوازن بينهما من هذا الجانب فى أمثلة أخرى كثيرة ، منها على سبيل المثال شرح العبارات والأمثال التالية : ( وقع القوم فى وَرْطَة ) (١) ، و( ماله سَبَدٌ ولا لبدٌ )(٢) ، و( يأتيكَ بالأمرِ من فَصِّه ) (٣) ، و( افعل هذا آثاراً ) (٤) ، و( لا جَرَمَ أنك محسن )(٥) وغيرها .

ونخرج بعد الموازنات السابقة ، بين الشرحين بنتيجة هامة وهى أن شخصية المفضل بن سلمة فى كتابه لا تتعدى كونه شارحا ، على حين تظهر شخصية أبى بكر بن الأنبارى فى كتابه شخصية عالم لغوى بصير بقضايا اللغة والنحو.

سادسا : ونلاحظ شيئا من الاختلاف فى ألفاظ العبارات عند كل منهما فى كثير من الأحيان ، ولكنهما يتفقان دائما على اللفظة الأساسية ـ أومادتها ـ فى العبارة ، والتى يكون عليها مدار الشرح ، ومن العبارات التى يظهر فيها الاختلاف :

| عبارة المفضل بن سلمة | عبارة أبى بكر بن الأنبارى |
|---|---|
| ( تَبلَّدَ الرجل ) | ( رجل بَليدٌ )(٦) |
| ( صَبَغُونى عندك ) | ( صبغونى فى عينكَ ) (٧) |
| ( غَفَرَ الله له ) | ( اللهم اغفر لنا ذنوبَنا )(٨) |
| ( محصَّ الله ذنوبَه ) | ( اللهم مَحِّصْ عنا ذنوبنا ) (٩) |
| ( حَسيبُك الله ) | ( حسبُنا الله ونعم الوكيل ) (١٠) |
| ( قَمْقَمَ الله عليه ) | ( قمقم الله عَصَبَ فلان ) (١١) |
| ( صَمَتَ ألفاً ونَطق كفرا ) | ( سَكَتَ ألفاً ونطق خَلْفاً )(١٢) |

---

( ١ ) الفاخر ١٨ ، والزاهر ٩٩/أ والعبارة فى الفاخر : ( وقع فى ورطة ) .
( ٢ ) الفاخر ٢١ ، والزاهر ١٧٦/أ ( ٣ ) الفاخر ٢٨ ، والزاهر ٨٠/ب .
( ٤ ) الفاخر ٢٨ ، والزاهر ١٠٢/ب والعبارة فى الفاخر : ( افعل ذاك آثرا ما ) .
( ٥ ) الفاخر ٢٦١ ، والزاهر ٩٨/أ والعبارة فى الفاخر : ( لا جرم لقد كان كذا ) .
( ٦ ) الفاخر ١٦ ، والزاهر ٤٤/أ . ( ٧ ) الفاخر ١٢٦ ، والزاهر ١٢١/ب .
( ٨ ) الفاخر ١٣٤ ، والزاهر ٦/ب . ( ٩ ) الفاخر ١٣٥ ، والزاهر ٦/أ .
( ١٠ ) الفاخر ١٨١ ، والزاهر ٢/ب .
( ١١ ) الفاخر ١٩٩ ، والزاهر ١٢٠/أ .
( ١٢ ) الفاخر ٢٦٩ ، والزاهر ١٨١/أ .

| عبارة المفضل بن سلمة | عبارة أبى بكر بن الأنبارى |
| --- | --- |
| ( هو يَتَضَوَّر ) | ( تركتُهُ يَتَضَوَّرُ )(١) |
| ( ازدَمَلَّهُ ) | ( قد ازْدَمَلَّ فلان الحِمْل ) (٢) |

سابعا : يهتم المفضل بقصة المثل ، ويذكر أول من قاله ، وقد بالغ فى ذلك حتى ليحسب أن كتابه من الكتب الأخبارية ، على نحو مافعل فى شرح المثل ( وَقَع بينهم حربُ داحسَ والغَبْرَاء ) (٣) حيث ذكر القصة وشرحها فى ست صفحات ليست من اللغة فى شىء اللهم إلا بعض الشواهد الشعرية التى وردت فى ثنايا القصة .

وأما أبو بكر فهمه منصرف إلى الشرح والتعليق اللغوى قبل كل شىء ، ولا يخرج عن هذا المنهج إلى عرض القصة إلا نادرا ، على نحو مافعل فى الأمثال التالية : ( أسرعُ من نِكاحِ أمِّ خارِجَةَ )(٤) ، و( أنجزَ حرٌّ ماوعد )(٥) و( اختَرْوَنا فيها حظَّ لمختار )(٦) ، و( ندم ندامة الكسعى )(٧) .

وإذا تعرض للقصة فى مثل هذه الحالات القليلة ، فانه يوردها غالبا مختصرة ، وبذلك تكون قصته مقبولة أثناء شروحه اللغوية لأنها لا تكون طويلة . ولعل أبا بكر يتعمدها عندئذ بغية المرواحة بين المادة اللغوية العلمية ، والقصة الطريفة ، لكى لا يمل قارئ الكتاب .

ومن الأمثال التى تطول قصتها عند المفضل ، وتشرح خالية من القصة عند أبى بكر قولهم ( الحديثُ ذو شجون )(٨) ،

بدأ المفضل شرحه لهذا المثل بتفسير لغوى فى عبارة واحدة هى "أى نو فنون وتشبث بعضه ببعض" ، ثم نص على أن أول من قاله هو ضَبَّة بن أُدّ بن طابخة ، ونقل قصة المثل كاملة عن المفضل الضبى ، وليس فى هذه القصة

---

(١) الفاخر ٢٧٥ ، والزاهر ٢٤٦/ب .
(٢) الفاخر ٢٨٧ ، والزاهر ٢٠٠/أ .
(٣) ص٢١٩ - ٢٢٤ .
(٤) ٢٨٨/أ .
(٥) ٢٩٣/ب .
(٦) ٢٥٠/أ .
(٧) ٢٥٥/ب .
(٨) الفاخر ٢٤٨ ، والزاهر ١٧٦/أ .

مايتعلق باللغة مباشرة غير مثلين يردان فى عرض القصة ، وغير أبيات للفرزدق ختم بها القصة ، ومنها الذى يشير فيه إلى نص المثل وهو

فلا تأمَنَنَّ الحربَ إنْ استعارها كضبَّة إذ قال الحديثُ شُجونُ

وأما شرح أبى بكر فهو مختلف تماما عن هذا ، فهو لم يتعرض لقائل المثل ، ولا لقصته ، بل شرحه شرحا لغويا خالصا ، مستشهدا بأقوال بعض العلماء فيه ، ومحتجا لشرحه بشاهدين أحدهما بيت الفرزدق المتقدم ، والآخر حديث للرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذ النحو شرح أبوبكر قولهم ( العَصَا من العُصَيَّة )[1] ، و( ويلٌ للشَّجِيِّ من الخليِّ ) ، وعلى ذاك النحو شرحهما المفضل .

ثامنا : تشابه الكتابين فى مصادرهما :

أهم العلماء الذين ينقل عنهم المفضل بن سلمة فى فاخره : الفراء ، والكسائى ، والأصمعى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى ، وابن السكيت ، والمفضل الضبى ، وهؤلاء من مصادر أبى بكر الأساسية كما مرينا ، وينقل المفضل أيضا عن الخليل وابن الكلبى ، وأبى الحسن اللحيانى ، وأبيه سلمة بن عاصم ، وهؤلاء من أصحاب المصادر التى أخذ عنها أبوبكر ابن الأنبارى ولكنه لم يكثر الأخذ عنهم .

وقد كان ثعلب أستاذا لهما كليهما ، والغريب أن المفضل لم ينقل عنه لا من مسموعاته ، ولا من كتابه فى الأمثال ، ولذلك فقد فاته الكثير من شروحه وآرائه القيمة ، التى أثبتها أبو بكر فى زاهره ، وقد تقدم القول أنه نقل عنه فى أكثر من مائتين وستين موضعا .

---

(١) الفاخر ١٨٩ ، والزاهر ٢١٧/أ .
(٢) الفاخر ٢٤٨ ، والزاهر ١٧٦/أ .

ولا يكاد يوجد اختلاف واضح بينهما فى المصادر غير إضافة ثعلب عند أبى بكر . ولعل هذا التشابه الكبير بينهما فى المصادر من أسباب وهم الصولى فى حكمه السابق ، ذلك أن التشابه الكبير فى المصادر قد يؤدى إلى التشابه فى المادة العلمية ، فقد رأينا فى الأمثلة التى عرضت آنفا أن ثمة اتفاقا فى عناصر الشرح بينهما ، مع اختلافهما فى ترتيب العرض ، واتفاقا فى نصوص الشرح أحيانا .

والخلاصة :

أن مادة الزاهر تزيد على مادة الفاخر بحوالى ثلاثمائة عبارة .

وأنه يختص - دون الفاخر - بمجموعة كبيرة من العبارات الدينية .

ويمتاز بزيادات وتفاصيل كثيرة فى الشروح اللغوية والشواهد المتعددة .

وفيه إضافات قيمة فى مسائل اللغة والنحو ، مما يعرضه أبو بكر بن الأنبارى خلال شرحه .

كما يختلف الزاهر عن الفاخر فى صيغ كثير من العبارات التى جاءت فى كليهما .

وغنى عن الذكر أن أبا بكر لم يجعل من همه وسنده تتبعه لقصص الأمثال .

ولا يوجد تشابه حرفى بين نصوص الكتابين إلا نادرا ، وذلك مما يؤكد رجوع أبى بكر إلى الفاخر ولا يعنى بالطبع أنه نقله فى زاهره كما زعم الصولى .

أهمية الزاهر وأثره فى اللاحقين :

عنى اللغويون العرب كثيرا بدراسة الأمثال وأفردوا لها كتبا متعددة - وقد مر بنا ذكر أشهرها - ولكن إسهامهم فى دراسة العبارات والتراكيب اللغوية كان - مع الأسف - قليلا ، فلم يفردوا دراستها فى كتب خاصة ، وقلما كانوا يميزون بينها وبين الأمثال .

ومن هنا برز "الزاهر" بصفته مصدرا من أهم المصادر اللغوية لدراسة العبارات والتراكيب اللغوية المأثورة ، فقد قدم فيه ابن الأنبارى ما يربو على سبعمائة عبارة لغوية ، وهى ثروة لا نجدها بهذه السعة فى أى كتاب آخر .

وقد انفرد "كتاب الزاهر" بطائفة من العبارات اللغوية الإسلامية فى مختلف العبادات والشعائر الإسلامية ، وهى من إضافات أبى بكر الخاصة ، ولا نجدها فى كتاب آخر ، وإن وجدت فلا تزيد على بضع عبارات .

ويفيد "الزاهر" أيضا فى دراسة بعض المسائل اللغوية والنحوية المتضمنة فى بعض عباراته ، والتى يناقشها أبو بكر مناقشة علمية وافية ، يعرض فى أكثرها أقوال أئمة البصريين والكوفيين ، كما رأينا فى طائفة من العبارات التى ذكرت آنفا .(١)

والكتاب مصدر غنى بالشواهد اللغوية وبخاصة الشعرية منها وهو يسوقها لتفسير المعانى ، أو للاحتجاج بها فى قواعد اللغة والنحو .

وهذه ميزة نلاحظها عند أبى بكر فى معظم مؤلفاته ، فهو لا يكاد يذكر تفسيرا ، أو قاعدة ، إلا يحتج لها بشاهد من الشعر أو القرآن أو الحديث ، أو المأثور من كلام العرب . ومن هنا فقد نالت الشواهد حظا أساسيا فى الكتاب ، وهل يقوم "الزاهر" إلا على شرح العبارات والأمثال بالاعتماد على الشواهد .

ويعتمد أبو بكر فى شرحه للعبارات على أقوال أئمة اللغويين والنحاة اعتمادا كبيرا ، وغالبا ما يفسر العبارة الواحدة بعدة أقوال فهو يذكر إلى جانب رأيه كل ما عنده من أقوال المتقدمين ، يقتبس آراءهم وأقوالهم بنصوصها ، محددا لكل قول قائله فى أغلب اقتباساته .

وهذه الاقتباسات الكثيرة مهمة ، وتفيدنا علميا فى أمرين : أولهما : تحقيق النصوص . وثانيهما : التعرف على مجموعة من كتب الأمثال المفقودة .

---

(١) راجع ص ٣٠٣ وما بعدها .

وقد مر بنا أن أبا بكر نقل منها كثيرا ، وأنه نقل عن أستاذه ثعلب أكثر من ستين ومائتى مرة ، وعن أبى عبيدة أكثر من ثمانين ومائة مرة ، وعن الأصمعى أكثر من ثلاثين ومائة مرة ، وعن ابن الأعرابى أكثر من ثمانين مرة . وهؤلاء كلهم من مؤلفى الأمثال الذين لم تصل إلينا كتبهم ، ولا شك أن فيهم من اهتم بالعبارات اللغوية .

ولهذه النقول وزن كبير فى رسم صورة واضحة لمؤلفات أصحابها فى الأمثال والعبارات اللغوية ، فلو جمعنا المادة المقتبسة لكل واحد منهم على حدة لخرجنا بما يشبه كتابا لكل واحد منهم ،

وينقل أبو بكر أيضا عن كل من يونس بن حبيب وأبى زيد الأنصارى ، وأبى الحسن اللحيانى ، وابن السكيت ، وأبيه القاسم ابن محمد الأنبارى . وكلهم من مؤلفى الأمثال الذين لم تصل إلينا كتبهم ، وهؤلاء وان كانت نقوله عنهم لا تشبع حاجة التعرف إلى مؤلفاتهم إلا أنها تفيد فى معرفة طريقة شرحهم للأمثال والعبارات .

ومن كل ماسبق تتضح أهمية "الزاهر" بوصفه مصدرا هاما من المصادر اللغوية ، وليس أدل على ذلك من كثرة نسخه المخطوطة حتى بلغت اثنتى عشرة نسخة ،[1] معظمها يحتوى على قراءات وتمليكات مشهورة تدل على كثرة تداوله فى الأوساط العلمية ، مما يؤكد أنه نال مكانة مرموقة بين العلماء والدارسين فى مختلف العصور .

ولذلك فقد أقبلوا عليه مهتمين بقراءته والنقل منه .[2]

---

(١) راجع ص ٢١٨

(٢) انظر أسماء مجموعة من العلماء الذين قرءوه فى فهرسة ما رواه ابن خير الأشبيلى عن شيوخه ص ٣٤١ ، ومنهم القالى ، وابن سيخت ، وابن عبد البر ، وغيرهم .

وقد بلغ من اهتمام العلماء بالزاهر أن اختصره اثنان منهم هما أبوالقاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (١)، وأبو بكر خطاب بن يوسف المارىّ القرطبى (٢).

فأما مختصر الزجاجى فقد نال شهرة طيبة، وثناء كبيرا من بعض العلماء (٣).

وقد وصل إلينا الكتاب، ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب بالقاهرة، ورقمها (٥٥٧)، وقد سعيت فى طلبها كثيرا، ولم أتمكن من الحصول على صورة منها، فاعتمدت فى الحديث عن الكتاب على مقدمته، التى نقلها مازن المبارك كاملة فى كتابه (الزجاجى، حياته، وآثاره، ومذهبه النحوى) (٤)

ويمكن أن نتعرف على هذا المختصر من خلال تلك المقدمة التى وضعها الزجاجى، والتى شرح فيها منهجه شرحا واضحا.

ونفهم منها أن دور الزجاجى فى مختصره برز فى ثلاثة أمور: حذف، واضافة، وتصحيح.

فأما الحذف فقد نال الشواهد الكثيرة التى أوردها ابن الأنبارى والأوجه المختلفة التى ذكرها فى معنى العبارة الواحدة. وقد كان ترك هذين الجانبين من "الزاهر" هو السبب الأساسى فى تقليص حجمه فى المختصر. كما اكتفى الزجاجى بذكر اللغة المشهورة فى الكلمة الواحدة من غير أن يتعرض للغاتها الأخرى التى تتبعها أبو بكر. ولم يذكر الزجاجى أنه أسقط أشياء أخرى غير هذه.

---

(١) من أئمة اللغة والنحو، ومن الذين خلطوا بين المذهبين، أخذ عن أبى إسحاق الزجاج - وإليه نسب - وعن أبى بكر السراج، وعلى بن سليمان الأخفش وغيرهم له كتاب "الجمل" وقد حظى بشهرة كبيرة، والإيضاح فى علل النحو، وأدب الكاتب وغيرها. توفى سنة (٣٣٩هـ) وقيل (٣٤٠هـ).
انظر نزهة الألباء ٣٠٢، وانباه الرواة ٢/ ١٦٠، وطبقات النحويين واللغويين ١٢٩، وبغية الوعاة ٢٩٧، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ١٢١.

(٢) لغوى، نحوى، من أهل قرطبة، متقدم فى علوم اللسان، وممن يؤخذ عنه، ويرغب فيه، روى عن ابن الفخار، وأحمد ابن الوليد، وهلال بن عريب وغيرهم. له مختصر الزاهر، وكتاب الترشيح فى النحو. توفى بعد سنة (٤٥٠هـ)، وقيل سنة (٤٥٠هـ)
انظر التكملة لكتاب الصلة ١/ ٢٩١، وبغية الوعاة ٢٤٢، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٧٧، وكشف الظنون ١/ ٥٠٧ و ٢/ ٩٤٨، وإيضاح المكنون ١/ ٢٨١، وهدية العارفين ١/ ٣٤٧، ومعجم المؤلفين ٤/ ١٠٣.

(٣) انظر المزهر ١/ ٨٧.

(٤) ص٢٨ ومابعدها، وذكر بروكلمان نسخة أخرى من هذا المختصر فى ميونخ.
انظر تاريخ الأدب العربى ٢/ ٢١٥.

وأما الإضافه فقد كانت فى باب لاشتقاق أسماء البلدان، وأسباب تسميتها، وقد استوحى الزجاجى فكرة هذا الباب مماذكره ابن الأنبارى فى شرح قولهم ( فلانٌ مِنْ أهل مصرَ ) (١)، وقد عرض فيها أبو بكر الأوجه المختلفة لمعنى مصر، وسبب تسميتها بذلك ، ثم استطرد منها إلى معانى أسماء بعض البلدان ، استهوته أسباب تسميتها فذكرها ومن ذلك وقوفه على سبب تسميه العراق ، ومكه ، والكوفة ، واليمامة ، والبحرين وغيرها . (٢)

كما أضاف الزجاجى إلى آخر مختصره بابا فى شواذ اللغة ونوادرها ، إلى جانب إضافاته اللغوية الأخرى فى مواضع مختلفه أثناء الشرح ، وبخاصة فى بعض الأوجه الجديدة ، لتفسير بعض العبارات مما فات ابن الأنبارى ذكره .

ولم يسقط الزجاجى شيئا من عبارات الزاهر ، ولكنه تصرف فى ترتيب عرضها ، فلم يلتزم ترتيب ابن الأنبارى ، ولم يأت بترتيب جديد ، ولكنه قدم بعض العبارات ، وأخر بعضها ، فاختلف ترتيبه عن الأصل .

وأما التصحيح فقد كان فى بعض مسائل النحو الخلافية بين البصريين والكوفيين ، ذلك أن أبابكر كان يرجح فى كتابه آراء الكوفيين ، وقد يغفل أو يتغافل عن ذكر آراء البصريين ، فرأى الزجاجى أن يصحح لأبى بكر آراءه الكوفية ، وأن يكمل الموضوع بذكر ما أغفله من آراء البصريين فى بعض المواضع .

ورغم الإضافات التى أتى بها الزجاجى ، فإن الاختصار كان هدفه الأول ، ولذلك فقد أخرج مختصره فى أقل الثلث من حجم الزاهر .

وأما مختصر المارديّ فانه لم يصل الينا ، ولذلك فلا نستطيع أن نتعرف عليه ، وغالبا مايقوم - كغيره من المختصرات اللغوية - على إسقاط الشواهد ، وإيجاز الشروح ، والتعليقات .

---

(١) ٢٢٢/أ .
(٢) ٢٢٢/أ - ٢٢٥/ب .

وذكر المستشرق زلهايم أن خطاب بن يوسف الماردى كان مجرد راوية لهذا المختصر ، وأن مؤلفه هو الزجاجـــى(١) . وهذا يعنى أنه لا يوجد للزاهر إلا مختصر واحد ، هو ماعمله الزجاجى ، وليس الأمر كذلك ، فقد ذكر ابن خير الكتابين كليهما ، وبسندين مختلفين ، قال ابن خـــير :

" كتاب اختصـــار الزاهر ، لابن الأنبارى ، تأليف أبى القاسم الزجاجـى . حدثنى به الشيخ أبو حفص عمر بن عباد بن أيوب اليحصبى ، عن أبى حفص عمر بن خطاب بن يوسف بن هلال الماردى عن أبيه عن الفقيه أبى عبد الله بن الفخار عن أبى الحسن على بن محمد بن إسماعيـــل بن محمد ابن بشير التميمى الشافعى الأنطاكى عن أبى القاسم الزجاجى مؤلفـــه" . (٢)

ثم ذكر بعد هذا مباشـــرة ، المختصر الثانـــى فقال : "كتـــــاب إختصار الزاهر" لابن الأنبارى أيضا ، تأليف الأستاذ أبى بكر خطاب بن يوســف الماردى . حدثنى به الشيخ الفاضل أبو حفص عمر بن عباد بن أيوب ـ المذكور ـ عن أبـــى حفص عمر بن خطاب بن يوسف عن أبيه ، مؤلفه رحمه الله . وحدثنى به أيضا الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محرز عن أبيه رحمه الله ـ عن أبى حفص عمر بن خطاب بن يوسف ـ المذكور ـ عن أبيه مؤلفه" (٣)

فابن خير يؤكـــد هنا أننا أمام كتابين مختلفين لا كتاب واحد ، ولا سبيل إلى الشك فى كتاب الماردى ، فقد نص ابن خير على أنه من تأليفه وذكر قبـــل ذلك لفظ "أيضـــا" ليؤكـــد أن هذا الكتـــاب غير ذاك الذى ذكـــره للزجاجـــى سابقا ، ثم أكـــده مرة أخرى فى نهاية السند بقوله : "مؤلفـــه" ، وبالإضافة إلى ذلك فقد وثق ابن خير سنده بروايتين ـ على نحو ماضى فـى النص السابق ـ إحداهما عن اليحصبى ، وأخراهما عن ابن محرز .

---

(١) الأمثال العربية القديمة ١٨١ .
(٢) فهرسة مارواه عن شيوخه ٣٤١ .
(٣) فهرسة مارواه ابن خير ٣٤٢ .

هذا وقد ذكر مختصر المارد ى كل من السيوطى[١] ، وابن الأبار،[٢] والفيروآباد ى[٣] ، وحاجى خليفة[٤] ، وكل ذلك يد ل من غير شك على أن مختصـــر المارد ى غير مختصر الزجاجى .

وواضـــح ،أن سبب وهم زلهايم هـــهنا هو كون المارد ى ممن رووا مختصر الزجاجـــى ،ليس غير . وللمستشرقين كثير من الأخطاء المقصودة فـــى حديثهم عن تراثنا وتاريخنا وعن كل مايتصل بمجـــد الأمة الإسلامية .

وقد أفاد المتأخرون من زاهر ابن الأنبارى كثيرا ، واعتبروه من مصادرهم المهمة فى دراسة العبارات اللغوية ، ومن الذين استخدموه فى مؤلفاتهم الأزهرى ، وقد ذكره ضمن مصادره فى "تهذيب اللغة"[٥] كما نص السيوطـــى ،فـــى الإتفاق على رجوعه إليه،[٦] واستخدمه ابن نباتة المصرى فى كتابه "مطلع الفوائد ومجمع الفرائد".[٧] كمـا أفاد منه كثير من جماع العبارات اللغويه والأمثال ومنهم تلميذه حمزة بن الحسن الأصـفهانى ، فى كتابه "الدرة الفاخرة"[٨] وأبو هلال العسكرى فى "جمهرة الأمثال"[٩] ، وأبو عبيد البكرى فى "فصل المقال"[١٠] وأفـاد منه أيضا بعض مؤلفـــى المعاجم كابن منظور فى "لسان العرب"[١١] والزَّبيد ى فـــى "تاج العروس".[١٢] وقد اعتمد هذان كثيرا على ابن الأنبارى فى تفسير المستغلق من معانى العبارات اللغوية .

* * *

---

(١) بغيـــــة الوعاة ٢٤٢ . (٢) التكملة لكتاب الصلة ١/ ٢٩١ .
(٣) البلغـــة فى تاريخ أئمة اللغة ٧٧ . (٤) كشف الظنون ٢/ ٩٤٨ .
(٥) المقدمـــــة ص ١٣ . (٦) ١/ ٨ .
(٧) ص ٢٣، ٣٦، ٣٨ .
(٨) انظر الأمثال العربية القديمة ص ١٩٤، و ١٨٧ .
(٩) ص ٢١، و ٢٤ .
(١٠) ص ٥٨، ٦٣، و ٣٠٦ .
(١١) انظر المواد التالية : ( شهد ) ٤/ ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٠، و( ضور ) ٦/ ١٦٦، و( خيس ) ٧/ ٣٧٧، و( أفف ) ١٠/ ٣٤٩، و( لبق ) ١٢/ ٢٠٢، و( قمل ) ١٤/ ٧٨، و( هلم ) ١٦/ ١٠٢ .
(١٢) انظر المواد التالية : (شهد ) ٢/ ٣٩١، ٣٩٢، و( ضور ) ٣/ ٣٥٥، و(خيس) ٤/ ١٤٤، و( أفف) ٦/ ٤١، ٤٢، و(لبق ) ٧/ ٥٩، و(قمل ) ٨/ ٧٨، و(هلم) ٩/ ٢٠٨ .

## كتـــاب الأضـــداد

* ظاهـــرة الأضـــداد .
* موقف الدارسين منهـــا .
* مؤلفـــو الأضـــداد .
* أسباب وقوع الأضـــداد .
* أنواعهـــا .
* دراسة موجزة لكتاب الأضـــداد لابن الأنبارى .
* نســـخ الكتـــاب .
* سبـــب تأليفـــه .
* منهجـــه .
* موقف ابن الأنبارى من الاضـــداد .
* الفوائد اللغوية فى الكتـــاب .
* شواهـــد .
* مصادره .
* أهميتـــه واضافاته .

* * *

## ٤ ـ كتاب الأضداد

بين يدى الكتاب :

اعتاد أهل العلم وطلابه ـ حين يتصدى بعضهم لدراسة كتاب من الكتب ـ أن يعرض فى الخاتمة أو المقدمة لما قد يفيده هذا الكتاب فى موضوعه ، كما اعتادوا على أن يعقدوا الموازنات بينه وبين غيره من الكتب التى ألفت فى بابه ، سواء أكانت هذه الكتب سابقة له ، أم كانت لاحقة به ، لكى يستنبطوا مدى تأثر المؤلف بمن سبقه ، ومدى تأثيره فيمن لحقه .

وقد وقف كثير من العلماء أمام هذه الظاهرة التى يدرسها أبو بكر بن الأنبارى فى هذا الكتاب ـ أعنى ظاهرة الأضداد ـ بوصفها ظاهرة لغوية ، يجب التعرف عليها ، لما قد يترتب من أحكام على استعمال الكلمة من هذا القبيل فى معنى غير الذى يراد لها أن تستعمل فيه . وقد كثر التأليف فى هذه الظاهرة قبل أبى بكر وبعده ، ولدينا أسفار نافعة ، تمكن الدارسين من وضع كل كلمة فى الموضع الذى ينبغى أن توضع فيه .

ولا شك أن مما يهتم به فى دراسة كتاب ما ، معرفة الدافع الذى دفع المؤلف إلى صنع كتابه هذا ، وكذلك التعريف بالمنهج الذى سار عليه فى علاجه مادة الكتاب ومايمكن أن يحققه الكتاب من فائدة لمن يطلع عليه ، وما قد يكون فيه من شواهد ، وحجج ، ومايفتح هذا التأليف من أبواب مغلقة تعطى دراسته مفاتيح العلم والمعرفة .

## ظاهـــرة الأضـــداد

هذه الظاهرة من الظواهر اللغوية التي وقف عندها معظم دارسي اللغه قديما وحديثا . ورغم كثرة الدراسات حولها إلا أنها مازالت محاطة ببعض الغموض .

والمحور الرئيسى الذى تدور عليه دراسة هذه الظاهرة هو كيفية إمكان وقوع اللفظة الواحدة على معنيين متضادين فى آن واحد ! فهل يمكن أن يطلق العربى اللفظة الواحدة على معنيين متضادين فى آن واحد ؟

### الأضداد والمشترك اللفظى :

ومما لا شك فيه أن دراسة الأضداد دراسة دلالية مثلها مثل المشترك اللفظى ، ومن هنا أرى أنه لابد من الإلمام بظاهرة المشترك إلماما سريعا ، وذلك لاشتراك الظاهرتين فى نوعية الدراسة ، ولكون الأضداد أصلا نوعا من المشترك اللفظى ، ولذلك تشترك الظاهرتان فى بعض أسباب نشوئهما ، ومن هنا فهذا الإلمام يفيدنا فى معرفة الفرق الدقيق بين الأضداد والمشترك اللفظى .

ويمكن تعريف المشترك " بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة "[1] ، وهو ماعبر عنه سيبويه[2] باتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين ".[3]

ويشترط فى هذه الظاهرة أن يكون استعمال المعانى المختلفة للفظة الواحدة استعمالا حقيقيا ، لاعلى سبيل المجاز ، وألا يكون الاشتراك " قصدا فى الوضع ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشئ فتكثر ، وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ."[4]

---

(١) المزهر ١/٣٦٩ .

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء ، إمام النحاة ، ألف الكتاب فبسط به علم النحو ، ولد فى إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ وقدم البصرة وأخذ عن الخليل وعيسى بن عمرو والأخفش الأكبر ، توفى سنة ١٨٠هـ وقيل غير ذلك . انظر تاريخ بغداد ١٢/١٩٥ـ١٩٩ ، وطبقات النحويين واللغويين ٦٦ـ٧٤ ، ومراتب النحويين ٦٥ ، وأخبار النحويين البصريين ٥٨ـ٦٣ ، ونزهة الألباء ٦٠ـ٦٦

(٣) الكتاب ١/٧ .

(٤) المخصص ١٣/٢٥٩ .

ومن الأمثلة المشهورة للمشترك لفظة "العَيْن" التى تجئ بعـــدة معان أهمها : عين الإنسان التى ينظر بها ، وعين الشئ يعنى نفسه، وعين المـــاء الذى ينبع من الأرض ، وعين الجيش : جاسوسه ، والعين عين الميزان ، والعين مطر لا يقلع أياما ، فهذه ستة معان للفظة العين ، ولها معان أخر.(١)

وقد أنكر بعض العلماء ــ وأشهرهم ابن درستويه ــ(٢) وقوع المشترك اللفظى فى اللغة العربية ، إلا أكثرهم على جوازه ، بدليل أنه "لا يمتنع عقلا أن يضـــع واحد من أهـــل اللغة لفظا واحدا على معنيين مختلفين .... ويوافق عليه الباقون ، أو أن يتفق وضع إحـــدى القبيلتين للاسم على معنـــى حقيقة ، ووضع الأخـــرى له بإزاء معنى آخر ، من غير شعور لكل واحدة بما وضعته الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ويخفى سببه ، وهو الأشبه ... ( ولـــو ) لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة فى اللغة ــ مع أن المسميات غير متناهية والأسماء متناهية ضرورة تركيبها من النصوص المتناهية ــ لخلت المسميات عن الألفاظ الدالـــة عليهـــــا مع دعو الحاجه ".(٣)

وثمـــة دليل ثالث ، وهو رد على منكرى وقوع المشترك فى اللغة العربية الذين زعموا أنه إذا تعلق باللفظ أكثر من معنى وقع لبس فى الكلام وغموض فى الفهم ، ويرد عليهم بأن السياق هو الذى يحدد المعنى المقصود ، ولا داعـى من خوف وقوع اللبس ، لأن "كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أولـه بآخـره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه ، إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه"(٤)

---

(١) انظر معانيها فى المزهر ١/ ٣٧٢ ــ ٣٧٥ ، وانظر أمثلة أخرى للمشترك ص٣٧٦ وما بعدها .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، من علماء اللغة ولـد سنة ٢٥٨هـ وأخذ عن ابن قتيبة والمبرِّد . له تفسير كتاب الجرمى ، والإرشاد فى النحو، وشرح الفصيح . توفى سنة ٣٤٧هـ . انظر الفهرست ٦٨ــ٦٩ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨ ــ٤٢٩ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٢٧ ، ونزهة الألباء ٢٨٣ــ ٢٨٥ وبغية الوعاة ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

(٣) الإحكام فى أصول الأحكام ، للآمدى ١/ ١٩ ، فى لسان العرب (دعا) ١٨/ ٢٨٣ دعا الرجل دَعْوا ودُعاء : ناداه ، والاسم الدَّعْوة ، دعوت فلانا أى صحت به واستدعيته"

(٤) أضداد ابن الأنبارى ٢ .

وهذا هو المذهب الذى تمسك به أبو بكر بن الأنبارى ، ودافع به عن الأضداد ، كما سنرى فى هذا الفصل .

أما أسباب نشوئها فيمكن أن نلخص أهمها فيما يلى :

١ــ الانتقال من المعنى الحقيقى إلى معنى آخر مجازى ، ثم انتشار هذا المعنى المجازى ، وكثرة تداوله ، مثال ذلك لفظ "الحَمَـــل" وهـو يطلق على الخروف ، وعلـى أحد أبراج السماء ، وعلى السحاب الكثير الماء .

٢ــ سوء فهم المعنى : وهو غالبا مايحدث عند الناشئين بسبب الخطأ فى فهم معنى معين ، من غير أن يصحح لهم مما يؤدى إلى المضى فى الخطـأ ثم ينتشر هذا المعنى الجديد بالتداول .

٣ــ استعارة لغة ما من لغة أخـرى ألفاظا تشابهها فى الصورة ، وتغايرها فى المعنى نحو ( البُـــرْج ) فى اللغة العربية ، فهى مستعارة من اللغة اليونانية بمعنى الحصن ، علما أن مادة ( برج ) موجودة فـــى اللغة العربية ، بمعان مختلفة .

٤ــ تعدد اللهجات فى اللغة الواحدة : قد يختلف بعض القبائل فى استعمال ألفاظ معينة ، فيضيف جامعو اللغة المعانى الناتجة عن هذا الاختلاف بعضهـا إلى بعض دون الإشارة الى نسبة كل منها إلى قبيلتها ، ( فالألَفّتُ ) فى لغة قيس تأتى بمعنى الأحمق ، وفى لغة تميم معناهـا الأعســـر .(١)

٥ــ التطور الصوتـــى : وقد يعـتور بعض حروف اللفظ الواحد تغـــير بالحذف أو الإضـافة ، أو الإبدال حسب قوانين التطور الصوتى ، مما يؤدى إلى مشابهتها مع اختلاف فى معانيها الأصليه نحو كلمة (النَّغَمَة) ــ مفرد النَّغَم ــ وهو حسن الصوت فى القراءة ، (والنأمة) بالمعنى نفسه فقد تطورت الثانية عن الأولى لتقارب مخرجى الهمزة والغين .(٢)

---

(١) المزهر ١/٣٨١ .
(٢) فى اللهجات العربية ١٩٥ ــ ١٩٨ .

تلك أهم أسباب وقوع المشترك اللفظى ،ويمكن أن نفسر بها كثيرا من الألفاظ المتضادة ،لأن الصلة وثيقة بين الأضداد والمشترك ، فالأضداد نوع من المشترك : ولا يختلفان إلا من حيث استعمال الألفاظ المتضادة على وجهين متقابلين فى المعنى بينما المشترك يستعمل على وجهين فأكثر ، دون اشتراط الضدية بينهما . وقد شبه ابن الأنبارى الأضداد بالمشترك من حيث تحديد معنى كل منهما بالسياق فقال : " ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة وإن لم تكن متضادة ، فلا نعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ، ويتأخر بعده ، مما يوضح تأويله ، كقولك ( حَمَل ) لولد الضأن من الشاء ،و( حَمَل ) اسم رجل لا يعرف أحد المعنيين إلا بما وصفنا ."(١)

وهذه الصلة الدقيقة بين الأضداد والمشترك هى التى أوقعت بعض جامعى الأضداد فى الخطأ الذى جعلهم يعتبرون بعض ألفاظ المشترك من الأضداد .

تعريف الأضداد :

الأضداد لغة : جمع ضِدّ ، والضِّدّ كل شئ ضادَّ شيئا ليغلبه ، فالسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، والليل ضد النهار ، ويقال ضِدُّ الشئ ، وضِدِّيُّه ،وضِدِّيَّتُه : أى خلافه .(٢)

واصطلاحا هى الألفاظ التى تحمل دلالتين متضادتين بشرط اتحاد اللفظ الذى يحمل الدلالتين ، وعلى هذا الأساس يخرج من هذا الاصطلاح كل لفظ يتقابل فى المعنى مع لفظ آخر من بنية أخرى كالبَياض والسَّواد ، والبرّ والبحر ، والسماء والأرض . ومما اتحد فيه اللفظ فى المعنيين قولهم : ( الظَّنّ ) : للشك واليقين ، و( الجَلَل ) للعظيم والحقير ، و( السَّامِد ) للاهى والحزين ، و( المَسْجُور ) للملوء والفارغ ،و( السَّاجِد ) للمنحنى والمنتصب ،و( القَشِيب ) للجديد والخلق .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٣ - ٤ .

(٢) لسان العرب ( ضدد ) ٤/ ٢٥١ - ٢٥٢ ، والقاموس المحيط (ضدد )٢/ ٣٢٠ ، والضِّدّ المثل والمخالف.

موقف الدارسين من الأضداد :

وقد أنكر فريق من العلماء ـ قديما وحديثا ـ الأضداد إذ لا يمكن عندهم أن يوقع العربى اللفظة الواحدة على معنيين متضادين فى آن واحد. وأشهر المنكرين ابن درستويه الذى ألف كتابا فى إبطال الأضداد ، وقد أشار إليه فى شرحه "للفصيح" عندما تعرض لكلمة ( النَّوء ) فقال : "النَّوء : الارتفاع : بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النَّوء : السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا "إبطال الأضداد" " (١) .

وقد ذكر ابن سيده (٢) أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد ، ولكنه لم يسمّه ، فقال : " وكان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة ، وأن تكون لفظة واحدة لشئ وضده . " (٣)

إلا أن ابن سيده رفض رأى شيخه هذا ، فأتبع كلامه بالرد عليه مدافعا عن الأضداد .

وكان الحسن بن بشر الآمدى (٤) من منكرى الأضداد أيضا حسب ما نقل عنه فى كتابه " الحروف من الأصول فى الأضداد . (٥)

ومن بين المنكرين أيضا طائفة من الشعوبيين الذين أطلق عليهم ابن الأنبارى " أهل البدع والزيغ ، والإزراء بالعرب " ، وقد وجد هؤلاء فى وقوع هذه الظاهرة فى اللغة العربية فرصة للطعن فى العرب ولغتهم فتصدى

---

(١) المزهر ١/٣٩٦ .

(٢) هو أبو الحسن ، على بن إسماعيل بن سيده المرسى ، من أئمة اللغة ، ولد سنة ٣٩٨هـ ، وكان ضريرا أخذ عن أبيه ، وعن على بن أبى العلاء صاعد البغدادى وأبى عمر الطلمنكى . له المحكم والمخصص فى اللغة . توفى سنة ٤٥٨هـ . انظر انباه الرواة ٢/٢٢٥-٢٢٧ ، وجذوة المقتبس ٢٩٣-٢٩٤ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٣٠-٣٣١ ، وبغية الوعاة ٣٢٧ ، والاعلام ٥/٦٩ .

(٣) المخصص ١٣/٢٥٨ .

(٤) هو أبو القاسم ، الحسن بن بشر بن يحى الآمدى ، نحوى ، أديب ، ناقد ، كاتب أخذ عن الأخفش والزجاج والحامض ، له الموازنة بين الطائيين ، والمختلف والمؤتلف فى أسماء الشعراء والأضداد وغيرها . توفى سنة ٣٧١هـ ، انظر انباه الرواة ١/٢٨٥-٢٨٩ ، وبغية الوعاة ٢١٨ ، والبلغة ٥٥-٥٦ .

(٥) الأضداد فى اللغة ٢٥١ و ٢٥٨ .

ابن الأنبارى للرد عليهم فى أول كتابه "الأضداد" قائلا : " هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم ، لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم ، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذى تحته ، ودال عليه وموضح تأويله فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطِب وبطل بذلك تعليق الاسم على المسمى .

فأجيبوا عن هذا الذى ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة :

أحدهن : أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على أحد المعنيين المتضادين دون الآخر ، ولا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد " .(١)

ثم مضى يسوق مختلف الأمثلة مستدلا بها على أهمية السياق فى فهم المعنى .

أما دارسو الأضداد فى العصر الحديث فمعظمهم ذهب إلى القول بوجودها فى اللغة ، إلا أنها فى نظرهم ليست بالكثرة التى ذكرها القدماء ، إذ إنها تتقلص إلى قدر محصور بتطبيق شروط الأضداد عليها ، وبمعرفة أسباب نشوئها .

والحقيقة أن كل المحدثين وقفوا عند الأضداد يعالجونها بحذر ، ولا نعدم من بينهم من يبالغ فى إنكارها إلى حد الرفض ،(٢) أو من يحددها بنحو عشرين ضدا (٣)

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ١-٢ .

(٢) مثل عبد الفتاح بدوى فى مقاله الذى نشره فى دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ٣٠٢ ، والأب مرمرجى الدومنيكى فى كتابه "المعجمية العربية" ، و"هل العربية منطقية ؟"

(٣) مثل المستشرق "جيز Giese" فى دراسته للشعر الجاهلى . انظر دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ٢٩٣ ومثل إبرهيم أنيس فى كتابه "فى اللهجات العربية" ٢١٥ .

وأهم المحدثين الذين وقفوا فى دراساتهم موقفا أقرب ما يكون الى الاعتدال : المستشرق "ردسلوب"،[١] والدكتور على عبد الواحد وافى[٢]، والدكتور صبحى الصالح،[٣] والدكتور إبراهيم السامرائى،[٤] ومحمد حسين آل ياسين.[٥]

مؤلفو الأضداد

وقد وقف فريق آخر من أئمة اللغة يدافع عن هذه الظاهرة، ويؤكد وقوعها فى اللغة العربية، وأفرد لها مجموعة منهم كتبا بحثوا فيها ودرسوا مفردات الأضداد، وتعرض لها آخرون ضمن دراساتهم اللغوية مؤكدين امكانية وقوع الأضداد فى اللغة، دون أن يكون فى ذلك تناقض، أوضعف، أولبس، أو غموض.

وكان هدف فهم الأول فى دراساتهم هو الدفاع عن القرآن ولغته وخدمة تفسيره، يقول أبو حاتم السجستانى موضحا هذا الهدف فى مقدمته القصيرة لكتابه "الأضداد": "حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد فى كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا، فأوضحنا ماحضر منه، إذ كان يجئ فى القرآن (الظن) يقينا وشكا، و(الرجاء) خوفا وطمعا، وهو مشهور فى كلام العرب، وضد الشئ خلافه وغيره، فأردنا أن يكون لا يرى[٦] من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال (وانها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون ...)[٧] مدح الشاكين فى لقاء ربهم، وإنما المعنى يستيقنون ..."[٨] ثم مضى فى عرض أمثلته من الأضداد.

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩١.
(٢) فى كتاب "فقه اللغة" ٣٥٩ - ٣٦٥.
(٣) دراسات فى فقه اللغة ص ٣٥٩.
(٤) الأضداد فى اللغة ٢٩١.
(٥) نفسه ١٠٣.
(٦) كذا بالأصل، والمقصود ظاهر.
(٧) سورة البقرة/ ٤٥.
(٨) ص ٧٢.

ويؤكد ابن الأنبارى هذا الهدف فى مقدمته التى اقتبست شيئا منها آنفا فيناقش الذين طعنوا فى اللغة العربية ، ورموا العرب بنقصان الحكمة ، وقلة البلاغة ، وكثرة الالتباس فى المحاورة والمخاطبة ، ويفند أدلتهم بالحجة الثاقبة ، والبرهان القاطع والدليل الواضح .

واذا دخلنا فى صلب الكتاب فاننا نراه يهتم بالألفاظ القرآنية التى اعتبرها السابقون من الأضداد خطأ منهم فى التأويل ، ولم يكن دافع هذا الحرص منه فى الاهتمام بالألفاظ القرآنية ـ التى حشرت ضمن الأضداد ـ غير خشية اتهام القرآن بالتناقض ، وعجز البيان .

وهكذا نجد أن الهدف الأساسى من التأليف فى الأضداد هو الحرص على العقيدة ، ويبرز فيه الحرص على ألفاظ القرآن ، ودفع كل ما وجه اليه من أنواع الطعن ، مع محاولة فهم تلك الألفاظ فهما صحيحا يتفق مع العقيدة السليمة .

ومن هنا فلا نستغرب ظهور محافظين معتدلين من أئمة اللغة يلتزمون جانب الحرج فلا يجيزون التضاد فى كثير من الألفاظ القرآنية وعلى رأس هؤلاء أبوبكر بن الأنبارى ، وسنرى حقيقة ذلك فيما بعد .

وأشهر مؤلفى الأضداد هم :

١ـ أبوعلى ، محمد بن المستنير ، المعروف بقطرب النحوى ، المتوفى سنة ست ومائتين .

٢ـ أبو زكريا ، يحى بن زياد الفراء ،[1] المتوفى سنة سبع ومائتين .

٣ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى البصرى اللغوى ، المتوفى سنة تسع ومائتين فى أحد الأقوال .

٤ـ أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب الأصمعى ، المتوفى سنة اثنتى عشرة ومائتين .

---

(١) نص على كتابه ابن الدهان فى أضداده ص ٩١ -٩٢ .

٥ - أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن هارون التوزى ، المتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

٦- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، المتوفى سنة ست وأربعين ومائتين .

٧- أبوحاتم ، سهل بن محمد السجستانى ، المتوفى سنة خمسين ومائتين .

٨- عسل بن ذكوان ( من وراق المبرّد ) .

٩- أبو بكر ، محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

١٠- أبوالطيب ، عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى ، المتوفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

١١- سعيد بن المبارك بن الدهان النحوى ، المتوفى سنة تسع وستين وخمسمائة .

١٢- أبو الفضائل ، حسن محمد الصغانى ، المتوفى سنة خمس وستمائة .

١٣- تقى الدين ، عبد القادر التميمى المصرى ، المتوفى سنة خمس وألف .

هؤلاء هم أهم مؤلفى الأضداد ، ويضاف إليهم مجموعة من أئمة اللغة ، فيما كتبوه ضمن دراساتهم اللغوية كابن سيده وابن فارس ، والمبرّد وابن دريد ، والثعالبى والسيوطى ، فى بعض مؤلفاتهم .

وقد نالت تلك الكتب نصيبا طيبا من الرعاية فوصل إلينا معظمها .

نشوء الأضـــداد :

لعل أهم مايستوقف النظر فى هذه الدراسة هو هذه الكثرة التى وصلت إلينا من مفردات الأضـداد . فهل حقا كلها أضـداد ؟ فإن كانت كذلك، فكيف نشأت فى اللغة ؟ وإن لم تكن كذلك فما العوامل التى أدت الى اعتبارها أضـدادا ؟ ولابد من اجابة شافية عن هذين السؤالين لندرك حقيقة وجـود الأضـداد فى اللغة العربية . ولعل العوامل المختلفة التى يمكن أن يفسر بها نشوء الأضـــداد وكثرتها تكشف لنا هذه القضية بوضوح ، وتجلى لنا أسس وجود الأضـداد ، وأهم تلك العوامـل :

أولا : تعدد لهجات اللغة الواحـدة :

تتفق لهجات القبائل العربية فى خصائصها العامة مع لغتها الأم وهى الفصحى ،التى دونت فيما بعد . ولكنها تختلف فى خصائصها اللهجية إذ إن لكل لهجة سماتٍ خاصةً بها كانفراد بعضها باطلاق دلالة معينة على بعض الألفاظ ـ دون غيرها ـ وقد يصادف أن تكون دلالة خاصة بقبيلة معينـــة متقابلة فى استعمالها مع قبيلة أخرى كاستعمال ( السُّدْفَة ) بمعنى الظلمة عند تميم ، واستعمالها بمعنى الضوء عند قيس ،[1] وبقيت كل دلالة من الدلالتيـن خاصة بقبيلتها ،حتى أتى جامعو اللغة المتأخرون ودونوا المعنيين جنبا إلى جنب ، من غير إشارة إلى قبيلة كل منهما مما أدى الى اعتبارهما من الأضداد لدى الجيـل الذى تلاهم .

---

(١) أضـداد الأصمعى ٣٥ ، وابن السكيت ١٨٩ ،وابن الأنبارى ١١٤ ، وأبى الطيب اللغوى ١/٣٤٦ ، والمزهر ٢/٣٨٩ .

وقد جمع متقدمو الرواة اللغة من جميع القبائل ، ودونوا فى كتبهم المعانى المختلفة للألفاظ بما فيها الأضداد ، دون أن ينصوا على ضديتها ، فهذا أبو زيد الأنصارى مثلا يتعرض للفظة ( السدفة ) قائلا :

" السدفة فى لغة تميم الظلمة ، والسدفة فى لغة قيس الضوء ".(١)

دون أن ينص على أنها من الأضداد ، وإنما اكتفى بالإشارة إلى اختلاف القبيلتين فى استعمال المعنى ، وكذلك فعل فى تعرضه لمادة ( لمق ) قائلا :

" لمقتُ الشيء ألمقه لمقا إذا كتبته ، فى لغة بنى عقيل وسائر قيس يقولون : لمقته : محوته ."(٢) والأمثلة على هذا الموقف من أوائل الرواة كثيرة فى كتب اللغة ، ولا يبد و أنه نقل عنهم القول الصريح بضدية تلك الألفاظ، فإلى هنا لا نرى التصريح الواضح بالأضداد .

وفى المرحلة التالية - مرحلة اتساع اللغة ، وانتشار المعجمات وكتب اللغة بمختلف أنواعها على تلاميذ الرواة السابقين ابتداء بقطرب ومن تلاه من جامعى الأضداد المتأخرين - برزت الأضداد فى الكتب والمعاجم اللغوية ، ثم خصت بالتأليف فتتابعت كتب الأضداد وانتشرت هذه الظاهرة على نطاق واسع .

نخلص من هذا إلى أن دلالة اللفظ الواحد قد اختلفت أحيانا عند بعض القبائل ، فاستعمل اللفظ عند قبيلة فى معنى ، واستعمل هو نفسه عند قبيلة أخرى فى ضد هذا المعنى ثم جاء أصحاب المعاجم من الأوائل فسجلوا المعنيين المتضادين جنبا إلى جنب ، فاعتبرها تلاميذهم من الأضداد دون مراعاة اختلاف القبائل فى الاستعمال ، أى أنهم أغفلوا شرط اتحاد البيئة اللغوية ، وهو شرط أساسى لتحقيق التضاد ، وقد أدرك ابن الأنبارى ضرورة هذا الشرط فنص عليه فى مقدمة أضداده فيما نقله عن بعض العلماء قائلا :

---

(١) المصادر السابقة .
(٢) الابدال ٢/٤٠٤ ، والمزهر ١/٣٩٠ .

" إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقفه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحىّ من العرب ، والمعنى الآخر لحىّ غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء "عن هؤلاء" ، وهؤلاء "عن هؤلاء" "(١).

وإذا صح أن بعض القبائل استعارت لغة غيرها ثم استعملتها إلى جانب لغتها على حد سواء - كما يفهم من كلام ابن الأنبارى - فإن هذا يخفف بعض اليوم على اللغويين ، لأن ذلك يفيد احتمال استعمال الدلالتين المتضادتين للفظة الواحدة قبل التدوين .

ومن أمثلة الأضداد التى وقعت بسبب اختلاف القبائل العربية فى لهجاتها :

— ( السَّامِد ) : وهى بمعنى اللاهى فى لغة أهل اليمن ، وبمعنى الحزين فى لغة طىء (٢)

— (القُرء ) : بمعنى الطهر فى لغة أهل ، وبمعنى الحيض فى لغة أهل العراق . (٣)

— (المُعْصِر) : للتى دنت من الحيض فى لغة قيس وأسد ، والتى تمنست فى لغة الأزد . (٤)

— (المُشَايِح ) : بمعنى الجاد فى لغة هذيل ، والمحاذر عند أهل نجد (٥) .

— ( لَمَقَ ) : بمعنى كتب فى لغة عقيل ، ومحا فى لغة قيس . (٦)

— ( القَلتَ) : النقرة الكبيرة فى لغة أهل الحجاز ، والنقرة الصغيرة عند تميم وقيس ، وأسد . (٧)

---

(١) ص ١١ -١٢ .
(٢) أضداد السجستانى ١٤٤ ، وابن الأنبارى ٤٣ ، وأبى الطيب اللغوى ١/ ٣٧٢ .
(٣) أضداد الأصمعى ٥ ، وابن السكيت ١٦٣ ، وابن الأنبارى ٢٧ ، وأبى الطيب اللغوى ١/ ٤٠٥ .
(٤) أضداد ابن الأنبارى ٢١٦ .
(٥) أضداد الاصمعى ٣٩ ، وابن السكيت ١٩٣ ، وأبى الطيب ١/ ٤٠٥ .
(٦) أضداد الاصمعى ٧٠ ، وابن السكيت ١٩٣ ، والسجستانى ١٠١ ، وابن الأنبارى ٣٥ ، وأبى الطيب ٢/ ٦١٤ .
(٧) أضداد السجستانى ١٤٩ ، وابن الأنبارى ٤٢٠ .

ونلاحظ فى الأمثلة السابقة أن كل لفة منسوبة إلى قبيلتها ، ومثل هذه الأمثلة المنسوبة إلى بيئاتها اللغوية كثيرة فى كتب الأضداد ، وهى لا تومئ فى إشكال كبير ، ولكن الإشكال يقع فيما لو وجدت أضداد نشأت بسبب اختلاف اللهجات ، دون ورود أى تنويه أو إشارة إلى هذا السبب ، وهذا غير مستبعد الوجود فى كتب الأضداد .

ثانيا : تطور الدلالة بسبب عموم المعنى أو العلاقة المكانية :

إن الدراسة التاريخية لمعانى الألفاظ تثبت أن الألفاظ كثيرا مايطرأ عليها تغيير فى دلالتها بسبب التطور الذى يلحقها فى مختلف الأوضاع على مرور الزمن . وغالبا ماتكون المعانى عامة بعض الشئ ثم تتحدد بفعل التطور الذى يطرأ على الألفاظ وقد يتجه هذا التطور بالألفاظ فى مدلولاتها بعد التحديد إلى معنيين متضادين بعد انشقاقهما من المعنى الأصلى العام المشترك ، فيكون التطور على هذا النحو سببا من أسباب نشوء الأضداد فى اللغة ، وأمثلة الأضداد التى يمكن أن تفسر بهذا السبب كثيرة منها :

— ( الصَّارِخ ) : للمغيث والمستغيث[1] ، وذلك أن العلاقة بين المغيث والمستغيث هى علاقة الصراخ " فالمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، والمغيث يصرخ بالإغاثة "[2] ، فالعامل المشترك بينهما هو الصراخ ، وهو المدلول الأصلى العام للفظة ، ثم أوقع هذا المدلول على كل من المستغيث والمغيث لشدة ارتباطهما .

— ( المَأْتم ) : لاجتماع النساء فى الفرح ، ولاجتماعهن فى الحزن[3] ، والتخصيص واضح فى هذه اللفظة ، فأصل المعنى هو الاجتماع مطلقا دون تحديد للجنس أو المناسبة ، وقد أشار كل من ابن الأنبارى وأبى الطيب اللغوى إلى التطور الذى لحق بمدلول ( مأتم )

---

( ١ ) أضداد الأصمعى ٥٣ ، والسجستانى ١٠٥ ، وابن السكيت ٢٠٨ ، وابن الأنبارى ٨٠ ، وأبى الطيب اللغوى ١ / ٤٢٩ ، والصغانى ٢٣٥ .

( ٢ ) نفس المصادر .

( ٣ ) أضداد السجستانى ١٤٢ ، وابن الأنبارى ١٠٣ ، والصغانى ٢٢٢ ، وفى القاموس ( أتم ) ٤ / ٧٤ " المأتم كل مجتمع فى حزن أو فرح ، أو غاص بالنساء أو بالشواب " .

فصار فيما بعد يعنى اجتماع النساء دون الرجال ، سواء فى فرح أوحـــزن ، ثم تطور إلى معنى اجتماعهن فى كل منهما دون الآخر .(١)

ـ ( الطَّرب ) : بمعنى النهر الكبير ، والنهر الصغير ، وأساس المعنى كان للنهر دون تحديد ، ثم تخصص فى الحجم ، وقد أشار ابن دريد فى الاشتقاق إلى أسماء الأنهار حسب أحجامها فقال : " الجعفر : النهر ، فإذا كان صغيرا فهو فلج ، فإذا جاوز ذلك فهو ينبوع ، فإذا اتسع قليلا فهو سَرِىّ "(٢) .

وقد يكون تطور الألفاظ فى الدلالة بسبب علاقة مكانية أوسببية ، مما يـــؤدى فى كثير من الأحيـــان إلى الاتجاه باللفظ إلى معنيين متضادين أيضا :

ـ ( فالظَّعِينَة ) : للهودج ، وللمرأة ،(٣) وأصلها للهودج ثم تطورت دلالتها فأطلقت على المرأة التى تكون فى الهودج ، لوجود علاقة مكانية بينهما ، ثم تطورت لتدل على المرأة مطلقا فى أى وضع وفى أى مكان ، وقد أشار ابن الأنبارى إلى هذا التطور فقال : " الظعينة : المرأة فى الهودج ، والظعينة : الهودج ، وقد يقال للمرأة وهى فى بيتها ظعينة ، والأصل ذاك . "(٤)

ـ ( والكأس ) : تعنى الإناء ، وتعنى الشراب الذى فيه ،(٥) وأصلها الاناء المملوء ثم تطورت لتعنى السائل الذى فيه ، وقد أدرك ابن الأنبارى هذا المدلول فشك فى ضدية اللفظة وعبر عنها بأنها " من الحروف المشبهة للأضداد " .(٦)

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ١٠٣ ـ ١٠٤ ، وأبى الطيب ١/١٨ ـ ٢١ .
(٢) ص ٦٣ .
(٣) أضداد الأصمعى ٤٦ ، وابن السكيت ٢٠٠ ، وابن الأنبارى ١٦٤ ، والصغانى ٢٣٧ .
(٤) الأضداد ١٦٤ .
(٥) أضداد الأصمعى ٤٦ ، وابن السكيت ٢٠٠ ، وابن الأنبارى ١٦٢ ، والصغانى ٢٤٣ .
(٦) أضداد ابن الأنبارى ١٦٢ .

ـ و ( الرَّهو ) : تعنى الارتفاع وتعنى الانخفاض[١] والعلاقة المكانية واضحة بين المعنيين ، فيكفى أن نتصور أى ارتفاع لنتصور معه فى الجانب الآخر انخفاضا ، فما من ارتفاع إلا ويليه انخفاض ، وكذلك العكس . ومن هنا تطور مدلول الرَّهو متجها إلى هذين الاتجاهين المتضادين لما بينهما من علاقة مكانية ونسبية .

ثالثا : التطور الصوتى :

قد يعترى الأصوات الأصلية للفظة ما بعض التغيير ، كالحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتى[٢] ، فيؤدى ذلك إلى أن تتحد تلك اللفظة فى أصواتها مع لفظة أخرى مضادة لها فى معناها مما يؤدى اعتبارها من الأضداد ، نتيجة إغفال هذا التطور الصوتى ، الذى أصاب اللفظة ، ويمكن تفسير مجموعة كبيرة من الألفاظ المتضادة بهذا السبب ومنها :

ـ ( القانِع ) : للراضى بما هو فيه ، وللسائل المحتاج ، ومصدر المعنى الأول هو القناعة ومصدر المعنى الثانى هو القنوع[٣] ، وبالرجوع إلى بعض قوانين التطور الصوتى يتضح لنا أن ثمة علاقة بين القنوع بمعنى الخضوع وبين القناعة بمعنى الرضا ، وهذه العلاقة هى علاقة تطور صوتى فى المادتين (خَنَعَ) و(كَكَعَ) ، فقد تطور الصوت الرخو وهو الخاء فى الأول إلى نظيره الشديد وهو الكاف فى الثانى[٤] ، ويبدو أن بعض القدماء فطنوا إلى شئ من هذا مما جعل أبا الطيب اللغوى يرفض معنى الضدية فى هذين اللفظين قائلا : " ليس هذا عندى من الأضداد ،

---

(١) أضداد الأصمعى ١١ ، وابن السكيت ١٦٩ ، والسجستانى ٩٣ ، وابن الأنبارى ١٤٨ ، وأبى الطيب ١ / ٢٨٤ ، والصغانى ٢٣١ .
(٢) فقه اللغة ( لوافى ) ١٩٢ .
(٣) أضداد الأصمعى ٤٩ ، والسجستانى ١١٦ ، وابن السكيت ٢٠٢ ، وابن الأنبارى ٦٦ ، وأبى الطيب ٢ / ٥٧٧ .
(٤) فى اللهجات العربية ٢١٤ .

لأن شرط الأضداد على ماأصلنا أولا ، أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين من غير تغيير يدخل عليهما ولا اختلاف فى تصرفهما .»(١)

ـ ( بَـرَدَ ) : بمعنى برد وسخن ،(٢) المعنى الأول معروف ، لا يحتاج إلى شاهد ، وأما المعنى الثانى ـ أى سخـــن ـ فشاهده قول الشاعر:

عافَـــتِ الشُّرْبَ فى الشِّتاءِ فَظَلْنا
بَرْدِيـــهِ تصادفيه سَخِينا

ولم أجد له غير هذا الشاهد ، ويبطل المعنى الثانى إذا علم أصل هذه اللفظة وكيفية تطورها ، إذ إنها كتبت بتلك الصورة ـ بَرْدِيد ـ استنادا على نطقها ، وليس أصلهـــــا كذلك فهو ( بَلْ رِدِيهِ ) فعل أمر من الورود ، فأدغمت اللام فى الراء ، فصارتا راء مشددة ، ومن هنا وقع اللبس فاعتبـرت اللفظة من الأضداد . وقد أشار ابن الأنبارى إلى هذه الحقيقة نقلا عن أستاذه ثعلب.(٣)

وواضح أن التطور الصوتى فى هذا المثال حدث بسبب التصحيف.

ـ ( الأَوْن ) : بمعنى الرفق والدعة وبمعنى الإفراط فى التعب،(٤) ويبدو أن ( الأَوْن ) بالمعنى الأول أصله الهَوْن بالهاء ، ثم قلبت الهاء همزة ، وهذا التطور الصوتى بين الهاء والهمزة أمـر طبيعى، لتقارب مخرجيهما .

---

(١) أضداد أبى الطيب ٢ / ٥٧٨ .
(٢) أضداد ابن الأنبارى ٦٣ ، وأبى الطيب ١ / ٨٦ .
(٣) أضداد ابن الأنبارى ٦٤ .
(٤) أضداد الأصمعى ٣٦ ، والسجستانى ١٥١ ، وابن السكيت ١٩٠ ، وابن الأنبارى ١٣٠ ، وأبى الطيب ١ / ٢١ ، والصغانى ٢٢٣ .

رابعا : اختلاف الصيغ والعوارض التصريفية :

كثيرا ماتتشابه الأوزان الصرفية لبعض الألفاظ فى اللغة العربية وعندئذ يلعب الاشتاق الصرفى ، واللبس فى كثير من تلك الصيغ دورا كبيرا فى تفسير معانى الألفاظ تفسيرين متضادين بسبب بعض العوارض التصريفية التى تؤدى إلى زيادة بعض الأصوات أو حذفها لأسباب لغوية أو بلاغية ، ومن هنا فلابد أن يكون دارس الأضداد على بينة من موضوع الاشتقاق ، وطرقه ، وأنواعه فى اللغة العربية ، لأن كثيرا من الأضداد اعتبرت كذلك بسبب تلك العوارض التصريفية ، ولا أقصد بذلك اتهام جامعى الأضداد بجهلهم قواعد الاشتقاق فى اللغة — فهم خبيرون بها — وإنما المقصود أنهم غفلوا عن تطبيق تلك القواعد على مجموعة كبيرة من الأضداد على نحو مانرى فى تشابه بعض الصيغ كاسم الفاعل واسم المفعول من المضعف مثل ( مُجْتَثّ ) و( مُرْتَدّ ) ، فلفظة ( مُجْتَثّ ) تستعمل للفاعل والمفعول مع أن أصل الفاعل مختلف عن أصل المفعول فى هذه الصيغة ، فقد جاء الأول من ( مُجْتَثِث ) ، وجاء الثانى من ( مُجْتَثَث ) ، ومع ذلك اعتبر اللفظ من الأضداد ، دون مراعاة اختلاف الأصل فى المعنيين ، ومثلها أيضا لفظة ( مُرْتَدّ ) للذى يَرتدّ عن الشئ ، وللشئ يُرتَدُّ عنه ، وقد أشار ابن الأنبارى إلى اختلاف أصل الاشتقاق فى معنى هذه اللفظة فقال : " إذا كان للفاعل فأصله ( مرتدِد ) ، فاستثقلوا الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد فأسكنوا الدال الأولى وأدغموها فى التى بعدها ، وإذا كان للمفعول فأصله ( مرتَدَد ) فعملوا مثل مافعلوا فى الباب الأول ، واستوى اللفظان من أجل الإدغام ". (١) فإغفال الإدغام هنا هو سبب اعتبار هذا اللفظ وأمثاله من الأضداد .

وقد ورد فى كتب الأضداد حوالى عشر صيغ من هذا النوع وأهمها :

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٤٠٩ .

١ــ ألفاظ على وزن (فاعِل) تنصرف للفاعل والمفعول نحو "عارِف"، و"عاصِم"، و"كاتِم"، و"بائِنة"، و"راضِية".

٢ــ ألفاظ على وزن (فَعُول) تنصرف للفاعل والمفعول نحو: "ذَعور"، و"زَجور"، و"عَروك"، و"حَلوبة"، و"أكولة".

٣ــ ألفاظ على وزن (فَعِيل) تنصرف للفاعل وللمفعول نحو: "السَّميع"، و"الصَّريخ"، و"الفَريم" و"القَنيص".

٤ــ ألفاظ على وزن (مُفْتَعَل) تنصرف للفاعل والمفعول نحو: "المُرتاد"، و"المُشتاق"، و"المُغتاب"، و"المُبْتَز"، و"المُقْتَص"، و"الأخيرتان عينهما مدغمة في اللام.

٥ــ أضداد بين (فعل وأفعل) مثل (ترب وأترب) و(ثَبُت وأثبَت)، و(قَسَطَ وأقسَط)، و(عَذَر وأعْذَر)، وقد نشأت هذه الطائفة بسبب إغفال أثر الهمزة في تغيير المعنى).

٦ــ أضداد بين (فَعَل وفعَّل) نحو: (بدن وبدَّن)، و(سَبَد وسبَّد)، و(عَرَبَ وعرَّب)، وقد نشأت هذه بسبب إغفال أهمية التضعيف في قلب المعنى.(١)

خامسا: رجوع الكلمة إلى أصلين:

وقد تنشأ الأضداد بسبب رجوع اللفظة إلى أصلين مختلفين اتحدا في صيغة واحدة، وفي مثل هذه الحالة تظهر بعض حروف الأصلين، في الصيغة الجديدة التي تدل على معنيين متضادين انحدر أحدهما من أصل، وانحدر الآخر من أصل آخر مع احتفاظ كل أصل بمعناه المقابل للآخر، فاعتبرت اللفظة الجديدة من الأضداد، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) انظر الأضداد في اللغة ١٧٦ــ ١٩٩.

— ( هَجَدَ ) : بمعنى نام ، وسهر ،[1] فلعلها فى معنى النوم منحدرة من أصل (هدأ) الذى يدل على السكون[2] ، وفى معنى السهر من ( جدّ ) ، لأن فى السهر اجتهادا لمغالبة النوم[3] .

— (شعب) : بمعنى فرق ، وجمع ،[4] ولعلها فى معنى التفرق منحدرة من الفعل (شَعَّ) الذى يفيد التفرق والانتشار[5] ، وفى معنى الجمع ربما تكون منحدرة من ( عَبَّ ) التى تفيد التتابع والجمع.[6]

— (أبل) : بمعنى رطب ويبس[7] ، ويحتمل أن تكون بالمعنى الأول منحدرة من البلّ التى تعنى النَّدَى[8] ، وبالمعنى الثانى قد تكون منحدرة من ( الأَبّ) التى تعنى كلأ الماشية ، وهى تفيد اليبس والجفاف غالبا .

سادسا : انتقال اللفظ من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى :

وذلك لغرض بلاغى أو لعلاقة مابين المعنيين . ويتم الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، عن طريق استعارة بعض الألفاظ للدلالة على معان جديدة ، وذلك لغرض بلاغى ، وقد يلجأ المتكلم إلى الاستعارة فى مواقف معينة كالحياء أو الخوف أو غير ذلك . وتكثر هذه الاستعمالات المجازية للألفاظ وتنتشر ، ثم ينسى المعنى المجازى للفظ ، ويصبح استعمال المدلول الجديد استعمالا حقيقيا لا مجازيا . وبالرغم من أن الأسرار البلاغية لاعلاقة لها بوضع اللغة ،

---

(١) أضداد الأصمعى ٤٠ ، وابن الأنبارى ٥٠ ، وأبى الطيب اللغوى ٢ / ٦٧٨ .
(٢) لسان العرب ( هدأ ) ١ / ١٧٥ .
(٣) فقه اللغة ( لوافى ) ١٩٢ .
(٤) أضداد الأصمعى ٧ ، والسجستانى ١٠٨ ، وابن السكيت ١٦٦ ، وابن الأنبارى ٥٣ ، وأبى الطيب ١ / ٤٠٠ ، ر والصغانى ٢٣٤ .
(٥) لسان العرب (شعب) ١٠ / ٤٧ .
(٦) نفسه ( عبب ) ٢ / ٦١ .
(٧) أضداد الصغانى ٢٢٢ .
(٨) لسان العرب ( بلل ) ١٣ / ٦٧ .

إلا أن معظم مؤلفى الأضداد حشروا فى أضداهم تلك التى كان أساس استعمالها على سبيل المجاز، فمن ذلك مثلا قوله تعالى : ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم )(١) فالفعل الثانى هنا غير مستعمل فى معناه الأصلى ، فتعالى الله أن يجوز عليه النسيان ، بل هو مستعمل فى معنى الإهمال والترك ، على سبيل الاستعارة(٢)، ومثلها قوله تعالى : (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ )(٣)، وكذلك مجموعة الألفاظ التى توجد بينها علاقة مكانية، وقد تقدم الكلام عنها .

ومن الاستعمالات المجازية أيضا تلك العبارات المقلوبة التى يتغير فيها وضع الكلمات عن ترتيبها المألوف ، كأن يقلب الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا نحو : " تَهَيَّبَنِى الطريق "(٤)، وأصله تَهَيَّبْتُ الطريق ، ومثله " ناء بى الحمل "(٥)، وأصله نوءتُ بالحمل أى نهضت به بجهد ومشقة ، وكذلك قولهم : " يا خَيلَ اللّهِ اركَبِى "(٦). وقد أشار ابن الأنبارى إلى شرطها فى إثبات مثل هذه التعابير — وهو أن يؤمن فيها اللبس — وذلك عندما تعرض لعبارة " تهيبنى الطريق " فقال : " وهذا عندى مما يقلب لأن اللبس يؤمن فى مثله ، فيقال : تهيّبنى الطريق ، لأنه معلوم أن الطريق لا تتهيب أحدا "(٧).

وواضح أن القلب فى مثل تلك العبارت جاء لغرض بلاغى فقد استعيرت فيها معانى الألفاظ المجاورة لها وقلبت لتكون أوقع فى النفس مما لو كانت على طبيعة وضعها ، وأصل ترتيبها ، ولا سيما أن اللبس مأمون فى مثلها .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٣٩٩ ، وأبى الطيب اللغوى ٢ / ٦٤٨ ، والآية من سورة التوبة / ٦٧ .
(٢) فقه اللغة ( لوافى ) ١٨٩ .
(٣) سورة آل عمران / ٥٤ .
(٤) أضداد السجستانى ١٥٢ ، وابن الأنبارى ٩٩ .
(٥) أضداد السجستانى ١٥٢ ، وابن الأنبارى ١٤٤ ، وأبى الطيب ٢ / ٧٢٠ .
(٦) أضداد أبى الطيب ٢ / ٧٢١ .
(٧) أضداد ابن الأنبارى ٩٩ .

سابعا : طريقة الاستعمال وغموض المعنى :

الأصـــل فى الأضداد أن تقع على ألفاظ مفردة عارية من التركيب لأن اللفظ يشير حينئذ إلى دلالتين متقابلتين فى ذاته ، أما أن يحدث معنى الضـــدية فى تركيب فهذا مما لا يعد من الأضداد لأن فكرة الضدية جاءت فيه مما تعلق بها من حروف أو ارتبط بها من سياق العبارة ، لا من معنى اللفظة بمفردها .

ومن الأضـــداد التى تفهم عن طريق السياق لفظ ( فَوْقَ ) بمعنى دون فى قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضرِبَ مَثَلاً مابَعُوضةً فَمَافَوْقَهَا )(١) .

وكذلك ( بَيْنَ ) للفراق وللوصل ، كما فى قوله تعالى : ( لَقَدْ تَقَطَّـعَ بَيْنَكم )(٢) .

و( جَـــدِيد ) للجديد والبالى فى قول الوليد بن يزيد :(٣)

أَبَى حُـبِّى سُلَيمى أَنْ يَبِيدا وأَصْبَحَ حَبْلُها خَلَقاً جَدِيدا

أراد خلقا مقطوعا .

ومما اعتبر من الأضداد بسبب طريقة الاستعمال أو غموض المعنى تلـــك النصوص التى فسرت تفسيرين متضادين ، وفى مثلها يقع التضاد عن طريق المعنى المفسر ، لا عن طريق ألفاظ معينة فى السياق ، وكل ما فى الأمر أن النص يكتنفه بعض الغموض ، فيفسره قوم على نحو ويفسره آخرون على نحو آخر ، كل حسب فهمه ، وقد يتقابل التفسيران تقابلا ضديا مما يؤدى إلى اعتبار النص من الأضداد كما فى قوله تعالى : ( إِنِّى مُنَزِّلُها عَلَيكُم ، فَمَن يَكْفُرْ بَعدُ مِنْكُم ، فإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً من العَالَمِين )(٤) ، والضمير فى "مُنَزِّلُها" عائد إلى المائدة ، والضدية هنا فى تفسير معنى الآية الكريمة ، فقد وقع خلاف — بين المفسرين — حول المائدة ،

---

( ١ ) سورة البقرة / ٢٦ ، وانظر أضداد ابن الأنبارى ٢٤٩ — ٢٥٢ .
( ٢ ) سورة الأنعام / ٩٤ وانظر أضداد الأصمعى ٥٢ ، وابن الأنبارى ٧٥ .
( ٣ ) أضداد ابن الأنبارى ٣٥٢ ، والصفانى ٧/ ٢٢٦ .
( ٤ ) سورة المائدة / ١١٥ .

من حيث تحقيق نزولها أوعدم تحقيقه ، فقال بعضهم : نزلت المائدة ، وأنكر بعضهم نزولها ، ومن حيث طبيعة المائدة وماكان عليها ، فقال بعضهم: نزلت خبزا ولحما ، وقال غيرهم: خبزا وسمكا ، وقال آخرون : كانت مائدة يجلس عليها أربعة آلاف ، وقيل : كانت مائدة طعام — بدون تحديد — ... الخ ،[1] فهذه تفاسير مختلفة للآيـــة .

ومن النصوص التى فسرت تفسيرين متضادين قوله تعالى ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى القَرْنَيْنِ[2] ) ، فقد اختلفت أقوال المفسرين فى "ذى القرنين" ؛ هل هو نبى أو ملك ، أو هو عبد صالح فحسب ، وكذلك وقع الخلاف فى سبب تسميتـــه بذى القرنين[3] .

ومن هذا الباب أيضا قول الشاعر :

أَيَامَ أَبْدَتْ لَنَا جِيْدًا وَسَالِفَةً  فَقُلْتُ أُنَّى لَهَا جِيدُ بن أَجْيَادِ

فقد اختلف فى تفسير ( جيـــد ) فى هذا البيت ، فقال ابن السكيت: الجيد : ظبى ، وقـــال غيره : الجيد هـهنا : العنق الجميلة الحسنة[4] .

ومن ذلك أيضـــا قولهم : ( مَاظَلَمْتُكَ وأنتَ تَنْصِفُنِي ) وقولهم : ( زيد أعقلُ الرجلين ) وغيرها كثير مماوقع فيه اختلاف فى التفسير ، فعـــدَّ من الأضداد[5] .

على أنه أهم من النوعين السابقين ماعتبر أضدادا من الألفاظ بسبب حروف تعلقت بها . وهى أفعال وأسمـاء .

فمن الأفعال : (ظَهَرَعَنْك وَظَهَرَعَلَيكَ)[6] و( رَاغَ فلان عَلَى القَوم وإلى القَوم) أى أقبل عليهم ، و( رَاغَ عَنْهُم ) إذا ولّى عنهم[7] ، و(أَوْزَعْتُه بالشئ ) : أَولَعْتُه به ، و(أَوْزَعْتُه ) كففته عنه[8] . وسبب التضاد فى هذه الأفعال هوتعلقها بتلك الحروف التى غيرت المعنى إلى ضده .

---

( ١ ) انظر تفاسيرالآية فى أضداد ابن الأنبارى ٣٥٠ — ٣٥٢ .
( ٢ ) سورة الكهف / ٨٣ .
( ٣ ) انظر تفاصيل ذلك فى أضداد ابن الأنبارى ٣٥٣ — ٣٥٥ .
( ٤ ) انظر أضداد ابن الأنبارى ٣٥٥ — ٣٥٦ .
( ٥ ) انظر أمثلة أخرى فى أضداد ابن الأنبارى ص ٢٣٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣٤٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .
( ٦ ) أضداد ابن الأنبارى ٥٦ . ( ٧ ) أضداد ابن الأنبارى ١٥٣ ، وأبى الطيب ١ / ٣٢٨ .
( ٨ ) أضداد السجستانى ١٥٠ ، وابن الأنبارى ١٣٩ ، وأبى الطيب ٢ / ٦٦٧ .

وأما الأسماء فيمكن أن تفسر بارتباط متعلقاتبأفعالها في الأصل، ثم حذفت تلك المتعلقات وبقى تأثيرها فوقلب المعنى ، ومن أمثلة ذلك ( البَسْل ) بمعنى الحلال والحرام،(١) ويبدو أن سبب الضدية بين معنييه هو تعلق فعله فى الأصل بحرفى : اللام وعلى ، ( فَبَسَل لَكَ ) يعنى : جزاك خيرا ، و( بَسَلَّ عليك ) : جزاك شرا . و( المُغلَّب ) للشاعر الغالب والمغلوب(٢) ، ولعل أصله من غلَّب وغلَّب له ، وضده غلب عليه .

و( المُفزَّع ) : الجبان وأصله فزعه أى أخافه و( المُفزَّع ) : الشجاع(٣) وأصله فزَّع عنه ، إذا كشف عنه الفزع ، ففعله بالمعنى الثانى متعلق بالحرف عن .

ثامنا : الخلط بين الأضداد والمشترك اللفظى :

ولعل عدم التنبه إلى التفرقة الدقيقة بين الأضداد والمشترك اللفظى هو الآخر كان سببا من أسباب تضخم الأضداد ، صحيح أن الأضداد نوع من المشترك — كما تقدم — ولكنها ليست هو ، لأن معانى اللفظة فى المشترك لا يشترط فيها فكرة الضدية ولذلك فصل الدارسون فى دراساتهم بين الأضداد والمشترك اللفظى ، فجعلوا كل واحد منهما موضوعا قائما بذاته .

ومن أوضح أمثلة المشترك اللفظى التى حشرت أضدادا :
(اللَّحْن ) : بمعنى الخطأ ، والتورية ، والفطنة،(٤) و(اجْلَعَبَّ)(٥) : بمعنى اضطجع ومضى ، و( أَشُدّ ) : للبالغ ثمانى عشرة سنة ، وللبالغ أربعين سنة،(٦) و( الغَاضية ) : للنار العظيمة ، والليلة الشديدة الظلمة ، والناقة التى تأكل الغضا ،(٧) وغيرها كثير مما يمكن أن يعتبر من المشترك إذا لم تتحقق فيه فكرة الضدية بين المعنيين .

---

(١) أضداد السجستانى ١٠٤ ، وابن الأنبارى ٦٣ ، وأبى الطيب ١/ ٣٢ .
(٢) أضداد الأصمعى ٥٣ ، والسجستانى ١٤٥ ، وابن السكيت ٢٠٥ ، وابن الأنبارى ١٩٩ ، وأبى الطيب ٢/ ١٨٥ ، والصغانى ٢٤ .
(٣) اضداد ابن الأنبارى ١٩٩ .
(٤) أضداد ابن الأنبارى ٢٣٨ — ٢٤٦ ، والصغانى ٢٢٤ .
(٥) أضداد ابن الأنبارى ٣١٤ ، وأبى الطيب ١/ ١٦٦ .
(٦) أضداد ابن الأنبارى ٢٢٢ ، والصغانى ٢٣٣ .
(٧) أضداد الأصمعى ٤٥ ، وابن السكيت ١٩٩ ، وأبى الطيب ٢/ ٢٤٥ ، والصغانى ٢٤٠ ، وفى القاموس ( غضى ) ٤/ ٣٧٢ : " الغاضية المظلمة والمضيئة ضد ، والعظيمة من النيران " .

تاسعا : العوامـــل النفسيـــة :

مما لا شك فيه أن فكرة الضديـــة فى العلاقات بين الماديات والمعنويات تنشأ فى الذهن قبل أن تظهر فى صورة كلمات منطوقة ، ويتم ذلك عن طريـــق تداعى المعانى المتضادة فى مخيلة الإنسان فى آن واحـــد ، فكلما تصور المرء السواد استحضر فى ذهنه البياض ، وكلما تصور البياض استحضر فى ذهنه السواد ، وهكذا فى سائر المعانى والأشياء المتضادة وقديما قال المتنبى :

. . وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَـــاءُ (١)

فالعامل النفسى إذن بالغ الأثـــر فى استحضار المتضادات فى تصور الإنسان ، وإيحاء من هذا العامل يفرّ المتكلم من التصريح بما تكرهه النفس من تشاؤم ، أو اشمئزاز أو خوف من المين ، أو غيرها من الدوافع النفسية ، التى تدفع بصاحبها أن يعبر عنها بعكس معانيها تماما ، ويتضح هذا النوع العكسى من التعبير فى حالات الأمراض والمصائب والمخاطر بصفة خـــاصة .

ولقد وردت فى كتب الأضداد ألفاظ كثيرة يمكن تفسير نشأتها أساسا ببعض العوامل النفسية ، ويمكن تقســـيم تلك الألفاظ إلى أربعـــة مجموعات هى :

١ـ مايعبر عنه بالضدّ للتفاؤل : نحو ( السَّلِيم )(٢) للملدوغ تفاؤلا له بالسلامة ، ولعله دعاءله بالسلامة مما أصابه ، ونحو ( المَفَازَة )(٣) : للمَهْلَكة تفاؤلا بالنجاة منها ، ونحو ( المَطْبُوب )(٤) : للمسحور تفاؤلا له بالبرء من السحر .

---

(١) قبله قوله :

مَنْ يَظْلِمِ اللُّؤَمَاءَ فى تَكْلِيفِهِم ... أنْ يُصبِحوا وهُمُ له أَكْفَاءُ

وَنذِيمُهُمْ وبِهِم عَرفنا فَضْلَـــهُ ... وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأشياءُ

مَنْ نَفْعُهُ فى أن يُهَاجَ وضَرُّه ... فى تركِهِ لَو تَفطَنُ الأعْدَاءُ

انظر ديوان المتنبى بشرح البرقوقى ١ / ١٥٠ .

(٢) أضداد الأصمعى ٣٨ ، والسجستانى ٩٩ ، وابن السكيت ١٩٢ ، وابن الأنبارى ١٠٥ ، وأبى الطيب ٢ / ٥٦٠ ، والصغانى ٢٣٣ .

(٣) أضداد الأصمعى ٣٨ ، والسجستانى ٩٩ ، وابن السكيت ١٩٢ ، وابن الأنبارى ١٠٦ ، وأبى الطيب ١ / ٤٠٨ ، والصغانى ٢٤١ .

(٤) أضداد ابن الأنبارى ٢٣١ ، والصغانى ٢٣٧ ، والفائق ٢ / ٣٩ .

٢ــ مايعبر عنه بالضدّ خشية العين : نحو امرأة (بَلْهَاء)[١] للعاقلة، خوفا عليها من العين، وكذلك فرس (شوهاء)[٢] للجميلة ، مخافة أن تصيبها عين أيضا ، و( الأَعْوَر )[٣] للصحيح العينين ، و( الحَافِل )[٤] للناقة التى امتلأضرعها باللبن ..

٣ــ مايعبر عنه بالضد للتهكم والاستهزاء : نحو قولهم للجاهل : ياعاقل![٥] استهزاء به ، و( قَشِيب) للخلق[٦] . وقد أورد ابن الأنبارى فى أضداده : " قولهم فى الاستهزاء: مرحبا بفلان ،إذا أرادوا قربه ، ومرحبا به إذا لم يريدوا قربه "[٧] . ومنه فى القرآن : ( ذُقْ إِنَّك أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ )[٨] وقوله تعالى : (فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أليم)[٩] .

٤ــ مايعبر عنه بالضد تأدبا مع المخاطب : نحو ( البَصِير) للأعمى[١٠] ، و(المَولَى) للعبد[١١] ، و( الآدَم ) : للأسود[١٢] .

على أن هذه النوازع النفسية التى يمكن أن يفسر بها بعض الأضداد عبارة عن مشاعر مرتبطة بعضها ببعض فى ذهن الانسان ، ولذا يمكن أن تفسر بعض الأضداد بأكثر من عامل من تلك العوامل ، فإطلاق العاقل على المجنون قد يكون من باب التفاؤل له بالشفاء ، وقد يكون من باب الاستهزاء ، وكذلك إطلاق (أبى البَيَضاء) و( أبى الجَوْن ) على الأسود ، والبصيرعلى الأعمى ، وهكذا فى ألفاظ كثيرة .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٣٣٣ ،والصغانى ٢٢٤ .
(٢) أضداد الأصمعى ٣٢ ، والسجستانى ١٣٧ ، وابن السكيت ١٨٦ ، وابن الأنبارى ٢٨٤ ، وأبى الطيب ١/٤٠٨ ، والصغانى ٢٣٥ .
(٣) أضداد السجستانى ١٣٧ ، وابن الأنبارى ٣٦٦ ، وأبى الطيب ٢/٥٠٨ .
(٤) أضداد الأنبارى ٢٨٢ ، وأبى الطيب ١/٢٢٢ .
(٥) أضداد ابن الأنبارى ٢٥٨ .
(٦) أضداد الأصمعى ٥٩ ، وابن الأنبارى ٣٦٣ ، وأبى الطيب ٢/٨٨٥ ، والصغانى ٢٢٤ .
(٧) أضداد ابن الأنبارى ٢٥٧ . (٨) سورة الدخان /٤٩ .
(٩) سورة آل عمران/ ٢١ ، والانشقاق/ ٢٤ .
(١٠) أضداد السجستانى ١٣٨ ، وأبى الطيب ١/٦٣ .
(١١) أضداد الأصمعى ٢٤ ، والسجستانى ١٣٩ .
(١٢) أضداد السجستانى ١٢١ ، وابن الأنبارى ٤٦ ، وأبى الطيب ٢/٦٦٠ ، والصغانى ٢٤٧ .

تلك أهم أنواع الأضداد التى يمكن تفسير نشأتها بعوامل نفسية ، وقد فطن علماؤنا القدماء إلى معظمها ، فكثيرا مايشيرون فى كتبهم إلى علاقة بعض الأضداد بالتفاؤل ، والتطير ، والاستهزاء ، والخوف من العين.(١)

عاشرا : التعسف فى جمع مادة الأضداد :

نرى بعد هذا التفصيل فى عرض أسباب وقوع الأضداد ، وتضخمها فى اللغة العربية أن مسئولية هذا التضخم غالبا ماتعود إلى جامعى الأضداد الذين لم يراعوا فى كثير من الأحيان ، الشروط الأساسية لقبول الأضداد فى اللغة ـ كما بينت فى العوامل السابقة ـ ولذلك فهى لم تتجاوز غالبا كتبهم إلى الاستعمال الحى عند أهل اللغة.

ومن هنا يتضح دور هؤلاء فى تضخيم حجم الأضداد ، فجامعو الأضداد أثاروا فى الدراسات اللغوية مشكلة لم تكن أساسا مطروحة ، ثم اتسعت دائرتها بتعسفهم فى جمع مادتهم من الأضداد ، فحشروا فيها عشرات من الأضداد لا يمكن أن يفسر فيها معنى الضدية ، على أى حال من الأحوال إلا بالتعسف ، فأين معنى الضدية فى لفظة ( المِثل ) لمثل الشىء ولضعفه ، و( فعل ) لما وقع ولما لم يقع ، و( نَحنُ ) للمفرد والجمع ، وأين علاقة الضدية بين ( ضَنِين ) : للبخيل و( ظَنِين ) للمتهم ـ وهما مادتان مختلفتان ـ بل وأين هذه العلاقة بين تلك الأصوات المهملة التى يتعامل بها الراعى مع حيواناته نحو ( حَاىْ حَاىْ ) لزجر الغنم ، ولدعوتها ، و( طَرْطَب ) لنفس الغرضين ، وغيرها من الألفاظ الكثيرة التى لا توجد بينها أية علاقة ضدية ، مما ليس له تفسير غير تعسف جامعيها فى تدوينها مع الأضداد .

---

(١) انظر على سبيل المثال : أضداد الأصمعى ٣٨ ، والسجستانى ٩٩ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، وابن السكيت ١٩٢ ، وابن الأنبارى ٥٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٦٧ ، وأبى الطيب ١/٦٣ ، ٣٥١ ، ٤٠٨ ، و٢/ ٥٦٠ .

أنـــــواع الأضـــداد :

يمكننا بالدراسة التتبعية أن نصنف الأضداد التى جمعها اللغويون العرب إلى عدة أنواع ، وقد أحصى منها محمد حسين آل ياسين أحد عشر نوعا (١) أذكرها على النحو التالى باعتبار أنها أضداد فى تصور جامعيها ، بصرف النظر عن حقيقة وجود معنى الضدية فيها :

١ــ أضداد فى الأعلام : مثل ( أيوب ) ، و( إسحاق ) ، و( يعقوب ) ، يكون كل منها أعجميا مجهول الاشتقاق ، ويكون عربيا مجرى فى حال التعريف والتنكير .

٢ــ أضداد فى الأسماء : مثل ( البَقْل ) لما تسقيه السماء من النبات ، ولما يشرب بعروقه ، و( الحَزُور ) لليافع القوى ، والشيخ الضعيف ، و( الزَّوْج ) للواحد ، والاثنين .

٣ ــ أضداد فى المصادر مثل ( البَيْن ) للفراق والوصال ، و( التَّسْبيد ) لتطويل الشعر وحلقه ، و( الإهماد ) لمواصلة السير وقطعه ، و( التَّفطُّر ) لفراغ الضرع وللحلب .

٤ــ أضداد فى المشتقات كاسم الفاعل ، واسم المفعول والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمبالغة وغيرها ، مثل ( الفَارِى ) للذى يقطع الأديم ، والذى يخرزه ، و( المُسْجور ) للملوء والفارغ ، و( الأَعور ) للأعور والصحيح العينين ، و( أعقل الرجلين ) إذا كان أعقلهما أو أحمقهما ، و( منجاب ) للقوى والضعيف .

٥ــ أضداد فى الظروف مثل : ( فَوقَ ) للأعظم والأحقر ، و( دُونَ ) للأكثر والأقل ، و( وراءَ ) للأمام والخلف .

٦ــ أضداد فى الضمائر : مثل ( نَحنُ ) للواحد والجمع .

---

(١) انظر الأضداد فى اللغة ١١٤ ــ ١١٥ .

٧ــ أضداد فى الأفعال : مثل ( تَأَثَّمَ ) إذا أتى الإثم وإذا اتجنبه ، و( ظَنَّ ) للشك واليقين ، و ( أمَّنَ بحق ) إذا أقرّبه ، وإذا هرب به .

٨ــ أضداد فى الحروف والأدوات : مثل ( لا ) للجحد ، والإثبات ، و( ما ) تكون نفيا وموصولا ، و( هَلْ ) للاستفهام ، وبمعنى قد ، و( إن ) للنفى والشرط .

٩ــ أضداد فى المتعلقات : وقد تقدم ذكرها ، مثل ( رَاغَ عَلَى ، وَرَاغَ عَن ) إذا أقبل وإذا أدبر ، و( رغب فى ، ورغب عن ) إذا أراد وإذا ترك ، و( قَسَطَ فى وقَسَطَ على ) إذا عدل وإذا جار .

١٠ــ أضداد فى التعابير والتراكيب : ففى القرآن مثل : ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم )(١) و( ومكَـرُوا وَمكَرَ اللَّهُ )(٢) ، و( لقد هَمَّت به وَهَمَّ بِها )(٣) وفى الشعر مثل :

أَتَعرِفُ رَسماً كاطراد المَذاهبِ لِعَمْرَةَ وحشاً غيرَموقفِ راكبِ(٤)

ومثـــل :

وَقد أغتدِى وَمعِى القَانِصَـــان وكلٌّ بِمَرْبأةٍ مُقْتَفِرْ(٥)

ومثل :

إنّك أنت المحزونُ فِى أثرِالـ ـحيِّ فإنْ تَنوِ نبّهم تقـم(٦)

وفى النثر مثل : ( تَهيَّيتُ الطريق ، وتهيَّنى الطريق ) و( لم أضرب عبد الله ، ولم يضربنى زيد ) ، و( ماظلمتُك وأنت تُنصِفُنى ) .

١١ــ أضداد فى أصوات مبهمة لا معنى لها مثل : ( طَرْطَبَ لدعوة الغنم ولزجرها و( حَايَ حَايْ ) مثلها .

* * *

(١) سورة التوبة / ٦٧ .
(٢) سورة آل عمران / ٥٤ .
(٣) سورة يوسف / ٢٤ .
(٤) أضداد ابن الأنبارى ٩٨ ، وجمهرة الأشعار ١٢٣ ، والبيت لقيس بن الخطيم
(٥) البيت لامرئ القيس ديوانه ١٦٠ ، وأضداد ابن الأنبارى ٢٩٩ .
(٦) لسان العرب ( نوى ) ٢٠ / ٢٢٢ ، وأضداد ابن الأنبارى ٢٦٩ ، والبيت للنابغة الجعدى .

## كتاب الأضداد ، لابن الأنبـــارى

ويهمنا هاهنا أن نبين دور ابن الأنبارى بوصفه واحدا ممن برزوا فى دراسة هذه الظاهرة ، ويهمنا أن نتعرف على تصوره العام للأضداد ، وعلى طريقة دراسته لها ، وعلى ماقدمه من جديد فى هذا المجال . وأقوم سبيل إلى ذلك هو دراسة كتابه فى الأضداد .

### نسخ الكتـــــاب :

نشر كتاب الأضداد ، لابن الأنبارى ، ثلاث مرات ، كان أولهـــــا بتحقيق الأستاذ " هوتسما " فى " ليدن " سنة ( ١٨٨١م ) على أساس مخطوطة " ليدن " ، وهى نسخة جيدة ونفيسة لأنها منقولة من خط مؤلفها ، وعليها معارضات بالأصل ، ومنها صورة فى معهد المخطوطات بالقاهرة . وقد أخرج الأستـــاذ " هوتسما " الكتاب فى طبعة علمية جيدة ، مصحوبة بفهارس مختلفة ، وعنهـــــا نشرت طبعة فى مصر سنة ( ١٣٢٥هـ ) ، ولم تكن هذه الطبعة دقيقة ، كما أن طبعة ليدن فقدت فيما بعد ، مما دعا الأستاذ محمدا أبا الفضل إبراهـــــيم لإخراج طبعة علمية محققة ، ومصحوبة بفهارس عدة ، وقد صدرت هذه الطبعة عام ( ١٩٦٠م ) عن دائرة المطبوعات والنشر ، بوزارة الأعلام فى الكويت .

### سبب تأليفـــــه :

إن من أهم دواعى تأليف ابن الأنبارى هذا الكتاب ـ على مايبدو من مقدمته ـ هو الرد على الشعوبيين ـ " أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب " ـ الذين فسروا وجود الأضداد فى اللغة العربية بنقصان حكمة العرب " وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم "(١) ، وقد امتدت ألسنتهم إلى لغة القرآن ، يعيبونها بالغموض والتناقض ، لأن اللفظة الواحدة ، إذا احتملت معنيين متضادين التبس الأمر على السامع ، فلم يدر أيهما أراد المتكلم؟

---

(١) ص ١ .

فتصدى لهم ابن الأنبارى مدحضا شبهتهم ، ومفندا أقوالهم بضروب من الأدلة أهمها أن المعنى يفهم من السياق وبذلك يجوز وقوع اللفظة الواحدة على معنيين متضادين [(١)] ، ثم احتج لهذا الرأى بطائفة من الشواهد ، كنماذج وضعها فى هذا المقام من المقدمة .

فالسبب الأساسى إذن — عند أبى بكر — لتأليف الأضداد هو الرد على الشعوبية .

والسبب الثانى — على مايذكره المؤلف — هو حاجة المكتبة العربية إلى كتاب جامع ، يضم جميع ألفاظ الأضداد المعروفة ، والتى أهملها السابقون فى التأليف ، فقد رأى أبو بكر أن الكتب المؤلفة فى الأضداد قبل كتابه تنقصها ألفاظ كثيرة فكل مؤلف من مؤلفى الأضداد الذين سبقوه أورد بعض الألفاظ وترك بعضها ، كما أن معظمهم أهمل تفسيرها . [(٢)]

ومن هنا فقد رأى ابن الأنبارى ضرورة تأليف كتابه هذا ليجمع فيه مابلغ إليه علمه من الأضداد ، محاولا أن يضفى عليه طابع التتبع والشمول ماأمكن ، وهدفه الأساسى فى ذلك هو أن يستغنى "كاتبه : والناظر فيه ، عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه ، إذا اشتمل على جميع مافيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد" . [(٣)]

فهل حقق ابن الأنبارى بغيته فى هذين الهدفين اللذين أشار إليهما فى مقدمته ؟ وبمعنى آخر هل وفق فى الدفاع عن اللغة العربية ، وتمكن من الرد على الشعوبيين عن طريق دراسة الأضداد ؟ وهل جاء كتابه ، أشمل من كتب السابقين فى موضوعه ؟ هذا ماسنعرفه فى الصفحات التالية إن شاء الله .

---

(١) ص ٢ .
(٢) ص ١٣ .
(٣) ص ١٣ .

منهجـــــه فى دراسة الأضداد :

لم يتبع أبوبكر نظاما معينا ولا ترتيبا خاصا لعرض مادته فى الأضداد ، فهو يسوق ألفاظه من غيرتسلسل هجائى ، أو اعتبار لأى ارتباط آخر بين الفكرة ومابعدها كالارتباط بالوزن الصرفى — أى العرض حسب الأوزان — أوالارتباط النوعى للألفاظ المتضادة ، أوغيرها ، وكل مايفعله هو أن يذكر اللفظة ثم يقرر ضديتها بقوله : إنها من الأضداد ، أوحرف من الأضداد ، أو ماشابه ذلك على النحو الذى نراه فى الأمثلة التالية :

" وحَسِبْـــتُ : حرف من الأضـــداد "(١) ، "النَّدُ: يقع على معنيين متضادين "(٢) ، "والقُرْءُ : من الأضداد "(٣) ، "والأمين: من حروف الأضداد "(٤) ، "والوَامـــــق : من الأضداد "(٥) ، "والظَّـــنُّ: يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك ، والآخر اليقين "(٦) ، "وعسى: لها معنيان متضادان : أحدهما الشك والطمع، والآخر اليقين "(٧) ... وهكذا فى سائر المواد .

فإن شك فى ضدية اللفظة نسبها إلى القائل بها نحو قوله : " وقال سهل السجستانى : قال أبوعبيدة : الخِنْذِيذ: من الأضداد "(٨) ، " وقال أبوعبيـــدة كان: من الأضداد "(٩) ، "وقال قطرب: المأتم: حرف من الأضداد "(١٠) "وقال ابن قتيبـــة تَوَسَّدَ حرف من الأضداد "(١١) ،

وقد تكون النسبة غامضة أحيانا ، على نحو مانراه فى الأمثلة التالية :

" وقال بعض أهل اللغة : رَجَوْتُ: حرف من الأضداد "(١٢) ، "وضَفَّ: حرف من الأضداد عند بعض أهل اللغة "(١٣) ، "وقال بعض البصريين مَرَى: حرف من الأضداد "(١٤) ،

---

(١) ص٢١ .
(٢) ص٢٣ .
(٣) ص ٢٧ .
(٤) ص ٣٤ .
(٥) ص ٥٢ .
(٦) ص ١٤ .
(٧) ص ٢٢ .
(٨) ص ٥٩ .
(٩) ص ٦٠ .
(١٠) ص ١٠٣ .
(١١) ص ١٨٦ .
(١٢) ص ١٦ .
(١٣) ص ١٣١ .
(١٤) ص ٢٧٥ .

"وقـــــال بعض الناس طرب حرف من الأضداد ".(١)

ومن حالات الشك أيضا تلك الألفاظ التى يرى ابن الأنبارى أنها تشبه الأضداد، ومنها على سبيل المثال قوله : " ومن الحروف التى تشبه الأضـــداد قول العرب : سَمَل بين القوم فلان إذا أصلح بينهم"،(٢) وسمع من الحـــروف التى تشبه الأضـــداد "(٣)، و" ومما يشبه الأضداد : الأصفر"،(٤) " ومما يشبـــــه حروف الأضداد نحن ".(٥)

وقد يسكت عن التعبير تماما فى بعض حالات التضاد بين صيغتين متضادتين كالتضاد بين اسم الفاعل واسم المفعول مثلا ،على نحو صنيعه مع لفظ (عـــارف) إذا اكتفى بقوله : " ويقال أمر عارِف أى معروف، ورجل عارِف إذا كان فاعلا"،(٦) فلم يصرح هنا بضدية اللفظ، وإنما أورده لأنه يذكر ضمن الأضداد عند السابقين، بصرف النظر عن رأيه الخاص.

وقد يذكر ضمن أضداده بعض الآيات القرآنية أو بعض الأبيات الشعرية ، ويحكم عليها بأنها " مما يفسر تفسيرين متضادين" كقوله : " ومما يفسر من القرآن تفسيرين متضادين قول الله عز وجل : (وأَصبَحَ فؤادُ أمِّ موسى فارِغاً ..)"،(٧) " ومما يفسر فى كتاب الله عز وجل تفاسير متضادة قوله تعالى ( وَيَسأَلُونَكَ عن ذِى القَرنَين )"(٨) ،

وفى الشعر قوله : " ومما يفســـــر من الشعر تفسيرين متضادين قول الجعدى :

إنَّكَ أنت المحزونُ فِى أثَرِ الحَـــ ـىِّ فإنْ تنوِنِيهم تُقِم "(٩)

---

(١) ص١٠٢ .
(٢) ص٢٨٥ .
(٣) ص ١٣٦ .
(٤) ص١٦٠ .
(٥) ص ١٨٣ .
(٦) ص ١٢٦ .
(٧) ص ٢٩٧ ، والآية من سورة القصص ١٠ .
(٨) ص ٣٥٣ ، والآية من سورة الكهف ٨٣ .
(٩) ص ٢٦٩ ، والبيت فى لسان العرب ( نوى ) ٢٠/٢٢٢ ، ومجالس العلماء ١٢ ، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ١٠٣ .

تلك طرق مختلفة رسمها أبو بكر لعرض مادته من الأضداد ، والأمثلة السابقة ليست إلا نماذج ورءوساً تتكرر بالطريقة نفسها أوبما يشبهها تماما فى سائر مواضع الكتاب، وأحسبها كافية لتوضيح طريقته فى عرض المادة العلمية لهذا الكتاب ، وهى طريقة لا تكاد تختلف عن طريقة أسلافه من مؤلفى الأضداد ، وكلهم يشترك فى عيب واحد هو انعدام الترتيب فى العرض.

ويبدأ ابن الأنبارى كتابه بمقدمة ، يسوق فيها تعريفا قصيرا للأضداد وهو: "الحروف التى توقعها العرب ، على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين" (١).

ولعل هذا التعريف - رغم كونه ناقصا - مما امتازبه أبو بكر على سابقيه ، فهم بين مهمل للتعريف كقطرب ، والأصمعى ، وابن السكيت، (٢) وبين مثبت لتعريف أقل نضجا من تعريفه كأبى حاتم السجستانى الذى اكتفى فى تعريفه بقوله : "وضِدُّ الشىء : خلافه وغيره". (٣) وهو تعريف لغوى بحت ، عام يدخل فيه كل شىء مخالف ومغاير للشىء الذى تعنى .

ثم يتصدى أبو بكر على أهل البدع والزيغ والإزراء العرب من الشعوبيين الذين رأوا فى الأضداد منفذا يلجون فيه للطعن فى لغة العرب، ورميها بالتناقض والغموض، وتساءلوا كيف يفهم السامع مقصود المتكلم إذا كانت اللفظة تدل على معنيين متضادين ، وقد قطع عليهم أبوبكر حجتهم هذه بتوضيح دور السياق فى فهم معنى الكلمة فى اللغة العربية ، فسياق الكلام هو الذى يحدد مراد المتكلم ويخصص المعنى الذى يريده دون غيره . ومضى يوضح هذه الفكرة بالعديد من الأمثلة ، خلص منها إلى أن الأضداد ليست ظاهرة غريبة ولا مستنكرة ، فهى نوع من المشترك اللفظى الذى هو من أبرز ظواهر اللغة العربية ، فمعظم الألفاظ تحمل عدة معان ، وإن لم تكن متضادة ، ولا يمكن تحديد المعنى المقصود منها

---

(١) ص ١ .

(٢) نقل ابن منظور عن ابن السكيت حكاية عن أبى عمرو قال : "والضِّدُّ مِثْلُ الشىء، والضِّدُّ : خلافه" انظر لسان العرب ( ضدد ) ٤/٢٥٢ ، ولم يثبت ابن السكيت هذا الكلام فى أضداده .

(٣) أضداد السجستانى ٧٢ .

إلا عن طريق السياق ، ثم يمضى فى ضرب طائفة أخرى من الأمثلة على المشترك اللفظى مستشهدا بأبيات من الشعر ، وهو بهذا ممن يفسر التضاد بالسياق . وقد تمسك المحدثون من دارسى اللغة بفكرته هذه فاعتمدوا عليها فى دراستهم للأضداد وللمشترك اللفظى .

ثم قسم اللفظ من حيث المدلول إلى الأقسام التالية :

١- ألفاظ ثابتة المعنى لا يتغير معناها بتغير السياق نحو : الرجل ، والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا القسم " هو الكثير الذى لا يحاط به " .(١)

٢- ألفاظ يقع اللفظان منها أو أكثر على معنى واحد ، كالبُر والحنطة ، والعَير والحمار ، وجلس وقعد ، وذهب ومضى .(٢) وهذا النوع هو الذى يعرف بالمترادف .

٣- ألفاظ تحمل أكثر من معنى ولا يمكن تحديد المعنى المقصود إلا بوساطة السياق نحو : (حَمَل) الولد الضأن ، ولاسم رجل ، وغَسَقَ بمعنى أظلم ، من غسق الليل ، وبمعنى سال من الفساق ، وهو ما يغسق من صديد أهل النار ، والجميل الرجل الحسن ، والجميل : الشحم المذاب . . الخ ، وهذا النوع هو الذى يعرف بالمشترك اللفظى " وهو القليل الظريف فى كلامهم "(٣) ، ومنه الأضداد .

وهذا التقسيم هو تقسيم سيبويه ،(٤) الذى تابعه فيه سائر أئمة اللغة .

كما يعالج أبوبكر فى مقدمته هذه بعض أسباب نشوء الأضداد فيشير فى تفسير ذلك إلى كثير من العوامل التى أخذها عنه بعض دارسى اللغة المحدثين ، ومنها :

١- تطور الدلالة بسبب عموم المعنى الأول : وهو ما يسميه " تداخل المعنيين على جهة الاتساع "(٥) ويرى أنه : " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين

---

(١) ص ٦٠ (٢) ص ٦ - ٧٠
(٣) ص ٣ - ٦٠ (٤) الكتاب ١/٧٠
(٥) ص ٨٠

فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع، فمن ذلك ( الصَّريم ) ، يقال لليل : صريم، وللنهار صريم ،لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع . . "(١)

- ويورد في هذا المقام أمثلة أخرى كثيرة يفسرها على النحو السابق، ومنها : ( الصَّارخ ) : للمغيث والمستغيث،(٢) ( والسُّدْفَة ) للظلمة والضوء،(٣) و( الجَلَل ) : للعظيم واليسير،(٤) و( البَعْض ) : للبعض والكل ،(٥) و( الظَّنُّ ) : للشك واليقين،(٦) و(الرَّجاء) للطمع في الشيء والخوف منه ،(٧) وكل لفظة من الألفاظ السابقة جاءت من معنى عام مشترك ،ثم تحدد هذا المعنى في معنيين متضادين بسبب التخصيص الذي أصاب اللفظة في الاستعمال .

٢- تعدد لهجات اللغة الواحدة : وقد تنبه أبوبكر إلى هذا العامل فأثبته فيما نقله عن بعض العلماء قائلا : " وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المنيين لحيّ من العرب ، والمعنى الآخر لحيّ غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء "،(٨) ومثّل لذلك بمثال واحد هو(الجَوْن ) للأبيض والأسود ثم أورد أمثلة أخرى لتأكيد الفكرة الأساسية في هذا التفسير، وهي أخذ القبائل العربية بعضها عن بعض .

وهناك عوامل أخرى يشير إليها في صلب الكتاب ومنها :

٣- تطور الدلالة بسبب العلاقة المكانية : ولعل هذا العامل عنده غير واضح ، وقد فطن إلى شيء منه في معالجته للفظة ( الظَّعينة ) حيث قال : " الظَّعينة : المرأة في الهودج ، والظَّعينة : الهودج ، وقد يقال للمرأة وهي في بيتها ظعينة ، والأصل ذاك".(٩)

---

(١) ، (٢) ص٨٠ (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ص٩٠

(٨) ص١١-١٢٠ (٩) ص ١٦٤٠

وقد شك أبوبكر فى لفظة ( الكأس) فلم يقطع بأنها من الأضداد لأن التضاد جاء فيها بسبب العلاقة المكانية ، بين الكأس والسائل الذى فيه ، فعبر عنها بأنها من الحروف المشبهة للأضداد [(١)] .

٤- التطور الصوتى : وفسر به لفظة ( بَرَّد ) نقلا عن ثعلب ، ولكنه له يدركه تماما وإنما ذكره عرضا فقال : " وحكى لى بعض أصحابنا عن أبى العباس أنه كان يقول فى تفسير هذا البيت[(٢)] : ( بَلْ رِدِيه ) من الورود فأدغم اللام فى الراء ، فصارتا راء مشددة " .[(٣)]

٥- اختلاف الصيغ والعوارض التصريفية : وفسر على هذا الأساس لفظة ( مرتد ) لأنه يرتد عن الشىء للشىء يرتد عنه ، فالتضاد جاء هنا - كما يرى أبو بكر - بسبب اختلاف أصل الاشتقاق فى المعنيين ، يقول : عن هذا اللفظ : " إذا كان للفاعل فأصله ( مُرتَدِد ) فاستثقلوا الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الدال الأولى ، وأدغموها فى التى بعدها ، واذا كان للمفعول فأصله ( مُرتَدَد ) ، ففعلوا مثل مافعلوا فى الباب الأول ، واستوى اللفظان من أجل الإدغام " .[(٤)]

٦- العوامل النفسية : وقد فسر بها مجموعة من الألفاظ ، وقد يصرح ببعض هذه العوامل أحيانا ، ويكتفى بالإشارة والتلميح أحيانا أخرى . وقد جاء التفسير بالتفاؤل فى عدة مواضع ، ومنها تفسير ( المَسْجُور ) بمعنى الملآن[(٥)] ، و( المَهْلَكة ) بمعنى المفازة ،[(٦)] و( السَّليم ) للملدوغ[(٧)] و( النَّاهِل ) للعطشان[(٨)] ، و ( أبا البيضاء ) للأسود .[(٩)]

---

( ١ ) ص ١٦٢ .
( ٢ ) البيت هو قول الشاعر : عافت الماء فى الشتاء فقلنا بريه تصادفيه سخينا
وهو الشاهد الوحيد على سخّن بمعنى برد .
( ٣ ) ص ٦٤ .
( ٤ ) ص ٤٠٩ .
( ٥ ) ص ٥٦ .
( ٦ ) ص ١٠٥ .
( ٧ ) ص ١٠٦
( ٨ ) ص ١١٦ .
( ٩ ) ص ١٠٥ .

وأما الخوف من العين ففسر به لفظة ( أَعْوَر ) للصحيح العينين ،[1] وبالاستهزاء والتهكم فسر قولهم : ( مَرحباً بفلان ) إذا لم يكن القصد قربه .[2]

وينهى ابن الأنبارى مقدمته بذكر فضل كتابه على الكتب المؤلفة فى موضوعه من قبل قائلا : ( وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا فى إحصائها كتبا نظرت فيها ، فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءا ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتى ومبلغ علمى ، ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد ".[3]

وهو يؤكد هنا رغبته فى سدّ النقص الذى عاب به كتب الأضداد السابقة ، محاولا الجمع بينها ، ليخرج كتابه فى أكمل صورة ممكنة ، وذلك بالاستفادة من المصادر السابقة ، مضيفا إليها علمه الغزير ، ومقدرته الكبيرة على الاستدلال ، وتتبع الشواهد مع الاهتمام بتعليل الصلة بين المعنيين المتضادين .

---

(١) ص ٣٦٧ .
(٢) ص ٢٥٧ .
(٣) ص ١٣ .

موقفه من الأضـــداد :

ولكى يتضح لنا منهجه فى كتابه ، فلابد لنا من أن نعرض هـــذا المنهج فى إطار واضح ، لفهمه وتصوره للأضـداد ، ولموقفه عموما من الكثـــرة العددية لألفاظهـا ، فهل تعسف فى دراسته لها - كما يظن البعض[1] - وجمع كل شاردة وواردة من كتب السابقين وسلك مسلكهم فى الدراسة ؟

أعتقد أن ذلك مما يبخس ابن الأنبارى حقه ، وأن فى هذا القول مبالغة وجورا ، فلم يكن ابن الأنبارى كما زعم هذا البعض! ومن يستنطـــق كتابه يتضح له أنه معتدل فى موقفه من الأضـداد وأنه كان متثبتا حذرا فـى جمعه مادة هذا الكتاب إذ تردد فى قبول ألفاظ كثيرة أن تكون من الأضـداد ، وأثبت شكه فيها فى مواضع كثيرة من الكتاب ، ونراه فى أحيان كثيرة يقف موقفا وسطا فلا يقطع بأن الكلمة من الأضـداد ، فإذا رأى أنها من الأضداد بخلاف بعض العلمـاء فانه يشير إلى هذا الخـلاف موضحا الرأى المخالف له ، وذلك غايـة فى الأمانـة العلمية ، ونرى عنده حالات من التردد لا يشير فيها إلى رأيـــه الصريـح بالضدية فيقول مثلا : قال فلان: إنها من الأضـداد وقال غيره ، بمعنى آخر ، أو يقول عنها إنها مما يفسر تفسيرين متضادين ، أو كالمتضادين ، أو يقول إنها مما يشبه الأضـداد ، أو غير ذلك مما تقدم ذكره آنفا .

ولقد تعسف المتقدمـون - وعلى رأسهم قطرب - فى جمع مادتهم من الأضـداد ، فأكثروا منها وبالغوا فى جمعها دون مراعاة النظر فى حقيقة ضديتها ، وكثيرا ما كانوا ينشطون فى الإكثار منها بدافع الاستلطاف والغرابة ، مما أبعدهم عن الموضوعية فى دراستهم لهذه الظاهرة .[2]

---

(١) انظر فى اللهجات العربية ٢٠٤ .
(٢) راجع أمثلة على هذا التعسف ص ٣٣٢ .

وعندما تصدى أبوبكر للتأليف فى هذا الموضوع كانت مصادره فى الأضداد مصابة بذلك العيب أو بما يشبهه ، فكان عليه أن يحدد موقفه إزاء ما أضيف إلى الأضداد وليس منها ، وقد تمّ له ذلك فعلا ، فنقح المادة ، ونقاها ، وأخرج شوائبها ، وشرح معانيها وأكمل ناقصها ، وفسر علاقات الضدية بينها ، واستبعد ماليس منها ، وأثبت شكه فى كثير منها ، فكانت دراسته بذلك من أنضج الدراسات فى موضوعه .

ونلاحظ عنده إنكارا صريحا لكثير من الألفاظ أن تكون من الأضداد ، ومن ذلك لفظة ( الضّدّ ) لخلاف الشئ ولمثله فقد أنكر المعنى الثانى لها واستبعده قائلا : " وقال بعض أهل اللغة : ( الضّدّ ) يقع على معنيين متضادين ومجراه مجرى النّدّ يقال : فلان ضِدّى ، أى خلافى ، وهو ضِدّى أى مثلى . قال أبو بكر : " وهذا عندى قول شاذ لا يعوّل عليه ، لأن المعروف من كلام العرب : العقل : ضد الحمق ، والإيمان ضد الكفر ، والذى ادعى من موافقة الضد للمثل ، لم يقم عليه دليلا تصح به حجته "(١) ،

وكذلك " ربع الرجل يَرْبِع رَبْعا اذا أقام ، والربعة السير الشديد . قال أبوبكر : وهذا عندى ليس من الأضداد ، لأن الربعة لا تقع على الإقامة إلا بابطال هذا اللفظ ، والانتقال منه إلى لفظ آخر "(٢) .

فاللفظة هنا لا تنصرف إلا إلى معنى واحد ، وما كان كذلك فليس من الأضداد . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وستذكر بعد قليل ومعظمها ردّ على قطرب ، وأبى حاتم السجستانى وابن قتيبة وأحيانا على بعض أهل اللغة ، ولا أدرى من المقصود بذلك ولعله أستاذه ثعلب ، أو أحد مشاهير الكوفيين وهو لا يسميه احتراما له ودفعا للحرج عن نفسه .

---

(١) ص ٢٧ .

(٢) ص ٣٦٦ .

القواعد التى رسمها لإنكار ماليس من الأضداد :

إن المتتبع لكتاب ابن الأنبارى يرى أن مؤلفه يسير وفق منهج ثابت وقواعد معينة لإنكار تلك الألفاظ التى حشرها السابقون مع الأضداد ، وأهم القواعد التى رسمها لنفسه فى ذلك مايلى :

١ — يبطل عنده معنى الضدية باختلاف أصل اللفظ ، وينص على هذا الشرط بقوله : " وإنما يكون الحرف من الأضداد إذا وقع على معنيين متضادين ولفظه واحد فى البابين ، فإذا اختلف اللفظان ، بطل أن يكون الحرف من حروف الأضداد "(١).

وقد وقع قطرب فى أخطاء كبيرة إذ أغفل هذا الشرط، فاعتبر ألفاظا كثيرة من الأضداد رغم كونها من أصلين مختلفين :

ومما أنكره ابن الأنبارى بسبب إغفال هذا الشرط قولهم : " (ترب) الرجل إذا افتقر، و(أترب) إذا استغنى "(٢)، وقولهم : قد ( ثَلَلْتُ ) عرشه : إذا هدمته وأفسدته ، و( أَثْلَلْتُ ) عرشه إذا أصلحته "(٣) وقولهم قد ( خَذِمَت ) النعل إذا انقطعت عروقها وشِسْعُها ، و( أَخْذَمْتُها ) : إذا أصلحت عروتها وشسعها "(٤)، وكذلك " قولهم ( بَدُن ) الرجل إذا حمل اللحم والشحم ، (بدن) تَبْدينا إذا أسنّ وكبر وضعف "(٥) ... الخ .

وعلى العموم فقد استبعد فى أضداده ماكان التضاد فيه بين فَعَل وأَفْعَل ، وفَعَل وفَعَّل على نحو ماتقدم من الأمثلة واستبعد ماكان التضاد فيه بين فَعْل وفِعْل مثل ( نَجْد ) و( نِجْد )(٦)، وبين مفعول وفعيل نحو (مَنْجُود ) و (نَجِيد )(٧)، وبين فاعل ومفعول نحو ( الطَّاحِى ) للمرتفع والمنخفض فالصواب فى المعنى الثانى منه مَطْحُوّ ومَطْحِىّ (٨).

---

(١) ص ٤٦٦ .
(٢) ص ٣٨٠ .
(٣) ص ٣٨٧ .
(٤) ص ٣٧١ .
(٥) ص ٤٠٠ .
(٦) و(٧) ص ٤٠٦ .
(٨) ص ٣٩٤ .

٢ــ ليس من الأضداد مايقع على معنى واحد : وهذا الشرط من الشروط البديهية ، وماكان لابن الأنبارى أن يذكره لولا أنه لاحظ زلة بعض العلماء لإغفالهم هذا الشرط وذلك باعتبار بعض الألفاظ أضدادا رغم كونها لاتدل إلا على معنى واحد فمن ذلك مثلا ( البُحْتر ) للقصير والعظيم ، ورد ابن الأنبارى المعنى الثانى قائلا : " ذكر هذا قطرب وماعلمنا أحدا وافقه على أن البحتر يقال للعظيم ، قال الفراء : يقال : رجل بُحْتُر ، وبُهَتُر وبُحْتُرى ، إذا كان قصيرا ، وامرأة بُحْتُرة وبُهْتُرة وبُحْتُرية إذا كانت قصيرة من نسوة بَحَاتِر وبَهَاتِرة" . (١)

وقد أنكر أبو بكر المعنى الثانى للفظين التاليين : ( التقريظ للثناء ، والذم ، و ( الطَّاحى ، للمنضجع ، (٢) والمنخفض وعلى ذلك فهما خارجان من دائرة الأضداد . (٣)

٣ــ ومن هذا الباب ماجاء من الألفاظ المؤنثة الخالية من علامات التأنيث ، لاستحالة وقوع معناها على المذكر نحو ( رَغوث ) للتى يرغثها ولدها ، وللولد الذى يرغثها ، (٤) و ( زَجور ) للزاجر ، وللناقة التى لا تدر حتى تزجر وتضرب ، (٥) و ( مَخوض ) للتى ضربها المخاض ، وللماخض . (٦) قال أبو بكر معلقا على ( رغوث ) : وحذفت الهاء من ( رغوث ) لأن الذكر من جنسها لا يوصف ( رغوث ) ، فجرى رغوث مجرى حائض وطالق ، إذا ذكرا فى وصف المؤنث من أجل أن المذكر لاحظ له فيها فـ ( رغوث ) عند الفراء وأصحابه ليس من الأضداد ، وكذلك الحروف التى عددها قطرب ، (٧) إذ كان زجور توصف الناقة به ولا يوصف به البعير ووصف الرجل به لا يقع مضادا لوصف الناقة به ، إذ كان من غير جنسهما ، فهذا ان الفرقان بين البابين" . (٨)

---

( ١ ) ص ٣٦٢ . ( ٢ ) ص ٣٩٢-٣٩٣ . ( ٣ ) ص ٣٩٤ .
( ٤ ) ص ٣٥٧ ، يقال أرغث ورغثها وارتغثها بمعنى رضعها وأرغثته أرضعته انظر القاموس ( رغث ) ١/١٧٣ .
( ٥ ) ص ٣٦٠ . ( ٦ ) ص ٣٦٣ .
( ٧ ) هى زجور ، ورغوث ، ونهوز ، وغموز ، وعصوب ، . . الخ وقد استشهد بها ابن الأنبارى ص ٣٥٧ -٣٥٨ .
( ٨ ) أضداد ابن الأنبارى ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٤ — ومن شروطه فى الأضداد أن يكون المعنيان المتضادان كلاهما فصيح نحو ( الجرفة ) لكثرة المال وللفقر ،[١] وقد رفض المعنى الثانى لأنه من استعمال العوام.

٥ — واشترط كذلك أن يكون المعنيان المتضادان معروفين فى جنس واحد — كما تقدم فى ( زَجُور ) ، وقد نص فيها ابن الأنبارى على اختلاف الجنس ، ومثلها ( الهَجْر ) يقال هجرتُ الرجل إذا أعرضتَ عنه ، وهجرت الناقة إذا شددت فى أنفها الهجار — وهو حبل — ليعطفها على ولد غيرها.[٢] قال أبو بكر منكرا وجود التضاد بين المعنيين لاختلاف جنسيهما : " وهذا القول عندى يعيد ، لأن المعنى الثانى لم يستعمل فى الناس ".[٣]

٦ — لا يعتبر من الأضداد ماكان أحد معنييه شاذا ، فمن ذلك لفظ ( الضِّدّ ) بمعنى المِثل.[٤]

يتضح مما سبق أن تصور ابن الأنبارى للأضداد مختلف عن تصور السابقين لها فأولئك لم يتجاوز اهتمامهم الجمع والتدوين ، وأما هو فقد جمعها ودونها ، ثم درسها دراسة علمية ، واعية ، وعلى هذا الأساس فسر نشوءها بأسباب ، وحدد قبولها بشروط.

---

(١) ص ٣٦٦.
(٢) و(٣) ص ٣٢٣.
(٤) ص ٢٧.

هل التزم منهجه فى دراسة الأضـــداد ؟

مر بنا أن ابن الأنبارى نص على بعض الأسباب التى تفسر نشوء الأضـــداد ، وأنه فطن إلى بعضها الآخر من غير أن ينص عليه ، ومع ذلك فإنه حشر فى كتابه الألفاظ التى يمكن أن تفسر بواحد أو أكثر من تلك التفسيرات ،!! وقد سبق عرض طائفة من الأمثلة على ذلك فى الحديث عن أسباب نشوء **الأضداد** ، فهل هذا تناقض منه ؟! أو أنه تراجع عن المنهج الذى رسمه فى مقدمته وتنازل عن الشروط التى نص عليها فى **مواضع** من كتابه كما تقدم ؟ .

الحقيقة أن موقفه هنا موقف الدارس الموضوعى الذى يجد أمامه مشكلـــة فلا يرى مناصا من عرضها لدراستها دراسة واقعية ، ومجرد عرضها لا يعنى الإيمان بها والتسليم لها . ومما يشفع لأبى بكر فى ذلك إشاراته الدائمة الى تلك التفسيرات التى يعرضها بوصفها شروطا لقبول الأضداد ، فهو يرى أن السياق هو الـذى يحـدد أحد معنيى الضِّدّ ، ويشير باستمرار إلى اختلاف اللهجات العربية فى استعمال المعانى المتضادة للألفاظ مما يسوغ لنفسه عرضها ، كمـا أنه يشير أيضـــا إلى الاتساع فى استعمال اللفظة وعموم معناها ، ويشير إلى أسبـاب أخرى كثيرة ، كما يُذكّر بين حين وآخر بشروط قبول الأضداد أو ينص أحيانا على رفضه الصريح لبعض الأمثلة التى اعتبرها السابقون من الأضداد وعلى هذا الأساس خطّأ بعض المتقدمين من جامعى الأضـــداد كما تقدم ، وقد لا يخطئهم وإنما يكتفى بنسبة اللفظة إلى القائل بضديتها منهم ، مخلّصا نفسه من تبعـــة الخطأ فيها ، وقد يتصدى للرد عليـــــهم .(١)

---

(١) انظر أمثلة على ردوده ص ١٣٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٤٠٠ وغيرها .

تلك أدلة كافية لتعليل صنيع ابن الأنبارى فى عرض مادته العلميـــة الكبيرة من الأضـــداد . ومع ذلك فلانغفل جانبا آخر أشار إليه فى مقدمته ، وهو أن من أهداف تأليف الكتاب الرد على الشعوبيين وكان من ردوده عليهم، أنّ وجود الأضداد فى اللغة العربية إنما يدل على اتساع العرب فـــى كلامهم ، ولما عالل هذه الظاهرة بسعة اللغة ـ وهذا حق ـ كان لابد له من عرض أكبر عدد ممكن من الأمثلة لكى يؤكد صحة مذهبه ، وقد فعل . وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا ينقض ماذهبت إليه آنفا ! فكيف يعرض ابن الأنبارى تلك المجموعة الضخمـــة من الأضـــداد وهو غير مؤمـــن بها جميعا ؟! يمكن حل هذا الاشكال إذا جمعنا بين هدفه السابق ـ الرد على الشعوبية ـ وبين صفة أخرى متأصلة فيه وهى غيرته على اللغة العربية ، وتعصبه لهـا ، مما يجعله مدافعا عنها بكل ما أوتى من مقدرة ، فهو من جانب يعرض مادتـه عرضا موضوعيا ـ كما رويت فى كتب اللغة ـ تحدوه فى ذلك الرغبة فى جمع أكبر عدد ممكن من الأضـــداد ـ وهو من جانب آخر يلتمس من مادته الضخمة حجة للدفاع عن اللغة ، وكأنه ينطلق فى دراسته ـ على هذا النحو ـ من فهـــم لهذه الظاهرة يقوم على الجمع بين عوامل نشوء الأضـــداد ، وشروط قبولها فى اللغة ، وبين الرغبة فى جمع مفرداتها ودراستها ، واستغلالها بعد ذلك حجة قوية للرد على الشعوبيين الذين زعموا أن الأضـــداد تسبب اللبس فى فهم المعنى غافلين عن أن سياق الكلام يحدد المعنى ويوضح المقصد .

وخلاصة الكلام أن ابن الأنبارى يرى فى الأضـــداد مشكلة واقعـــة ، ولابد له من جمع مادتها وعرضها عرضا مفصلا لكى يتسنى له حلها ، وعلى هذا الأساس يمكن أن نطمئن إلى أن فكرة الأضـــداد كانت واضحة فى ذهنه تمام الوضوح ، ولذلك استطاع أن يضـــع تلك الحدود الواضحة فى تفسير الأضـــداد ـ على نحو ما صنع المحدثون ـ فتمكن من دراستها دراسة علمية دقيقـــة إلى حد بعيد .

وقد عاب أبو بكر الكتب السابقة - فى مقدمته - بنقص مادتها العلمية ، إذ إن كل واحد من مؤلفيها أتى بجزء من الألفاظ ، وأسقط منها جزءا ، كما عاب معظم المتقدمين بالتقصير فى تفسير ما أوردوه فى كتبهم . فهل تحاشى هو هذا النقص الذى رآه عيبا ؟ وهل حقا اشتمل كتابه على جميع ما فى الكتب السابقة من الألفاظ المتضادة ؟

يتضح بعد التثبت من اتهام ابن الأنبارى الكتب التى سبقته بالنقص ، أنه لم يكن مبالغا فيما وجهه إليهم ، فأول ما نلاحظه على تلك الكتب أن المادة العلمية ليست متكاملة فيها ، فكل واحد من مؤلفيها ذكر جزءا وترك جزءا ، وسنرى نسبة النقص عند كل واحد منهم ، وذلك بعد موازنة مواد كتبهم بمادة كتاب ابن الأنبارى كما نرى أن معظمهم لا يوضح علاقة الضدية بين معانى الألفاظ ، أما أبو بكر فقد أكثر من التوقف عند تلك المعانى ، واستقصى الشواهد والحجج كما أنه كثيرا ما زاد على الكتب السابقة بما كان يرى احتمال اعتباره من الأضداد عند الناس ، وقد ذكر ذلك بعنوان "ومما يشبه الأضداد" أو "مما يفسر تفسيرين متضادين" أو "كالمتضادين" من الشعر أو القرآن ، مما لا نجده فى الكتب السابقة .

ولكى نتبين صحة حكمه السابق على كتب السابقين بالنقص نترك المجال لتتحدث لغة الأرقام ، فنرى أن عدد الألفاظ المتضادة بلغ عند قطرب المتوفى سنة ( ٢٠٦هـ ) ثلاث عشرة ومائتين لفظة ، وعند الأصمعى المتوفى سنة ( ٢١٦هـ ) خمسا ومائة لفظة ، وعند ابن السكيت المتوفى سنة ( ٢٤٤ هـ ) ثلاثا وتسعين لفظة ، وعند السجستانى المتوفى سنة ( ٢٤٨ هـ ) تسعا وستين ومائة لفظة ، وأما ابن الأنبارى المتوفى سنة ( ٣٢٨هـ ) فقد بلغت أضداده سبعا وخمسين وثلاثمائة لفظة .

يتضح لنا من هذا حدود إضافة أبى بكر على المتقدمين ، كما تتضح لدينا صحة حكمه على كتبهم ، ومن هنا حق له أن يقول : إنّ كل واحد من هؤلاء "أتى بجزء من الحروف وأسقط جزءا".

نخلص مما سبق إلى أن أبا بكر قد التزم منهجه التزاما كبيرا فاهتم بشروط الأضداد ، وعوامل نشوئها ، وصرح على أساسها ببطلان معنى الضدية فى كثير منها فاستبعدها ، وكان عند وعده فى الزيادة العددية التى أخذها على نفسه فى المقدمة ، وحقق جمع المادة المتناثرة فى كتب المتقدمين بين دفتى كتابه ، بحيث بلغت سبعة وخمسين وثلاثمائة ضدّ ، وقد أثرى كتابه بمختلف الفوائد اللغوية ، ودعم كلامه بالعديد من الشواهد والأدلة ، وسنرى ذلك فيما يأتى .

الفوائد اللغوية فى الكتاب :

ليس هم ابن الأنبارى جمع الكلمات المتضادة فحسب ، بل الكتاب ملئ بفوائد لغوية ، ونحوية ، وبلاغية ، وأدبية مختلفة ، فابن الأنبارى يكثر فيه من الأمثلة ، مع استقصاء الشواهد والإشارة إلى الروايات المختلفة ، والعناية بشرحها والتعليق عليها إن استدعى الأمر ، ففى سبيل توضيح فكرة التداخل على جهة الاتساع ذكر سبعة أمثلة وهى ( الصَّريم ) لليل والنهار ، و( الصَّارخ ) للمغيث والمستغيث ، و( السُّدْفَة ) للظلمة والضوء ، و( الجَلَل ) للعظيم واليسير ، و( البَعْض ) للبعض والكل ، و( الظَّنّ ) للشك واليقين ، و( الرَّجاء ) للطمع والخوف .

وقد شرح أبو بكر هذه الأمثلة كلها وبين فيها ضدية المعنيين وأن الأصل فيهما جاء من معنى واحد ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع.

ووقف بصفة خاصة على شرح معنى ( الرَّجاء ) فقال : " ... كما قيل راج للطمع فى الشئ ، وراج للخائف ، لأن الرجاء يقتضى الخوف إذا لم يكن صاحبه منه على يقين ، قال الله عز وجل : ( وَتَرْجُون من اللَّهِ مالا يَرْجُون )[1] ، فقال الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس : معناه : وتخافون من الله مالا يخافون .

وقال الفراء : العرب لا تذهب بالرجاء ، مذهب الخوف إلا مع الجحد ، كقولهم : مارجوت فلانا ، أى ماخفته ، قال الله عزوجل : ( مَالَكُم لَا تَرجُو لله وَقارا )[2] فمعناه لا تخافون لله عظمة .

وقال أبو ذؤيب :

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرجُ لَسْعَها وَحالَفَها فى بَيْتِ نُوبٍ عَوامِلِ

أراد لم يخف لسعها .

وقال أبو بكر : ويروى : " خالفها " ، بالخاء معجمة . وفى النُّوب قولان : أحدهما أنها تضرب إلى السواد ، بمنزلة النوبة من الحبشة . والقول الآخر : النوب جمع نائب ، وهو الراجع .

وقال الهاشمى عبيدة بن الحارث ـ قتل مع حمزة يوم أحد ـ :

لَعَمْرُكَ ما أَرْجُو إذا مُتُّ مُسلماً عَلَى أىِّ جَنْبٍ كان فى اللَّهِ مَصْرَعِى

معناه ماأخاف .

وأنشد يونس البصرى :

إذا أهلُ الكَرامةِ أَكْرَمُونِى فلا أرجو الهَوانَ من اللِّئامِ

وأنشد الفراء :

مَاتَرْتَجِى حين تُلاقِى الذَّائِدا أَسْبَعَةً لاقَت معاً أمْ واحِدا

أراد ماتخاف .

قال أبو بكر : فكلام العرب فى ( الرَّجاء ) على ماذكر الفراء .

---

(١) سورة النساء /١٠٤ .

(٢) سورة نوح /١٣ .

وقال المفسرون خلاف ما روى الكلبى فى المعنى الذى أبطل صحته الفراء : "وترجون من ثواب الله ، وتطمعون من حسن العاقبة والظفر والغلبة لأعدائكم ، فيما لا يطمع أعداؤكم ، ولا يؤملون مثله". (١)

وهذا مثال واضح على تتبع ابن الأنبارى الشواهد وتوسعه فى إيرادها ، فقد استشهد بآيتين وأربعة أبيات ، كما ذكر الخلاف فى رواية لفظ فى أحد الأبيات المستشهد بها ، كما نلاحظ فى هذا النص عناية أبى بكر بالشرح كلما دعت إليه الحاجة. (٢)

وإذا ورد فى ثنايا شرحه ، وعرضه مادته أمر خلافى فإنه يعالجه مشيرا إلى أوجه الخلاف فيه ، على نحو ما فعل فى عرض آراء المفسرين وأقوالهم فى شرح معنى قوله تعالى : ( قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) . (٣)

وإن تعددت اللغات فى اللفظة الواحدة ، فإنه يذكر تلك اللغات المتعددة فيها ، كما فعل حين تعرض للفظ ( النِّد ) بمعنى الضِّدّ فقال بعد أن فسر معناها : "ويقال فلان نِدِّى ، ونِدِيدِى ونِدِيدَتِى ، فالثلاث اللغات بمعنى واحد". (٤)

وكما فعل فى وقوفه على لفظ ( اليَتْن ) بمعنى المقلوب ، قال أبوبكر : "وفيه ثلاث لغات : اليَتْنُ ، والأَتْنُ ، والوَتْنُ". (٥)

---

(١) ص ٩ - ١١ .
(٢) انظر نماذج أخرى لإكثاره من الامثلة ص ٤ - ٧ ، و٣٧-٣٨ ، وانظر نماذج لاهتمامه بالإشارة الى الروايات المختلفة ص ١٩ ، ٢٣ ، و١٦٤ ، و٣٥٥ ، و ٤٢١ وغيرها .
(٣) سورة المائدة/ ١١٥ وانظر نماذج أخرى ص ٢٩٨- ٢٩٩ ، و٣٦٨ - ٣٦٩ ، و٣٨٨ -٣٩٢ وغيرها
(٤) ص ٢٤ .
(٥) ص ٨٦ ، وانظر امثلة أخرى ص ٢٨ ، ١٧٣ ، ٣٤٥ .

وإن اختلفت اللغات من قبيلة إلى أخرى فإنه يشير إلى مثل هذا الاختلاف اللهجي ، ولا غرو أن يهتم أبو بكر بتعدد اللهجات فقد فسر به نشوء كثير من الأضداد ، ومن ذلك قوله : " السُّدفة حرف من الأضداد ، فبنو تميم يذهبون إلى أنها الظلمة ، وقيس يذهبون إلى أنها الضوء "[1] وقوله : " الساجد : المنحنى عند بعض العرب ، وهو في لغة طيء المنتصب "[2] وقوله : ـ نقلا عن قطرب ـ " بنو تميم يجعلون المريض الجَذَعَ من ولد الشاء إلى أن يثنى ، وغيرهم يقولون هو الصغير "[3] .

وأهم القبائل التي يشار إلى لغاتها في كتاب ابن الأنباري : الحجاز ، وتميم ، وطيء ، وهذيل ، وخزاعة ، وحمير ، وأسد ، وهوازن وغيرها .

ويهتم المؤلف اهتماما كبيرا بموضوعات اللغة والنحو ، يقف عليها ويعالجها معالجة مفصلة في أكثر الأحيان ، وبلغ من اهتمامه بها أن ذكر بعضها ضمن مواده من الأضداد أو مما يشبه الأضداد ومن ذلك : "إذ" و"إذا" : " تكون "إذ" للماضي ، و"إذا" للمستقبل ، وهذا هو المشهور فيهما ، وتكون "إذ" للمستقبل ، و"إذا" للماضي اذا شهر المعنى ، ولم يقع فيه لبس "[4] .

ـ ومنه " نحن " " يقع على الواحد والاثنين ، والجميع ، والمؤنث "[5] .

ـ و"لا" : " تكون بمعنى الجحد ـ وهو الأشهر فيها ـ وتكون بمعنى الإثبات ، وهو المستغرب عند عوام الناس منها "[6] .

ـ و"أو" " تكون بمعنى الشك ، في قولهم : يقوم هذا أو ذاك ، أي يقوم أحدهما ، وتكون معطوفة في الشيء المعلوم الذي لا شك فيه كقول جرير :

نالَ الخلافةَ ، أو كانَتْ له قَدَرا  كما أتَى ربَّهُ مُوسى عَلى قَدَرِ "[7]

---

(١) ص ١١٤ .  (٢) ٢٩٤ .
(٣) ص ٣١٨ ، وانظر أمثلة أخرى على اختلاف اللهجات ص ٩٨ و ٢٧ ، و٣٦ ، و٤٥ ، ٤٢٠ وغيرها .
(٤) ص ١١٨ .  (٥) ص ١٨٢ .
(٦) ص ٢١١ .  (٧) ص ٢٧٩ .

وقد وجد ابن الأنبارى فى عرض هـــــذه الأدوات فرصة للتحدث عنها ، مفصلا القول فى معانيها ، وشواهدها .

ومن الموضوعات اللغوية التى أطال الوقوف عليها قضية التصغير ، وقـد عالجها عند ماتعرض للفظ " التصغير " وهو من الأضـداد ، قال ابن الأنبارى : " ومن الأضـداد أيضا ( التصغير ) ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم ، فمن التعظيم ، قول العرب : أنا سُرَيْسِير هذا الأمر ، أى أنا أعلم الناس بـه ، ومنه قول الأنصارى : يوم السقيفة : ( أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ) ، أى أنا أعلم الناس بها . فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير .

والجذيل : تصغير الجذل ، وهو الجذع ، وأصل الشجرة . والمحكك الذى يحتك به ، أراد : أنا يشتفى برأيى ، كما تشتفى الإبل أولات الجرب باحتكاكها بالجذع . والعذيق : تصغير العذق ، وهو الكِبَاسَة ، والشمراخ العظيم . والمرجب : الـــذى يعمد لعظمه .

وقال لبيـــد فى هذا المعنى :

وكل أُناسٍ سوف تَدْخُل بَيْنَهم ... دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأَنَامِلُ

فصفر الداهية معظما لها لا محقرا لشأنها .

والتصغير على ثمانية أوجـه :

أحدهما تصغير العين لنقصان فيها ، كقولك هذا جُعَير ، إذا كان صغيرا ، وكذلك هذه دويرة ، إذا لم تكن كبيرة واسعة .

ويكون التصغير على جهة تحقير المصغر فى عين المخاطب ، وليس به نقص فى ذاته ولا صغر ، كقول القائل : ذهبت الدنانير فمابقى منها إلا دُنَيْنِيرٌ واحد ، والدينار كامل الوزن ، وكذلك هلك القوم فمابقى إلا أهل بُيَيْت ، والبيت المصغر لا نقص فيه ولا تغيير .

و يكون التصغير على معنى التعظيم ، وقد مضى شرحه .

ويكون التصغير على معنى الذَّمّ ، كقولهم : يافُوَيْسِق ياخُبَيِّـــــث .

ويكون التصغير على معنى الرحمة ، والاشفاق ، والعطف كقولهم للرجـــل : يابُنَيّ ، ويا أُخَيّ ، وللمرأة ياأُخَيَّة ، لا يقصد فى هذا قصد التصغير والتحقير ، إنما يراد به الرحمة والمحبة ، قال أبوزبيد :

يابن أُمَيّ ويا شُقَيِّقَ نفسى أنت خلفتنى لأمرٍ شديدِ

ومنه قولهم : ياعُمَيْمَةَ ، أدخلكِ اللهُ الجنّة .

ويكون تصغير المحل على جهة التقريب له كقولهم : هذا فُوَيق هذا ، وهذا دُوَين الحائط .

والوجه السابع بأن يصغر الجمع بتصغير الواحد ، فتقول فى تصغير الدراهم : دريهمـــات .

والوجه الثامن : أن يصغر الجمع بتصغير أقله ، كقولهم فى تصغير الفلوس والبحور : أُفَيلِس وأُبَيْحِر ، فيصـــــغرونهما بتصغير الأَفْلُس ، والأَبْحُر ، لأنهما علما القلة فى هذا الباب" .(١)

وهكذا يستحسن أبو بكر إدخال تفاصيل لغوية ونحوية ليس لها علاقـــة مباشرة بموضوع الأضداد ،(٢) على نحو مارأيناه فى هذا النص فقد ذكر المعنيين المتضادين لكلمة التصغير وهما التحقير والتعظيم ، ثم استطرد فى دراسة أوجه التصغير فى اللغة .

وغالبا ما تذكر الموضوعات اللغوية والنحوية ضمن استطرادات المؤلـــف فى الشرح والتعليق والاستشهاد ، وغالبا ماتضمـــم هذه الاستطرادات مادة علمية غزيرة — كماتقدم — ولكنها مع ذلك ليست موفقة دائما ، فقد تطـــول وتتفرع إلى درجة الابتعاد عن صلب الموضوع ، كمانرى فى مادة (أَخْلَفْتُ) مثـلا

---

(١) ص ٢٩١ — ٢٩٣ .

(٢) انظر أمثلة أخرى على اهتمامه بالمسائل اللغوية والنحوية ص ٩٨ ، و٢٢ ، و ٣١٠ وغيرها .

فقد أتى بعشرة أبيـــات ليس منها سوى بيت واحد على فكرة التضـــــاد (١)

وكذلك فعل مع لفظة ( المَولَى ) فقد أورد لها بالإضافة إلى المعنيين المتضادين ستة معان بشروحها وليس لها أية علاقة بالأضـــداد . (٢)

ويبدو أنه كان يخشى هذا النوع من الاستطراد فكان يحتاط منه ، ويجتهد لتجنبه فى أحيان كثيرة منبها على ذلك ، كما فعل فى تفسير قوله تعالـــــى ( والّذِينَ مِنبَعْدِهِم لايَعْلَمُهُم إلاّ اللّهُ ) (٣) فذكر مايوضـــح تفسيرها فـــى موضع الاستشهاد ثم توقف مشيرا إلى كراهة الاستطراد فى تفسيرها ، محيلا إلى كتاب آخر من كتبه لمن أراد التفاصيل قائلا : " وفى هذه المسألة تفاسير واحتجاجات يطول شرحها فى هذا الموضع ، إذ لم يكن قصدنا فيه التفسـير ، وهى كاملة موجودة مجموعة فى كتاب " الرد على أهل الالحاد فى القرآن " . (٤)

وكذلك فعل فى حديثه عن الحرف (أو ) ، إذ قال بعد ذكر بعض معانيه : " وقد استقصينا الكلام فى تقسيم معانى (أو) فى كتاب " الرد على الملحديـن فى القرآن " ، وذكرنا منه هاهنا جملة لاغنى بالكتاب عنها " . (٥)

ويبدو أن الميل إلى الاستطراد من أجل الترويح عن النفس عن طـريق بعض الطرائف اللغوية ، لم يسلم منه ابن الانبارى ، ولا غرو ، فقد كان هـــذا الأسلوب سمة العصر فى التأليف لدى كثير من العلماء ، ومثاله عند أبى بكـــر ذلك الاستطراد الذى أقحمه فى معالجته للفظة ( المَريض) فقال ناقلا عـــن قطرب : " بنو تميم يجعلون المريض الجَذَع من ولد الشاء إلى أن يثنى ، وغيرهم يقولون هو الصغير . وقال غيره : يقال لولد الشاء ساعة تضعه ، من ولد الضأن كان أو من ولد المعز : سَخْلَة ثم بَهْمَة ، وجمع السلخة سِخَال ، وجمـــع البهمة بِهام ، فإذا بلغ أربعة أشهر وقوى وفصل من أمه قيل له جَفْر ، إذا كان

---

(١) انظر ص٢٣٣ — ٢٣٥ .
(٢) انظر ص ٤٦ — ٥٠ ، وانظر أمثلة أخرى على الاستطراد ص ٢٠ — ٢١ ، ١٦٩ — ١٧١ ، ٣١٩ — ٣٢٠ ، ٩٦ — ٩٩ ، ١٠٠ — ١٠٢ ، ١٠٨ — ١١١ وغيرها .
(٣) سورة إبراهيم / ٩ .
(٤) ص ٤٢٨ .
(٥) ص ٢٨٢ .

من ولد المعز، وللأنثى جَفْرة ، ويقال له أيضا عَتُود وعريض ، ويقال لمثله من أولاد الضأن حَمَل وللأنثى رَخَل ، ويقال له أيضا خروف وبَذَج ، جاء في الحديث: " يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج من الذل " ،(١) قال الشاعر :

قد هَلَكَتْ جارَتُنا من الهَمَجْ وإنْ تَجُعْ تأكلْ عَتُودا أوبَذَجْ (٢)

ويقال لولد المعز إلى أن يبلغ السنة : جدى للمذكر وعَناق للأنثى ، ثم يقال له إذا بلغ السنة : تيس ، وللأنثى عَنز ، فإذا دخل في الثانية قيل له : جَذَع ، من الضأن كان أومن المعز ، فإذا دخل في الثالثة : قيل له : ثَنِّى ، فإذا دخل الرابعة قيل له : رَبَاع ، فإذا دخل في الخامسة قيل له سَدَس وسَدِيس ، فإذا دخل في السادسة قيل له صالِغ وسالِغ" .

شواهده :

لعل أبرز ميزة في هذا الكتاب هي كثرة شواهده وتنوعها ، وهي تشغل معظم الكتاب تقريبا فلو اقتصرنا على مواد الأضداد بشروحها ومعانيها مجردة عن الشواهد والتعليقات اللغوية لصغر حجمه كثيرا .

ويستشهد ابن الأنباري بالشعر والقرآن والحديث والمثل ، والمأثور من كلام العرب ، وقد يستشهد بكلامهم المعتاد .

وهو يسوق الشاهد ثم يشرحه ، إن استدعى الأمر ، وقد يفصل في هذا الشرح، ويستطرد فيه ويدعمه بشواهد أخرى،(٤) ويوضح كل مايتعلق بالموضوع

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١ / ١١٠ .
(٢) البيت في لسان العرب ( بَذج ) ٣/ ٣٣ ونسبه لأبي محرز المحاربي .
(٣) ص ٣١٩ — ٣٢٠ ، وانظر أمثلة أخرى على ذلك ص ١١٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣١٩ وغيرها .
(٤) انظر ص ٦٦—٦٨ ، ٦٨ —١٧١ ، ٧٢—٧٥ ، ٩٠— ٩١ ، ٩٦—٩٩ ، ١١٠—١١١ ، ١١٤—١١٥ ، ١٣٤—١٣٦ .

الذى يعالجه بتتبعه الدقيق لأقوال السابقين من أئمة اللغة والنحو، وعرض وجهات نظرهم فى استعمالات العرب المختلفة ، ولا يتوانى عن الاستعانة بأقوال المفسرين والمحدثين والقراء فى الإبانة عن دلالة الآيات والأحاديث واختلاف القراءات ، وكل ذلك من أجل تيسير فهم الشاهد . وقد يكتفى بشرح مختصر لشواهده ، أو يعريها من الشرح إن كانت واضحة .(١)

وهذه الملاحظات كلها ظاهرة على شواهد ابن الأنبارى ، وتدرك بتتبع هذه الشواهد فى مواضع متفرقة من الكتاب ، وسأكتفى هنا بنص يوضح شيئا من هذه الملاحظات محيلا إلى مواضع أخرى من الاستشهاد فى الكتاب لالتماس الملاحظات الأخرى فيها .

قال ابن الأنبارى : " والقانع من الأضداد يقال : رجل قانع ، إذا كان راضيا بما هو فيه ، لا يسأل أحدا، ورجل قانع ، إذا كان سائلا ، قال الله عزوجل : ( وأطعموا القانعَ والمُعْتَرَّ )(٢) ، فالقانع السائل ، والمعترّ الذى يعرّض بالمسألة ، ولا يصرح ، وقال المعترّ: السائل ، والقانع : المحتاج . ويقال : قد قَنَعَ الرجل يَقْنَعُ قَناعَةً وقَنَعًا وقَنَعانًا ، إذا رضى بما هو فيه ، وهو قانع وقَنِعٌ، ويقال : قد قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعا ، إذا سأل ، يقال : نعوذُ بالله من القُنوع والخُنوع ، ونسأل الله القناعة ، فالخُنوع : الخضوع ، والقُنوع : المسألة .

وقال أعرابى لقوم سألهم ، فلم يعطوه : الحمد لله الذى أقنعنى إليكم ، أى أحوجنى . وقال الشَّمّاخ :

أَعائِشَ ما لأَهْلِكِ لا أَراهُم ... يُضيعون الهِجانَ مَعَ المُضيعِ

---

(١) انظر مثلا ص ٨٢، ٨٨، ١١٤، ١١٥، ١٤٣، ١٥٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٨، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٨٣ وغيرها .

(٢) سورة الحج / ٣٦ .

وكيفَ يُضِيعُ صاحبُ مُدْفَآتٍ  عَلى أثباجهـن من الصَّقيع
لَمَالُ المرءِ يصلحه فيغنى  مَفاقِرَهُ أعفُّ من القُنُـوعِ (١)

أى من المسألة . وقال الآخـر :

وإعطائى المَولَى على حينِ فقرِه  إذا قال أبْصِرْ خَلَّتى وقُنُوعِى

وقال أيضا بعض المعمرين :

فَمِنْهُم سعيدٌ آخِذٌ بنَصِيبِه  ومنهُمْ شَقِىٌّ بالمَعِيشةِ قانِعُ

وقال الآخـــر :

وأقْنَعُ بالشَّىءِ اليَسيرِ صيانةً  لِنَفْسِى ما عُمِّرْتُ والحُرُّ قانِـعُ

أى راض .

وربما تكلموا بالقنوع فى معنى القناعة ، والاختيار ما قدمنا ذكره ، فمنه قول بعضهم :

فَسَرَّ بلْتُ أخْلاقِى قُنُوعاً وعفةً  فعندِى بأخْلاقِى كنوزٌ من الذَّهَبْ
فلمْ أرَ عزّاً كالقنوع لأهلـه  وأنْ يُجْمِلَ الإنسانُ ما عاشَ فى الطَّلَبْ

وقال الآخـــر :

ثِقْ بالإلَه وردَّ النَّفسَ عن طَمَعٍ  إلى القُنوعِ ولا تَحْسُدْ أخَا المَالِ
فإنَّ بين الغِنَى والفقرِ مَنْزِلَةً  مقرونةً بجديدٍ ليس بالبَالِـى

وقال الآخـــر :

من قَنِعَتْ نفسُه بِبُلْغَتِهـا  أضْحَى عزيزاً وظَلَّ مُمْتَنِعا
للهِ درُّ القُنوعِ من خُلُـقٍ  كمْ من وضيعٍ به قد ارتفَعَا
تضيقُ نفسُ الفَتَى إذا افتقرتْ  ولو تَعَزَّى بِرَبِّه اتسعـا

وقال نصيب فى المعترّ :

مَن ذا ابنَ لَيلَى جزاك اللهُ مغفرةً  يُغْنِى مكانَك أو يُعْطِى كما تَهِبُ
قَدْ كانَ عند ابنِ لَيلَى غيرَ مُعْوِزِهِ  للفضلِ وصلٌ وللمعترِّ مُرْتَقَبُ

---

(١) المدفآت : جمع مدفأة وهى الناقة التى أدفئت بكثرة الوبر . والأثباج : جمع ثبج وهو الوسط . والصقيع الساقط من السماء . والمفاقر وجوه الفقر لا واحد لها .

وقال الآخـــر :

لَعَمْرُكَ ما المعترُّ يأتي بلادَنا  لِنَمْنَعَهُ بالضَّائِعِ المُتَهَضَّمِ"[1]

وفي هذا النص نلاحظ اهتماما كبيرا بالاستشهاد لمعنى الضِّـــدّ ، كما نلاحظ أن المؤلف يتتبع شواهده بدقة حتى بلغت اثني عشر شاهدا منها عشرة أبيات شعرية وآية قرآنية واحدة ، وقول مأثور لأعرابي .

ومن هذه الشواهد اثنان ليسا لمادة الباب - وهي ( القانع) - بل للفظة ( المعترّ) التي ذكرت معطوفة على ( القانع) في أول شاهد ذكره وهو قوله تعالى : ( وأَطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ) .

وقد تصل شواهده إلى تسعة عشر شاهدا في معالجته مادة من مواد الأضداد كما في مادة ( أخفيتُ)[2] بمعنى سترت وأظهرت.

وغالبا ما تكون شواهده لمادة الباب كما رأينا في المثال السابق ، إلا أنـــه لا يلتزم هذه القاعدة دائما فقد يسوق شواهد كثيرة لقاعدة نحوية أو لغوية ليس لها علاقة مباشرة بالمادة التي يعالجها ، ففي مادة ( المِثْل ) استشهد ببعـــض الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى (يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِم رَأيَ العَـــيْنِ)[3] ، وقد وقف على هذا الشاهد وقفة طويلة فشرح معنا ( المثل ) في الآية وهو الضعف، ثم علق عليها تعليقا طويلا وذكر بعض قراءاتها ومنها ( يَرَوْنَهم) بالياء أي اليهـــود ، وقد رأى أن هذه القراءة غريبة فوضحها بإرجاعها إلى قاعدة نحوية هامة - نقلها عن الفراء - وهي الرجوع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطـــاب ، ثم ساق شواهد عديدة - لهذه القاعدة في اللغة - بلغت تسعة ومنها قوله تعالى: (حتى إذا كُنتُم في الفُلْكِ ، وَجَرَيْنَ بِهِم)[4] .

أراد : (بكم) فرجع من الخطاب إلى الغيبة .

وقول الشاعر :

باتَتْ تَشْتَكي إلى النَّفْسِ مُجْهِشَةً  وقد حَمَلْتُكِ سَبْعاً بعدَ سَبْعِينا

إن تُحدِثي أملاً يانفسُ كارِهَةً  ففي الثلاثِ وفاءٌ للثمانينـــا

أراد وقد حملتها ، فرجع من الغيبة إلى الخطاب.[5]

---

( ١ ) ص ٦٦ - ٦٨ .  ( ٢ ) ص ٩٥-٩٩ .  ( ٣ ) سورة آل عمران/٣ ١٣ ( ٤ ) سورة يونس / ٢٢

( ٥ ) انظر بقية الشواهد لهذه القاعدة ص ١٣٤ - ١٣٥ .

ويؤخذ عليه فى شواهده إغفاله نسبة الشعر فى مواضع كثيرة إلى قائله .

وأما أهم الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم فامرؤ القيس والأعشى ، وزهير بن أبى سلمى وطرفة بن العبد ، والنابغة الذبيانى ، والخنساء ، وغيرهم من الجاهليين، وحسان بن ثابت وابن الزبعرى ، والنابغة الجعدى ، وعبد الله بن أبى رواحة ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك وغيرهم من المخضرمين والاسلاميين ، والفرزدق وجرير والأخطل ، والكميت وذو الرمة ، والراعى النميرى وغيرهم من الأمويين ، واستشهد ببعض المتأخرين كالوليد بن اليزيد ( ت ١٢٦ هـ ) وابن هرمة ( ت ١٧٦ هـ ) ، وهؤلاء كلهم موزعون على العصور الثلاثة المتقدمة ، إلا أنه لم يستشهد بعشراء العصر العباسى غير ابن هرمة وهو من مخضرمى الدولتين ، ومن أواخر الشعراء الذين يستشهد بشعرهم .

وقد سجل أبوبكر رقما كبيرا فى الاستشهاد بالشعر فقد بلغ عدد الأبيات التى استشهد بها ستة وتسعين وسبعمائة بيت ، وأنصاف الأبيات أحد عشر شطرا ، كما استشهد بتسعة وتسعين رجزا .

ولم يصل إلى هذا الاتساع فى الاستشهاد أحد من مؤلفى الأضداد قبله ، ولا شك أن ذلك يدل على سعة احاطته باللغة ، كما استشهد بتسع وستين ومائتين من الآيات القرآنية الكريمة ، واستشهد بثلاثة وخمسين حديثا ، وهو بذلك امتاز على جمّاع الأضداد المتقدمين بالاهتمام بالحديث النبوى فى شرح بعض مفردات الأضداد وفى شرح بعض مفردات شواهدها ، ومن الأحاديث التى استشهد بها :

قوله صلى الله عليه وسلم : " اتّقوا اللهَ فى النساء فانهنّ عندكم عَوان " (١) أى أسراء .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الحجّ العَجّ والثجّ " والعجّ يعنى التلبية ، والثجّ : صب الدماء .(٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تُجمِّروا جنودكم " أى لا تقطعوا نسلهم .(٣)

وقد استشهد ابن الأنبارى بكثير من الأمثال والعبارات اللغوية ، ومن ذلك قولهم ( نادِمٌ سادِم ) (٤) ، و ( ظَلَّ دمُه ) (٥) ، و ( قد تَفَشْمَرَ الرجل ) (٦) و ( رجل أخْضَر ) (٧) .

---

( ١ ) ص ٨٠ ( ٢ ) ص ٣٢ ( ٣ ) ص ٣٧٣ ( ٤ ) ص ١٧٩
( ٥ ) ص ٢٧٨ ( ٦ ) ص ٣٧٨ ( ٧ ) ص ٣٨٢

وليس غريبا أن يكثر ابن الأنبارى من الاستشهاد بالعبارات اللغوية ، فقد كان جامعا لها فى كتاب الزاهر على نحو ماتقدم .

كما استشهد أبوبكر بكثير من كلام العرب المأثور وأقوالهم المعتادة ، ومن ذلك :

ماروا ه الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : " جاءت امرأة تخاصم زوجها إلى يحى بن يعمر ، فقال للزوج : آللّهُ ، أن سَأَلْتُكَ ثمنَ شَكْرِها وشَبْرِكَ ، أنشأتَ تطلّها وتضهلُها "(١) ومعنى تَطُلّها ، وتَضْهَلُها : تردها إلى أهلها ، والشكر : كناية عن الفرج ، والشبر: كناية عن النكاح .

ومنه ماروى عن أبى وائل قال : " اشتكى رجل منّا ـ يقال له خُثَيْم بن العَدَّاء ـ وجعا يقال له الصفر ، فنعت له السكر ".(٢)

ومنه قول الأحنف : " لا أناةَ عندى فى ثلاث : الصّلاة إذا حضرت حتى أقضيها ، وحميمٌ إذا مات حتى أواريه ، وأيّم إذا خطبها كفؤها حتى أنكحها ".(٣)

وقول عمر بن عبد العزيز فى ذم اللحن : " أكاد أضرس إذا سمعت اللحن ".(٤)

---

(١) ص ٢٧٨ .
(٢) ص ٣٢٤ .
(٣) ص ٣٣٢ .
(٤) ص ٣٤٥ .

مصـــــادره :

ومن الحق أن يذكر لابن الأنبارى عظيم حرصه واهتمامه بالإشارة إلـــى مصادره فى الأضـــداد وتنويهه الدائم بها ، ونصه الدقيق عليها .

وهى كثيرة متنوعة ، تتقدمها كتب الأضـداد التى ألفت قبله ، وقد نـــص على رجوعه إليها فى مقدمته .(١)

وهو يأخذ عن كبار أئمة اللغة كالفراء ، الذى ذكر ستا وسبعين مرة فـــى الكتاب ، وهو رقم قياسى بالنسبة إلى العلماء الذين يأخذ عنهم ، فى هذا الكتاب، ويليه أستاذه ثعلب ، وقد ذكر إحدى وستين مرة ، ثم قطرب ، وقد ذكر خمســـا وخمسين مرة ، وبعدهم أبو عبيدة ، وقد ذكر اثنين وأربعين مرة ، وابن السكيت ، وقد ذكر تسعا وعشرين مرة ، والأصمعى وقد ذكر أربعا وعشريـــن مرة ، ومحمد بن زياد الأعرابى وقد ذكر إحدى وعشرين مرة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وقد ذكـــر خمس عشرة مـــــرة ، والكسائى مثلـــــه ، ثـم سلمـــــة بن عاصم وقد ذكـــر أربع عشرة مرة وأبو عمرو ومثله ، وابن أحمر جاء ذكره ثلاث عشرة مرة ، وشيخه ابـــن ناجية جاء ذكره اثنتى عشرة مرة ، وابن قتيبة ذكر إحدى عشرة مرة ، وشيخه الكديمى مثله . ثم أئمة كثيرون كلهم دون عشر مرات وأهمهم : يونس بن حبيب ، وأبو زيد وأبو عكرمة الضبى وغيرهم .

ومعظم هؤلاء كوفيون ، وكذلك سائر مصادره فى الكتاب فهى فى الأغلـــب الأعم كوفية ، وغالبا ما يأخذ عن الكوفيين مسلما بما يأخذ من غير أن يناقشهم ، أما البصريون فكثيرا ما يقف ـ فى أخذه عنهم ـ موقف المناقش المفند ، وبخاصة مع ابن قتيبة ، وسهل السجستانى ، وقطرب .

وبالإضافة إلى هؤلاء يرجع ابن الأنبارى إلى مجموعة كبيرة من شيوخه وقد تقدم منهم ثعلب وابن ناجية والكديمـــى ، وفيما عداهم يرجع إلى شيوخه التاليين : اسماعيل بن إسحاق القاضى ، وأبو على المنزى ، وعلى بن محمد بن أبى الشوارب ، وأحمـــد بن فرح ، وعبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ،

---

(١) ص ٠١٣

وأبو على المقرئ ، ومحمد بن عيسى البياضى ، ومحمد بن أحمد بن النضـــــر ، ومحمد بن عثمان ، ويبرز من هؤلاء بوجه خاص : ثعلب ، وابن ناجية ، والكديمى ، وإسماعيل القاضى والعنزى .

أهمية أضداد ابن الأنبارى وإضافاته :

اتفق الدارسون على أن كتاب ابن الأنبارى من أحسن وأكبر ما ألف فـــى الأضـــداد ، وهو كذلك بحق ، فقد ألفه بعد أن قطع العلماء شوطا كبيرا فى دراسة هذه الظاهرة ، ورغم التشابه الكبير بينهم فى التأليف ، إلا أنه أفـاد منهم جميعا ، متتبعا مؤلفاتهم فى جمع مادته فخرج بمادة كبيرة منها ، وحاول أن يجمع بينها ليكمل بعضها بعضا ، فتم له ذلك ، واستطاع أن يبنى من هذا الجمع كتابه ، كما استطاع أن يخرج من ذلك ببعض الملاحـــظـــات الجديدة فى موضوعه بمنهج أكثر شمولا وتتبعا ودقة ، فكان كتابه بحق موضع ثناء العلماء فوصفه الخطيب البغدادى بقوله : " وما رأيت أكبر منه "(١) وهـــو يعنى فى الأضـــداد ، ولم يكن الخطيب مبالغا فى ثنائه على هـــذا الكتاب القيم ، وقد تبعه فى ذلك معظم الذين ترجموا لأبى بكر بن الأنبارى(٢) .

ومن هنا فقد كان الكتاب وما يزال المصدر الرئيسى الذى يرجع إليه فى دراسة الأضداد ، ولذلك أكبّ عليه الباحثون حتى يومنا هذا يجمعون منه مادتهم فى الأضداد ، وينقلون منه ماشاءوا ، ويكثرون من الاستشهاد بآراء مؤلفه .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ .

(٢) انظر مثلا انباه الرواة ٣/٢٠٤ ، وطبقات الحنابلة ٢/٧١ ، والوافى بالوفيات ٤/٣٤٤ ، وعبارته فيه " وما رأيت أكبر منه فى بابه " وطبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ ، وعبارته فيه : " وهو كبير لم ير أكبر منه فى بابه " .

وكان لبعضهم اهتمام خاص به ، كتقى الدين عبد القادر التميمى المصرى الحنفى ،[1] وابنه ملا حسن ، فأما الأول فقد اختصر أضداد ابن الأنبارى ، وأما الثانى فقد رتب هذا المختصر على حروف الهجاء ، ولا نستطيع أن نتعرف على هذين الكتابين ، إلا عن طريق الظن والتخمين لأن كليهما مفقود ، ولعل المختصر يسير على نمط غيره من المختصرات اللغوية من إغفال شروح المؤلف واستطراداته ، وترك شواهده والتعليقات الإضافية التى تهمتها ، ولا يستبعد أن يكون التميمى قد حذف بعض مواد الكتاب من حروف الأضداد . وأما المرتب فالمرجح أنه لا جديد فيه غير الترتيب الهجائى للألفاظ المتضادة ، وأما مادة المختصر فلا أحسب أن فيها تغييرا غير الترتيب المذكور .

وعلى هذا فكلا الكتابين لم يضف جديدا فى الأضداد مما أدى إلى إهمالهما وعدم الالتفات إليهما فضاع ذكرهما إلا على هذا النطاق المحدود .

وقد حذا ابن الدهان فى كتابه ـ الأضداد ـ حذو ابن الأنبارى ، ونقل منه دون أن يزيد أوينقص شيئا من مواد الأضداد ، فكأنه بصنيعه هذا قد اختصر كتاب ابن الأنبارى وأسقط منه الشروح والتعليقات والشواهد مكتفيا ، بإيراد الضد ومعنييه بطريقة معجمية مجردة .[2]

ولأضداد ابن الأنبارى أهمية خاصة ، من حيث إلقاؤه الضوء على بعض كتب الأضداد المفقودة وبخاصة الكوفية منها ، وذلك عن طريق نقول المؤلف ، كما نرى فى نقوله الكثيرة من الفراء وثعلب ، ولا شك أن تلك النقول تعطينا صورة جيدة لكتابيهما فى الأضداد ، وقد أكثر ابن الأنبارى

---

(١) انظر كشف الظنون ١/١١٦ ، وهدية العارفين ١/٥٩٩ ، ومعجم المؤلفين ٥/٢٨٥ .

(٢) انظر كشف الظنون ١/١١٦ .

(٣) الأضداد فى اللغة ٤٧٩ .

الأخـذ عن ثعلب وبخاصة فى أضداده ومجالسه ، كما سمع منه مشافهة كثيرا من أرائه الخاصة التى قد لا نجدها فى مؤلفات ثعلب ، ومنها آراء مهمة فـى الأضـداد كتفسيره بعض الأضـداد بالتصريف والرجوع إلى أصل اللفظـة ، وتفسيره بعضها بالتفاؤل ،(١) وبعضها بالقلب اللغوى ،(٢) أى قلب التراكيـب كما تقدم .

ويمتاز الكتاب بكثرة شواهده ، وقد انفرد ابن الأنبارى ـ دون غيره ـ بهذه الكثرة العددية من الشواهد الشعرية والقرآنية ، ومن الأحاديث النبوية ، ومن مختلف الأمثال والعبارات اللغوية والمأثور من كلام العرب ، مما لا نجده فى كتب الأضداد الأخرى ، حتى غدا كتابه معجما لشواهد الأضـداد .

وقد اهتم ابن الأنبارى فى الكتاب كثيرا بشرح معانى الأضـداد واقفا على تفاصيل كثيرة كلما دعت الحاجة ، ومقتصرا على شرح موجز ، إن كان الباب واضحا ، وقد تخللت شروحه تعليقات وفوائد لغوية ونحوية كثيرة ، سواء من اضافاته الخاصة أو من آراء شيخه ثعلب ، أو من اقتباساته المتعددة من كبار أئمة اللغة وقد لا نجد مثل هذه التعليقات والفوائد والتفاصيل الخاصة بالأضداد فى غير هذ الكتاب ، ولا سيما ما يتعلق منها بآراء كوفية .

ولعل من أهم إضافاته فى الأضداد تلك الأمثلة التى انفرد بها دون غيره ، ممن سبقوه فى دراسة الأضـداد ، ومن أوضح الأمثلة تلك المجموعة التى ترد بالصيغ التالية : " ومما يفسر فى كتاب الله تفاسير متضادة " أو " تفسيريـن متضادين " أو " كالمتضادين ".(٣) وكذلك ما ذكره عن تفاسير بعض الأبيات التى رأى أنها يمكن أن تفسر تفسيرين متضادين .(٤) وهذا توسع منه فى المنهـج

---

(١) انظر ص ١٠٦ . (٢) انظر ص ٣٣٦ .
(٣) ص ٣٥٣ ، و ٣٦٧ ، و ٣٦٩ ، و ٣٨١ ، و ٣٨٦ ، و ٣٨٨ وغيرها .
(٤) ص ٢٨٦ ، و ٢٩٩ ، و ٣٢٨ ، و ٣٤٠ ، و ٣٥٥ وغيرها .

الدراسى للأضداد فلم يكتف بالألفاظ المجردة ولا التراكيب والعبارات القصيرة المأثورة ، بل تجاوزها إلى المعانى المتكاملة فى الكلام المعتاد وفى النظم الشعرى ، وفى الآية القرآنية ، وذلك خشية إفراط الناس فى تصور الأضداد ، فهو يريد معالجة هذه القضية قبل أن تتسع دائرتها فى تصور الناس ، فيحسبوها من الأضداد ، ولذلك فهو يعرض مختلف الأقوال فى تفسير معانى هذا النمط من الكلام ، من غير أن يشير إلى ضدية المعانى ، لتدرك الأذهان أن لا ضدية بينها وإنما هى تفاسير مختلفة ، وآراء متعددة ، لا توجد بينها علاقة التضاد ، ولذلك نص على أنها مما يمكن أن يفسر تفسيرين متضادين .

وله إضافات أخرى لطيفة ، ومع أنها ليست من الأضداد إلا أنها مما يشبه الأضداد أيضا - وهو ينظر إليها بالتصور السابق نفسه - وقد أثبت رأيه فيها ، فهى عنده ليست أضدادا ولكنها مما يشبه الأضداد ، أو مما يجرى مجراها (١) ، ولذلك ذكرت فى الكتاب مع الأضداد لقرب الصلة بينها فى تصور الناس .

كما أضاف بعض العبارات المعتادة والتى يحتمل فيها معنيين متضادين أيضا ، كبعض العبارات التى تحتوى على القَسَم (٢) وغيرها .

وهو بذلك يعتبر من المكثرين فى جمع مادة الأضداد ، فبالإضافة إلى تلك المجموعة الكبيرة من الأضداد المفردة جمع ما يشبهها من الألفاظ أو العبارات ، والتراكيب ، وأضاف إليها ما يحتمل تفسيرين

---

(١) انظر مثلا ١٣٦ ، ١٨٢ ، ٢٥٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٤١٤ - ٤١٦ .

(٢) انظر ص ٣١٠ .

أو أكثر متضادين أو كالمتضادين من الأبيات الشعرية ، أو الآيات القرآنية واعتبرها مماله صلة بالموضوع ومثل هذا النوع مذكور بكثرة في النصف الثاني من الكتاب.

وأخيرا لو لم يكن لكتاب ابن الأنباري مزية غير مزية الجمع لكفته ، وخاصة أنه أول محاولة لجمع الأضداد من مختلف المصادر البصرية والكوفية ، ولذلك امتاز بالشمول والاستقصاء والتتبع الدقيق للمادة العلمية من الأضداد .

* * * *

## كتاب المذكر والمؤنـــــــث

* المقصود بالمذكر والمؤنث .
* أنواع المذكر والمؤنـــث .
* الفرق بين المذكر والمؤنث .
* علامات التأنيث وأبنيته .
* التـــــاء .
* أقسام استعمالات التاء .
* صيغ يستوى فيها المذكر والمؤنث .
* الألـــف المقصـــورة .
* الألـــف الممدودة .
* هل تقسيم ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية تقسيم منطقـــى ؟
* جهود اللغويين العرب فى دراسة هذه الظاهرة .
* كتاب المذكر والمؤنث ، لابـــن الأنبـــارى .
* نقـــــد كتاب المذكر والمؤنث .
* مصـــــادره
* الاهتمام بالعلل النحوية
* أهميـــة الكتاب .

* * *

## ٥ ـ كتـــاب المذكـــر والمؤنث

وسأقدم بين يدى دراسة هذا الكتاب حديثا عن ظاهرة التذكير والتأنيث، كما صنعت بسابقه .

المقصود بالمذكر والمؤنث :

يقرر النحاة واللغويون أن المذكر هو الأصل فى اللغة ، وبناء على ذلك يكون الاطلاق للمذكر ، والتحديد للمؤنث ، فيمكن تعريف المذكر بأنه ماخلا من إحدى علامات التأنيث الثلاث : التاء ، وألف التأنيث الممدودة ، وألف التأنيث المقصورة .

وأما المؤنث فهو ما اتصل بإحدى هذه العلامات لفظا أوتقديرا .

وقد تمسك أكثر العلماء بهذا التعريف لكنه مازال ناقصا ، فهو علـــى هذه الصورة ، ليس قاعدة علمية دقيقة تنطبق عليها جميع الأحوال ، ولذلـــك يجب أن يضاف إليه التنبيه على أن هناك ألفاظا مؤنثة فى ظاهرها ، وتدل على التذكير فى معانيها كخليفة ، ومعاوية ، وعلّامة ، وراوية ... الخ .

أما تلك الألفاظ المذكرة فى ظاهرها والتى تدل على التأنيث فى معانيها فهى مؤنثة على أساس اتصال علامة التأنيث بها تقديرا .

وهناك طائفة من الألفاظ فى اللغة العربية تعامل كلتا المعاملتين ، كالسُّوق ، والطريق ، والسِّلْم ، والكأس وغيرها .

وواضح أن سبب اضطراب هذه القاعدة هو أن الفصل فى هذا الأمـــر يعود إلى السماع والاستعمال . ولذلك فلا يمكننا صياغة تعريف دقيق شامـــل فاصل فى الموضوع .

أنواع المذكر والمؤنث :

ينقسم الاسم المذكر إلى نوعين : حقيقى ، وغير حقيقى .

فأما الحقيقى فهو الاسم الدال على مذكر من أجناس الناس أو الحيوان كالرجل والغلام ، والجمل والأسد . وهو فى تعريف القدماء : " ماكان له فرج الذكر " .(١)

وأما غير الحقيقى فهو الاسم الدال على مذكر من غير أجناس الناس أو الحيوان ، وبعبارة أخرى مالم يكن له فرج الذكر سواء أكان ماديا ملموسا كالجدار والسور والعمود والسَّيف أم كان معنويا كالعمل والعدل والحق والتعاون .

وأما المؤنث فهو قسمان رئيسان :

١- حقيقى وهو مادل على أنثى من الناس أو الحيوان ، وفى تعريف السابقين هو : ماكان له فرج الأنثى(٢) كالمرأة والناقة والجارية والدجاجة والأتان .

٢- مجازى : وهو مايعامل معاملة الأنثى من الناس أو الحيوان وليس منهما ، سواء لحقته علامة ظاهرة أم مقدرة نحو ورقة وسفينة ، وسيارة ، ودار ، وشمس ، وعين .

وقد قسم الأستاذ عباس حسن المؤنث إلى خمسة أنواع أخرى - وكلها متفرعة عن النوعين السابقين - وهى :

أولا - المؤنث اللفظى ، وهو مالحقته علامة تأنيث ظاهرة وكان معناه مذكرا ، نحو حمزة وأسامة زكرياء .

---

(١) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ٦٣ .

(٢) نفسه ص٦٣ .

ثانيا ـ المؤنث المعنوى : وهو ما دل على مؤنث حقيقى أومجازى ولم تلحقه علامة التأنيث نحو زينب ، وسعاد ، ومريم ، ويَد ، ورِجْل ، وبئر .

ثالثا ـ المؤنث اللفظى المعنوى : وهو ماكانت صيغته مشتملة على علامة تأنيث ظاهرة ، وكان مدلوله مؤنثا مثل فاطمة ، وعائشة ، وسعدى ، وحسناء ، وهيفاء ، ونحلة ، وشجرة .

رابعا ـ المؤنث التأويلى : وهو ماكانت صيغته مذكرة فى أصلها ولكن تأول بكلمة مؤنثة فى معناها لأداء غرض بلاغى كقولهم : جاءته كتابى فاحتقرها ، والمقصود رسالتى ، وقولهم : خذ الكتاب واقرأ مافيها ، والمقصود الأوراق ، وكذلك إطلاق تأنيث الحرف بقصد الكلمة ومثل هذا كثير فى كلامهم ، وهو من باب الحمل على المعنى .(١)

خامسا ـ المؤنث الحكمى : وهو ماكانت صيغته مذكرة فى أصلها ولكنها أضيفت إلى مؤنث فاكتسبت التأنيث بسبب الإضافة كقوله تعالى : ( وَجَاءَتْ كلُّ نفسٍ مَعَهَا سائِقٌ وشهيدٌ )،(٢) فكلمة (كلٌّ) مذكرة فى أصلها ، ولكنها هنا اكتسبت التأنيث من المضاف إليها المؤنث ، وهو "نفس"(٣) .

الفرق بين المذكر والمؤنث :

لا خلاف فى أن لغة الانسان صورة حية لواقعه ووسطه الذى يعيش فيه ولذلك فهى تختلف باختلاف الظروف البشرية للمتكلمين بها ، حتى ولوكانوا أهل لغة واحدة ، فنجد لهجات ولغات متمايزة لكل واحدة منها خصائصها وصفاتها الخاصة بها ، فلغة أهل الجبال تختلف عن لغة أهل السهول ، وتختلف لغة البدو عن لغة الحضر ، وتختلف لغة العمال ـ وخاصة فى مجال عملهم ـ عن لغة غيرهم من أهل المدن ، ولغة المدينة تختلف عن لغة الريف ولغة المتعلمين والمثقفين تختلف عن لغة الأميين أوشبه المتعلمين .

---

(١) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٧٦٣ .
(٢) سورة " ق " / ٢١ .
(٣) النحو الوافى ٤/٥٤٤ - ٥٤٥ .

وقد أثر الجنس بدوره على لغة الانسان - بل هو فى مقدمة المؤثرات - مما أدى إلى ظهور لغة الأوساط النسائية أيضا بخصائصها المميزة لها .

ومعظم اللغات البشرية تفرق بين نوعى الجنس البشرى - المذكر والمؤنث - وتختلف فيما بينها فى الوسائل التى تفرق بها بين المذكر والمؤنث.

والأصل فى اللغة العربية - كما تقدم - للمذكر ، وأما المؤنث فيفرق بينه وبين المذكر غالبا بعلامات لاحقة ، تضاف إلى الأصل ، وهذه هى الوسيلة الأساسية للتفرقة بين المذكر والمؤنث فى اللغة العربية ، وسوف أعرض لها بعد قليل .

وللمؤنث فى اللغة العربية غالبا قواعد وألفاظ خاصة به ، ولذا نرى الأسماء التى تدل على التأنيث تعامل معاملة مغايرة لتلك التى تدل على التذكير ، وتظهر تلك المعاملة اللغوية واضحة جلية فى العناصر اللغوية القديمة كالضمائر وأسماء الموصول ، وأسماء الإشارة والأعداد ، بل وفى الأفعال والصفات" . (١)

فنرى أن الضمائر تنقسم الى قسمين أساسيين من حيث التذكير والتأنيث أحدهما خاص بالمذكر والآخر خاص بالمؤنث وقد ترى بعض الضمائر مشتركة بين الحالتين . وكذلك الحال مع الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة . وأما الأسماء والأفعال فيتم التمييز بين المذكر والمؤنث منها عن طريق علامات خاصة بها .

إلا أن هذه العلامات ليست حدا فاصلا فى بعض الأحيان فمن ذلك مثلا تلك الحالات التى يتم التفرقة فيها بين المذكر والمؤنث بكلمتين مختلفتى البنية مثل "حمار" للمذكر و"أتان" لمؤنثه فنحن هنا بصدد كلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث ومثل ذلك كلمة "حصان" للمذكر " وفرس" للمؤنث وكذلك "جَدْى " و"عَناق" الاولى للمذكر والثانية للمؤنث . وعلى هذا النحو كان يتم التفرقة بين نوعى الجنس فى اللغة الهندأوربية قديما ، حيث لم يكن يعبر فيها عن الجنس الحقيقى بوسيلة صرفية ، وكذلك الحال فى الفرنسية حديثا .(٢)

---

(١) من أسرار اللغة ١٥٨ .
(٢) اللغة ، لفندريس ١٢٩ .

ويرى بعض اللغويين أن التفرقة بين المذكر والمؤنث على النحو السابق - أى التفرقة بوساطة كلمتين من أصلين مختلفين - هى المفروض أن تكون الأصل فى اللغة ، يقول بهاء الدين بن النحاس (١) فى التعليقة على المقرب (٢) :

" كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر كما قالوا : "عَير" و"أتان"، و"جدى" و"عناق" و"حَمَل" ، و"رخل" ، و"حصان" وحِجْر وغير ذلك ، لكنهم خافوا أن يكثر عليهم الألفاظ ويطول عليهم الأمر فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث ، تارة فى الصفة "كضارب" و"ضاربة"، وتارة فى الاسم "كامرئ" و"امرأة" فى الحقيقى ، و"بلد" وبلدة فى غير الحقيقى ، ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا فى الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد ، وحرصا على البيان ، فقالوا "كبش" و"نعجة" ، و"جمل" و"ناقة" ، و"بلد" و"مدينة" (٣)

ومن هنا نرى أن ظاهرة التذكير فى اللغة مرت بمراحل ونحن لا نعرف شيئا عن المراحل الأولى منها لأنها مرتبطة بنشأة اللغة ، ولكننى أعتقد - على أساس أن اللغة نشأت سهلة ميسرة ثم تعقدت - أن فى المراحل الأولى لم تكن اللغة تعنى بهذه الظاهرة ، فلعل الكلام كله كان مذكرا ، لتغلب الذكر على الأنثى ، ولا يستبعد خلوه من صيغة التأنيث فى مثل هذه المرحلة، ومن أقوى الأمثلة على ذلك فى اللغة العربية ، تلك الصيغ التى تعبر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث مثل : "عاقر" و"حامل" و"مرضع" ، ففى مثل هذه الصيغ تستغنى اللغة العربية عن علامة التأنيث ، وأيا كان سبب ذلك فقد تدل هذه الصيغ على أن الظاهرة قديمة ، وليس ذلك غريبا وخاصة إذا علمنا أن بعض اللغات أهملت

---

(١) هو احمد بن محمد الأزدى ، أبو العباس الاشبيلى ، قرأ على أبى على الشلوبين له على كتاب سيبويه إملاء ، ومصنف فى حكم السماع ، وإيرادات على مقرب ابن عصفور وغيرها . توفى سنة (٦٤٧هـ) . انظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٣١ وبغية الوعاة ١٥٦ .

(٢) هو كتاب المقرب المذكور فى الهامش السابق لابن عصفور .

(٣) الأشباه والنظائر ١/٣١ .

التذكير والتأنيث فى الكلام تماما على نحو مانرى فى لغة مجموعة " البانتو " فى جنوب أفريقيا[1]، ومثلها لغة " الألجونكين " Algonquin ويتم فيها التمييز بين جنس حىّ ، وجنس غير حىّ[2] دون النظر إلى التذكير والتأنيث . وبعد أن تعقدت اللغة بعض الشىء بدأ الفصل بين المذكر والمؤنث فى الظهور، وربما كان من بدايات هذا الفصل تخصيص المؤنث ببعض الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، ثم جاءت مرحلة التفرقة بين المذكر والمؤنث بلفظين مختلفى البنية ، وقد تكون هذه من أقدم المراحل التى أدركناها ، وهذا مجرد ظن، قد تؤيده بقايا الركام اللغوى من الأمثلة التى خلقتها لنا اللغة وبقيت إلى الآن ، ويفسر لنا ذلك ، الأمثلة المتقدمة آنفا ومنها : " حمار " للمذكر و"أتان" للمؤنث ، و" حصان " للمذكر و" فرس " للمؤنث ... وغيرها . وفى المرحلة التالية أضيفت تاء التأنيث إلى الاسم المؤنث ، تمييزا له عن المذكر ، بالإضافة إلى كونهما مختلفى البنية ، وذلك للتأكيد ، نحو " كبش " للمذكر ، ويقابلها " نعجة " للمؤنث و " جمل " للمذكر ويقابلها " ناقة " للمؤنث ، وكذلك الأمر فى " بلد " و" مدينة " وسائر الأمثلة من هذا النوع ، وهذه المرحلة تطور طبيعى لسابقتها . وتطورت عنها مرحلة أخرى وهى مرحلة الاهتمام بتاء التأنيث بدل الاهتمام ببنية الكلمة ، وذلك بغية الاختصار فأصبحت التاء هى المميز الأساسى للمؤنث عن المذكر ، وبذلك أمكن صياغة الاسم المؤنث من بنية الاسم المذكر كامرئ وامرأة ، ومرء ومرأة ، وبلد وبلدة ، وذلك بخلاف مارآه ابن النحاس فى النص المتقدم آنفا من تقديم هذه المرحلة على سابقتها ، لأن التدرج فى التطور يقتضى أن تكون صياغة المؤنث من بنية أخرى غير بنية المذكر، وبعد ذلك يأتى الاهتمام بالتاء كمميز للمؤنث عن المذكر رغم اختلاف صيغتيهما ، ثم يختصر ذلك بأن يكون الأصل صيغة المذكر ويصاغ منه المؤنث بإلحاق تاء التأنيث فى آخر الاسم نفسه .

---

(١) اللغة ، لفندريس ١٣١ .
(٢) نفسه ، ١٣١ .

ويرى بعض العلماء أن أصل التذكير والتأنيث للحيوان وهو من خصائصه، ثم تطور ذلك إلى الإنسان على سبيل المجاز، يقول ابن رشد: " والتذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يتجوز ذلك في بعض الألسنة فيعبر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنثة، وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكرة".(١) وهذا مجرد رأي ولا أعتقد أنه يقوم على دليل.

علامات التأنيث وأبنيته:

تقدم أن المؤنث في اللغة العربية يعرف غالبا بنهايات تلحق آخر الكلمة، وهذه النهايات هي علامات التأنيث، الثلاث: التاء، والألفان المقصورة والممدودة.

فأما التاء: فهي أهم العلامات وأكثرها انتشارا، ولعلها أقدمها حسب ماتقدم وهي متحركة. ويكون ماقبلها مفتوحا دائما نحو: "شجَرَة"، و"قطعَة"، و"قليلَة"، و"عزيزَة"، إلا في الكلمات ذات المقطع الواحد عند الوقف، فيكون ماقبلها ساكنا نحو: "بنْت" و"أخْت"، وفي هذه المسألة خلاف إذ يرى بعض اللغويين أن التاء الساكن ماقبلها ليست للتأنيث.(٢)

وتقلب تاء التأنيث في اللغة العربية هاء في حالة الوقف فيقال: شجره، قطعه، قليله، عزيزه، وذلك لا يعني أن هذه الهاء متطورة عن التاء، إذ لا توجد علاقة صوتية بين التاء والهاء، وكل ما في الأمر "أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث فبقي المقطع السابق عليها مفتوحا، ذا حركة قصيرة، وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في أواخر الكلمات فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النَّفَس بهاء السكت".(٣) وقد رسمت التاء في الإملاء العربي على صورة الهاء لأنها تقلب هاء على النحو المتقدم، "ولأن الخط مبني على الوقف"(٤) كما يقول ابن الأنباري.

---

(١) تلخيص الخطابة ٥٦٩، ومقدمة البلغة ٣٩.
(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ١٦٥.
(٣) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، المقدمة ص٤٣.
(٤) المذكر والمؤنث ٣٤/ب.

وماذكرته من أن الأصل فى هذه العلامة هو التاء وأنها تقلب هـــاء فى حالة الوقف هو رأى بصرى كوفى ، بمعنى أنه اتفق بعض البصريين والكوفيين معا ، وليس كوفيا كما ذهب إليه البعض .(١) يقول سيبويه وهو من أشهر علمـــاء المدرسة البصريـــة : " وأما الهـــاء فتكون بدلا من التاء التى يؤنث بها الاسم كقولك هذه طلحـــة "،(٢) ووافقه على ذلك المبرّد البصرى فقال : " وأمـــا الهاء فتبدل من التاء الداخلة للتأنيث ، نحـــو نخلة ، وتمرة ، إنما الأصل التاء ، والهاء بدل منها فى الوقف".(٣) وأشهر من اتفق معهم فى ذلك من علماء الكوفة الفراء وأبوبكر بن الأنبارى ، يقول الفراء : " إنما وقفوا فى أخت وبنت علـــى التاء ولم يقفوا على الهاء لأن الحرف الذى قبل التاء ساكن ، وكل حرف يسكن ماقبله ينوى به الابتداء والاستئناف ، فلما كان فيه هذا المعنى أخرج على أصلـــه ، لأن التاء هى الأصل والهاء داخلة عليها ، الدليل على هذا أنك تقول : "قامت" "وقعدت"، فتجد هذا هو الأصل الذى يبنى عليه قائمة وقاعدة ، وترى التـــاء ثابتة فى الأصـــل ، والهاء ثابتة فى الفرع فلذلك وقفوا على التاء فى "أخت" ، ولأنها أخرجت على الأصـــل لما سكن ماقبلها . ووقفوا على الهاء فى طلحة لأنها لما تحرك ماقبلها كانت فرعا".(٤) ووافقه على ذلك من الكوفيين أبو بكر ابن الأنبارى فقال : " وأما الهاء فإنها فاصلة بين المذكر والمؤنث كقولك قائم وقائمة ، وقاعـــد وقاعدة ، وطلحة وحمزة وتمرة ، تكون فى الوقف عليها وفى الخط هاء ، وفـــى الدرج تاء ، وإنما وقفوا عليها بالهاء ليفرقوا بينها وبين التاء التى هى من نفس الكلمة كقولهم : "القتّ" و"السبت" ، وما أشبه ذلك ، وكتبوهن بالهاء لأن الخط مبنى على الوقف(٥) ".

---

(١) انظر شرح المفصل ٥/٨٩ ، والبلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، المقدمة ص ٤٤ - ٤٥ .
(٢) الكتاب ٢/٣١٣ .
(٣) المقتضب ١/٦٣ .
(٤) المذكر والمؤنث ، لابن الأنبارى ٣٥/أ .
(٥) نفســـه ٣٤/ب .

التاء اللاحقـــــة :

الأصل فى دخول التاء على الأسماء فى اللغة العربية إنما هو تميـــــيز المؤنث عن المذكر ، وخاصة الأسماء المشتقة نحو هارب وهاربة ، ومريض ومريضة ، ومسلم ومسلمة ، ومضروب ومضروبة ، ودخولها على أسماء الأجناس الجامدة قليـل ومرتبط بالسماع نحو : غلام وغلامة ، وإنسان وإنسانة (١) ، وأسد وأسدة ، ولكـن هناك حالات أخرى تذكرها كتب النحو وأشهرها :

١- تمييز الواحد من الجنس نحو : شعير وشعيرة ، ونخل ونخلة ، وتفـاح وتفاحة ، وسفين وسفينة .

٢- المبالغة : كراوية للكثير الرواية ، وطاغية للكثير الطغيان ، وملولة للكثير الملل .

٣- تأكيد المبالغة : كعلّامة ونسابة وفهّامة .

٤- معاقبة ياء مفاعيل : كزنادقة ، وجحاجحة ، وفرازنة ، فإذا أثبت الياء فى هذه الأسماء حذفت التاء نحو : زناديق وجحاجيح وفرازين وهو القياس .

٥- الدلالة على تعريب الأسماء الأعجمية نحو : جورب وجوارية وموزج وموازجة ، وكلاهما فارسى معرب .

٦- الدلالة على جمع النسب : نحو أزرقى وأزارقة ، ومهلّبى ومهالبة .

٧- تأكيد تأنيث الجمع : كحجارة وصياقلة .

٨- تكثير حروف الكلمة كبلدة وقرية .

٩- التعويض عن فاء الكلمة أوعينها أولامها نحو : عِدَة وأصلها وعد ، وإقامة وأصلها إقوام ، ولغة وأصلها لُغَوٌ .

١٠- التعويض عن مدة تفعيل نحو تزكية ، وتنمية .

١١- تأكيد تأنيث المؤنث الحقيقى نحو ناقة ونعجة .

١٢- العوض عن ياء الإضافة وأمثلته قليلة نحو يا أبتِ ، ويا أمتِ (٢) .

---

(١) فى القاموس المحيط : والمرأة إنسان ، وبالهاء عامية وسمع فى شعر كأنه مولد :

لقد كنتنى فى الهوى ملابس الصب الغزل
إنسانة فتانـــــة بدر الدجى فيها خجل
إذا زنت عينى بهـــا فبالدموع تغتســـــل

(٢) شرح الأشمونى ٣/٦٤٧ ، وانظر شرح المفصل ٥/٩٧-٩٩ ، والبلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ٤٦ ، وشرح الكافية ٢/١٦٢ - ١٦٥ .

صيغ يستوى فيها المذكر والمؤنث :

وهناك خمسة من أوزان الصفات لا تدخلها التاء فيستوى فيها المذكر والمؤنث ، وهذه الأوزان هى :

١- فَعُول : بمعنى فاعِل نحو عَجُوز ، حَنُون شَكُور ، صَبُور .

٢- فَعِيل : بمعنى مَفْعُول نحو : "فتاة قَتِيل" ، "وكفّ خَضِيب" ، و "عين كَحِيل" ، "وامرأة جَرِيح" .

٣- مِفْعَال : نحو : "مِفْطَار" للتى أو الذى يكثر من استعمال العطر ، "ومِذْكار" للكثير الأبناء من الذكور أو الكثيرة ، "ومِقْوال" للفصيح أو الفصيحة .

٤- مِفْعِيل : نحو "مِنْطِيق" للبليغ أو البليغة ، و "مِعْطِير" لمن يكثر من استعمال العطر .

٥- مِفْعَل : نحو رجل "مِفْشَم" للمقدام .

وإذا ذكر الموصوف فى أسماء الصيغ السابقة أمكن حذف التاء وإذا لم يذكر أثبتت خوف اللبس .

والتاء ليست مختصة بالأسماء فحسب ، وإنما تدخل على الأفعال أيضا كقولك قامت هند ، وتقوم زينب . وزعم البعض أنها تدخل على الأدوات نحو : رُبَّتَ وثُمَّتَ ، إلا أنها هنا ليست للتأنيث حقيقة فهى تشبه التأنيث.(١)

---

(١) المذكر والمؤنث ، لابن الأنبارى ٣٠/أ ، ٣١/أ ، ٣٧/أ ، ب .

الألـــف المقصورة :

والعلامـــة الثانية من علامات التأنيث هى الألف المقصورة ، وهى وأختها الممدودة ليستا مختصتين بالأسماء المؤنثة فحسب ، بل قد تلحقان بعض الأسماء المذكرة ـ كما هو الشأن فى التاء ـ ولكن ذلك قليل ، وقد أنكره بعض العلماء فقال الفراء : " فأما المدة والياء فلا يقعان لمذكر فى حال أبدا ، وقال أبوبكر الزبيدى ( ت ٣٧٩هـ ) : " فأما الألفان فلا يلحقان المذكر أبدا "(١)

ولا يمكننا أن نقبل هذا الرأى على إطلاقه اذ قد وردنا ما يخالفه مـــن الألفاظ عن العرب ، فمن أمثلة الألف المقصورة الدالة على التذكير قولهم : رجل " خُنْثَى " و" زَبَعْرَى " للسيء الخلق ، و" البُهْمَى " : نبت له شوك ، و" الخُزَامَى " نبت أيضا ، و" كُمْتَرَى " و" سُمَانَى " ، و" حُوَّارَى " وغيرها . ومن أمثلة الألف الممدودة قولهم : رجل " عَيَايَاء " ، و" طبـاقاء " يعنى ينعجم عليه الكلام ، و" يُســـــر قَرِيّاء "(٢) ، ويوم " ثلاثاء " و" أربعاء " ، ورجل ذو " بَزْلَاء " إذا كان جيد الرأى ، و" بَرَاكاء "(٣) للشديد القتال .. وغيرها .

وللألف المقصورة خاصة معنيان آخران غير معنى التأنيث وهما :

١- الإلحاق : نحو أَرْطَـى(٤) ومِعْزَى ، فالأول ملحق بجعفر وسلهب ، والثانى ملحق بدرهم وهِجْرَع(٥) ، وهذه الألف تدخلها تاء التأنيـــث قال ابن يعيش : " قد تقدم القول أن هذا البناء ( يعنى فَعْلَى ) يكون مذكرا و يكون مؤنثا ، فإذا امتنعت ألفه من التنوين ودخـــول التاء عليها دل ذلك على أنها للتأنيث ، وإذا سمع فيها التنوين وساغ دخول التاء عليها نحو " أَرْطَى " وعَلْقى " ، و" أَرْطَاة " و" عَلْقَاة " فإن تنوينه يدل على انصرافه ، ولو كان الألف فيه للتأنيث لكان غير مصروفـــ

---

( ١ ) الواضح فى علم العربية للزبيدى ٢٤٢ .
( ٢ ) ضرب من أطيب البسر
( ٣ ) ويقال " بروكاء " انظر القاموس المحيط ( برك ) ٣٠٤/٣ .
( ٤ ) الأرطى نوع من الشجر انظر القاموس المحيط ( ارط ) ٣٦٢/٢ .
( ٥ ) الهِجْرع : الأحمق ، والطويل المشوق انظر القاموس المحيط (هجرع) ١٠١/٣ .

كحُبْلَى وسكرى ، وإذا لم تكن للتأنيث كانت للإلحاق وذلك لأنهـــا على أبنية الأصـول".[1]

٢- تكثير حـــروف الكلمة نحـو "قَبَعْثَرَى"[2] و"كَمْثَرَى"[3]

أما معنى التأنيث فهو أشهر وأهم من المعنيين السابقين .

وأوزان المؤنث المنتهى بهذه الألف كثيرة ، وقد ذكر الرضيّ في "شرح الكافية" واحدا وثلاثين مثالا على ذلك ومنها :

١- فُعْلَـــى : يرد هذا الوزن على اسم وصفة ، ومصدر ، فالاسم نحو "بُهْمَى" ، و"حُزْوَى"[4] ، والصفة نحو "حُبْلَى" "وفُضْلَى" ، والمصـــدر نحو "البُشْرَى" و "الرُّجْعَى" .

٢- فَعَلَـــى : وهو إما مصدر "كالبَشَكَى" ( ناقة سريعة ) ، و"الحَيَدَى" (حمار سريع) ، أو صفة كفرس "وَكَرَى" ( وقد وكرت تكر إذا عدت عدوا تنزو فيه )[5] ، وناقة "زَلَجَى" ، و"وَلَقَى" (أى سريعة ) ، أو اسم "كَبَرَدَى" (اسم نهر بالشام ) ، و"دَقَرَى" ( اسم موضع) .

٣- فِعْلَـــى : مثل "حِجْلَى" ( جمع حجلة وهى طائر) ، و"ذِكْرَى" و"مِعْزَى" ، ولا يكون هذا الوزن نعتا أبدا .

٤- فُعَلَـــى : نحو "أُرَبَى" ( أى الداهية ) ، و"شُعَبَى" ( اسم موضع) ، و"أُدَمَى" ( اسم موضع أيضا ) ، و"جُعَبَى" ( كبار النمل ) .

٥- فُعَّلَـــى : مثل "سُمَّهَى" ومعناه الباطل .

٦- فَعْلَـــى : مثل "دَعْوَى" "مَرْضَى" ، "نَجْوَى" ، "صَرْعَى" .

---

(١) شرح المفصل ٥/١٠٩ .
(٢) القبعثرى : الجمل العظيم ، والفيصل المهزول ، ودابة تكون في البحر ، والعظيم الشديد . انظر القاموس المحيط ( قبعثر) ٢/١١٧ .
(٣) شرح الكافية ٢/١٦٦ .
(٤) حزوى كقصوى : موضع انظر القاموس المحيط ( حزوى ) ٤/٣٩٨ .
(٥) انظر القاموس المحيط ( وكر) ٤/١٦٢ .

٧ــ فُعَالَى : نحو "سُعَانَى" ، و"حُبَارَى" ( طائران)، و"سُكَارَى"، وعُلَادَى ( للشديد من الابل ) .

٨ــ فُعَّالَى مثل "سُقَّارَى" (نبت) ، و"خُبَّازَى" ( نبت) ، و"خُضَّارَى" (طائر) .

٩ــ فِعَلَّى مثل (" دِفَقَّى " (مشية فيها تدفق وإسراع ، و"سِبَطْرَى" (مشية تبختر) .

١٠ــ فِعِّيلَى مثل " هِجِّيرَى" ( هذيان)، حِثِّيثَى ( حث) ، وخِلِّيفَى ( للخلافة)

١١ــ فُعُّلَى مثل "حُذُرَّى" ( حذر)، و"كُفُرَّى" ( غطاء الطلع فى الزهرة)، وبُذُرَّى (التبذير).

١٢ــ فُعَّيْلَى مثل "لُغَّيْزَى" ( لغز) ، و"خُلَّيْطَى" (اختلاط) ، وقُبَّيْطَى" (نوع من الحلوى ) .

١٣ــ أَفْعِلَى مثل "أَجْفِلَى" ( للكثرة ) .

١٤ــ فَيْعَلَى مثل "خَيْزَلَى" ( مشية فيها تفكك ) .

١٥ــ فِعْلِلَى مثل "هِرْبِذَى" ( مشية فى جانب ) .

١٦ــ فِعَلْنَى مثل "عِرَضْنَى" ( نوع من السير ) .

١٧ــ فَعْلَلَى مثل "هَنْدَبَى" ( بقل ) .

والأوزان التالية نادرة :

١٨ــ فَعَلُوَى مثل "رَهَبُوَى" ( للرهبة ) .

١٩ــ فَوْعَلَى مثل "خَوْزَلَى" ( ضرب من مشى الشيخ )

٢٠ــ يَفْعَلَى مثل "يَهْيَرَى" ( للباطل ) .

٢١ــ مَفْعَلَّى مثل مَذْوَرَّى ( لئيم ) .

٢٢ــ مِفْعِلَّى مثل مِرْعِزَّى ( للرغب الذى تحت شعر المنز) ، و"مِرْقِدَّى" (للكثير الرقاد ) .

٢٣ــ فَعْيَلَى مثل "خَيْسَرَى" (خسارة) .

٢٤ــ فَعْلَوَى مثل ( هَرْنَوَى ) ( نبت ) .

٢٥ــ فَيْعُولَى مثل "فَيْضُوضَى" ( للمفاوضة)[1]

---

(١) انظر شرح الكافية ٢/١٦٦ــ١٦٧ ، وشرح المفصل ٥/١٠٨ــ١١٠ ، والأشمونى ٣/٦٤٨ــ ٦٥١ .

ويلاحظ أن الأوزان السابقة كلها سماعيـــــــة .

الألـــف الممدودة :

والعلامة الثالثة من علامات التأنيث هى الألف الممدودة ، وأوزانهـــــا سماعية أيضا ، وقد أورد الأشمونى لهذه الألف سبعة عشر وزنا مشهورا منها :

١ــ فَعْلاء : وترد هذه الصيغة اسما مفردا كـ"صَحْراء" ، أوجمعـــــا فى المعنى " كطَرْفاء" ، أومصدرا "كرَغْباء" ، أوصفة لمؤنث "كحَمْراء" ، "وعَوْراء" و"حَسْناء" ، "وهَطْلاء".

٢ــ أَفْعِلاَء : مثل "أَرْبِعاء" ، "وأَنْبِياء" ، و"أَتْقِياء".

٣ــ فُعلُـــلاَء : مثل "قُرْفُصاء".

٤ــ فاعُولاء : مثل "عاشُوراء" و"تاسُوعاء".

٥ــ فاعِلاء : مثل "قاصِعَـــاء" ، و"نافِقاء" ( لحجر اليربوع ) .

٦ــ فِعْلِياء : مثل "كِبْرِياء" ، "وحِرْقِياء"

٧ــ مَفْعُولاء : مثل "مَشْيُوخاء" ( لجماعة الشيوخ ) ، و"مَعْيُوراء" ( جمع عيرة وهى أنثى الحمار ) .

٨ــ فَعالاء : مثل "بَراساء" ، يقال ما أدرى أى "البرساء" هو يعنى أى الناس هو ، و"بَراكاء" القتال : شدته ، و"طباقاء" ( لمن ينعجم عليه الكلام ) .

٩ــ فَعِيلاَء : مثل "بَرِيساء" ، بمعنى براساء ، و"قَرِيثاء" و"كَرِيساء"

١٠ــ فَعُولاء : مثل "دَبُوقاء" للعذرة ، وحَرُوراء ( اسم موضع ) ، وجَلُولاء ( موضع أيضا ) .

١١ــ فَعَلاء : مثل جَنَفاء ( اسم موضع ) ، والشَّحَناء ( لين البشرة ) .

١٢ــ فُعَلاء : مثل "عُشَراء" ، و"نُفَساء" ، "وخُيَلاء" ، وفُقَهاء" و"عُلَماء".

وهناك أوزان أخرى كثيرة للألف الممدودة ، منها المشهور ومنها النادر ، وبعض الأوزان السابقة مشتركة بين الألفين المقصورة والممدودة ومنها مثلا : فُعَلَى وفُعَلَاء ، وفَعَلَى وفَعَلَاء ، وفَعْلَى وفَعْلَاء ، وأَفْعَلَى وأَفْعَلَاء ، وفَعْلَلَى وفَعْلَلَاء ، وفَعُولَى وفَعُولَاء .. وغيرها .

ومما يفهم منه التأنيث أيضا نون النسوة فى نحو درسن ، وكتبن ، وتدرسن ، وتكتبن ، ويدرسن ويكتبن ، وكاف الخطاب المكسورة فى نحو كتابكِ ، ويضربكِ ، وياء المخاطبة فى نحو اعملى وتفلحين ، وهذه الثلاثة ضمائر .

هل تقسيم ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية تقسيم منطقى ؟

تقدم أن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى اللغة قائمة فى أصلها على أساس جنسى ، وتتحقق هذه القاعدة بوضوح فى المذكر والمؤنث الحقيقيين ، وقد فطن إلى ذلك القدماء من علماء اللغة ، فاعتمدوا فى تعريفهم للمذكر والمؤنث الحقيقيين على هذا الأساس فالمذكر الحقيقى عندهم : " ماكان له فرج الذكر "(١) ، و" المؤنث الحقيقى ماكان له فرج الأنثى "(٢) ، والتفرقة على هذا النحو أمر معقول ، وليس غريبا ، لأنها قائمة على أساس رابطة منطقية بين نوعى الجنس ، ومع أن المؤنثات والمذكرات الحقيقية قليلة فى عددها إلا أنها عظيمة فى أهميتها ، ذلك أنها تضم أسماء الإنسان والحيوان .(٣)

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نفسر كل الأسماء — من حيث التذكير والتأنيث — بهذه الصلة الجنسية البحتة ، فهناك مجموعة كبيرة من المؤنثات لا تمت للجنس بأية صلة ، ومع ذلك فإنها تعامل معاملة المؤنث ، ومازالت هناك مؤنثات لا يميزها عن المذكر شىء اللهم إلا ذلك التصور الوهمى الذى وضعه قدامى اللغويين ، من أن تأنيثها يقدر باحدى علامات التأنيث الثلاث ، وهذا

---

(١) ، (٢) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ٦٣ .
(٣) من أسرار اللغة ١٥٩ .

التفسير لا يقوم على أى أساس منطقى ، فأين معنى التأنيث فى العين واليد والشمس والأرض وعلى أى أساس تعامل بعض الجموع معاملة المؤنث ؟ ولماذا تعامل بعض الأسماء بالمعاملتين مع أننا لا نجد فيها إلا معنى واحدا ، علما أنها — كما يقرر الدكتور إبراهيم أنيس — تميل فى تطورها إلى الاستقرار على حال واحدة وهى التذكير عادة[1] لأنها بعيدة عن المعانى المؤنثة . ومجرد وجود علامة التأنيث فى نهاية الاسم لا يوضح لنا علاقة منطقية بين الاسم ومدلوله المؤنث ، فالأمر إذن سواء فى وجود العلامة أوفى تقديرها .

ومن هنا كان لابد من وضع حد فاصل بين الجنس اللغوى والجنس الحقيقى ، لأنهما أمران مختلفان ، ويفصل بينهما قابلية الجنس اللغوى للتطور والتغيير ، وذلك بعكس الحال فى الجنس الحقيقى ، فللمذكر اللغوى قدرة على أن يجر إليه بعض المؤنثات على مرور الزمن وتطور اللغة واختلاف المجتمع والعكس صحيح ، مع ملاحظة أن الغالب فى التطور الاتجاه نحو المذكر — كما تقدم — وكذلك الحال مع الألفاظ التى تعامل بكلتا المعاملتين ، فإما أن تتجه نحو المذكر أو المؤنث ، فمثال الأول "الطريق" و"السَّلْم" ، و"السُّوق" وكلها يغلب عليها معاملة المذكر ، ومثال الثانى "الثَّوب" و"البطن" و"النعال" و"السكين" فـ"الثوب" مؤنث فى لهجة بعض البحرينيين مع أنه مذكر فى أصله الفصيح ، و"البطن" مؤنث عند بعض العراقيين ، مع أنه مذكر فى الفصحى والنعال والسكين مؤنثان أيضا عند البحرينيين مع أنهما فى الأصل مما يعامل بالمعاملتين . وقد لحق التطور شكل هذين اللفظين أيضا فأكد تأنيثهما عند أولئك اتصال تاء التأنيث بهما فيقولون "نعالتى" و"سكينتى" .

وهذه الأمثلة تؤكد لنا أن الجنس اللغوى ، يختلف عن الجنس الحقيقى ، وأن الأول ما هو إلا وسيلة للتعبير عن الثانى ، علما أن هذه الوسيلة غير ثابتة ، إذ إن علامات التأنيث التى تعتمدها هذه الوسيلة للتفرقة بين المذكر والمؤنث

---

(١) من أسرار اللغة ١٦١ .

كثيرا ماتتصل ببعض الأسماء والصفات المذكرة ،على نحو مانرى من التاء فى "معاوية"، و"حمزة" و"طلحة" و"علّامة" و"نسّابة" ، والألف المقصورة فى نحو" مصطفى " و"زِبَعْرى" ـ للسيء الخلق ـ "وكَمْثَرَى" و"البُهْمَى" ، والألف الممدودة فى نحو رجل "عيايا"، و" طباقاء" ، ويوم" ثلاثاء" وغيرها .

وقد تمسك اللغويون العرب بدليل اعتبروه الأساس فى الفصل بين الألفاظ المذكرة والألفاظ المؤنثة وهذا الدليل هو السماع ، وهو دليل مقبول فى تدوين اللغة إلا أنه لا يجـــدى فى البحث عن سبب منطقى للفصل بين المذكر والمؤنث.

وقد حاول بعض العلماء تفسير هذه الظاهرة ـ أى ظاهرة التذكير والتأنيث ـ للوصول إلى سبب مقنع للتفرقة اللغوية بين المذكر والمؤنث ، فقد سعى العالم " وينسنك" Wensinck لإيجاد ربط بين هذه الظاهرة وبين بعـــض المعتقدات والتصورات الدينية القديمة ـ لدى الساميين ـ " مما جعلهم يرون فى المرأة سحرا وغموضا فنسبوا لها بعض القوى الخارقة ، ثم ضموا إليها سائر ظواهر الطبيعة ـ لارتباطها بالغموض والسحر ـ التى عجزوا عن تفسيرها ".(١)

وهذا التفسير ينقصه الدليل المنطقى ، لأنه يقوم على الظن ، فلا نستطيع أن نسلم به على هذ النحو.

وشبيه بهذا التفسير ماذهب إليه العالم " فندريس" بأن تصنيف المعانى فى اللغة إلى مذكر ومؤنث قائم على " التصور الذى كان فى ذهن أسلافنا الغابرين عن العالم ، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية ، وقد احتفظ بهذا التقليد حتى بعد أن عجز من يستعملونه عن فهم علته ".(٢)

ويبدو أن البحث عن هذا الدليل أمر عسير المنال ، وعلى ذلك نضطر إلى أن نستسلم لما قرره علماء اللغة من أننا لا نملك تفسيرا منطقيا لتقسيم الأسماء إلى مذكر ومؤنث فى اللغة ، لأن الجنس اللغوى قائم على منطق خاص ولا يطابـــق الجنس الحقيقى فى الواقع تماما فاصطلاح الناس هو الذى يذكر ويؤنث فى كثير من الأحيان دون الرجوع إلى أى علاقة منطقية فى التقسيم.

---

(١) من أسرار اللغة ١٥٩ .
(٢) اللغة ، لفندريس ١٣٣ .

جهـــــود اللغويين العرب فى دراسة المذكر والمؤنث :

اهتم اللغويون العرب كثيرا بهذه الظاهرة ، وقاموا بجهود طيبة لدراسة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية ، إلا أن كثيرا من مؤلفاتهم فى هذا المجال مفقودة . ولوكانت بين أيدينا الآن لتوفرت لدينا مادة علمية ضخمة أمكن جمعها فى معجم لغوى خاص بالألفاظ العربية من حيث التذكير والتأنيث . ومع ذلك فان ماوصل الينا منها لا يعد قليلا ، وخاصة أن من بينها كتاب أبى بكر الأنبـــــارى الذى لم يعمل أحد أكبر ولا أتم منه .(١)

وأشهر العلماء الذين ساهموا فى دراسة هذا الموضـــــوع :

يحى بن زياد الفراء ( ت ٢٠٧ هـ ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤هـ ) ، وأبوحاتم سهل بن محمد السجستانى ( ت ٢٥٥/٥٠ هـ ) ، وأبوجعفر أحمد بن عبيد الكوفى ( ت ٢٧٣هـ ) ، وأبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦/٥هـ) ، وأبو طالب المفضل بن سلمة (ت ٢٩١هـ) ، وأبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى ، والد أبى بكر ( ت ٣٠٤هـ ) ، وأبو موسى سليمان الحامض( ت٣٠٥هـ) ، وابراهيم بن السرى الزجاج ( ت ٣١١/١٠هـ ) ، وأحمد بن حسن بن شقـــــير النحوى (ت ٣١٧هـ ) ، ومحمد بن عثمان الجعد (ت ٣٢٠هـ ) ، وعبد الله بن محمد بن سفيان الجزار أو الخزاز(ت ٣٢٥هـ) ، وأبو بكر محمد بن القاســـــم الأنبارى ( ن ٣٢٨هـ) ومحمد بن الحسن بن مقسم(ت ٣٥٣هـ ) ، والحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ ) ، وأبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢هـ ) ، وقاسم بن محمد بن رمضان المجلانى ( المتوفى بعد سنة ٣٩١هـ ) ، وأحمد بن فارس اللغوى (ت ٣٩٥هـ ) ، وأبوالبركات عبد الرحمن بن الأنبارى (ت ٥٧٧هـ ) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٨٤/٣ ، وطبقات النحـاة واللغويين ٢٣٥ .

وهؤلاء هم أهم العلماء الذين خصصوا هذه الظاهرة بالدراسة فى كتب خاصة بها ، ومن الإنصاف أن نذكر بجوارها تلك الجهود المتضمنة فى كتب اللغة والنحو باختلافها ، ومنها ما كتبه كل من ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) فى شرحه للمفصل[١] والرضى الأستراباذى ( ت ٦٨٨هـ) فى شرحه لكافية ابن الحاجب[٢] والأشمونى ( المتوفى حوالى سنة ٩٠٠هـ) فى شرح الألفية[٣] والسيوطى ( ت ٩١١هـ) فى المزهر[٤] .

---

(١) ٥/٨٨ — ١١٠ .
(٢) ٢/١٦١ — ١٧١ .
(٣) ٣/٦٤٥ — ٦٥١ .
(٤) ٢/٢٠٤ — ٢٣٠ .

## كتـــاب المذكـــــر والمؤنـــــــث

## لابـــن الأنبـــارى

ولابد لنا من الوقوف على كتاب ابن الأنبارى بصفة خاصة ، لأنه موضـــــع الدراسة فى هذا الفصل ، ولأن الباحثين ينظرون إليه من بين كتب المذكـــــر والمؤنث نظرة خاصـــة ، ويرون أنه من أهم وأتم ما ألف فى موضوعه .

### نسخـــــــــه :

لا يوجد من الكتاب حسب ماأعلم غير خمس نسخ كلها فى استانبـــول ، وقد ذكر بروكلمان أربعة منها وهى :

نسخة مكتب "عاطف أفندى" ، ورقمها ( ٢٥٩٥ ) .

ونسخة "فاتح" ورقمها ( ٤٠٢٥ ).

ونسخة "شهيد على باشا" ورقمها ( ٢٥٢٧ ) .

ونسخة "لاله لى" ، ورقمها ( ٣٥٢٥ ) .[1]

وهناك نسخة خامسة فى استانبول أيضا ، وهى نسخة مكتبة "بشير آغا" ، ورقمها ( ١٧٩ ) ، ومنها صورة فى معهد المخطوطات بالقاهرة ، وعنـــــدى منها صورة ، واعتمدت عليها فى دراسة الكتاب .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/٢١٦ .

وصف نسخة "بشير آغا" :

وهى مكتوبة بخط نسخ واضح ، مضبوط بالشكل التام وعدد أوراقهـــا (٢١١) ورقة ، فى كل ورقة (١٦) سطرا وفى كل سطر حوالى عشر كلمات ، ومقياسها ٥ر١٦ × ٥ر٢٣ سم . وأما كاتبها فهو هبة الله بن الحسن بن يعقوب الكاتب ، وقد فرغ من كتابتها فى صفر سنة خمسمائة وعشرين للهجرة ، وقرأها الكاتب فى السنة نفسها على أبى منصور الجواليقى ، وعليها شهادته لذلك بخطه ونصها : " قرأ علىَّ الشيخ الجليل أبو الحسن هبة الله بن الحسن الكاتـــب أحسن الله توفيقه هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، قراءة تصحيح وتبيُّن ، وعارض به . وكتب موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، حامدا الله تعالى ومصليا على رسوله فى عشرين وخمسمائة " .

وهذه شهادة فى غاية التوثيق لأحد أئمة اللغة فى القرن السادس الهجرى . ومن هنا فالنسخة موثقة ونفيسة جدا لأنها مقروءة على الجواليقى أولا ، ولأنهـــا مكتوبة بخط هبة الله بن الحسن الكاتب ثانيا وهو تلميذ الجواليقى .

ويوجد على صفحة العنوان تمليكات كثيرة ، وهى تدل على أن الكتاب قـد تناقلته أيد كثيرة ، ومع ذلك فهو مازال سليم النص لم يمس بسوء ، كما أن التعليقات والهوامش الجانبية فيه قليلة ومعظمها لهبة الله بن الحسن الكاتب ، وتعليقاته لغوية وقصيرة جدا ، وبالإضافة إلى هذه التعليقات نجد بخطه تحديدا للمقدار الذى كان يقرؤه من الكتاب على أستاذه الجواليقى فى كل مرة ، وقد كتب ذلك بخط صغير جدا ونصه غالبا : " بلغتُ إلى هنا " ، وأحيـانا " بلغت القراءة إلى هنا " . وفيما عدا ذلك لا نجد إلا بعض التعليقات اللغوية بخط متأخر ويبدو أن كاتبها هو محمد بن محمد الحسينى . وقد علمت من الأستاذ المشرف أن الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة قام بتحقيق هذا الكتاب وقدمه إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لطبعه وينتظـــر أن يجئ فى مجلدين .

وقد أخبره الشيخ أنه صنع للكتاب مقدمة قيمة .

عـــرض للكتـــــــاب :

بدأ ابن الأنبارى كتابه بمقدمة قصيرة شرح فيها منهجه باختصار شديد ، ولا يمكن التعرف على معالم منهجه من خلال هذه المقدمة ، لأنها قصيرة جـــدا ، ولا توضح شيئا من صلب المنهج ، وإنما هى نقاط عامة يذكرها لتوضيح المبادئ التى يلتزم بها فى كتابه ، ولا بأس من أن نثبت هذه المقدمة هنا لنلتمس منهـــا تلك المبادئ ، وهى تبدأ بعد البسملة على النحو التالى :

" قال أبوبكر محمد بن القاسم الأنبارى [ ى النحوى : من ] (١) تمام معرفة النحو والإعراب ، معرفة المذكر والمؤ[ نث لأ] ن (٢) مَن ذكَّر مؤنثا أو أنث مذكرا كان العيب لازما له كلزومه من نصب مرفوعا أو خفض منصوبا أو نصب مخفوضا . وأنا مفسِّرٌ فى كتابى هذا إن شاء الله التأنيث والتذكير ، ومبيِّنٌ ذلك بابا بابا ، وأصلا أصلا ، وفرعا فرعا ، ومحتج على التأنيث والتذكير بأشعار العرب ولغاتها ، وذاكرٌ اتفاق أهل اللغة والنحو فيما اتفقوا فيه ، واختلافهم فيما اختلفوا فيه ، ومسند كل قول إلى قائله ، ليكون الناظر فى كتابنا هذا والعارف له ، خارجا عن جملـــة اللاحنين ، ومباينا جماعة المعيبين . أسأل الله المعونة على ذلك والتوفيـــــق للصواب " . (٣)

هذه هى كل المقدمة ، بدأها المؤلف بذكر أهمية معرفة التذكير والتأنيث ، وقال إنه سيعالج هذا الموضوع بتفاصيله ، وسيناقشه بأصوله وفروعه ، مناقشة علمية ، يهتم فيها بالاحتجاج بالشواهد اللغوية ، وذكر آراء اللغويين والنحاة فى مواضعها ، ونسبة كل قول إلى قائله . وكل ذلك لا يكشف لنا منهجه الخاص فى هذا الكتـــاب ، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا بالمرور على أهم أبواب الكتاب وعرضها عرضا موجزا ، وهى خمسون بابا .

---

(١) فى الأصل خرم والتكملة يقتضيها المعنى .
(٢) فى الأصل خرم والتكملة يقتضيها المعنى .
(٣) ورقة ١/ب .

وأول مانلاحظه على عناوين الأبواب أنه لا يوجد ربط دقيق بينها فكلباب يكاد يكون قائما بذاته ، ولاعلاقة له بمايسبقه أو يعقبه إلا نادرا ، كما يتبين فى الأبواب الواقعة بين الأوراق ٦٠/ب — ١٠٥/ب ، وهى تتعلق بتذكير وتأنيث أعضاء الإنسان ، ثم سائر الأشياء ، والأبواب الواقعة بين الأوراق ١٢٧/أ — ١٣٩/أ ، وهى تعالج بعض الأبنية من نعوت المذكر والمؤنث ، والأبواب الواقعة بين الأوراق ١٩٨/أ — ٢٠٣/أ ، وهى تعالج تصغير المؤنث .

وأول باب فى الكتاب هو "باب تفصيل الأسماء والنعوت المؤنثة ، وذكر مايجرى منها ومالا يجرى" . لماذا بدأ ابن الأنبارى بهذا الباب ؟ وهل فى الكتاب باب كان يجب أن يتقدمه ؟ للإجابة عن ذلك يجب أن نعرف محتوى هذا الباب ، ولاشك أن عنوانه يدل على أنه عام فى التأنيث ، وقد قسم المؤلف هذا الباب إلى قسمين ذكر فى الأول أقسام الأسماء المؤنثة ، وهى عنده أربعة أقسام أحدها أن يكون الاسم المؤنث ، فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكر ، نحو "خديجة" و"ليلى" ، و"عفراء" . والثانى أن يكون الاسم المؤنث مستغنيا بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة نحو "هند" و"عين" و"فخذ" . والثالث : أن يكون الاسم المؤنث مخالفا لفظه لفظ ذكره مصوغا للتأنيث نحو: "جَدَّى" و"عناق" ، و"حمار" و"أتان" . والرابع : أن يكون الاسم المؤنث فيه علامة التأنيث واقعا على المذكر والمؤنث كقولهم : "شاة" للذكر والأنثى وكذلك "حية" وجرادة للجنسين منهما .

ويطيل أبوبكر فى أمثلة هذا القسم ، وكأنه يريد أن يذكر كل الأسماء التى سمعت فيه . وفى القسم الثانى من هذا الباب ، يعالج تلك الأسماء من حيث جواز صرفها وامتناعها من الصرف ، فيفصل فى ذكر الأوجه المسموعة عن العرب مدعما كلامه بمختلف الشواهد والحجج ، وذاكرا آراء العلماء فيها ، ومفصلا فى أمثلة كل وجه حتى غدا القسم مليئا بالعديد من الأمثلة .

ولعلى بعد عرض عناصر هذا الباب أستطيع أن أقول : إن ابن الأنبارى تعمد أن يفتتح الكتاب بهذا الباب للأسباب التالية :

١ــ محاولة استقصاء وتتبع أكبر مجموعة من أمثلة المذكر والمؤنث وقد تحقق له ذلك ــ كما تقدم ــ[1] ولكن لماذا هذا الاهتمام بالمؤنث دون المذكر ؟ إن سبب ذلك واضح ، وهو القاعدة التى تقرر أن الأصل هو المذكر وأن المؤنث فرع عليه ، ولذلك فالمذكر لا نهاية له ، وأما المؤنث فربما أمكن حصره . وهذا لا يعنى أن أمثلة المذكر مختفية فى هذ القسم ، فهى تذكر عادة للمقابلة والموازنة .

٢ــ لتيسير دراسته على المتعلم وهو فى بداية قراءته للكتاب ، وقد صرح المؤلف بذلك قائلا فى نهاية هذ الفصل : " فهذه جمل من المذكر والمؤنث ، ابتدأنا بها مختصرين لها ، لينتفع المتعلم بمعرفتها وحفظها "[2] .

٣ــ ولأنه باب عام ، وهذه خطة ابن الأنبارى فى التأليف فهو يقدم العام أولا ــ ليحيط القارئ بالموضوع عامة ــ ثم يفصله إلى فروعه وأجزائه ، كل فرع فى موضعه الخاص به ، وكل جزء فى مكانه المحدد له . وقد نص على هذه الخطة فى المقدمة التى مرت بنا آنفا .[3]

وهذا الباب هو أطول أبواب الكتاب ، ويقع فى عشرين ورقة منه . ويأتى بعده بابان يعالج فيهما صيغة فاعل للمذكر والمؤنث . ثم يورد بابا مهما يعالج فيه علامات التأنيث ، وهى عنده خمس عشرة علامة : ثمان منها فى الأسماء ، وأربع فى الأفعال وثلاث فى الأدوات ، فالعلامات الخاصة بالأسماء هى : الألف المقصورة نحو " ليلى " و"سلمى "، والألف الممدودة نحو "حمراء" و"هيفاء" ، والتاء فى نحو" أخت " و"بنت"، والهاء نحو"قائمة"، "وطلحة"، والألف والتاء نحو "مسلمات" و"صالحات"، والنون نحو"هن" و"أنتن"، والكسرة كقولك " أنت" ، والياء كقولك "هذى" قامت .

---

(١) انظر ص ٣٨٤

(٢) ١٧/أ .

(٣) ١/ب .

والعلامات الخاصة بالأفعال هى : التاء نحو " قامت " ، و"تقوم" ، والياء نحو " تضربين " و" اضربى " ، والكسرة فى الحرف المختلط بالفعل الذى قد صار كأنه من الفعل نحو" قمتِ " و"أعطيتِ"، والنون التى اختلطت بالفعل فصارت كبعض حروفه كقولك "قُمْنَ" و"قَعَدْنَ" .

وأما العلامات الخاصة بالأدوات فهى : التاء نحو" رُبَّتَ" ، و"ثُمَّتَ"، والهاء نحو "هيهاه" فى الوقف على "هيهات" ، و"لاه" فى الوقف على "لاتَ" عند سيبويه ، والهاء والألف اللاحقتان بإن للدلالة على أن الفعل بعدهما مؤنث نحو قولك إنها قامت هند ، ومنه قوله تعالى ( فإنها لا تعمى الأبصار )[1] .

هذا هو تقسيم ابن الأنبارى لعلامات التأنيث ، ورغم كونه تقسيما مرتبا مفصلا إلا أنه لا يخلو من تعسف وزيادة فى التفريع ، فهو هنا يفرق فى هذه العلامات بين التاء والهاء ، ويعتبرهما علامتين مختلفتين ، مع أنهما شئ واحد ، ويمكن على هذا الأساس أن نسقط من تقسيمه ما أسماه بهاء التأنيث ، لأنها مذكورة تحت اسم تاء التأنيث ، مع ملاحظة أنه يفرق بين التاء والهاء فى جانب آخر وهو أن تاء التأنيث عنده هى التى لا تكون هاء فى الكلام فى جميع الحالات نحو تاء "أخت" و"بنت" لأنها مشبهة بالأصلية.[2]

وأما الهاء عنده فهى التى تكتب تاء وتلفظ هاء فى الوقف نحو "قائمة" ، "وطلحة"، "وحمزة"[3] ، وليس هذا رأى ابن الأنبارى وحده إنما هو النظرية التى كانت سائدة بين القدماء .

ومن العلامات التى ذكرها فى الأفعال تاء التأنيث الساكنة وتاء المخاطبة للغائبة نحو "قامت" "وتقوم"، وكسرة تاء الفاعل نحو "قمتِ" وقعدتُ.[4]

---

(١) سورة الحج / ٤٦ .

(٢) ٣٤/ب .
(٣) ٣٤/ب .
(٤) ٣٧/أ ، ٣٧/ب .

وذكر ضمن علامات التأنيث الخاصة بالأدوات : الهاء والألف اللاحقتان بإنّ فى نحو : إنها قامت هند ، ولعل الأقرب الى الصواب أن نوجع الجملة إلى أصلها فنقول : إن مفهوم التأنيث فى مثل هذا التركيب جاء من تاء التأنيث المتصلة بالفعل ، ولم يجئ من الضمير الذى دخلت عليه "إنَّ" .

ويلاحظ — فيماعدا ذلك — على ابن الأنبارى فى تقسيمه أنه اعتمد مرتين على قواعد غيرمشهورة ، كما نرى فى ياء "هذى" التى ذكرها ضمن العلامات الخاصة بالأسماء ، ولم يذكر مثالا آخر على هذه الياء ، وكذلك الأمر مع تاء "هيهات" ، و"لات" و"رُبَّتَ" و"ثُمَّتَ" ، والتاء فى هذه الألفاظ كما قال الفراء — "تشبه التأنيث ، وليست بتأنيث حقيقى" .(١)

ومهما يكن من أمر فلا بأس بصنيع ابن الأنبارى فى جمع هذه العلامات كلها وتتبعها فى هذا الباب ، وقد يعذر فى ذكره مالم يشتهر منها ، وماورد فيه خلاف بين أئمة اللغة ، وذلك لحرصه على جمع كل ماله علاقة بالباب حتى ولوكان ضعيفا أوغير مشهور ، ويسوغ موقفه هذا أنه ينص على مواضع الخلاف والضعف فى الباب الذى يليه مباشرة وهو "باب شرح العلامات وتفصيلها" ، وفيه يشرح علامات التأنيث التى أوردها فى الباب السابق بالتفصيل .

ويليه "باب مايذكر ويؤنث باتفاق من لفظه واختلاف من معناه"(٢) وهو باب لطيف يجمع فيه المؤلف طائفة من الألفاظ ذات المعانى المتعددة فيشرح معانيها المترادفة ، ويحدد كل معنى من حيث التذكير والتأنيث ، فيذكر أن اللفظ بهذا المعنى مذكر ، وبذاك مؤنث ومن أمثلة المترادفات التى يذكرها فى هذا الباب : "الأرض"(٣) ، وقد أورد لها خمس معان ، و"العين"(٤) وقد أورد لها

---

(١) ٣١/أ .　　(٢) ٣٨/أ .
(٣) ٣٨/ب .　　(٤) ٤٠/أ .

ثلاثة عشر معنى ، و" العرق "[1] ست معان ، والرِّجْل[2] ، والناب[3] . . . الخ .

يعقب ذلك ثلاثة أبواب فى موضوعات مختلفة ، يعدها ستة أبواب مترابطة فى موضوعاتها : ثلاثة منها لمعاملة أعضاء الانسان من حيث التذكير والتأنيث ، وثلاثة منها لسائر الأشياء من حيث التذكير والتأنيث ، والأبواب الستة هى : "باب مايذكر من الانسان ولا يؤنث"[4] ، و"باب مايؤنث من الانسان ولا يذكر"[5] ، و"باب مايذكر من الانسان ويؤنث"[6] ، و"باب مايذكر ويؤنث من سائرالأشياء"[7] ، و"باب مايذكر من سائر الأشياء ولا يؤنث"[8] ، وهو من الأبواب الطويلة فى الكتاب ، و"باب مايؤنث من سائر الأشياء ولا يذكر"[9] .

ويعرض ابن الأنبارى — على عادته فى هذ الكتاب — خلال الأبواب السابقة مادة لغوية كبيرة .

(١٠)

ويعقد أيضا بابا قصيرا لما "يقال بالهاء وبغيرالهاء" نحو : دار ودارة ، ومكان ومكانة ، وحال وحالة . . . الخ . ويخصص بابا للألفاظ التى وردت على وزن "فعيل"[11] ، ويذكر القاعدة فى استعمالها وهى : "إن "فعيلا" إذا كان نعتا للفاعل دخلت الهاء فى مؤنثه"[12] ، نحو : رجل كريم وامرأة كريمة ، وغلام ظريف وجارية ظريفة ، أما إذا كان بمعنى مفعول لم تدخل الهاء فى مؤنثه نحو : عين كحيل ، وكف خضيب ، ولحية وهين ، أى مكحولة ، ومخضوبة ومدهونة ، وشرطه فى هذه الحالة أن يذكر موصوفه المؤنث ، وإذا لم يذكر الموصوف المؤنث ثبتت التاء كقولهم : قتيلة بنى فلان ، وأكيلة السبع ، يعنى مقتولة ومأكولة .

---

(١) ٣٩ /ب .
(٢) ٤١/ب .
(٣) ٤٢/أ .
(٤) ٦٠/ب .
(٥) ٦٣/ب .
(٦) ٧١/أ .
(٧) ٧٦/أ .
(٨) ١٠٠/ب .
(٩) ١٠٥/ب .
(١٠) ١١٥/ب .
(١١) و (١٢) ١١٧/ب .

ثم يعقد أبوابا ثلاثة للأوزان المؤنثة التالية : "مُفْعِل" ، و"مِفْعَال" ، "ومُفَعِّل" ، و"مُفَاعِل" ، و"مُفْعَل" و"فَيْعِل"،[1] ويذكر خلالها بعض القواعد المتعلقة بتلك الأوزان فمنها مثلا : القاعدة التى ذكرها فى وزن "مُفْعِل" ، وهى تشبه ماذكره بخصوص "فعيل" الذى تقدم، ومضمونها : "أن "مُفْعِلا" فى النعوت بمنزلة "فاعِل" ، إذا اشترك المذكر والمؤنث فى النعت دخلته الهاء ، إذا كان نعتا للمؤنث كقولك : رجل محسن ، وامرأة محسنة ... فإذا كان النعت لاحظّ للذكر فيه لم تدخله الهاء ، وكان بمنزلة حائض وطالق ، وطامث"[2] نحو "مُذْكِر للتى تلد الذكور ، "ومُحْمِق للتى تلد الحمقى ، ونحو ظبية "مُخْشِف" و"مُفْزِل" و"مُطْفِل" . وقد تدخل الهاء فيما ليس للذكر فيه حظ ، ولكن ذلك قليل ولا يرد إلا اسما كقوله تعالى : ( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ )[3] .

وقد ذكر فى وزن "مِفْعَال" قاعدة أيضا وهى : "أن "مِفعالا" يكون نعتا للمؤنث بغيرها ، لأنه انعدل عن النعوت انعدالا أشد من "صبور" و"شكور" وماأشبههما من المعروف عن جهته ، لأنه شبهه بالمصادر لزيادة هذه الميم فيه ، ولأنه مبنى على غير فِعْل ، ويجمع على مفاعيل ، ولا يجمع المذكر بالواو والنون ، ولا المؤنث بالألف والتاء إلا قليلا ، فمن ذلك قولهم : امرأة "مِذْكَار" ومِئْنَاث" ، إذا كان من عادتها أن تلد الإناث أو الذكور ، وامرأة "مِحْمَاق" إذا كانت تلد الحمقى ، وامرأة "معطار" ، من العطر ، "ومعطاء"[4] ، من العطيه .

ومن أمثلة "مُفَعِّل" قولهم : قطاة مُطَرِّق : إذا دنا خروج بيضتها ، وناقة "مُطَلِّح" إذا كان فيها شئ من الشحم . ومن أمثلة "مُفَاعِل" قولهم : ناقة "مُجَالِح" إذا أدبرت فى القر والجوع، و"مُقَالِح" للتى لا تُدِرُّ بأنفها ، ولا تُدِرُّ . ومن أمثلة "فَيْعَل" قولهم امرأة "غَيْلَم" : للحسناء ، وبئر "غَيْلَم" للواسعة .

---

(١) من ١٣٤/ب — ١٣٩/أ .
(٢) ١٣٤/ب — ١٣٥/أ .
(٣) سورة الحج /٢ .
(٤) ١٣٧/أ .

ومن أمثلة "فَيْعِل" قولهم قِرْبَة "عَيِّنٌ" للتى قد تهيأت منها مواضع للتثقيب من البلى .

ومن الأبواب الجيدة فى الكتاب : "باب ماجاء على مثال "فَعَالِ" من الأسماء والنعوت" .(١) وقد اختلفت طريقة المؤلف فى معالجة هذا البـــاب عن سائر أبواب الكتاب ، إذ إنه اعتاد أن يذكر القاعدة فى أول كل باب باختصار ثم يفصل فى عرض الأمثلة والشواهد على القاعدة المذكورة ، حتى يغطى الباب بالعديد من الأمثلـة ، وأما فى هذا الباب فإننا نراه يكثر من عرض القواعد حتى شغلت معظم الباب ، وأحسبه بذلك جمع كل ماذكره اللغويون حول هذا الوزن وقواعده ، ومع ذلك لم يهمل الأمثلة فقد مثل لكل قاعدة بطائفة من ألفاظ المذكر والمؤنث .

ومن القواعد التى ذكرها فى هذا الباب ، إعراب الأسماء التى جاءت على وزن "فَعَالِ" فقال : " اعلم أن كل اسم للمؤنث على مثال "فَعَالِ" مما لم يكن اسما لشئ قبل أن يُعلَّق على المؤنث ، فأهل الحجاز يلزمونه الكسر فى كل حال ، وبنو تميم ينزلونه منزلة زينبَ وسعادَ ونوارَ فيعرفونه بلاتنوين وينصبونه فى موضع النصب والخفض بغير تنوين فمن ذلك "قَطَامِ" و"حَذَامِ" و"رَقَاشِ" و"غَلَابِ" ... الخ "(٢) ثم يعلل سبب خفضها عند الحجازيين مبتدئا برأيه ومنتهيا بآراء البصريين .

ومن القواعد المفيدة التى ذكرها أيضا أن النعوت التى جاءت على مثال "فَعَالِ" تعرب ، فمن ذلك امرأة "حَصَانٌ" و"رَزَانٌ" و"رَوَادٌ" إذا كانت طوّافة، و"صَنَاعٌ" إذا كانت حاذقة بالعمل .

---

(١) و(٢) ١٦١/أ .

وفى الكتاب باب صغير لنداء المذكر والمؤنث.[1] ومن الأبواب القيمة فيه باب عدد المذكر والمؤنث،[2] وهو من الأبواب الطويلة بعض الشئ، وقد جاء هذا الباب على نمط آخر مختلف عن طريقة ابن الأنبارى العامة وهو شبيه باب فعال المتقدم من حيث الإكثار من عرض القواعد، إلا أنه يكثر هنا من الاحتجاج بالعلل النحوية حتى أصبحت تلك العلل طابعا عاما للباب. وعلى كل حال فقد عالج موضوعه فى هذا الباب معالجة جيدة وقد أشبعه بحثا.

ويبدأ الباب بذكر قاعدة أولية فى الأعداد وهى أن تاء التأنيث تثبت فى عدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة، وتسقط من عدد المؤنث من الثلاث إلى العشر تقول: عندى ثلاثة رجال وأربع نسوة. ثم فصل فى شرح علة ذلك حسب رأى الفراء الذى يفتخر به لكونه حائزا قصب السبق فى ذكر تلك العلة دون شيوخ البصريين كالخليل ويونس وسيبويه والأخفش. ويمضى الباب إلى آخره على هذا النمط من ذكر القاعدة ثم تفسير سببها، ذاكرا فى ثنايا هذا وذاك العديد من الأمثلة.

ويستمر موضوع العدد فى الأبواب الثلاثة التالية له وهى: "باب ذكر المعدول عن جهته من عدد المذكر والمؤنث"[3]، "وباب ذكر العدد الذى نعت به المذكر والمؤنث"،[4] و "باب ثانى اثنين وثانية اثنتين، وثالث ثلاثة وثالثة ثلاث وما أشبه ذلك".[5]

ومن أبواب الكتاب: "باب مايحمل الفعل على لفظه فيذكر، وعلى معناه فيؤنث"،[6] والحديث فى هذا الباب خاص بمجموعة من الألفاظ التى تعامل المعاملتين من حيث التذكير والتأنيث. وهذه الألفاظ فى ظاهرها مذكرة، ومعانيها مؤنثة، ومن أمثلتها: مَنْ، وَمَا، وأىّ، وبعض، وكلّ، وغير... الخ تقول: مِن النساء مَنْ يقوم ويجوز لك: مِن النساء مَنْ تقوم وكذلك بقية ألفاظ هذا الباب.

---

(١) ١٦٤/ب.
(٢) ١٦٩/أ.
(٣) ١٨١/أ.
(٤) ١٨٢/أ.
(٥) ١٨٢/ب.
(٦) ١٨٦/أ.

ويعد ذلك يعالج " باب الجمع بين المذكر والمؤنث " [1] مبتدئا بتلك القاعدة الأولية المعروفة بالتغليب فيقول : " اعلم أن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غُلِّب المذكر على المؤنث ، تقول من ذلك : الرجل والمرأة قاما وقعدا وجلسا ، ولا يجوز قامتا وقعدتا ، لأن المذكر يغلب المؤنث لأنه هو الأصل ، والمؤنث مزيد عليه . . . . ويجوز أن تؤنث الفعل وتضمر خبر المذكر أو تذكّره وتضمر خبر المؤنث فتقول : الرجل والمرأة قامت ، أضمر خبر الرجل ، والمرأة والرجل قام ، أضمر خبر المرأة " [2] ثم يتبع كلامه بالشواهد ويمضي في شرح فروع هذا الباب حتى إذا ما انتهى منه دخل في " باب جمع المؤنث " [3] .

ثم يعود مرة أخرى إلى الأوزان فيذكر ثمانية من أوزان المؤنث في بابين : الأول " باب ما جاء على مثال " فُعُل " و " فُعْلُول " من نعوت المؤنث " [4] ومن أمثلة " فُعُل " في هذا الباب : أرض " جُرُز " ، وروضة " أُنُف " اذا لم تُرْعَ ، وليلة " خُرُس " أي لا يسمع فيها صوت . ومن أمثلة " فُعْلُول " قولهم : امرأة " عُطْبُول " للطويلة العنق ، و " شُخْمُوم " للحسنة ، وفرس " لُهْمُوم " إذا كانت غزيرة في الجرى .

والباب الثاني هو " باب ما جاء على مثال فِعْلِل وفَعْلَل وفِعَلٍ وفُعَلٍ وفَعْلٍ " [5] ، وإليك بعض أمثلة هذه الأوزان :

١ــ " فِعْلِل " : نحو ناقة " خِزْرِم " : للمسنة ، وامرأة " هِرْمِل " إذا كان فيها هوج واسترخاء ، وبئر " خِضْرِم " للغزيرة .

٢ــ " فَعْلَل " : نحو ناقة " جَلْعَد " ، و " ضَمْمَج " إذا كانت غليظة شديدة ، وامرأة " قَرْشَع " أي حمقاء ، وبئر " زَغْرَب " أي كثيرة الماء .

٣ــ " فِعْل " : نحو ناقة " نِقْضٌ " للهزيلة ، و " ثِنْيٌ " إذا نتجت بطنين ، و " ثِلْثٌ " إذا نتجت ثلاثة .

---

(١) ١٩٠/ب .
(٢) ١٩٠/ب ــ ١٩١/أ .
(٣) ١٩٢/أ .
(٤) ١٩٣/ب .
(٥) ١٩٥/ب

٤ــ "فُعْل" : نحو بئر "سُكٌّ" : للضيقة ، وامرأة "زُؤُنٌ" : للناعمة اللينة .

٥ــ "فَعْل" : نحو بئر "ذَمٌّ" (١) للقليلة الماء ، وامرأة "خَوْدٌ" أى حسنة ، وأرض "قَفْرٌ" خالية .

يلى ذلك مباشرة ثلاثة أبواب خاصة بتصغير المؤنث ،(٢) ويذكر فيها قواعد تصغير المؤنث بمختلف أنواعها، ومنها قاعدة تصغير المؤنث الثلاثى الخالى من علامة التأنيث ، وشأنه شأن الثلاثى المذكر مع وجوب ادخال التاء عليه نحو : فخذ : فخيذة ، وساق : سويقة ، وقدم: قديمة ، وهند: هنيدة ، ولهذه القاعدة شواذ ، فهناك بعض المؤنثات الثلاثية مصغرة ولكنها بدون تاء نحو: حجوب تصغيرها حريب، وقوس قويس ( قوس الرمى ) وعرس عريس. وأما الرباعى فيصغر بدون تاء التأنيث نحو عَنَاق : عُنَيِّق ، ونوار نُوَيِّر ، وعقرب عُقَيْرِب . ولا يفوته هنا ــ على عادته فى ذكر العلل ــ أن يذكر علة دخول التاء على الثلاثى دون الرباعى . وأما تصغير النعوت الخاصة بالنساء دون الرجال فيكون بغير تاء التأنيث نحو "طُوَيْلِق" فى تصغير طالق ، وطُوَيْمِث فى تصغير طامث . وتصغير الأسماء المؤنثة التى لحقتها إحدى علامات التأنيث فقاعدته هى القاعدة العامة للتأنيث من ضم الأول وفتح الثانى وادخال ياء التصغير وأما علامة التأنيث اللاحقة بالاسم فإنها تبقى على حالها ، نقول فى تصغير طلحة وحمراء وبشرى : طُلَيْحَة وحُمَيْرَاء وبُشَيْرَى ، وإذا لم تكن الألف ــ بنوعيها ــ للتأنيث ، وكانت للإلحاق ، فالقاعدة أن تحذف هذه الألف لاجتماع الساكنين مع كسر الحرف بعد ياء التصغير نقول فى تصغير معزى ، وأرطى : "مُعَيْز" وأُرَيْط" ، وفى حبركى : "حُبَيْرِك" .

---

(١) فى لسان العرب : بئر ذمة وذميم وذميمة : قليلة الماء وقيل هى الغزيرة !! وانظر مادة ( ذمم ) فى تاج العروس ، والقاموس المحيط .

(٢) من ١٩٨ /أ ــ ٢٠٥ /أ .

ويخصص ابن الأنبارى بعد ذلك بابا لماجاء من النعوت على وزن "فَعْلَى" [1] ويورد فيه مجموعة من النعوت المؤنثة التى جاءت على هذا الوزن كقولهم : ناقة "شَمَجَى" ، و"بَشَكَى" ، و"مَوْطَى" ، و"وَلَقَى" ، أى سريعة ، وامرأة "هَمَشَ" : أى تكثر الحديث ، والدعوة "الجَفَلَى" الجماعية التى ليس فيها تخصيص ، و"الخَطَفَى" : اسم جد جرير ، وفرس "وَكَرَى" أى التى تتروفى عدوها ... الخ .

ويختم ابن الأنبارى كتابه القيم ببابين للإشارة إلى المذكر والمؤنث مع الوقوف على هاء التنبيه فى الإشارة إلى الذكور والإناث ويفصل بين البابين باستعمالات " ذو " فى حالات التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

نلاحظ بعد هذا العرض السريع للكتاب ، وبالرجوع إلى أبوابه أنه عالج فيه كل مايتعلق بالمذكر والمؤنث مما استوعبه فكره ووصل إليه علمه ؛ فقد فصل الكلام فى دراسة علامات التأنيث [2] ، وعالج كل مايتعلق بالمذكر والمؤنث من الأسماء والنعوت فوقف على أسماء الأعياد والأيام والفدوات والعشيات [3] ، ووقف على أسماء السور وحروف المعجم [4] ، وعلى أسماء البلاد [5] ، والقبائل والأمم [6] ، وعلى أسماء أعضاء الإنسان وعلى أسماء أخرى كثيرة [7] ، ووقف على كل تلك الأسماء يدرسها من حيث التذكير والتأنيث ، ووقف على مختلف نعوت المذكر والمؤنث وخصص لها أبوابا معينة فى الكتاب [8] ، ودرس المذكر والمؤنث من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، [9] كما درس عدد المذكر والمؤنث [10] ، ودرس تصغير الأسماء

---

(١) ٢٠٥/أ .
(٢) ٢٩/ب ، و ٣٢/ب .
(٣) ٤٧/أ .
(٤) ١١٦/ب .
(٥) ١٢٢/أ .
(٦) ١٤٠/أ .
(٧) ٦٠/ب ، و٦٢/ب ، و٧١/أ و٧٦/أ ، و١٠٠/ب و ١٠٥/ب .
(٨) ٢٠/أ و ١١٧/ب و ١٢٧/أ ، و١٣٤/ب و ١٣٧/أ و ١٣٩/أ و ١٤٩/ب ، و١٩٣/ب و ١٩٥/ب وغيرها .
(٩) ٤٩/ب ، و ٥١/ب ، و ١٤٣/ب و ١٩٢/أ .
(١٠) ١٦٩/أ ، و١٨١/أ ، و١٨٢/أ ، و ١٨٢/ب .

المؤنثة فى مختلف أحوالها ،[1] وعالج المذكر والمؤنث فى حالة النداء ،[2] وخصص بابين للإشارة : إلى المذكور وإلى المؤنث[3] ... وهكذا فقد حاول أن يغطى الموضوع من جميع أطرافه .

نقد كتاب المذكر والمؤنث :

أحاط الكتاب بالموضوع إحاطة تامة . وظهر ذلك فى وفرة مادته العلمية لكنه لم يخل من بعض المآخذ ، فأول مايلاحظ عليه هو أن مؤلفه أغفل تعريف المذكر والمؤنث ، فقد بدأ رأسا بذكر أقسام الأسماء المؤنثة[4] ، فهل كان سبب ذلك عجزه عن صياغة تعريف صحيح شامل لموضوعه ؟ هذا جائز ، فالموضوع مايصعب تعريفه تعريفا علميا دقيقا شاملا ، لأنه قائم على السماع فى غالبه . وقد سبقت الإشارة إلى أنه أحسن فى اختيار الباب الذى بدأ به كتابه . وأيدت ذلك بأنه لا يوجد من أبواب الكتاب مايمكن تصديره .[5]

وثمة موضوع آخر مهم أغفله أيضا وهو أنواع المذكر والمؤنث ، ولا أكاد أرى له عذرا لصنيعه هذا .

ونلاحظ أيضا أنه لا يوجد أساس ثابت يقوم عليه تقسيم أبواب الكتاب ، ولعل سبب ذلك طبيعة موضوعه ، وصعوبة تبويبه من جانب وطبيعة ابن الأنبارى الاملائية فى التأليف من جانب آخر ، فقد كان يملى مؤلفاته من حفظه لا من كتاب أو دفتر .[6] ومع ذلك ، فيمكن ملاحظة تسمين فى عناوين أبواب الكتاب : الأول قائم على حسب الموضوع الذى يعالجه الباب مثل : "باب مايذكر من الإنسان ولايؤنث" ، والأبواب الخمسة التى تليه ،[7] وهى تتعلق بالمذكر والمؤنث من الانسان ثم من سائر الأشياء ، ومثل الأبواب المتعلقة بالعدد وهى "باب ذكر عدد المذكر والمؤنث" ، والأبواب الثلاثة التى تليه[8] ، وكذلك

---

(١) ١٩٨/أ ، و٢٠١/ب ، و٢٠٣/أ (٢) ١٦٤/ب .
(٣) ٢٠٨/ب و٢١١/أ . (٤) ، (٥) راجع ص ٣٨٤ ، ٣٩٣ من هذا البحث .
(٦) تاريخ بغداد ١٨٢/٣ ، وغاية النهاية ٢٣١/٢ .
(٧) من ٦٠/ت / ١٠٥/ب
(٨) من ١٦٩/أ — ١٨٢/ب .

الأبواب المتعلقة بالتصغير،[1] والبابان المتعلقان بكان وهما : "باب المذكر الذى يجعل اسم كان وخبره مقدما عليه"،[2] و"باب ذكر أفعال المؤنث إذا لاصقتها كان ، وإذا فصل بينها وبينها بشئ"،[3] وهناك أبواب أخرى قريبة من الأبواب السابقة ، ويمكن أن تضم إليها إذا كان التقسيم على أساس الموضوع .

والثانى قائم على حسب أوزان معينة يخصص الباب لها ، وهو تقسيم موضوعى أيضا ولكنه يختلف عن الأول من حيث وقوفه على أوزان محددة فى كل باب ، وأما التقسيم الأول فهو يعالج المؤنثات الواردة فى الباب دون مراعاة أى اعتبار للأوزان ، ويمكن حسب التقسيم الثانى أن تضم الأبواب التالية بعضها إلى بعض — علما أن بعضها جاءت متسلسلة فى الكتاب أصلا — "باب ماجاء من النعوت على مثال "فعول" "[4] و" باب ماجاء من النعوت على مثال "مُفْعِل"[5] و"باب ماجاء من النعوت على مثال "مِفْعَال" "[6] ، و"باب ماجاء من النعوت على مثال "مُفَعَّل" ، و"مُفَاعِل" و"فَيْعَل" و"فَيْعِل"[7] ، و"باب ماجاء على مثال "فُعْل" و"فُعْلُول" من نعوت المؤنث"[8] و "باب ماجاء على مثال "فِعْلِل"، "وفَعْلَل"و"فِعْل" و"فُعْل" و"فَعْل" "[9] و "باب ذكر ماتدخله علامة التأنيث ولا تدخله من النعوت التى جاءت على وزن "فَاعِل"[10]، و"باب "فَعِيل"[11] ، و"باب ماجاء على مثال "فَعَالِ" من الأسماء والنعوت"،[12] و"باب ماجاء من النعوت على مثال "فَعْلَى"[13] .

ولم يفطن ابن الأنبارى إلى مثل هذه الرابطة فى ترتيب أبواب الكتاب ، ولذلك جاءت الأبواب متفرقة لا يوجد بينها أية علاقة اللهم إلا فى الموضوع الأساسى للكتاب وهو التذكير والتأنيث ، ولو أنه راعى الاعتبار السابق على الأقل لكانت الأبواب أكثر تناسقا ، أدق تنظيما .

---

(١) ١٩٨/أ — ٢٠٣/أ .
(٢) ١٦٣/أ .
(٣) ١٦٦/أ .
(٤) ١٢٧/أ .
(٥) ١٣٤/ب .
(٦) ١٣٧/أ .
(٧) ١٣٩/أ .
(٨) ١٩٣/ب .
(٩) ١٩٥/ب
(١٠) ٢٠/أ .
(١١) ١١٧/ب
(١٢) ١٦١/أ .
(١٣) ٢٠٥/أ .

ومهما يكن من أمر فإن إغفال الترتيب لا يطعن فى مادة الكتاب العلمية الوفيرة ، والتى لا نجدها بهذه الكثرة فى أى مصدر آخر ، فهو أكبر وأهم مرجع فى المكتبة العربية فى موضوع المذكر والمؤنث ، ورغم خلوه من الترتيب إلا أن طريقة الإستفادة منه سهلة ميسورة ، لأنه مبوب إلى أبواب واضحة بعناوين دقيقة .

مصادره :

ولعل من أبرز مميزات ابن الأنبارى فى هذا الكتاب اهتمامه الكبير بتحديد مصادره التى ينقل عنها بصورة دقيقة لدرجة أنه يذكر غالبا عدة مصادر للكلمة الواحدة .(١)

وهو ينقل عن كبار أئمة اللغة من الكوفيين والبصريين على حد سواء ، لا يتعصب لفريق على فريق رغم كونه كوفيا ، وأشهر العلماء الذين كثر ذكرهم فى الكتاب : الكسائى ، واللحيانى ، وأبوعمرو ، وعبد الله بن ناجية عن وهو من شيوخه — والمبرد ، ويونس بن حبيب ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبوعبيد القاسم بن سلام ، والخليل وسيبويه ، وأبوه القاسم بن بشار الأنبارى ، وهشام ابن ابراهيم الكرنبائى ، وأبوجعفر أحمد بن عبيد ، والأخفش ، إلا أن أهمهم على الإطلاق : الأصمعى ، والفراء ، وأبوزيد الأنصارى ، وابن السكيت ، وهشام ابن معاوية ، وأبو حاتم السجستانى ، ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من ذكر واحد أو أكثر منهم .

---

(١) انظر مثلا الأوراق ٢٥/أ ، و٢٦/أ ، و٧٦/أ ، و٧٨/أ ، و٨٦/أ ، و٨٦/ب ، و٨٨/ب ، و٨٩/أ ، و٩٤/أ .

الاهتمام بالعلل النحويـــــــــة :

يهتم ابن الأنبارى كثيرا بالعلل النحوية فى هذا الكتاب ، فلا يكـــاد مسألة دون أن يذكر العلة فيها ، وتكاد هذه العلل تطغى على بعض أبـــواب الكتـــاب ، كما نرى فى الأبواب التى تعالج موضوع العدد (١) . ويبدو هذا الاهتمام بوضوح فى الكتاب من بعد الثلث الأول منه خاصة ، ومعظم عللـــــه من ابتكاراته الخاصة ، ولايتوانـــى عن الاستشهاد بمختلف أقوال اللغويـــين وعللهم فى كل موضوع يعالجه ، وقد يطيل فى ذلك أحيانا ، وطريقته فى عرضها غالبا ماتعتمد على أسلوب " فإن قال قائل ... قيل له ... " على نحو مانرى فـــى تحليله لعلة بناء " أَحَدَ عَشَرَ " وأخواتها على نصب الجزأين ، يقول فى " بـــاب ذكر عدد المذكر والمؤنث " مفسرا سبب ذلك : " فإن قال قائل : لم ألزمـــوا أحد عشر وأخواتها الفتح ؟ قيل له : الأصـــــل عندى واحِدٌ وَعَشَرَةٌ ، وثلاثةٌ وَعَشَرَةٌ ، فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ، واختاروا للاسم لما طال الفتحة لأنها أخف الحركات . وكان الأصل فى أَحَدَ عَشَرَ واحِدَ عَشَرَ ، فحذفوا الألف الزائدة من واحد ، وأبدلوا من الواو المفتوحة همزة كما قالوا امرأة " أَنَاة "، والأصل فيها " وَنَاةٌ " لأنها من وَنَى يَنِى " (٢).

ومثال آخر أستشهد به لمزيد توضيح من " باب ماجاء على مثال فعـــال من الأسماء والنعوت " ، قال ابن الأنبارى موضحا سبب بناء العلم المؤنـــث على وزن " فَعَالِ " بالكسر عند الحجازيين : " فإن قال قائل : لم ألزم أهل الحجاز هذه الأسماء الخفض ؟ فقل : كان حقها أن تكون ساكنة ، لأن معناها الأمـــر ، وهو أصلها وذلك أنها بمنزلة قولهم فى الأمر : قَوَالِ قَوَالِ ، وَنَظَارِ نَظَارِ ، وَبَدَادِ بَدَادِ ، ونَزَالِ نَزَالِ يريدون قَاوِلْ قَاوِلْ ، ونَاظِرْ نَاظِرْ ،

---

(١) ١٦٩/أ — ١٨٤/ب
(٢) ١٣٣/ب .

وَنازِلٌ نَازِلٌ . وقال الفراء : الأصل فيها أن تكون مصادر كقولك قَاوَلْتُ قِوَالاً ، وَنَازَلْتُ نِزَالاً ، فلما نقلوا المصادر إلى باب الأمر ، فتح أوائلها ليُفَرَّقَ بين المصدر والأمر ، وكسرت الميم من "قَطَامِ" و"حَذَامِ" ، والشين من "رَقَاشِ" لاجتماع الساكنين ... وقال البصريون : إنما ألزم أهل الحجاز هؤلاء الأسماء الخفض لأنها معدولة عن جهتها ، فحَذَامِ معدولة عن حَاذِمَة ، وقَطَامِ معدولة عن قَاطِمَة ، ورَقَاشِ معدولة عن رَاقِشَة ، وغَلَابِ عن غَالِبَة ، في حال المعرفة والتسمية ، ولم يعدل وهو نكرة ، وقالوا إنما خصت هذه الأسماء بالبناء على الكسر دون غيرها من المعدولات لأنها اجتمع فيها التأنيث والعدل ، والمؤنث كله لا ينصرف فلما عَدَلوها كانت أثقل من جميع المؤنث ، فحطوها منزلة فبنوها على الكسر ولم يصرفوها " .(١)

نلاحظ في النموذجين السابقين اهتمام ابن الأنباري الواضح بالعلل ، ونلاحظ في هذه العلل عامة عقلية لغوية فذة ، ومقدرة كبيرة على تحليل الظواهر اللغوية ، ومعرفة أسبابها ، وارتباطها بعضها ببعض ، كما نلاحظ فيها اعتزاز ابن الأنباري برأيه وثقته الكبيرة به ، وقدرته على شرحه وتعليله ، في عرض منطقي قوي واضح ميسور مدعم بما يسنده من أراء الثقات من متقدمي العلماء . وقد تكون علله مبتدأة لم يسبق اليها ، وقد تكون من اقتباسات غيره من العلماء — وخاصة الفراء الذي يعتز بآرائه كثيرا — على نحو ما نرى في المثال الثاني كما أنه لا يجد حرجا في الأخذ عن البصريين كلما اقتنع بآرائهم ، وعندئذ ينص على أخذه عنهم إما بنسبة الرأي إليهم عامة كقوله : "قال البصريون" ، ( " وذهب البصريون" ، وإما بنسبته إلى أحدهم محددا اسمه .

---

(١) ١٦١/أ — ١٦٢/أ وهذه علة واهية لأن "أذربيجان" اجتمعت فيها خمس علل وهي قوية ولم تزد على منع الصرف شيئا فلو كان المزيد من العلل سببا للبناء لكانت أولى من "حذام" وأخواتها بالبناء ففيها : العجمة ، والعلمية ، والتركيب المزجي ، وزيادة الألف والنون ، والتأنيث باعتبار البقعة .

أهمية الكتاب :

ليس من المبالغة أن يوصف كتاب المذكر والمؤنث ، لأبى بكر بن الأنبارى ، بأنه من أجود ماألف فى موضوعه ، وخاصة بعد أن أثنى عليه جلة العلماء من أصحاب التراجم ، ومن بينهم لغويون ونحاة ، فقد قال عنه الخطيب البغدادى فى عرضه لمؤلفات ابن الأنبارى : " . . . والمذكر والمؤنث ماعمل أحد أتم منه "(١) وتابعه فى هذا الثناء كل من أبى البركات بن الأنبارى(٢) ، وياقوت الحموى(٣) ، والقفطى(٤) ، وابن شهبة الأسدى وعبارته " وله كتاب المذكر والمؤنث ماعمل أحد أكبر منه "(٥) ، وابن خلكان(٦) ، وحاجى خليفة(٧) ، والخوانسارى(٨) ، وابن أبى يعلى(٩) .

وأما ابن حزم فقد وضع هذا الكتاب فى رسالته عن مراتب العلوم فى مصاف الكتب الضرورية للدارس اللغوى فقال : " والذى يجزئ من علم اللغة كتابان : أحدهما : " الغريب المصنف" لأبى عبيد ، والثانى " مختصر العين" للزبيدى . ليقف على المستعمل بمهما ، ويكون ماعدا المستعمل منهما عدة لحاجة ان عنّت يوما فمسى لفظ مستغلق ، فيما يقرأ من الكتب ، فإن أوغل فى علوم اللغة حتى يحكم " خلق الإنسان" ، لثابت . و" الفرق" له ، و " المذكر والمؤنث " لابن الأنبارى ، و" الممدود والمقصور والمهموز "، لأبى على القالى ، و" النبات " لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى ، وماأشبه ذلك فحسن "(١٠) .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٨٤ .
(٢) نزهة الألباء ٣٦٥ .
(٣) معجم الأدباء ٧/٧٦ .
(٤) انباه الرواة ٣/٢٠٤ .
(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢٣٥ .
(٦) وفيات الأعيان ٤/٢٣٢ .
(٧) كشف الظنون ٢/١٤٥٧ .
(٨) روضات الجنات ٧٧ .
(٩) طبقات الحنابلة ٢/٧١ .
(١٠) رسائل ابن حزم ٦٥ .

وهذه الشهادة من ابن حزم تؤكد لنا أهمية الكتاب فهو مصدر هام من مصادر ثقافة الدارس اللغوى .

وإن هذا الثناء من ابن حزم والثناءات المتكررة عليه من قبل لتدل على علو شأن الكتاب فى الأوساط اللغوية ، ولاغرو فقد ألفه ابن الأنبارى بعد أن قطع شوطا فى حياته العلمية — على مانرى من الإشارات التى وردت فى ثنايا الكتاب — (١) فأفاد من خبرته الطويلة ، ومن قراءاته الكثيرة ، مما جعله محيطا بموضوعه من مختلف جوانبه ، فغدا كتابه مصدرا رئيسيا جامعة لدراسة المذكر والمؤنث فى اللغة ، اذ اعتمد فيه على كبار الأئمة من اللغويين ، وبخاصة الذين ألفوا فى هذا الموضوع ، فدرسها كلها وجمع بينها ، ونقل منها ماشاء ، فأكثر النقل ، وبخاصة من الفراء ، والقاسم بن سلام ، وأبى حاتم السجستانى ، وأحمد بن عبيد ، وأبيه القاسم — وهؤلاء كلهم من المؤلفين فى المذكر والمؤنث — والكسائى والمبرد والأصمعى والخليل وأبى زيد الأنصارى وابن السكيت ، وهؤلاء هم جلة الأئمة فى اللغة ، والاعتماد على مؤلفاتهم يعنى الإفادة من أهم المصادر فى اللغة ، الأمر الذى يعزز قيمة الكتاب عند الباحثين .

ويفيدنا كتاب أبى بكر بن الأنبارى — بالإضافة إلى مادته العلمية — فى التعرف على كتب المذكر والمؤنث — لبعض العلماء البارزين — التى أشارت إليها المصادر القديمة ولم تصل إلينا وبخاصة كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام ، وأبى جعفر أحمد بن عبيد الكوفى ، وأبى محمد القاسم بن محمد بن الأنبارى والد أبى بكر ، والذى كان يأخذ عنه الابن باستمرار ، سواء من كتابه أومشافهة ، وهوكثيرا ماينقل عن هؤلاء الثلاثة ، وتلك النقول تفيدنا فى التعرف على طرف من مناهج هؤلاء فى كتبهم من جانب ، وعلى بعض آرائهم حول موضوع المذكر والمؤنث من جانب آخر .

---

(١) انظر مثلا ٧٧/أ .

ولا شك أن كثرة النقول من هؤلاء وغيرهم من أئمة اللغة تعطـــــى الكتاب قيمة علمية خاصة ، للإفادة منه فى تحقيق التراث بحيث يصبح مصـــدرا من مصادر تحقيق التراث المتصل بموضوعه ، ولا سيما أن ابن الأنبارى يمتـــاز بالأمانة والدقة فى نقله ، وبالنص على المصدر الذى يأخذ عنه دائما . وهـــذه ميزة له تزيد فى توثيق كتابه .

* * *

شرح القصائـــد السبع الطوال الجاهليات

* القصائد الطوال
* شراح القصائد الطوال
* كتاب أبى بكر بن الأنبارى
* نسخـــــه
* منهجـــــه
* مصـــــادره
* أهميتـــــه

==========

======

## ٦- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات

تمهيد :

استهوى الشعر الجاهلى أفئدة الناس بمختلف ميولهم فى شتى العصور: فمنهم من رآه تراثا قيما ، وتركة نفيسة ، ومنهم من وجده أدبا رفيعا ، ومتعة مسلية ، ومنهم من التمس فيه تاريخا موثقا ، وسجلا حافلا ، ومنهم من نصبه حجة لغوية وشاهدا ثبتا ، ومنهم من اتخذه مَصْدَرا علميا يجمع بين كل هذا وذاك .

وقد كان الشعر بحق فى الجاهلية لسان العرب ، وديوانهم الذى يصورون فيه آمالهم وآلامهم ويباهون فيه بأحاسابهم وأنسابهم ، ويسجلون فى ثناياه أيامهم وذكرياتهم ، ومآثرهم ومفاخرهم ، وسائر أمور حياتهم .

ولذلك تعهدته الأجيال بالجمع والحفظ والدراسة .

وكان أبو بكر بن الأنبارى واحدا من أولئك العلماء الذين عنوا بالشعر الجاهلى عناية كبيرة .

وقد تجلى اهتمام أبى بكر بالشعر الجاهلى فى صنعته دواوين كل من : زهير ، والنابغتين : الذبيانى والجعدى ، والأعشى ، والراعى النميرى .(١)

كما نتبين هذا الاهتمام من روايته لكل من شرح المفضليات عن أبيه القاسم ابن بشار الأنبارى ،(٢) وديوان عامر بن الطفيل عن أستاذه أبى العباس ثعلب.

إلا أن أهم أعماله فى دراسة الشعر الجاهلى هو : "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات". وهذا الكتاب هو الذى تكشف عن خصائصه الدراسة فى هذا الفصل إن شاء الله .

---

(١) انظر ص ٣٨.
(٢) انظر ص ٤٢.

القصائد الطـــــوال:

هى مجموعة القصائد الجاهلية الطويلة التى عرفت "بالمعلقات" تارة ، و"السَّموط" تارة أخرى، وقد يطلق عليها "السبع الطوال" ، و "المُذْهَبَات" ، و "المَشْهُورات" (١) .

وأول من جمع هذه القصائد هو حماد الراوية (٢) وإليه يـــــرجع الفضل فى تسميتها بـ"المعلقات" (٣) ، وهى التسمية التى اشتهرت فى الأوساط العلمية، فقد قيل : إنها سميت بذلك، "لأنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت فى القَباطِـــى (٤) بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقـــال : مذهبة فلان ،إذا كان أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : عَلِّقوا لنا هذه ،لتكون فى خزانته". (٥)

وهذا التفسير بأنها كانت تعلق على الكعبة غير مقنع ، عند كثير مـــن الباحثين وقد رفضه أبو جعفر النحاس قائلا : "ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة علـى الكعبة". (٦) وتابعه فى رفضه طائفة من العلماء.

وقد جمع الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى حجة المنكرين لهذا التفسير فى النقاط التالية :

١- إن خبر التعليق وصل إلينا مبهما غامضا ،لم يبين كيفية التعليق، ولا زمانه، ولا يكشف عن الذين كتبوها ،أو الملوك الذين أمروا بتعليقها ،أوالحكام الذين حكموا لها بالفوق والتقدم .

---

(١) انظر معلقات العرب ص ١٣-١٨ .
(٢) نزهة الألباء / ٣٥ .
(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١١ .
(٤) القباطى : بضم القاف وفتح الباء ،جمع قُبْطِى وقُبْطِيّة : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر. انظر لسان العرب ( قبط) ٩/ ٢٤٨ .
(٥) العمدة ١/ ٩٦ .
(٦) نزهة الألبـاء / ٣٥ .

٢- وإن الكعبة قد هدمت ، وجدد بناؤها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر شيء عن هذه المعلقات ولا عما أصابها .

٣- وإن العرب ماكان لهم أن يدنسوا الكعبة بما كان يشيع في هذه القصائد من فسوق وهجر ، وفحش ، وهم الذين يعظمونها ، ويحجون إليها .

٤- وإن الأشعار الجيدة التي أثرت للعرب كثيرة فلماذا لم يؤثر خبر التعليق إلا لهذه القصائد ؟

٥- وإنها لو علقت لظلت معروفة لم يتطرق إليها اختلاف في عددها أو في رواية أبياتها " (١)

وكما وقع الخلاف في تسمية هذه القصائد فقد وقع أيضا في شعرائها ، ولكن الذي لا خلاف عليه منهم ستة ، هم :

( ١ ) امرؤ القيس بن حجر ( ٢ ) طرفة بن العبد .

( ٣ ) زهير بن أبي سلمى . ( ٤ ) لبيد بن ربيعة .

( ٥ ) عمرو بن كلثوم . ( ٦ ) عنترة بن شداد.

وأما السابع فهو عند أكثر الرواة والشراح الحارث بن حلزة .

ويضيف بعضهم كلاً من: النابغة الذبياني ، والأعشى الكبير.

وفيما عدا ذلك لم يقع في أسماء هؤلاء الشعراء ، غير خلافات يسيرة. (٢)

---

( ١ ) الشعر الجاهلي ٣٤٦ - ٣٤٧ .

( ٢ ) انظر معلقات العرب ص ٥٨- ٦١ .

شراح القصائد الطوال :

كثر الشراح الذين عالجوا هذه القصائد بالشرح والتفسير ، فمنهم من يختار لشرحه سبعا ومنهم من ينتقى تسعا ، ومنهم من يعالج عشرا يضيف إلى التسعة المتقدمة بائية عبيد بن الأبرص ، ومنهم من يخص بالشرح قصيدة واحدة أو اثنتين ... وهكذا .

وأشهر هؤلاء هم :

١- أبو سعيد الأصمعى ( ت ٢١٦هـ) ، وكتابه " القصائد الست "[1] .

٢- أبو يوسف يعقوب بن السكيت ( ٢٤٤ هـ ) ، وكتابه " شرح المعلقات "[2] .

٣- أبو الحسن بن كيسان ( ت ٢٩٩ / أو ٣٢٠ هـ ) ، وكتابه " السبع الطوال الجاهليات "[3] .

٤- أبو بكر بن الأنبارى ( ٣٢٨ هـ) وكتابه " شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات "[4] ، وهو المقصود بالدراسة فى هذا الفصل .

٥- أبو جعفر النحاس ( ت ٣٣٨هـ) وكتابه " شرح القصائد التسع المشهورات "[5] .

٦- أبو محمد بن درستويه ( ت ٣٤٧ هـ ) ، وكتابه " تفسير السبع الطوال "[6] .

٧- أبو على القالى ، (ت ٣٥٦هـ) وكتابه " تفسير القصائد والمعلقات "[7] .

---

(١) الفهرست ٦١ .
(٢) هدية العارفين ٢/٥٣٦ .
(٣) نزهة الألباء ٢٣٥ .
(٤) تاريخ الأدب العربى ١/٧٠ .
(٥) انباه الرواة ٢/١٤أ
(٦) نفسه ٢/٢٠٦ .

٨- أبومنصور الأزهرى ( ت ٣٧٠هـ ) ، وكتابه " تفسير السبع الطوال "[١]

٩- أبوالحجاج يوسف بن سليمان الأعلم النحوى ( ت ٤٧٦هـ ) ، وكتابه " الأشعار الستة الجاهليات "[٢].

١٠- الحسين بن أحمد الزوزنى ( ت ٤٨٦هـ ) ، وكتابه " شرح المعلقات السبع "[٣].

١١- الخطيب التبريزى ( ت ٥٠٢هـ ) ، وكتابه " شرح القصائد العشر "[٤].

١٢- أبو البركات بن الأنبارى ( ت ٥٧٧هـ ) وكتابه " شرح السبع الطوال "[٥].

هذا وقد ذكر بروكلمان مجموعة من متأخرى الشراح ، منهم : عثمان بن عبدالله التنوخى ، ومحمد بن على الحسين الطبرى ، وعبدالله بن أحمد الفاكهى ، وأحمد بن محمد بن اسماعيل المعافى النحوى وغيرهم[٦].

---

(١) كشف الظنون ١/ ٤٨٨ ، وكان يُظن أن هذا الكتاب من كتب تفسير القرآن ، فأثبت عبدالسلام هارون أنه ليس كذلك . انظر مقدمة تهذيب اللغة ١/ ١٤.

(٢) فهرسة ابن خير ٣٨٨.

(٣) طبع عدة مرات ، ومنها طبعة على يوسف سليمان ، مكتبة القاهرة.

(٤) طبع أكثر من مرة ، ومنها طبعة محمد منير الدمشقى ، مكتبة محمد على صبيح وأولاده ، بالقاهرة.

(٥) هدية العارفين ١/ ٥٢٠.

(٦) انظر تاريخ الأدب العربى ١/ ٧١ - ٧٢.

## كتاب أبى بكر بن الأنبارى

عنوان الكتاب ـ كما تقدم ـ فى رأس هذا الفصل هو :

" شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات " ،

ولعلنا نفهم منه أمرين :

أولهما : أن ابن الأنبارى ممن لا يؤمن بما قيل من أن تلك القصائد كانت تعلق على الكعبة ، وهذا أقرب إلى طبيعة شخصيته المتدينة ، التى تأبى هذا التفسير لما فيه من تدنيس لحرمة الكعبة .

وثانيهما : أن عدد القصائد عنده سبعة .

وأما شعراء هذه القصائد فهم السبعة الذين اتفق عليهم معظم الرواة ، وقد رتبهم أبو بكر فى كتابه على النحو التالى :

١ـ امرؤ القيس بن حجر الكندى ، وقصيدته :

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ

٢ـ طرفة بن العبد البكرى ، وقصيدته :

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ظَلَلْتُ بها أبكِي وأبكِي إلى الغَدِ

٣ـ زهير بن أبى سلمى المزني ، وقصيدته :

أَمِنْ أُمِّ أوفَى دِمنةٌ لم تكلَّمِ بِحومانةِ الدَّرّاج فالمُتَثَلَّمِ

٤ـ عنترة بن شداد بن معاوية العبسى (١) ، وقصيدته :

هَلْ غادرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ أمْ هل عرفتَ الدَّارَ بعد توهُّمِ

٥ـ عمرو بن كلثوم التغلبى ، وقصيدته :

ألا هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِى خمورَ الأَنْدَرِينَا

---

(١) وقيل عنترة بن معاوية بن شداد انظر ص ٢٩٣ .

٦ـ الحارث بن حلزة اليشكرى، وقصيدته :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسمـــاءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

٧ـ لبيد بن ربيعة العامرى ، وقصيدته :

عَفَتِ الدِّيارَ مَحلُّها فَمُقَامُها بمنىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها

نسخ الكتـــــاب :

نسخ الكتاب ابن الأنبارى المشهورة ثلاث كلها فى تركيا وهى موزعة على ثلاث مكتبات كالتالى :

١ـ نسخة مكتبة "نورعثمانية" ، ورقمها (٤٠٥٢) . وقد وصفها الأستاذ عبد السلام هارون وصفا مختصرا فقال : ( وهى فى ( ٢٨٨ ) ورقة ، مكتوبة بخط نسخى جميل ، كامل الضبط، تحتوى الصفحة على ( ١٩ ) سطرا . كتبها أحد الخطاطين بتركيا ، واسمه عبد الباقى وذلك فى سنة ( ١١٠٨ )"[1] .

٢ـ نسخة مكتبة "أسعد أفندى" ، ورقمها ( ٢٨١٥ ) . وقد وصفها أيضا الأستاذ عبد السلام هارون فى بضع كلمات فقال : " وهى فى ٢١٣ ) ورقة ، مكتوبة بخط نسخى معتاد ، قليلة الضبط ، تحتوى الصفحة فيها على ( ٢٩ ) سطرا . وليس فيها مايشير إلى زمن النسخ ، ولا اسم الناسخ "[2] .

٣ـ نسخة مكتبة "ينى جامع" ، ورقمها ( ٢٧٨ )[3] ، وهذه النسخة لـــــم يستخدمها محقق الكتاب ، ولم يشر إليها فى مقدمة تحقيقه .

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ( المقدمة ) ص ١٤ .
(٢) نفســـه .
(٣) تاريخ الأدب العربى ١/٦٩ .

وقد اعتنى الأستاذ عبدالسلام هارون بهذا الكتاب ، فأخرجه محققـــا تحقيقا علميا جيدا ـ في خمسمائة وست وتسعين صفحة ، ألحق بها فهارس فنية في مائة وخمس عشرة صفحة .

وقد طبع الكتاب ضمن سلسلة ذخائر العرب ، بدار المعارف بمصـــر سنة ( ١٩٦٩م ) الطبعة الثانية ، وكانت طبعته الأولى في سنة (١٩٦٣م) .

منهجـــــه :

لم يبدأ ابن الأنباري بمقدمة يبين فيها منهج كتابه ، ودواعي تأليفـــه ، وأهميته ، على مااعتاده في الكتب السابقة .

ولذلك لابد من التعرف على محتويات المنهج ، بدراسة الكتـــاب ، وتتبع طريقة المؤلف في الشرح .

ولكن الذي لا شك فيه أن الدارس لا يجد كبير عناء في التعرف على منهج هذا الكتاب ، وذلك لوضوحه ، ولسير مؤلفه وفق مخطط ثابت في دراسة كل قصيدة .

ويمكن أن أقرر أن أبابكر يلتزم الخطوات التالية في عرض كتابه :

- التعريف بالشاعر .
- عرض مناسبة القصيدة .
- تفسير الغريـــب .
- الرجوع إلى أقوال الأئمة في الشرح .
- الاحتجاج بالشواهد .
- ذكر الروايات المختلفة للأبيات .
- معالجة المسائل النحوية .
- توضيح الإشارات التاريخية .

أولا ـ التعريف بالشاعـــــر :

يقدم أبو بكر بين يـــــدى كل قصيدة تعريفا بشاعرهـــا ، يتناول فيه اسم الشاعر ونسبه ، وشيئا من أخباره ، وأخبار قبيلته بما لها من مآثر وفضائل ، وأيام وحروب ، كما يبين دور الشاعر فى القبيلة .

وهو يقدم ذكر اسم الشاعر ونسبه ، على ذكر أخباره وأخبار قبيلتـــه ، ولكنه خالف هذه القاعدة مع طرفة بن العبد حيث ذكر اسمه ونسبه فى أثناء عرضه لأخباره وأخبار قبيلته . كما خالفها مع زهير بن أبى سلمى حيث بدأ يعرض أخباره وأخبار قبيلته ، ولم يذكر اسمه ونسبه إلا فى نهاية هذه الأخبار وقبل بداية عرض قصيدته مباشرة .

ثانيا ـ عرض مناسبة القصيـــدة :

ويهتم أبو بكر غالبا بعرض المناسبة التى قيلت فيها القصيدة ، ويعرضها بالتفصيل ، ولم يغفل ذكر المناسبة إلا فى قصيدتين هما قصيدتـــا طرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة . وأما بقية القصائد الخمس فقد قدم لكل منها بمناسبتها ، فمناسبة قصيدة امرئ القيس معروفة وهى حديث "دارة جلجل"[1] . ومناسبة قصيدة زهير مدح كل من الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان لسعيهمـــا فى الصلح بين عبس وذبيان ونجاحهما فى ذلك .[2] ومناسبة قصيدة عنترة هـــى ذكر قتل معاوية بن نزّال وغيره .[3] ومناســـبة قصيدتى عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة هى : مثولهما بين يدى عمرو بن هند ، لعقد الصلح بين قبيلتيهما : تغلب وبكر ، وقد ذكر هذه المناسبة فى التقديم لقصيدة عمرو بن كلثوم ، ثم أعادها أبو بكر مرة ثانية بطريقة أخرى قبل ذكر قصيدة الحارث بن حلزة .[4]

---

(١) انظر ص ١٣ـ ١٥ .
(٢) انظر ص ٢٣٦ .
(٣) انظر ص ٣٧٠ ، و ٤٣٢ .
(٤) انظر ص ٣٧٠ ، و ٤٣٢ .

ثالثا ـ تفسير الغريب :

أول ما يعرض له أبو بكر فى شرحه للأبيات هو تفسير غريب ألفاظها ، وذلك عنصر أساسى فى الشرح يلتزمه الشارح فى جميع أبيات القصائد ، بل ويفسر حتى الألفاظ الواضحة والتى لا غرابة فى فهمها ، وذلك ليقدم اللفظة للقارئ على أوجه لغوية شتى ، فهو كثيرا ما يعالج اللفظة ومشتقاتها ، مقلبا إياها فى ماضيها ، ومضارعها ، ومصدرها ، وجمعها ، ومفردها وأصلها اللغوى ، واللغات المسموعة فيها مضيفا إليها كثيرا من تعليقاته وإشاراته اللغوية الخاصة مما يراه ذا صلة باللفظة أو بمعناها .

ولننظر شيئا من اهتماماته باللغة والغريب فى شرح قول طرفة بن العبد :

" كأن البُرين والدَّمالِيجَ عُلِّقت  عَلى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ

البُرين : الخلاخيل ، واحدها بُرة . وأصل البُرة ، حلقة من صُفْر تكون فى منخر البعير . يقال : أبريتُ البعير فهو مُبْرىً ، والجمع بُرُون وبُرين . والعُشَر : شجر أملس مستو ضعيف العود . شبه عظامها وذراعيها به . قال يعقوب : كل نبت ناعم خِرْوَع ، ومنه قيل : امرأة خريع ، إذا كانت لينة ناعمة . ولم يُخَضَّد : لم يثن . شبه ساقيها وعضديها به فى نعمته . يقال : خَضَدْتُ الغصن أَخْضِدُه خَضْدا ، إذا ثنيته لتكسره . (١)

فهو يعالج هنا لفظ ( البُرَين ) مبينا معناها ، وأصلها اللغوى ، مشتقا فعلها الماضى ، واسم المفعول فيها ، ولا يفوته أن يشير إلى حكمها الإعرابى ، فيتبع كلامه هذا بأنها مما يلحق بجمع المذكر السالم فتجمع على ( بُرين ) فى حالتى النصب والجر ، و( بُرُون ) فى حالة الرفع .

كما يهتم بلفظة ( خضد ) فى ماضيها ومضارعها ومصدرها .

والأمثلة على هذه العناية باللغة كثيرة فى الكتاب بل الكتاب كله أمثلة على ذلك .

---

(١) ص١٩٧ - ١٩٨ .

رابعا ـ الرجوع إلى أقوال الأئمة فى الشرح :

وهولا يفتأ يستعين بأقوال أئمة اللغة من البصريين والكوفيين على حد سواء من غير أن يخفى تحيزه لهؤلاء على أولئك .

وإن اختلف العلماء فى شئ من الشرح فإنه يعرض هذا الاختلاف مبينا فيه موقفه منه أحيانا ، وساكتا أحيانا أخرى ، وكأنه يرى أن كلا منهم على صواب ، أولعله متحير فى الترجيح .

يتضح ذلك فى شرحه قول عنترة :

ياشاةَ ما قَنَصٍ لِمَن حَلَّتْ لَهُ  حَرُمَت عليَّ ولَيتَها لَمْ تَحْرُمِ

قال أبو بكر : " قوله : ( ياشاة ) كناية عن المرأة ، والعرب أيضا تكنى عن المرأة بالنعجة ، قال الله عزوجل : ( إنّ هذا أخى له تسعٌ وتسعون نعجةً ولىَ نعجةٌ واحدة )(١) . أراد بالنعجة المرأة ، وأراد ياشاة قنص أى صيد . والقنيص والقَنَص : الصيد . والقانص والقنيص : الصياد . وقوله : ( لمن حلت له ) ، أى لمن قدر عليها . وقوله : (حرمت علىَّ ) معناه هى من قوم أعداء له . وقال الأثرم فى قوله ( حرمت علىَّ ) : معناه : هى فى جوارى فقد حرمت على ، ويروى : (حرمت عليه ) . وأنكر أبوجعفر قول الأثرم وقال : العرب لا تشبب بجاراتها والمعنى فيه مدح ، أراد : ياشاة قنص ، أى من اقتنصها فقد غنم . يقال : إنه أراد امرأة أبيه ، وهى سمية التى يقول فيها :

أَمِنْ سُمَيةَ دمع العين تَذْرِيفُ  لو أنَّ ذا منكَ قبلَ اليوم معروفُ

وقال للفراء : أنشدنى الكسائى بيت عنترة :

" ياشاة مَنْ قنص لِمَنْ حلَّت له"

---

(١) سورة ( ص) / ٢٣ .

قال : وزعم الكسائى : أنه انما أراد ياشاة قنص وجعل (مَنْ) حشوا فى الكلام كما تكون ( ما ) حشوا . وأنكر الفراء هذا وقال : إنما أراد ياشاة من مقتنص ، لأن ( من ) لا تكون حشوا ولا تلغى . وأنشد الكسائى والفراء :

آلُ الزبيرِ سَنامُ المجدِ قد علِمَتْ ذاك القبائلُ والأثْرَون مَنْ عَدَدا

فقال الكسائى : ( مَنْ ) صلة ، والمعنى : الأثرون عددا . وقال الفراء : عددا صلة لمن كأنه قال : من معدودا ".(١)

رجع ابن الأنبارى فى شرح هذا البيت إلى قول كل من على بن المغيرة الأثرم البصرى ، وأبى جعفر أحمد بن عبيد الكوفى ، والفراء والكسائى الكوفيين ، مقدما عليهم جميعا رأيه الخاص ، ثم ذاكرا الخلافات فى شروحهم وآرائهم .

وكثيرا ما يقف على هذه الخلافات التى قد تكون بين الكوفيين أنفسهم كإنكار الفراء رأى الكسائى فى زيادة ( مَن ) ، وكالخلاف الذى وقع بين ابن السكيت وأبى الحسن الطوسى(٢) فى شرح معنى ( الثياب ) فى قول عنترة :

فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأصَمِّ ثيابَهُ ليس الكريمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

فقد ذهب ابن السكيت إلى أن المقصود بالثياب فى هذا البيت ما يلبسه اللص ، وذهب الطوسى إلى أن المقصود بها القلب.(٣)

وقد تكون الخلافات بين الكوفيين والبصريين كإنكار أبى جعفر أحمد بن عبيد قول الأثرم فى النص السابق ، وكالخلاف الذى وقع فى أصل ( عِمِى ) فى قول عنترة :

يادارَ عَبلَةَ بالجواءِ تكلمِى وعِمِى صَباحا دارَ عبلَةَ واسْلمِى

---

(١) ص ٣٥٣ .
(٢) هو على بن عبد الله بن سنان ، راوية للأخبار والأشعار من أصحاب القاسم بن سلام ، كان أكثر أخذه عن ابن الأعرابى . انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢٥ ، وانباه الرواة ٢/ ٢٨٥ ، وبغية الوعاة ٣٤٠ .
(٣) ص ٤٧٧ .

قال أبوبكر مبينا هذا الخلاف منكرا قول البصريين :

" وقوله ( وعمى صباحا ) عمى جزم على الأمر ،علامة الجزم فيه سقوط النون . والصباح منصوب على الوقت . وقال أبوعمرو بن العلاء : عمى ، من قولهم : عَمَتْ السماء تَعْمِى . وهذا عندنا خطأ ،لأنه لوكان كذلك لكان واعمى على مثال :واقضى ، لأن عمت تعمى على مثال قضت تقضى ،فينبغى أن يكون أمر المؤنث منه اعمى على مثال اقضى .

وكان أصحابنا ينكرون قول أبى عمرو ويحتجون بهذا الذى وصفناه ، وقالوا الصحيح عندنا أن يكون ( عمى ) من وَعَمَتْ تَعِمُ ، على مثال وعدت تعد ، فيكون الأمر منه عِمِى على مثال: عِدِى . وكان الأصل فى المستقبل يوعد ويوعم فحذفت الواو لوقوعها بين الكسرة والياء". (١)

وسواء كانت هذه الخلافات فى الشرح اللغوى أم فى قضية نحوية .

خامسا - الاحتجاج بالشواهد فى الشرح :

يعتمد أبوبكر فى شرحه اعتمادا كبيرا على الشواهد سواء فى شرح أبيات القصائد ،أو فى شرح شواهد الشرح ،ذلك أنه كثيرا مايشرح الشواهد التى يحتج بها بشواهد أخرى تفسرها أوتؤيدها كما فعل فى شرح بيت عنترة :

بَطَلٍ كأنَّ ثيابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بِتَوْأَمِ

قال :" ويروى :" كأنَّ سلاحَهُ فى سَرحَةٍ" ،يقول : هو طويل من الرجال تام ،فكأن ثيابه التى هى عليه ، إنما هى على سرحة من طوله . والسلاح يذكر ويؤنث ، قال الدُّبَيْرِيَّة : سمى جدنا دُبَيْرًا ،لأن السلاح أدبرته . والمسالح : المواضع يستعمل فيها السلاح . ومعنى قوله (فى سرحة ) ، أى على سرحة ،

---

(١) ص ٢٩٧ .

فأقام (فى) مقام (على) . قال الله عز وجل :(ولأُصَلِّبَنَّكُم فِى جُذُوعِ النَّخْلِ)[1] ، أى على جذوع النخل . قال الشاعر:[2]

نَصَبْنَا رأسَهُ فى رأس جذعٍ بما جَرَمَتْ يداهُ وما اعتدينا

أى على رأس جذع . وقوله (يُحْذَى نعالَ السِّبْتِ) معناه ليس براعى إبل ، فيلبس الجلد الغطير . والسبت: جلود البقر إذا دبغت بالقَرَظ فان لم تدبغ بالقرظ فليس بسبت .

وقوله : (ليس بتوأم) ، يقول : لم يزحمه آخر فى الرحم فيخرج ضاويا ضعيفا ، يقال هو توأم ، إذا ولد معه آخر . والجميع توائم وتؤام . وأنشدنا أبو العباس:

قالتْ لَها ودَمْعُها تؤامُ عَلى الَّذينَ ارتَحَلوا السَّلامُ

وقد أتأمت المرأة فهى متئم ، إذا ولدت اثنين فى بطن ، فإذا كان ذلك عادتها فهى متآم . وقال أبو جعفر : توائم جمع توأمة للمؤنث ، وتوأمون جمع توأم للمذكر . والسَّرْحة : الشجرة الطويلة وجمعها سَرْح".[3]

أراد ابن الأنبارى أن يحتج لشرحه هنا أن (فى) بمعنى على فاستشهد بآية من كتاب الله ، واستشهد ببيت من الشعر .

ومجموع شواهد الشرح فى هذا الموضع أربعة شواهد هى الشاهدان المذكوران ، وشاهد ثالث من أقوال العرب احتج به لتأنيث "السلاح" ، ورابع استشهد به لتفسير معنى توأم .

ومثل هذه الشواهد كثيرة الاستخدام فى الشرح .

---

(١) سورة طه / ٧١ .
(٢) لم أهتد إليه كما أنه لم ينسب فى التحقيق .
(٣) فى لسان العرب (تأم) ١٤ / ٣٣٨ : وقالت لنا ودمعها تؤام
كالدر إذ أسلمه النظام
على الذين ارتحلوا السلام

ولم أهتد إلى القائل .

وأكثر شواهده من الشعر ، تليها الشواهد القرآنية ، ثم الشواهد النثرية من أمثال العرب وعباراتهم اللغوية المعروفة وأقوالهم المأثورة ، ثم شواهد الحديث النبوى الشريف وهى قليلة لا تكاد تتجاوز ثلاثين شاهدا .

سادسا ـ ذكر الروايات المختلفة للأبيات:

لا شك أن أبا بكر ممن له دراية واسعة برواية الأشعار ، فقد كان أبوه من رواة الأشعار ، فأفاد منه كثيرا فى الرواية .

والكتاب دليل واضح على سعة علم أبى بكر برواية الأشعار ، وإحاطته الكبيرة بمعرفة اختلاف الرواة فى إنشاد الأبيات.

وهو حريص على ذكر كل خلاف يصل إليه علمه ولو كان يسيرا . وغالبا ما يبدأ شرحه بذكر الاختلاف فى رواية البيت الواحد، وقد يؤخر هذا الاختلاف فيذكره فى وسط الشرح أو فى أواخره ، وقد يذكره ـ بتعدده ـ فى عدة مواضع.

وأمثل هنا ببعض الأبيات التى اختلف الرواة فى شرحها ، ومنها قول امرئ القيس :

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل

الرواية عند ابن جبيب " وكأن قُلَيْعَة المجيمر " ، ورواه الأصمعى : " وكأن طَمِيَّة المجيمر غدوة"(١) .

وكذلك البيت الذى يليه لامرئ القيس وهو:

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليمانى ذى العياب المحمّل

رواه الأصمعى : كصَرْع اليمانى ذى العياب المخول

وروى خالد بن كلثوم وهشام والأصمعى وأبو عبيدة والأخفش : ( المُحمَل ) بفتح الميم . وروى ابن حبيب : ( المُحمِّل ) بكسر الميم.

ويروى : "كصَوْع اليمانى ".(٢)

---

(١) ص١٠٨

(٢) ص١٠٨ - ١٠٩

أى كما يطرح اليمانى ذو الهياب الذى معه الخول ما معه إذا نزل

وكذلك المعنى فى رواية من قال : ( كصرع ) .

ومنها الأبيات التالية للبيد بن ربيعة :

أ ـ وتسمّعتْ رزّ الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيسُ سقامُها

ويروى : " وتوجّستْ ركزَ الأنيس " (١)

ب ـ تَرَاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حمامُها

ويروى " أو يرتبطْ " ، ويروى : " أو يعتق " ومعناهما يحتبس. (٢)

جـ ـ وعلوتُ مرتقبا على ذى هبوةٍ حرجٍ إلى أعلامهن قتامُها

ويروى " على مرهوبة " . وروى الأصمعى : " فعلوتُ مرتقباً " (٣)

وهمُ العشيرةَ أن يبيطَ حاسدٌ أو أنْ يلومَ مع العدوِّ لِيامها

ويروى : " أو أنْ يلومَ مع العِدى لُوّامها "

ويروى : " إن تَبَطّأ حاسد " ، ويروى : " إن تَنبَطَ حاسدٌ " ويروى : " أو أنْ يَلُومَ مع العُداةِ لِيامها " (٤)

فهذه أمثلة من تعدد الروايات ، وقد يكون الخلاف فيها حول كلمة أو عبارة من البيت أو شطرة كاملة كما رأينا فى النصوص السابقة .

وقد يكون الخلاف أكبر من ذلك فيصل إلى درجة إسقاط أبيات كاملة عند بعض الرواة واثباتها عند غيرهم ، ونجد مثالا على هذا النوع من الخلاف فى إنهاء قصيدة عمرو بن كلثوم عند بعض الرواة بقوله :

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

قال أبوبكر : " وهذا البيت آخر القصيدة فى رواية أكثر الناس . وروى بعض الرواة فيها بعد البيت الماضى ثلاثة أبيات :

---

(١) ص ٥٦٥ .
(٢) ص ٥٧٣ .
(٣) ص ٥٨٠ .
(٤) ص ٩٥٦ - ٩٥٧ .

لنا الدُّنيا وما أمسى عليهـــا ونبطشُ حين نَبطِشُ قادرينا
بُغاةً ظالمينَ وما ظُلمنـــــا ولكنّا سَنَبدأُ ظالمينـــــا
مَلأنا البَرَّ حتى ضاقَ عنا ونحنُ البحرَ نَملؤُهُ سَفينا" (١)

ثم علق على هذه الزيادة قائلا : "عرف أبوجعفر البيت الأخير ، ولـــم يعرف البيتين الأخيرين اللذين قبله". (٢)

وبعد فما قيمة هذا الاهتمام البالغ فى ذكر مختلف الروايات التى وردت فى البيت الواحـــد ؟

ان الشعر الجاهلى معين متدفق لشواهد اللغة والنحو ، وقد سعى علماؤنا فى تقعيد القواعد معتمدين على الشعر العربى القديم وبخاصة جاهليه اعتمادا كبيرا ، ومن هنا كان لابد من التحقيق فى هذا الشعر فقد يكون البيت منـــه شاهـــدا لقاعدة أو توضيحا لمعنى على روايـــة ولكنـــه على روايـــة أخرى لا يحتج به لتلك القاعدة أو لا يكون توضيحا لهذا المعنى .

و" الرواية" هى العلم الذى يعين على تحقيق الشعر وترجيـــح الخلافات فيه . وقد كان أبو بكر مضطلعا فى هذا النوع من العلم كما أسلفت ، فأثرى كتابه بذكر تلك الخلافات.

وقد كان الاعتماد على هذا العلم وسيلة يستند إليها علماء الكوفـــة والبصرة فى خلافاتهم اللغوية والنحوية وقد أفادوا من هذه الوسيلة أيما افادة .

---

(١) ص ٤٢٧ .

(٢) ص ٤٢٨ .

سابعـــا ـ معالجة مسائل اللغة والنحو:

كان هدف أكثر العلماء من دراسة الشعر العربى القديم خدمـــة القرآن الكريم ولغته العربية ، فالشعر كما تبين لنا من الموضوع السابق ـ معين للاحتجاج والاستشهاد .

وقد كان هذا الهدف منشودا عند ابن الأنبارى، ولذلك أكثر مـــن الوقوف على مسائل العربية وقواعد اللغة ، واعراب الشعر بروايته المختلفة .

ومن مسائل العربية التى وقف عليها فى الكتاب مسألة جواز مجئ (مَنْ) زائدة ،وقد تقدم ذكرها فى شرح بيت عنترة :

ياشاةَ ما قنص لِمَن حلت له حَرُمَت علىّ وليتها لم تَحْرُمِ

فقد رواه الكسائى "مَنْ قنصٍ" ذاكرا أن (مَنْ) فى هذا البيت حشو فى الكلام .

ولم يجز الفراء مذهب الكسائى وأنكره وقال :"انما أراد : "ياشاة مِنْ مُقتنصٍ" لأن (مَن) لا تكون حشوا ولا تلغى"(١)

كما تقدمت مسألة مجـــئ (فى) بمعنى على وذلك فى بيت عنترة :

بَطَل كأنَّ ثيابَهُ فى سرحـةٍ يُحذَى نعال السِّبْتِ ليس بتوأم(٢)

وقد وقف على مسألة الابدال عدة مرات فمن ذلك ابدال الهمزة هاء، وقد عالج ذلك فى شرح قول زهير :

يُنَجِّمُها قومٌ لقوم غرامـــــةً ولمْ يُهَرِيقُوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ

قال ابن الأنبارى :" قوله (يُنَجِّمُها) معناه يجعلونها نجومـــا ويؤدونها نجما نجما . يقول : لم يكن لهم فى تلك الحروب ذنب ، ولا هراقوا فيها دما ، ولكنهم حملوها . يقال : أرقت الماء أُرِيقُه إراقة ، ويا فلان أَرِقْ ماءك ،

---

(١) انظر ص ٤١٥

(٢) انظر ص ٤١٦ : ٤١٧

والماء مراق . وقوم يبدلون من الهمزة هاء ، فيقولون : هَرَقْتُ الماء أهَرِيقُه هَراقَةً ، والماء مُهْرَاق ، ويافلان هَـرِقْ . وقوم يتوهمون أن الهاء أصليـة ـ وانما هى بدل من ألف أفعلت ـ فيزيدون عليها ألفا فيقولون : أهْرَقْتُ الماء أهْرِيقه إهْرَاقاً ، والماء مُهْرَاق بتسكين الهاء ، ويقولون أهْرِق ماءك . ويقال ملأت الإناء فأنا أملـؤه ملئاً بفتح الميم ، والمِلْء بكسر الميم الاسم ، وهو ما يأخذه الإناء من الشراب ، يقال : أعطنى ملْء القدح وملأيه ، وأعطنى ثلاثة أملائه . وأصل يُهَريق يُؤَرْوِق ، فأبدلوا من الهمزة هاء فصـار يُهَروق ، واستثقلوا الكسرة فى الواو فألقوها على الراء ، وصارت الواو يـاء لانكسار ما قبلها "(١)

ومنها إبدال الهمزة عينا ، وقد ذكر ذلك ذكرا عابرا فى شاهد ورد فى شرح قول الحارث بن حلزة :

لا تَخَلْنا عن غَرائكِ إنّـا  قبلَ ما قدْ وَشَى بنا الأعداءُ

وهذا الشاهد هو قول الشاعر :

قال الوشاةُ لهندٍ عَن تُصارِمنا  ولستُ أنسَى هَوَى هندٍ وتنسانى

قال أبو بكر : " معناه أنْ تصارِمَنا ، فأبدل العين من الهمزة "(٢) .

ومنها إبدال واو القسم مع لفظ الجلالة تاء ، وقد عالج هذه المسألة فى تعليقه على قول امرئ القيس :

تاللهِ لا يذهبُ شيخِى باطِلا

الذى أورده ضمن أخباره .

قال أبوبكر : "تاللـه معناه والله ، فأبدلت التاء من واو القسم . ولا تبدل التاء من واو القسم إلا مع ( اللّه ) تبارك وتعالى . ولا يجوز تالرحمن ، ولا تالعزيز ، لأن الاستعمال لم يكثر إلا مع الله عز وجل "(٣) .

وكذلك إبدال الواو همزة .

---

(١) ص ٢٦٥ ، وانظر فى هذه المسألة أيضا ص ٢٦ .
(٢) ص ٤٥٥ .
(٣) ص ٥٧ .

قال ابن الأنبارى معلقا على لفظة ( المُتوَحِّد ) التى وردت فى قـــول امرئ القيس :

ولو كنتُ وَغْلاً فى الرجال لضرَّنى  عَداوَةُ ذى الأصحاب والمتوحد

"و(المُتوَحِّـد ) : الفرد من الرجال الذى ليس معه أحد، ويقال : مُتوَحِّد ، ووَحَد ، وأَحَد . والأصل فى أَحَد وَحَد ، فأبدلوا من الواو المفتوحة همزة ، وهذا قليل فى المفتوحة ، إنما يحسن فى المضمومة والمكسورة ، كقولهم : وجوه وأُجوه ، وإسادة ووسادة "(١)

كما أشار إلى إبدال الواو تاء ، وذلك فى شرح قول عمرو بن كلثوم :

ورثتُ مهلهلا والخيرَ منهـمْ  زهيرا نِعْمَ ذخرُ الذاخرينا

وعتابا وكُلثوما جميعـــا  بهم نلنا تراثَ الأكرمينـــا

قال أبوبكر : "(التُّراث) : الميراث . قال الله عز وجل ( وتأكلونَ التُّراثَ أكلا لمّاً )(٢) ، فمعناه تأكلون الميراث . وأصله الوَراث ، لأنه فُعَال من ورثت ، فأبدلوا من الواو تاء لقربها منها فى المخرج "(٣) .

ويعنى أبوبكر بن الأنبارى كثيرا بالمسائل التصريفية للألفاظ .

ومن أمثلة ذلك تصريف كلمة ( مَطِيَّة ) ، وقد جاءت فى بيت امرئ القيس:

وُقوفا بها صَحْبى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ  يقولونَ : لا تهلَكْ أسًى وتَجَمَّلِ

قال أبوبكر : "وواحد المَطِى مَطِية . والمَطِيَّة : الناقة . وإنما سمى المطية لأنه يركب مطاها ، أى ظهـــرها ، ويقال : إنما سميت مَطِيَّة لأنها يُمطى بها فى السَّير ، أى يُمدُّ بها . يقال : مَطَوت بالقوم أمْطُو بهم مَطوا ، أى مددت بهم .

قال امرؤ القيس :

مَطَوتُ بهم حتى تكلَّ غزاتُها  وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأرْسَان

فمعناه مددت بهم . ووزن المطية من الفعل فعيله ، أصلها مَطِيوَة ، فلما اجتمعت الياء والواو ، والسابق ساكن جعلتا ياء مشددة . ويقال فى جمع المطية : مَطِيات ومَطِىّ ومطايا . قال جرير :

---

( ١ ) ص٦ ٢٣- ٢٢٧ ، وانظر فى هذا المسألة أيضا ص٦٦ .
( ٢ ) سورة الفجر / ١٩ .
( ٣ ) ص٤٠٦ .

ألستم خيرَ من ركبَ المَطايا  وأندى العالمينَ بطونَ راحِ "[1]

ومن أمثلته أيضا معالجة وزن ( يزدد ) في بيت طرفة ابن العبد:

وقالَ :ذَروه إنّما نفعُها لهُ  وإلا تَردّوا أقاصِيَ البَركِ يَزدَدِ

قال أبوبكر :" ووزن ( يَزدَد ) يفتعل ،أصله يزتيد فأبدلوا من التاء دالا ،لأنها أشبه بالزاى ،وأسكنوا الدال الثانية للجزم ،وجعلوا الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم أسقطوها لسكونها ،وسكون الدال الثانية ، وكسرت الدال الثانية للقافية".[2]

ومن المسائل التصريفية التى ناقشها مسألة أصل ( حيث ) وسبب ضمها ، وذلك في قول امرئ القيس :

فَشدَّ ولم يُنظِر بيوتا كثيرةً  لَدَى حيثُ ألقَت رَحلَها أمُّ قَشعَمِ

قال الشارح في إعراب ( حيث ) :" وموضع ( حيث ) خفض "بلدى" .. وإنما ضمت وهى فى موضع خفض ، لأن أصلها حوث فعدلت عن الواو إلى الياء ،وجعلت ضمة الثاء خلفا من الواو. هذا قول الكسائى . وقال الفراء : ضمت لتضمنها معنى المحلين ، ومن العرب من يظهر الواو فى حيث ،فيقول حوث ، فإذا قلت عبدالله حيث زيد ،فمعناه عبدالله فى مكان فيه زيد ، فلما قامت حيث مقام محلين أعطيت أثقل الحركات ".[3]

وقد يرد فى الأبيات التى يشرحها شاهد لمسألة لغوية أو نحوية ، فيفسر غريب ألفاظ هذا البيت تفسيرا موجزا ثم يتفرغ لشرح تلك المسألة فيفصل فيها ويسهب حتى ليخال كتابه فى مثل تلك المواضع بحثا لغويا أو دراسة نحوية خالصة ومثل ذلك وقوفه الطويل على الترخيم فى النداء عندما عرض لشرح قول امرئ القيس :

---

(١) ص ٢٤ .
(٢) ص ١٢١ .
(٣) ص ٢٧٧ ، وانظر أمثلة أخرى على اهتمامه بالتصريف ص ٤٧٧ ، و٣٩٩ ، و٤٣٤ ، و ٣٩٨ ، و٩٥ ١ ، و١٠ ١ ، و٦٨ وغيرها .

أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

وقد عرض أبو بكر في تفسير الكلمة الأولى من هذا البيت لجوانب من موضوعي النداء والترخيم فقال :

" قوله ( أفاطم ) معناه يافاطمُ . وفي الاسم المنادى تسع لغات : يقال : يافاطمُ ، بإثبات ( يا ) ، ويقال : فاطمُ بإسقاط ( يا ) ، قال الله عزو جل : يآدمُ أنبئهم بأسمائهم )[1] فأثبت ( يا ) . وقال في موضع آخر ( يوسُفُ أعرِضْ عن هذا )[2] ، ويقال : وافاطم ، ويقال أيضا : أفاطـم ، ويقال : آفاطم بهمزة بعدها ألف ، ويقال : أيْ فاطم ، أنشد الفراء :

ألمْ تسمعي أيْ عبدَ في رونقِ الضحى بكاءَ حماماتٍ لهنَّ سَجيعُ[3]

ويقال : آي فاطم ، باثبات ألف وياء بعد الهمزة . قال الفراء : سمعت أعرابيا يقول : آي أمّـه وأخرى : أيْ أمّه ويقال : أيافاطم . قال الشاعر :

أيابانةَ الوادي أليست بليةً من العيشِ أن تُحمَى عليَّ ظِلالُكِ[4]

وقال الآخر :

أيا عمرو لا تعذُلْ مُحبًّا ولا تُعِنْ على لومهِ ، إنَّ المُحِبَّ أسيرُ[5]

ويقال : هيا فاطم ، أنشد الفراء :

هيا أمَّ عمرو هلْ لِيَ اليومَ عندكم بغيَّةِ أبصارِ العِداة سبيلُ"[6]

وبعد أن أتى على حروف النداء انتقل إلى المنادى المرخم ، وهو الحالة التي جاء عليها البيت السابق ـ أفاطم ـ فقال :

---

(١) سورة البقرة / ٣٣ .
(٢) سورة يوسف / ٢٩ .
(٣) لم ينسب في التحقيق ، وهو في لسان العرب ( رنق ) ١١ / ٤٢٠ من غير نسبة وروايته " لهن هدير " ونسبه عبد السلام هارون إلى كثير عزة ، في معجم شواهد العربية ص ١٥٧ .
(٤) و (٥) لم أهتد إليهما .
(٦) البيت في الدرر اللوامع ١ / ١٤٨ وروايته " أبصار الوشاة . . " ونسبه عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية ص ٢٨٥ إلى يزيد بن الطثرية .

" وأراد بقوله أفاطم يافاطمة ، فأسقط الهاء ، وترك الميم مفتوحة ، كما يقال في ترخيم بثنية وخديجة : يابثينَ أقبلي ، ويا خديجَ اقعدي قال الشاعر:

بثينَ الزمي لا إنَ لا إنْ لَزمتِه عَلى كثرةِ الواشينَ أيُّ مَعُونِ (١)

ويجوز في الربية : أفاطمُ بضم الميم ، على أن تجعله اسما فترفع آخره ، كما ترفع آخر زيد وعمرو إذا ناديتهما . أجاز النحويون : يابثينُ أقبلي ، ويا خديجُ اقعدي . وأنشد الفراء لذي الرمة :

فيامَيُّ ما يُدريكِ أينَ مُناخُنا مُفَرِّقةُ الألْحَى يمانيةً سُجرا (٢)

وقال الفراء : يافاطمة أقبلي ويافاطمةَ أقبلي ، فمن قال : يافاطمةُ هو نداء مفرد مرفوع ، ومن قال : يافاطمة ، كان له مذهبان : أن تقول : أردت أن أقول يافاطمَ بالترخيم ، فرددت التاء وقدرت فيها فتح الترخيم ، والمذهب الآخر ، أن يقول : أردت يافاطمتاه ، فأسقطت الألف والهاء ، وتركت التاء على فتحتها . قرأت العوام ( يابنيَّ اركب معنا ) (٣) على معنى يابنياه . قال أبوبكر: وأنشدني أبوالعباس للنابغة :

كليني لِهَمٍّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ

وذكر أبو العباس في فتح أميمة الوجهين اللذين ذكرهما الفراء" (٤)

ومن اهتمامات ابن الأنباري اللغوية في الكتاب حرصه على ذكر اللغات المسموعة في الكلمة الواحدة ، ففي ( هَيهات ) ذكر ست لغات :

يقال : ( هيهاتَ هيهاتَ ) بفتح التاء بغير تنوين ، و( هيهاتا هيهاتا ) ، بفتح التاء مع التنوين ، و( هيهاتٍ هيهاتٍ ) ، بكسر التاء مع التنوين ،

---

( ١ ) البيت في إصلاح المنطق ص ٢٤٩ ، ولسان العرب ( عون ) ١٧/١٧٢ ونسبه ابن منظور الى جميل بن معمر .

( ٢ ) البيت في أمالي ابن الشجري ٢/٩٠ .

( ٣ ) سورة هود /٤٢ .

( ٤ ) ص ٤٣ - ٤٤ .

و(أيهاَ أيهاتَ) ، ويقال :(هيهاتُ) بالرفع بغير تنوين و( هيهاتٌ) بالرفع مع التنوين . (١)

كما ذكر فى (رُبَّ ) ست لغات أيضا :

يقال : ( رُبَ ) بضم الراء وتشديد الباء ، وهى أفصح اللغات ، ومن العرب من يضم الراء ويخفف الباء فيقول : ( رُبَ ) ومنهم من يفتح الراء من ( رُبَّ ) ويشدّد الباء فيقول : (رَبَّ ) ، وزعم الكسائى أنه سمع التخفيف فى المفتوحة فيقال : ( رَبَ ) ، ومن العرب من يدخل معها تاء التأنيث ويشدد الباء فيقول : ( رُبَتَ) ، ويجوز أن تخففها فتقول : ( رُبَتَ) . (٢)

وذكر ست لغات أيضا فى لفظة ( الشَمأل ) :

(شَمال ) بإثبات الألف من غير همزة ، و( شَمأل ) بإثبات همزة بعد الميم ، و( شأمل ) بإثبات همزة قبل الميم و( شَمل ) بفتح الشين والميم ، من غير إثبات ألف ولا همزة ، و( شَمل ) بفتح الشين ، وإسكان الميم ، وشمول بإثبات الواو . (٣)

وكما ذكر ست لغات أيضا فى لفظة ( التراب ) وهى : ( التراب) و(التورَب ) و( التيرَب ) و( التوراب ) و( التيراب) ، و( التُرباء ) . (٤)

فهذه ست لغات لكل من لفظة ( هيهات) ، و( رُبَ ) ، و( الشمأل ) ، و( التراب) ، وقد ذكرها كلها محتجا لها بشواهد كثيرة .

على أن من أبرز سمات الكتاب فى دراسة اللغة والنحو ، تتبع إعراب أهم الألفاظ التى يشرحها المؤلف وذلك فى نهاية شرحه لكل بيت ، وسأختار نماذج من إعرابه لتوضيح ذلك :

---

( ١ ) ص ٤٣٩ - ٤٤٠ وانظر لسان العرب (هيه ) ١٧/ ٤٥١ ، ولاحظ كلامه على الترخيم ص٩٩-١٠٠ ، وص٣٦٠ .
( ٢ ) ص ٢٢-٢٣ ، وانظر لغات أخرى فى لسان العرب ( ربب ) ١/٣٩٣-٣٩٤ .
( ٣ ) ص ٣٢ - ٣٣ .
( ٤ ) ص١٣٨ .

١- قول عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حَلوبةً  سُودًا كخافية الغراب الأسحم

" الاثنتان يرتفعان بفيها (١). والأربعون نسق عليهما . والحلوبة منصوبة على التفسير عن العدد وسودا نعت للحلوبة .

فإن قال قائل : كيف جاز لسود وهو جمع أن يكون نعتا للحلوبة وهى واحدة ؟ قيل له : إنما صلح هذا لأن سودا فى تقطيع الواحد ، وهو على مثال قُفل وبُرد وخُرج .

ويجوز فى العربية : أربعون حلوبةً سودٌ ، على أن يكون نعتا للعدد المرفوع . أجاز الفراء : عندى عشرون درهما جيادًا ، وجيادٌ ، وقال : النصب على النعت للدرهم ، لأن جيادا فى تقطيع كتاب وحمار ، والرفع على النعت للعشرين . ومن قال هذا ، قال عندى عشرون رجلا صالحون ، ولم يقل صالحين على النعت لرجل ، لأن صالحين لم يخرج على تقطيع الواحد ، أنشد الفراء :

ألا إن جيرانى العشية رائحٌ  دعتهم دواعٍ من هوىً ومنادحُ

فقال جيرانى ثم قال رائح بالتوحيد ، لأن جيرانا فى تقطيع عِمران .

والكاف التى فى الخافية فى موضع نصب على النعت لحلوبة ، والخافية مضافة الى الغراب ، والأسحم نعته ". (٢)

٢- وقوله أيضا :

فإذا شربتُ فإننى مستهلكٌ  مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمِ

" الفاء الأولى تصل مابعدها بماقبلها ، والفاء الثانية جواب إذا ، والنون والياء اسم إن ، ومستهلك خبرها ، ومالى منصوب بمستهلك ، وعرضى مرتفع بوافر ، والواو التى فى العرض واو الحال ، كما تقول : أنا ضارب زيدا وعبد الله قاعد . ويكلم جزم بلم ". (٣)

---

(١) أى على تقدير الكوفيين أن الأصل : حلّ فيها اثنتان انظر المسألة السادسة من كتاب الانصاف لأبى البركات الأنبارى ١/ ٥١ والاسم مرفوع على الابتداء عند البصريين .

(٢) ص ٣٠٦ .

(٣) ص ٣٣٩ .

٣- وقول طرفـــــة :

وقربتُ بالقربى وجدك إنـه متى يكُ أمرُ للنكيثة أشهدِ

" يك : موضع جزم بمتى ، والأصل فيه يكن ، فذهبت النون لكثرة الاستعمال ، وشبهت بالياء والواو والألف. والهاء اسم إن ، وجملة الكلام خبر إن ، وتقديرالهاء : إن الشأن وإن الأمر. وأشهد مجزوم على جواب الجزاء ، ومن روى : "إننى متى يك أمر" قال : النون والياء اسم إن ، وخبر إن ماعاد من أشهد ، والتقدير : إننى أشهد متى يك أمر ، فلما وقع خبر إن فى موضع جواب الجزاء جزم ، وتأويله الرفع والتقديم " .(١)

٤- وقوله أيضا :

عدولية أومن سفين ابن يامن يجورُ بها الملاحُ طورا ويهتدى

ومن رفع جعلها نعتا للخلايا(٣) . وموضع سفين خفض إذا خفضت العدولية ، ورفع إذا رفعت العدولية لأنها نسق عليها ، كما تقول : نحن بخير وكثير صيدنا ، فتنسق كثيرا على الباء لأنها فى محل رفع .

وقال أحمد بن عبيد : الرواية ( عدولية ) بالخفض ، و( يجور ) خبر مستأنف ، ويجوز أن يكون فى موضع خفض ، لو صرفته إلى فاعل لخفضته على النعت للعدولية . ( الملاح ) رفع بيجور ، و( يهتدى ) نسق على ( يجور )".(٤)

---

( ١ ) ص ٢٠٥ .
( ٢ ) ( ٣ ) فى البيت الذى قبله وهو : كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد
( ٤ ) ص ١٣٧ .

٥ ـ قول لبيـــد :

باكرتُ حاجتَها الدَجاجَ بسُحرةٍ لأعلّ منها حين هبَّ نيامُها

لم يعرب أبوبكر فى هذا البيت الا لفظة ( الدجاج ) فقال :

وقال بعض أهل اللغة : نصب الدجاج على الوقت ،أراد : فى وقت صياح الدجاج ، فأقام الدجاج مقام الصياح فنصبه .. ونصب الدجاج على الوقت والناصب له باكرت ". (١)

٦ـ وقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطيّهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمل

" فى الاعتلال لنصب وقوفا أربعة أقوال :

قال أبوالعباس : كان أصحابنا يقولون نصب وقوفا على القطع من ( الدخول فحومل فتوضح فالمقراة ) (٢) .

قال أبو العباس : وأنا أذهب إلى أن وقوفا نصب على المصدر " لقفا " ،قال : والتقدير : قفا كوقوف صحبى علىّ مطيهم .

وقال بعض النحويين : نصب (وقوفا ) على القطع من الهاء التى فى ( نسجتها ) (٣) كما تقول : مررت بها جالسا أبوها ،فتنصب جالسا على القطع من الهاء .

وقال آخرون : نصب ( وقوفا ) على الحال مما فى نبك ، والتقدير عندهم : قفا نبك فى حال وقوف صحبى علىّ مطيّهم .

وقال بعض النحويين : نصب على الحال مما فى يقولون ، والتقدير عندهم : يقولون لا تهلك أسى و تجملْ فى حال وقوف صحبى على مطيّهم .

---

( ١ ) ص ٥٧٨ .

( ٢ ) و ( ٣ ) فى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

هذا غلط لأن الظاهر فى التقدير مؤخر بعد المكنى ، فالمكنى الذى فى يقولون : للصحب ، ومعنى الصحب التأخير(١) مع وقوف بعد يقولون ، فلا يتقدم المكنى على الظاهر .

وقال بعضهم : نصب ( وقوفا ) على الوقت ، كأنه قال : وقت وقوف صحبى ، كما تقول العرب : خرجنا خروجكم ، يريدون خروجنا وقت خروجكم ، فهذا قول خامس .

وقال بعض أهل اللغة : التقدير : بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة الوقوف بها صحبى ، فلما أسقط الألف واللام نصبه على القطع . وهذا يرجع إلى معنى القول الأول الذى حكاه أبو العباس .

إلا أن الفراء أنكر قول الذين يقولون : القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه ، وقال : يلزمهم ألا يأتوا بالقطع مع المكنى فلا يقولوا : أنت متكلما أحسن منك ساكتا ، إذ كانت الألف واللام لا تحسن فى متكلم ، لأن أنت لا ينعت لشهرته وتعريفه .

و ( الصحب ) موضعهم رفع بمعنى وقوف . و ( على ) صلة وقوف ، والياء فتحت لاجتماع الساكنين . و ( المطى ) منصوب بوقوف"(٢) .

٧ــ وقول زهير :

وأعلمُ ما فى اليوم والأمسِ قبلَه ولكننى عن علم ما فى غدٍ عمى

"و ( الأمس ) نسق على اليوم . وسبيل (أمس) أن يكون مكسورا إذا كان معرفة لا ألف ولا لام فيه ، كقولك : مضى أمسِ ، ورأيته أمسِ ، فإذا دخلت عليه الألف واللام أعرب بوجوه الإعراب ، كقولك مضى الأمسُ بما فيه ، ولقيته الأمسَ ، وربما أدخل عليه الألف واللام وترك على كسره كقول الشاعر :

وإنى حبستُ اليومَ والأمسِ قبلَه ببابك حتى كادت الشمسُ تغربُ

وانما ألزم الكسر إذا كان معرفة لا ألف ولا لام فيه ، لأن أصله عندهم الأمر ، كقولك أمسِ عندنا يا رجل ، فلما سمى به الوقت ترك على كسره"(٣) .

---

(١) أى رتبته .
(٢) ص ٢٤ .
(٣) ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

هذه أمثلة مختلفة من اهتمام ابن الأنبارى بالإعراب فى الشرح ، وهى تلقى بعض الضوء على هذه السمة البارزة فى الكتاب ، ويمكن بالاستفادة منها ومن سائر نصوص الكتاب أن أسجل الملاحظات التالية :

يتتبع أبوبكر إعراب أهم الألفاظ التى ترد فى البيت ، وربما اكتفى بإعراب مشكلها على نحو مانرى فى النص الخامس . وقد يختصر فى الإعراب ـ كما فى النص الثانى ـ وقد يفصل ويعالج مختلف الاحتمالات والأوجه محتجا لها بمختلف الأدلة وذلك واضح فى النصين الأول والسادس .

ولا ينسى أن يبين اختلاف الإعراب باختلاف الرواية فى البيت الواحد على نحو ماصنع فى النصين الثالث والرابع .

ومن الفوائد الخاصة فى إعرابه ، الاستطراد فى معالجة بعض القواعد اللغوية والنحوية ، فقد تطرق فى النص الأول إلى قاعدة فى جواز نعت الجمع بالمفرد ، وأخرى فى نعت العدد المميز ، وذكر فى النص السابع قاعدة (أمس) فى حالتى البناء على الكسر والإعراب .

وأخيرا نلاحظ التزام أبوبكر المنهج الكوفى فى إعرابه سواء من حيث تمسكه بالمصطلحات الكوفية أو بالآراء الكوفية ، التى يعرض لها أثناء الإعراب .

وقد استخدم فى النصوص السابقة المصطلحات الكوفية التالية :

النسق ، والتفسير ، والنعت ، والخفض ، والقطع ، والمكنى .

وأما الآراء الكوفية فيمكن أن نمثل لها بأمثلة أخرى مما هو موضع خلاف بين الكوفيين والبصريين لنلاحظ شدة ميل أبى بكر إلى الآراء الكوفية ، ولنتبين صورة جلية من تطبيقه لها على دراساته ، فمن ذلك :

أ ) اعتباره ( رُبَّ ) اسما فى قول امرئ القيس :

ألا ربَّ خصمٍ فيكِ ألْوَى رَدَدْتُـــــه  نصيحٍ عَلَى تَعْذَالِه غير مؤتَلِى

واعتباره رددت خبرا لربّ ، (١) بخلاف ماذهب إليه البصريون من أن (ربّ ) حرف جـــر . (٢)

ب ) ويرى أن ( لَوْلَا ) ترفع الاسم بعدها ، ويتضح ذلك من إعرابـــه لفظ ( ثلاث ) فى بيت طرفـــة :

فلـــولا ثلاثٌ هنَّ من عيشةِ الفتَى  وجَدِّكَ لم أحْفِل متى قام عُوَّدِى

فقد ذكر أن ( الثلاث ) يرتفع بـ ( لولا ) وأن ( هنّ ) مرفوع بـ ( من ) . (٣)

فهو يرى هنا أن عامل الرفع فى الاسم المرفوع بعد ( لولا ) هو ( لولا ) نفسها ، وهذا هو مذهب الكوفيين . وأما البصريون فمذهبهم أن الاسم المرفوع بعد ( لولا ) يرتفع بالابتداء (٤) .

جـ ) ومن القضايا الخلافية بين البصريين والكوفيين قضية إعراب الأسماء الستة فقد ذهب الكوفيون إلى أنها معربة من مكانين ، وذهب معظم البصريين إلى أنها معربة من مكان واحد . (٥)

وقد تطرق أبوبكر إلى ذلك ــ مقدما مذهب الكوفيين على مذهب البصريين ــ فى إعرابه لفظ ( فم ) الذى ورد فى قول زهير :

بَكَرْنَ بكوراً واستَحرن بسُحْرةٍ  فَهُنَّ ووادِى الرَّسِّ كاليدِ فى الفَمِ

قال أبوبكر : " ويقال : هذا فمٌ ، ورأيت فَماً وأخرجته من فِمِهِ ، فتضم الفاء فى موضع الرفع ، وتفتح فى موضع النصب ، وتكسر فى الخفض ، فيكون معربا من جهتين .

---

( ١ ) ص ٧٤ .
( ٢ ) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٨٣٢ .
( ٣ ) ص ١٩٤ .
( ٤ ) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/٧٠ .
( ٥ ) نفســـه ١/١٧ .

ويقال هذا فَمٌ ورأيت فَماً ، وأخرجته من فَمِه ، فتضربه من جهة واحدة . ومنهم [ مـــن ] يضم الفاء فى كل حال فيقول : هذا فُمٌ ، ورأيت فُماً ، وأخرجته من فَمِه ، فيكون معربا من جهة واحـــدة . وروى أبوعبيدة عن يونس أن مـــن العرب من يقول : هذا فِمٌ ، ورأيت فِماً ، وأخرجه من فِمِه ، فيلزم الفاء الكسر فى الرفع والنصب والخفض ، وهو على هذا الوجه معرب من جهة واحدة "(١).

وبعد ، فلقد تعمدت الإكثار من الأمثلة على مسائل اللغة والنحو لبيان السمة البارزة فى شرح ابن الأنبارى ، ويمكن ـ بالرجوع إلى دراستها هى وغيرها من مثيلاتها الكثيرة فى الكتاب ـ أن نخرج بنتيجة هامة ، هى أن شرح ابن الأنبارى ذو اتجاه لغوى ونحوى بارز .

ويمكن أن نلخص ملامح هذا الاتجاه ـ مما سبق ـ فى الأمور التالية :

أ ـ الإكثار من عرض قواعد اللغة ومسائل النحو .

ب ـ العناية بالغريب فى الشرح .

جـ ـ تتبع اللغات المختلفة فى الكلمة الواحدة .

د ـ الاعتماد الكبير على الإعراب لتوضيح المعنى .

هـ ـ وأخيرا فالكتاب كله دراسة للعديد من شواهد العربية المتمثلة فى قصائد الفحول السبعة بشروحها المدعمة بمختلف الشواهد .

ثامنـــا ـ توضيح الإشارات التاريخية :

لا يمكن تفسير الشعر الجاهلى بعيدا عن تاريخ العرب ، وأخبارها وأيامها وأنسابها ، وذلك لكثرة ورود الإشارات التاريخية فى قصائد شعـــراء العصر الجاهلى .

كما أن معرفة أنساب الشعراء وأخبارهم ما يعيننا فى توضيح مختلف علاقات القبائل والأعلام والأحداث التى يتضمنها شعر كل واحد منهم .

---

(١) ص ٢٥٠ .

لهذا كله عنى أبوبكر بن الأنبارى بتوضيح الإشارات التاريخية فى مواضعها من القصائد ، بل خصص مقدمة لكل شاعر ، تناول فيها اسم الشاعر ونسبه وأخباره وقبيلته ومآثرها وأخبارها وعلاقاتها بالقبائل المجاورة لها ، مع بيان دور كل شاعر وموقعه فيها .

وقد أطال فى بعض هذه المقدمات التاريخية فبسط القول فى أخبار طرفة حتى بلغت ثمان عشرة صفحة ، كما فصل فى عرض أخبار كل من امرئ القيس ولبيد حتى بلغت ثلاث عشرة صفحة لكل واحد منهما .

وأما الإشارات التاليخية التى ترد فى الأبيات فإنه غالبا مايختصر فيها على نحو ماصنع فى معالجة قول عنترة :

ولقد خَشِيْت بأنْ أموت ولم تكن  للحرب دائرةٌ على ابنى ضَمْضَم

فقال : " ابنا ضمضم هما : هرم وحصين ابنا ضمضم الذى (١) قتله ورد بن حابس العبسى ، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما ، فكانا يتوعدانه " . (٢)

وأعلام التاريخ الجاهلى كثيرة فى القصائد السبع وغالبا مايكتفى أبوبكر بتوضيحها فى جمل قصيرة جدا ومثال ذلك الأعلام الذين ذكروا فى الأبيات التالية من قصيدة عمرو بن كلثوم :

ورثت مهلهلا والخيرَ منهمْ  زهيرا نِعْمَ ذخرُ الذَّاخرينا
وعتّابا وكُلثوما جميعا  بهِمْ نِلنَا تُراثَ الأكرمينا
وذا البُرَة الذى حُدِّثتَ عنه  به نُحمَى ونَحْمِى الملجَئينا
ومنّا قبله السَّاعِى كليبٌ  فأى المجدِ إلا قد وَلِينا

قال أبوبكر فى تعريف هؤلاء :

---

(١) كذا فى الأصل ، وصوابه : " اللذان قتلهما ورد بن حابس العبسى " .
انظر شرح القصائد العشر ص ٢١٥ .
(٢) ص ٣٦٣ .

" مهلهل : رجل من بنى تغلب ، وكذلك زهـــير " (١)

" وكلثوم : أبوعمرو ، الشاعر ، وعتاب : جـــده " (٢) .

و" ذا البرة : رجل من بنى تغلب بن ربيعة . . وقال أبوجعفر : ذو البـــرة يقال له : ( برة القنفد ) ، لقب بذلك لشعر كان على أنفه يلتوى كأنه برة ، مستديرا " (٣) .

و" كليب : الملك الساعى سعى فى المجد " (٤) .

فهذه تعريفات فى غاية الإيجاز لأعلام من العصر الجاهلى.

وأما الأحـداث التاريخية فإنه يعالجها بما يوضحها توضيحا متوسط الطول بحيث لا يبتعد عن شرح البيت الى السرد التاريخى ومثال ذلك شرح قول الحارث ابن حلزة :

وثمانونَ من تميم يأيديـــ ـــهم رماحٌ صدورهنّ القضاءُ

لم يخلوا بنى رزاح ببرقـــا ءٍ نطاع لهم عليهم دعـــاءُ

قال ابن الأنبارى مفسرا الحدث المرتبط بالبيتين :

( " وثمانون من تميم ، معناه أن عمرًا ـ أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ـ خرج فى ثمانين رجلا من بنى تميم غازين ، فأغار على ناس من بنى تغلب يقال لهم : بنو رزاح كانوا ينزلون أرضا يقال لها نطاع ، قـــريبة من اليمن ، فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة " (٥) .

وقد خالف أبوبكر قاعدة التوسط فى عرض الأحـداث التاريخية ذات مرة، وذلك فى شرحه بيت زهير :

فأقسمتُ بالبيتِ الّذى طافَ حولَه رجالٌ بَنَوهُ من قريشٍ وجُرهُمِ

---

(١) و (٢) ص ٤٠٦ .
(٣) و (٤) ص ٤٠٧ .
(٥) ص ٤٨٥ ، وانظر أمثلة أخرى ص ٤٧٠ ، و ٤٨٠ ، و ٤٨٣ وغيرها .

حيث فصل فى عرض تاريخ البيت الحرام والولاية عليه ، فبدأ بعهد إبراهيم وابنه اسماعيل ــ عليهما السلام ، ثم اتصال الأخير بجرهم عن طريق زواجه بجرهمية ، وذكر أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية ، ومنه انتقلت اللغة إلـــى قريش ، كما أشار إلى انتقال ولاية البيت إليه بعد وفاة أبيه إبراهيم عليه السلام ، ومنه انتقلت إلى "جرهم" ــ المشار إليها فى بيت زهير ــ وتحدث عن أشهـر رجال جرهم ، وتكلم عن طغيان المتأخرين منهم وظلمهم وفسادهم وبغيهم فـى الناس على نحوٍ لم تشهده مكة .

وكان ذلك سبب تسليط الله عز وجل الرعاف والنمل عليهم ، فأفناهم ، وجاءت بعدهم "خزاعة" ، وتوسع أبوبكر فى حديثه عن خزاعة ماشاء حتى إذا أكثر من أخبارها ، بين كيفية انتقال ولاية البيت منها إلى قريش عن طريق قصـــيّ ابن كلاب بن مرة القرشى ، وبين فضل قصيٍّ فى جمع قبائل قريش المتفرقـــــة فى رؤوس جبال مكة وأبطحها .

وهذا الإسهاب الذى جرى عليه أبو بكر فى هذا الموضع أتاح لنا الاطلاع على تاريخ مفصل عن بناء البيت والقبائل التى سكنت مكـة استنفد ثمان صفحات من الشرح .(١)

ولكنه أنساه المعالجة اللغوية للبيت فلم يكن شرحه إلا هذه المعالجة التاريخية وحسب .

ومماسبق يتبين أن الكتاب مصدر جيد من مصادر دراسة تاريخ العصـــر الجاهلـــى .

---

(١) ص ٢٥٣ ــ ٢٦٠ .

مصادر الكتاب :

يبرز من بين العلماء الذين ينقل عنهم أبوبكر بن الأنبارى فى " شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات" اثنان من العلماء ، أولهما كوفى وثانيهما بصرى ، فأما الأول فهو أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح ـ أستاذ القاسم بن بشار الأنبارى والد أبى بكر ، فهو إذن مصدر قريب من أبى بكر ، والغريب أنه لا ينقل عنه عن طريق أبيه ، بل يأخذ عنه من غير سند ، وهذا يعنى أنه اما نقل عنه بوساطة أبيه القاسم ، ولم يذكره ، أو أنه نقل عنه من بعض كتبه .

وقد ذكر أبو جعفر فى الكتاب مائة واثنتى عشرة مرة ويفيد منه أبو بكر فى تفسير المعانى للأبيات ، كما ينقل عنه بعض المعلومات الأخبارية .

وأما الآخر فهو أبوسعيد الأصمعى ، وعليه يعتمد ابن الأنبارى كثيرا فى معرفة اختلاف رواية الأبيات بالإضافة إلى تفسير الغريب ، وبعض مسائل اللغة والنحو . وقد ذكر الأصمعى فى الكتاب مائة وعشر مرات .

يلى هذين كل من أبوعبيدة معمر بن المثنى ، وقد ورد ذكره فى أربعة وتسعين موضعا ، وأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء وقد ذكر فى ثلاثة وتسعين موضعا .

وبعدهما أبويوسف يعقوب بن السكيت وقد ذكر تسعا وسبعين مرة فى الكتاب ، وله أهمية خاصة لكونه واحدا من شراح القصائد الطوال .

ثم يأتى كل من أبى العباس ثعلب ، وأبى الحسن الطوسى ، وأبى عمرو الشيبانى ، وأبى عبد الله بن الأعرابى وقد ذكر كل واحد منهم حوالى خمسين مرة .

وبعدهم فى الأهمية مجموعة من العلماء ذكر كل واحد منهم أقل من عشرين مرة ، أهمهم : أبوالحسن الكسائى ، وأبو محمد عبد الله بن محمد التوزى ، وأبو المنذر هشام بن محمد الكلبى ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروى وغيرهم .

ونلاحظ أن غالبية هؤلاء من الكوفيين ، وقد مرت بنا هذه الملاحظة في الحديث عن مصادر الكتاب الأربعة التي تقدمت دراستها .

وملاحظة أخرى خاصة بهذا الكتاب هي أنه ليس من بين هؤلاء الذين ينقل عنهم هنا غير اثنين من شراح القصائد الطوال ، هما الأصمعي وابن السكيت .

ويصعب دراسة أثر هذين في أبي بكر لعدم وصول كتابيهما إلينا ، وكل مايمكن أن أقطع به هو أنه أفاد منهما إفادة كبيرة ولا سيما الأصمعي .

ومما يسترعي النظر أن أبا بكر ابن الأنباري لم ينقل شيئا عن أبي الحسن بن كيسان وهو أحد الشراح الذين سبقوه . كما أنه لم يذكر القاسم بن بشار الأنباري والده غير مرتين في الكتاب[1] علما أنه من أقرب المصادر لأبي بكر في دراسة وعرض الأخبار التي كثيرا ماتذكر في الكتاب أثناء الشرح أو خلال دراسة أخبار الشاعر واسمه ونسبه ومناسبة قصيدته .

وأرجح أن أبا بكر نقل عن أبيه في أكثر من موضعين ، بل إن مروياته الكثيرة عن أبي جعفر أحمد بن عبيد قد تكون كلها أو معظمها عن طريق أبيه ، وهذا ليس بمستبعد فقد كان القاسم بن بشار الأنباري تلميذا لأبي جعفر ،[2] وروى عنه الكثير من الروايات الأخبارية كما يتبين من نقولات أبي بكر — عن أبيه عنه — في مؤلفاته الأخرى التي وصلت إلينا .

أهمية الكتاب وأثره :

ليس من المبالغة أن يوصف شرح ابن الأنباري بأنه من أحسن الشروح التي صنعت للقصائد الطوال ، وذلك لما امتاز به من توسع وإسهاب ، جعله يفوق سائر الشروح التي وصلت إلينا ، وذلك بالحرص البالغ على توفية كل فرع من

---

(١) ص ٤٧ ، و ١١٧ .

(٢) نزهة الألباء ٢٠٧ .

فروع الدراسة اللغوية حقه ولذلك فهو مصدر هام من مصادر دراسة الشعر الجاهلى .

وقد عنى فيه المؤلف بمعالجة قضايا اللغة والنحو معالجة تفصيلية فى مواضع كثيرة منه ، حتى برز مصدرا من مصادر الدراسة اللغوية والنحوية .

كما تضمن العديد من الشواهد اللغوية والنحوية التى تمثلت فى الأبيات المشروحة ، وفى الأبيات الكثيرة التى استشهد بها على شرحه . فهو على هذا النحو مصدر هام من مصادر تحقيق الشواهد . ومن ناحية أخرى يعتبر شرح ابن الأنبارى مصدرا جيدًا لدراسة تاريخ الجزيرة فى العصر الجاهلى — كما تقدم (١) .

وهو بالنسبة لنا أقدم كتاب فى شرح القصائد الطوال ، إذ لم يصل إلينا من كتب الذين سبقوه فى الشرح إلا جزء يسير من كتاب أبى الحسن بن كيسان وهذا الجزء مازال مخطوطا (٢) .

واستمر الكتاب موضع اهتمام الدارسين فى مختلف العصور فقرءوه ودرسوه ونقلوا منه ماشاءوا ، كما قام أحدهم باختصاره وحفظت لنا يد القدرة هذا المختصر فوصل إلينا سليما ، ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية ، برقم ( ١٥٣ / أدب ش ) ونحن لا نعرف صاحب هذا المختصر ، ولكن النسخة كتبت سنة ( ٦٦٤هـ ) ، أى بعد وفاة أبى بكر بنحو ثلاثة قرون ، وهذا يعنى أن مؤلفه من علماء القرن السابع أو قبله .

وقد اعتمد الأستاذ عبد السلام هارون على هذا المختصر فى تحقيق كتاب ابن الأنبارى ، وذكر أنه أفاد منه كثيرا فى تقويم مواضع من نصوص الشرح ، ووصفه بالأمانة والدقة (٣) .

ولا أعلم أحد اختصره غير هذا العالم المجهول ، ولكن الشراح الذين جاءوا بعد مؤلفه أفادوا منه كثيرا ، واعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا .

---

(١) راجع ص ٤٣٧ .

(٢) فى مكتبة برلين برقم ( ٧٤٤٠ ) انظر شرح القصائد التسع المشهورات ، مقدمة المحقق ص ٥٢ .

(٣) انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ( مقدمة المحقق ) ص ١٤ — ١٥ .

ومن تأثروا بابن الأنبارى فى شروحهم تلميذه أبوجعفر النحاس.

وقد تنبه إلى هذا أحمد خطاب — محقق كتاب النحاس — فقال :

" فقد وجدنا تقاربا كبيرا بين الشرحين ، فأبيات القصائد فيهما متفقة رواية وترتيبا ، إلا فى أبيات قليلة جاءت متقدمة أو متأخرة ، أشرنا إليها عند مقارنتهما ببعضهما ،[1] ثم إن كثيرا من الأشخاص والآراء اللغوية والشواهد جاءت متقاربة "[2] .

ويمكن أن نلاحظ شيئا من أثر ابن الأنبارى فى شرح النحاس بمتابعة الشرحين فى الكتابين ، ولننظر فى النصوص التالية :

قال ابن الأنبارى فى شرح بيت الحارث بن حلزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسمـــاءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواءُ

" قوله آذنتنا معناه أعلمتنا ، قال الله عز وجل ( آذَنْتُكُم عَلَى سَوَاءٍ )[3] "

وقال أبوجعفر النحاس :

" آذنتنا : أعلمتنا ، ومنه قوله جل وعز[4] ( فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ) "[5]

قال ابن الأنبارى فى شرح بيت امرئ القيس :

غَدائِرُهُ مُستَشزِراتٌ إلى العُلَـــى تَضِلُّ العِقاصُ فى مُثَنًّى ومُرسَـــلِ

ويروى : مستشزرات — بكسر الزاى — على معنى مرتفعات "[6]

وقال النحاس :

" وروى ابن الأعرابى مستشزِرات — بكسر الزاى — أى مرتفعات "[7]

قال ابن الأنبارى فى شرح قول امرئ القيس :

كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياضِ بِصُفْرَةٍ غَذاها نَمِيرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّلِ

---

(١) كذا النص ، وهذا التعبير خطأ عربية وصوابه : عند الموازنة بينهما .
(٢) شرح القصائد التسع المشهورات ( مقدمة المحقق ) ص٦٠
(٣) ص ٤٣٣ ، والآية من سورة النساء / ١٠٩ .
(٤) فى احدى النسخ "عز وجل" .
(٥) ص ٥٤١ .
(٦) ص ٦٣ .
(٧) ص ١٤٥ .

" قال يعقوب : يقال : مايُقانيني خلُق فلان ، أى مايشاكل خلقى ". (١)

وقال النحاس :

" يقال مايُقانيني خلق فلان ، أى مايشاكل خلقى " (٢) وتأثر النحاس بأبى بكر واضح فى هذه الأمثلة، لكن النحاس لم يذكره فى كتابه وهذا يعنى أنه نقل عنه ولم ينص على اسمه .

وأما الزوزنى فى " شرح المعلقات السبع " فقد تأثر بأبى بكر تأثرا يسيرا . وهو لاينقل عن ابن الأنبارى نقلا مباشرا ، ولكنه يلخص عنه شيئا من شرحه الطويل أحيانا ، وقد نص ذات مرة على ذلك فقال فى شرح بيت طرفة :

يَشُقُّ حبابَ الماءِ حَيْزُومُها بِها  كما قَسَمَ التُّرْبَ المُغايلُ باليدِ

" حباب الماء : أمواجه ، الواحدة حبابة . والحيزوم : الصدر ، والجمع الحيازيم . والتُّرابُ ، والتِّرْباءُ ، والتَّوْرَب والتَّيْرَب والتَّيْراب والتَّوْراب واحد . ثم يجمع التُّراب على أتربة وتربان وتربات ، والترباء على الترب . ذكر هذا كله ابن الأنبارى " (٣)

وجاء الخطيب التبريزى بعد الزوزنى ، فألف كتابه " شرح القصائد العشر " فاعتمد فى شرحه على كتاب ابن الأنبارى اعتمادا أساسيا ، ونقل منه ماشاء من غير أن يشير إليه إلا نادرا . (٤)

ويمكن أن نطالع فى أى صفحة من شرح التبريزى لنرى نقولاته الحرفية الكثيرة من كتاب ابن الأنبارى ، وأختار على سبيل المثال موضعين من نقولاته لنتبين حقيقة ذلك عنده :

قال أبو بكر فى شرح بيت عنترة :

تأوِى لَه قُلُصُ النَّعامِ كما أوَتْ  حِزَقٌ يمانيةٌ لأعْجَمَ طِمْطِمِ

---

(١) ص ٧١ .
(٢) ص ٥٤ .
(٣) ص ٥٢ ، وانظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٣٨ .
(٤) انظر ص ٢١ و ٣٣٧ .

" قوله تأوى له معناه تأوى إليه ، أى ينقنقن لهن فيأوين إليه كما أوت هذه الحِزَق اليمانية لراع أعجم لا يفهم كلامه . والحِزَق : الجماعات وهى الحزائق أيضا من الإبل وغيرها . يقال أعجم طِمْطِم وأعجم طُمْطانى إذا كان لا يفهم الكلام . والحِزَق : الفرق من الإبل ، واحدتها حِزْقة ، ويقال حَزِيقة وحَزِيق وحزائق ، ويقال أيضا حازقة . والقُلُص : أولاد النعام حين يدفئن ويلحقن ، ولم يبلغن المسان ، واحدتها قلوص . والبكر بمنزلة الفتى من الرجال ، والقلوص بمنزلة الفتاة ، ويقال فى جمع القلوص أيضا قلائص . قال الشاعر :

ألا أيُّهذا القانِصُ الخِشْفَ خَلَّهِ ... وإنْ كنتَ تأباهُ فمشرُ قلائصِ

ويروى

" تبرى له حُول النَّعام كما انبرت " .

والحُول : التى لا بيض لها ، فيقول : إذا نقنق هذا الظليم اجتمع إليه النعام كما تجتمع فرق الإبل لإهابة راعيها الأعجمى الطُمْطانى . يقال أهاب الراعى بابله إهابة إذا زجرها لتجتمع . ومن رواه (تبرى) أراد تَعَرَّضُ لـــه . يقال تَبَرَّيت لفلان : أى تعرَّضْتُ لـــه . أنشد الفراء :

وأَهْلَةِ وِدٍّ قـــد تَبَرَّيت وُدَّهم

أى تعرَّضت لودهم "(١)

وقال الخطيب التبريزى :

" تأوى له وتأوى إليه بمعنى أى ينقنقن لهن فيأوين إليه كما أوت هذه الحذق (٢) اليمانية لراع أعجم لا يفهم كلامه ، والحذق الجماعات ، وهى الحزائق أيضا من الإبل وغيرها . ويقال أعجم طِمْطِم وطمطمانى إذا كان لا يفهم الكلام ، والقلص أولاد النعام حين يدفئن ويلحقـــن ولم يبلغن المسان .

---

(١) ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) الذى فى القاموس المحيط ( حزق ) ٣ / ٢٢٨ " والحزق والحزقة بكسرها - والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة : الجماعة " وهذا موافق لشرح ابن الأنبارى السابق .

ويـــروى :

" تبرى له حول النعام كما انبرت".

والحول التى لا بيض لـــها فيقول: إذا نقنق هذا الظليم اجتمع إليه النعام كما يجتمع فوق[1] الإبل لإهابة راعيها الأعجمى . وقوله تبرى له أى تعرض له وتبريت لفلان أى تعرضت له".[2]

ولست أرانى بحاجة إلى التعليق على مثل هذا النقل الطويل الذى يكاد يكون حرفيا ، بل هو حرفى ، ولكن الخطيب التبريزى اختصر فى بعض المواضع.

ومثل هذه النصوص المنقولة عن ابن الأنبارى كثيرة فى شرح التبريزى ، واكتفى بنص آخر لزيادة البيان ، وذلك من شرحهما لقول زهير:

ديار لها بالرَّقْمَتَين كأنها  مراجِعُ وَشْمٍ فى نواشِرِ مِعْصَمِ

شرح أبو بكر هذا البيت على النحو التالى :

" قال الأصمعى : الرقمتان : إحداهما قرب المدينة ، والأخرى قـــرب البصرة ، وإنما صارت هنهنا حيث انتجعت.

وقال يعقوب : قوله بالرقمتين معناه بينهما . وقال الكلابى : الرقمتان بين جرثم وبين مطلع الشمس بأرض بنى أسد ، وهما أبرقان مختلطان بالحجارة والرمل والرقمتان أيضا : حذاء ساق القرو ، وساق الغرو:[3] جبل فى أرض بنى أسد . والرقمتان أيضا بشطفلج أرض بنى حنظلة . وقوله مراجع وشم ، أى معاطف ، أى رُجّع الوشم وأعيد ، وكلما رجعت شيئا فقد رددته ، يقال فلان يرجّع صوته بالقرآن وغيره . فشبه وشوم الديار ، أى الآثار التى فيها ، بمراجع الوشـــم.

---

(١) كذا فى الأصل وصوابها ( فرق ) الصواب كما فى شرح ابن الأنبارى السابق : " تجتمع فرق الابل".

(٢) ص ١٩٢.

(٣) فى معجم البلدان ١٩٦/٧ الغرو بالغين المعجمة " بفتح أوله وسكون ثانيه ، والواو معربة موضع قرب المدينة" وهو كذلك فى شرح التبريزى الآتى

والوشم : أن يثقب ظاهر الذراع بإبرة أوغيرها ثم يحشى بالكحل والنؤور ليخضر.

وقال أبوجعفر : واحد المراجع رجع ، وهو على غير القياس. وقال يعقوب : النواشر: عصب الذراع من ظاهرها وباطنها ، واحدتها ناشرة . وقال أبوجعفر: النواشر: عروق ظاهر الذراع خاصة.

والهاء والألف : اسم كأن ، والمعصم : موضع السوار وهو أسفل من الرسغ، والرسغ: موصل الذراع بالكف. والديار يرتفع بإضمار هى ، واللام صلة الديار، والمراجع خبر كأن ، وفى : صلة الوشم. ويروى : ( ودارلها بالرقمتين )"(١)

وشرحه الخطيب التبريزى مختصرا منه على النحو التالى :

" قال الأصمعى : الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة، ومعناه بينهما ، وقال الكلابى : الرقمتان بين جرثم وبين مطلع الشمس بأرض بنى أسد ، وهما أبرقان مختلطان بالحجارة والرمل ، والرقمتان أيضا حذاء ساق الغرو، وساق الغرو جبل فى أرض بنى أسد ، والرقمتان أيضا بطش فلج (٢) أرض بنى حنظلة ، وقوله مراجع وشم يعنى مارجع وكرر وفلان يرجع صوته أى يكرره ، والوشم الخضرة التى تحدث من غرز الإبرة . والنواشر عروق ظاهر الذراع. وقيل : النواشر عصب الذراع من باطنها وظاهرها ، والمعصم : موضع السوار ، شبه الآثار التى فى الديار بمراجع الوشم. ويروى ( ودارلها لها بالرقمتين )"(٣)

ولم يكتف الخطيب بنقل شروح أبى بكر للأبيات بل نقل عنه حتى مقدماته للقصائد التى تضمنت اسم الشاعر ونسبه وأخباره وقبيلته ، وتطابق النصين يكاد يكون تاما فى أخبار بعض الشعراء فى الكتابين وبخاصة أخبار كل من زهير بن أبى سلمى (٤) والحارث بن حلزة. (٥)

---

(١) ص ٢٣٨.
(٢) صوابه : بشط فلج كما فى شرح ابن الانبارى السابق وكما فى معجم البلدان ٥ / ٥٨.
(٣) ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٤) انظر شرح ابن الأنبارى ص ٢٣٥ ، وشرح التبريزى ص ١٠٢.
(٥) انظر شرح ابن الأنبارى ص ٤٣١ ، وشرح التبريزى ص ٢٥٠.

وقد يعذر الخطيب على صنيعه هذا لأنه، إنما يلخص شرح القصائد السبع - كما زعم فى مقدمته - حيث قال : "سألتنى - أدام الله توفيقك - أن ألخص لك شرح القصائد السبع" (١).

ولكنه لا يعذر فى تعمده السكوت عن مصدره الأساسى فى تلخيصه وهو شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى .

وليس من قبيل المبالغة أن أصف شرح التبريزى بأنه لا يعدو أن يكون مختصرا لشرح ابن الأنبارى أضيف إليه ثلاث قصائد بشروحها ، وهذه القصائد احداها للأعشى ، والثانية للنابغة الذبيانى والثالثة لعبيد بن الأبرص ، هذا مع إشارة التبريزى إلى أن هذه القصائد الثلاث مضافة إلى القصائد السبع وليست منها . (٢)

والحقيقة أننا لو جردنا هذه القصائد الثلاث من شرح التبريزى ، وجردنا معها بعض التعليقات اليسيرة التى أضافها الخطيب إلى شرح ابن الأنبارى - من مصدر أو مصادر أخرى - لخرجنا بشرح مختصر لكتاب ابن الأنبارى !!

وكفى بهذا دليلا على تأثر الخطيب التبريزى بأبى بكر .

ومن الموازنات السابقة يتضح لنا أن أثر شرح أبى بكر كان كبيرا على المتأخرين فى شروحهم للقصائد الطوال ، فمنهم من اختصره بأمانة ودقة ، ومنهم من جعله عماد شرحه ، ومنهم من استعان به وأفاد منه فى شرح بعض الأبيات وهكذا .

* * *

---

(١) و(٢) ص ٣٥

## خاتمـــــــــــــة

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وفيت الموضوع حقه ، وآمل أن أكون قد وفقت الى رسم صورة صادقة أو مقاربة لحياة أبى بكر بن الأنبارى ، وجهوده اللغوية .

ومع إلحاح هذا الأمـــل فى النفس ، لسد الثغرات ، ، يجد الباحث نفسه أمام مشكلة كبيرة ، هى قلة الأخبـــار عن أبى بكر ، وبخل كتاب التراجـــم ومؤلفى التاريخ فى الكتابة عنه .

وهذا ماجعلنى أتتبع ترجمته فى مختلف المصادر ، حرصا على جمع العبارات والأسطر المتناثرة فى بطون الكتب ، لضمها بعضها إلى بعض ، والتأليف بينها ، مع محاولة استنطاقها وتحليلها ، والموازنة بينها علهـــا تصور حياة الرجل منذ نشأته إلى مماته .

وعلى ذلك فهذا البحث أول دراسة علمية مفصلة عن حياة أبى بكـــر ابن الأنبارى ، وهو كذلك أول دراسة علمية تعرف بجهوده اللغوية .

ولقد تتبعت فيه سيرته ممهدا لدراسة هذه السيرة بإلقاء الضوء علـــى عصره ومجتمعه الذى عاش فيه ، والذى سادته الفوضى والفتن ، وعمتـــــه الحركات والمذاهب الهدامة .

وقد تجنب أبو بكر مشاكل العصر والمجتمع ، متمسكا بدينه ، ملتزما عقيدة أهل السنة ، ومتفرغا للعلم والزهد ، ولم يتصل بأهل الدولة إلا فى أواخـــر حياته .

ومما أسعد الجَـــدّ به أمران :

الأول : قلة الخلاف فى اسمه ونسبه بين مؤلفى التراجم ، والطبقات والتاريخ .

والثانى : الدقة فى تحديد سنة مولده عندهم .

وأما المكان الذى ولد فيه فلم يحدد فى المصادر القديمة ، ورجحت أنه ولد فى سامراء ، ثم رحل إلى بغداد مع أبيه صغيرا ، وبقى فيها ، ولكنه لم ينقطع عن سامراء ، بل سكنها سنوات من حياته .

والمعروف من أسرة أبى بكر ، والده العالم المشهور ، وعم أبيه الذى كان مقرئا ومحدثا . أما أمه فلم تذكر فى المصادر .

ولا يمكن أن أقرر شيئا فى أمر زواجه ، ولكنه ربما تزوج ولم ينجب ، أو أنه لم يتزوج أساسا . وكلاهما محتمل .

وقد كان أبو بكر ابن عالم فنشأ منذ صغره نشأة علمية طيبة بعناية أبيه الذى أوصله إلى شيوخ العلم فى سن مبكرة جدا ، فتربى محبا للعلم ، مخلصا له ، مؤثرا إياه على : كل شئ .

وقد كان لحياته الثرية التى عاشها فيما بعد أثر كبير فى مداومته على طلب العلم .

اتصل ابن الأنبارى بالراضى فى أواخر حياته ، حيث استدعاه الخليفة لمنادمته ، فحظى بتقديره واهتمامه وعينه معلما لأولاده ، ومؤدبا للأمير عبد الواحد بن الخليفة المقتدر .

وقد عرف أبوبكر بالخصال الحميدة فكان عالما متدينا زاهدا ، واسع الحفظ ، أمينا ، ثقة ، صدوقا ، مدققا . وكان له فلسفته الخاصة فى حياته الزاهدة التى سخرها لارضاء ربه وخدمة دينه وقد ظهر أثر تدينه واضحا فى كتبه التى ألفها والتى قصد منها خدمة القرآن ولغته العربية .

كما ظهر أثر الأمانة العلمية عنده ، واضحا فى دقة مؤلفاته ، فأثنى عليه العلماء وأضفوا عليه كثيرا من صفات التوثيق .

وقد كان من عجائب البشر فى الحفظ وسعة الاستيعاب ، فأفاد من هذه الصفة كثيرا فى مؤلفاته ، فتيسرت له كثرة الشواهد والأمثلة التى أثرى بها كتبه أيما اثراء .

وقد كانت نشأة أبى بكر بن الأنبارى العلمية المتينة هى القاعدة الصلبة التى أرسى عليها ثقافته ، التى جمعت بين فروع الدراسات القرآنية ، وفروع الدراسات اللغوية والأدبيـــــة .

وقد اهتم أبوبكر بالثقافة اللغوية اهتماما كبيرا فدرس كثيرا من كتب اللغة حتى أتقنها وبرع فيها .

وبالرجوع إلى الكتب اللغوية التى درسها يتضح أن ثقافته اللغوية والنحوية تغلب عليها النزعة الكوفية ، ولكنه اطلع على كثير من مصادر اللغة والنحو عنـــد البصريين .

وقد شهد أبوبكر فى صباه الصراع العلمى بين الكوفيين والبصريين وقد كان أستاذه ثعلب أحـــد طرفى الرياسة فى هذا الصراع، وكان المبرّد الطـــرف الثانى فيه ، فمال إلى أستاذه وبخاصة أن ثقافته كانت كوفية ، وظل أبوبكـــر متمسكا بالمذهب الكوفى حتى صار فيه إماما ، وبعد وفاة شيخه ثعلب واصـــل دور إمامة المذهب الكوفى . الذى بقى مخلصا له حتى وفاته .

وأهم مظاهر الاتجاه الكوفى عند أبى بكر هى :

الاعتداد بالسماع والنقل ، والحرص البالغ على القراءات والشواهـــد الشعرية ، وكثرة الأخـــذ عن الشيوخ الكوفيين ، وترجيح آرائهم المختلفـــة فى اللغة والنحو ، والإعجاب بأشخاصهم ، والتصدى للرد على أندادهم مـــن البصريين كالسجستانى وابن قتيبة والمبرّد وغيرهم ، والتمسك بالمصطلحات الكوفية .

وقد حفظ لنا أبو بكر فى كتبه كثيرا من آراء متقدمى الأئمة الكوفيين ، كما أدخل العلل المنطقية فى النحو الكوفى ،

الا أن هذا الميل الكوفى عند أبى بكر لم يكن ليمنعه الإفادة من آراء البصريين ولذلك فأكثر من الاستشهاد والأخذ بها .

وقد تلقى أبوبكر عن عدد كبير من شيوخ العلم ، على رأسهم أبوه القاسم بن محمد ، والإمام أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو إسحاق القاضـــى وأبو العباس الكديمى وغيرهم كثيرون ، ومعظمهم من القراء والمحدثين واللغويين والنحاة .

وكما كثر عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم ، فقد كثر عدد التلاميـــذ الذين أخذوا عنه ، وأشهرهم : أبو على القالى ، وابن خالويه ، وأبوجعفـــر النحاس ، ومحمد بن عزيز السجستانى وأبو القاسم الزجاجى وغيرهم كثيرون ، ومعظمهم من الثقات .

وقد برع كثير من تلاميذه فى مختلف فروع العلم فكان منهم اللغويون ، والنحاة ، والقراء والمحدثون والفقهاء والأدبـــاء وغيرهم . كما اهتم كثير منهم برواية بعض مؤلفاته .

توفى أبو بكر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة من الهجرة كما رجحت ، ودفن فى بغداد .

وقد ترك لنا ثروة غنية فى اللغة ، والنحو ، والأدب ، وعلوم القرآن ، والحديث ، عرفت منها أربعين كتابا معظمها فى الدراسات اللغوية ، ولم يصل إلينا منها سوى ستة .

ومازالت جهود أبى بكر بن الأنبارى اللغوية لم تنل حقها من الدراسة ولذلك فهذا البحث أول دراسة جامعة لجهوده اللغوية .

**وأقدم كتاب** من الكتب الستة التى وصلت إلينا هو: كتاب "إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجـــل" ، وهو من كتبه المهمة . وموضوعه يعالـج مواضع الوقف فى القرآن الكريم ومراتبه وأنواعه .

ولا يمكن لتالى القرآن أن يستغنى عن هذا الموضوع ، كما لا يمكن للمتكلم بالعربية أن يجهل أحكام الوقف فى اللغة ، لأنها أساس الفصل بين المعانى المختلفة ، وجهلها قد يسبب الخلط بين العبارات والجمل المؤدية لهذه المعانى .

ومن أجل التأكيد على ضرورة صحة الأداء القرآنى وسلامته من اللحـــن خصص أبوبكر مقدمته الطويلة ـ قبل دراسة الوقف ـ فتحدث عن فضائل القرآن وفصاحة لغته وأهمية إعرابه وكراهية اللحن فيه ، وفى لغته العربية التى نزل

بها ، كما يبين خطورة اللحن فى اللغة ، مما أدى إلى فساد الألسن .

وقد تم تأسيس علم النحو حرصا على سلامة اللسان العربى الذى به تؤدى تلاوة القرآن الكريم ، ولذلك فقد دون أبوبكر شيئا فى البدايات الأولى من تاريخ وضع النحو . كما قامت الدراسات اللغوية المختلفة خدمة للعربية ، وقد اعتمدت هذه الدراسات اعتمادا كبيرا على الشعر فى تدوين قواعد اللغة والنحو ، ومن أجل ذلك فقد فصل القول فى جواز رواية الشعر ، وجواز الاحتجاج به وبلغة العرب على غريب القرآن .

ومن الأبواب اللغوية المهمة فى الكتاب ، تلك الأبواب التى عالج فيها الألفات والياءات والواوات ذاكرا أقسامها وأصولها ، وحالات إثباتها وحذفها ، وعلاقة ذلك كله بالوقف ، وكذلك الأبواب التى عالج فيها بعض الحروف المركبة مثل ( إنما ) و( عمّا ) و( فيما ) وغيرها .

وفى الدراسة التطبيقية لموضوع الوقف فى القرآن الكريم يعالج ابن الأنبارى السور القرآنية سورة سورة مراعيا ترتيب السور ، ذاكرا مراتب الوقف وأنواعه فى الآيات التى يقف عليها فى كل سورة ، مبتدئا بما لا خلاف فيه بين القراء والنحويين ، وواضعا أصول الأبواب قبل فروعها ، ومبينا اختلاف النحويين والقراء واتفاقهم ، مع الاهتمام بذكر الاتفاق قبل ذكر الاختلاف ، والتحليل والتعليل لمختلف الآراء التى يذكرها .

كما يقف على أوجه العربية فى القراءات لما لها من ارتباط قوى بالوقف .

وقد توسع أبوبكر فى الاستشهاد بالشعر — كما تبين من مقدمته — للاحتجاج به على غريب القرآن ، وعلى قواعد اللغة والنحو . ولما كان للإعراب أهمية كبيرة فى تفسير المعانى فقد اهتم ابن الأنبارى بالربط بين الوجه الإعرابى والوقف ، متتبعا مختلف الاحتمالات فى إعراب الآية أو اللفظة من القرآن ، كما ربط بين الخط والوقف فى أكثر من باب ، وذلك لأن بعض الحروف لها أحكام خاصة فى الوقف ، وللرسم القرآنى أثر كبير فى هذه الأحكام .

ويظهر الاتجاه الكوفى قويا فى الكتاب وتتمثل مظاهره فى تمسك المؤلف بالرسم القرآنى وعدم جواز مخالفته ، وفى إصراره على المصطلحات الكوفية ،

وفى حرصه البالغ على تتبع القراءات القرآنية لاستنباط قواعد اللغة والنحو منها ، وفى إكثاره من عرض الآراء الكوفية .

ومن بين الكتب القليلة التى وصلت إلينا فى موضوع الوقف والابتداء كتاب القطع والائتناف" لأبى جعفر النحاس تلميذ ابن الأنبارى ، وهو ينافس كتاب أستاذه فى موضوعه كماتبين من الموازنة بينهما ، ولكن يصعب أن نفضل أحد الكتابين على الآخر لامتياز كل واحد منهما بخصائص دون الآخر .

وأخيرا يمكن أن نلخص أهمية "كتاب إيضاح الوقف والابتداء" فى : أنه أقدم كتاب وصل إلينا فى موضوعه ، وأنه مصدر هام من مصادر دراسة الوقف والابتداء ، وأنه يلقى ضوءا على بعض كتب المتقدمين المفقودة فى هذا الموضوع ، كما يعين على تحقيق بعض نصوصها إن وجد شئ منها ، وتتجلى أهمية كتاب ابن الأنبارى أيضا فى كونه مصدرا هاما من مصادر دراسة النحو الكوفى التطبيقى ، وفى أثره الواضح على المتأخرين ، وبخاصة ممن ألفوا فى الوقف والابتداء .

ومن كتب أبى بكر التى نالت مكانة مرموقة فى الأوساط العلمية كتاب " الزاهر فى معانى كلمات الناس" ، وهو من الكتب اللغوية القيمة ، وموضوعه العبارات اللغوية والأمثال .

وقد وضع المؤلف فيه منهجا سهلا ميسرا ، قليل القيود ، فاستطاع أن يلتزمه التزاما كبيرا .

واختص الكتاب بعرض طائفة من العبارات اللغوية المتعلقة بشئون العبادة ، وأضاف إليها المؤلف طائفة أخرى من العبارات اللغوية المأثورة فى كلام العرب ، وشيئا من أمثالهم .

وتقوم مادة "الزاهر" على شرح تلك العبارات والأمثال شرحا لغويا مدعما بمختلف الشواهد من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والمأثور من كلام العرب .

واهتم المؤلف فى شرحه بالمعنى اللغوى غالبا ، ولم يقف على المعنى الاصطلاحى للعبارات والأمثال إلا قليلا ، كما تفاوت الشرح طولا وقصرا ، بحسب العبارة المشروحة ، فإن كانت مستغلقة غامضة فصل فى شرحها ، وإن كانت سهلة واضحة اختصر ، فإن تضمنت شيئا مما يسترعى النظر فى اللغة والنحو وقف عليها يشرح مافيها من ذلك ، وقد يطيل فى الشرح — عندئذ — وإن لم تكن العبارة معتاصة ، وهذه العناية بقضايا اللغة ومسائل النحو سمة بارزة فى الشرح .

كما اهتم اهتماما كبيرا بالغريب من الألفاظ ، وهو هدف مقصود فى الشرح عند أبى بكر .

وكثيرا مايستعين المؤلف بآراء أئمة اللغة والنحو فى معالجته العبارات والأمثال ، وكثيرا ماينقل شروحهم مضيفا إليها شرحه وتعليقاته .

ويظهر فى شرحه اهتمام خاص بالمصادر والتثنية والجمع .

وقد نقل أبوبكر فى هذا الكتاب عن كثير من الأئمة الكوفيين والبصريين ، وبخاصة مؤلفو الأمثال الذين انتفع بهم كثيرا ، ومنهم المفضل بن سلمة الذى تأثر به فى شئ من منهجه ، وشرحه أحيانا ، ولكنه اختلف عنه وعن بقية الأئمة المتقدمين بتوجيه اهتمامه إلى العبارات اللغوية أكثر من الأمثال .

ولذلك فقد برز كتابه بوصفه مصدرا رئيسا من مصادر دراسة العبارات اللغوية ، . . وبخاصة فيما انفرد به أبوبكر من العبارات التى لا نجدها عند غيره .

وللكتاب أهمية فى دراسة بعض مسائل اللغة والنحو التى وردت أثناء الشرح فوقف عليها المؤلف وخصها بالدراسة .

كما انه مصدر من مصادر الشواهد اللغوية التى أكثر من الاحتجاج بها فى الشرح .

وله أهمية فى تحقيق الكتب المفقودة فى موضوعه ، كما تفيد كثرة نقول المؤلف من كتب الأمثال فى التعرف على طريقة شرح الأمثال عند بعض متقدمى الأئمة من مؤلفى الأمثال الذين فقدت مؤلفاتهم .

وقد بلغ من أهمية هذا الكتاب أن اختصره اثنان من أئمة اللغة وهما الزجاجي ، والماردى .

وأفاد منه كثير من المتأخرين بالقراءة والدراسة، والنقل .

وكل ذلك يدل على جودة الكتاب واتقان مؤلفه فيه .

ومن كتبه المشهورة "كتاب الأضداد" ، ويعالج أبوبكر فى هذا الكتاب ظاهرة الأضداد ، وهى ظاهرة لغوية أثارت مشكلة كبيرة لدى العلماء ، فوقفوا بإزائها فريقين : قبلها أحدهما ، ورفضها الآخر ، وتوسطهما فريق ثالث موافقا على بعض مفردات الأضداد ومنكرا بعضها الأخر ، وذلك عن طريق دراسة أسباب نشوئها .

وتتلخص هذه الأسباب فى عوامل أهمها : تعدد اللهجات ، وتطور الدلالة بسبب عموم المعنى أو العلاقة المكانية ، والتطور الصوتى للألفاظ ، واختلاف الصيغ والعوارض التصريفية ، ورجوع الكلمة إلى أصلين ، وانتقال اللفظ من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى ، وطريقة الاستعمال وغموض المعنى ، والخلط بين الأضداد والمشترك ، والعوامل النفسية ، والتعسف فى جمع مادة الأضداد .

وقد وقف أبو بكر على كثير من هذه العوامل ورفض مجموعة من مواد الأضداد بسببها ، فكان معتدلا فى قبوله للأضداد ، أخذ ببعضها ، ورفض بعضها الآخر بناء على قواعد وشروط رسمها فى كتابه ، بالرجوع إلى تلك العوامل التى أدت إلى كثرة الأضداد .

وهذا الموقف الذى حدده ابن الأنبارى لنفسه لم يكن ليمنعه من الإكثار فى جمعها ، لدراستها على أساس أنها مشكلة لغوية واقعة ، فكان لابد له من إبراز المشكلة عن طريق مفردات الأضداد ، وأما الحل فكان عن طريق دراستها على أساس العوامل والشروط السابقة .

وقد ضمن أبوبكر كتابه فوائد لغوية ونحوية ، وبلاغية، وأدبية مختلفة مع استقصاء الشواهد والتوسع فى إيرادها ، وذكر الروايات المختلفة فيها ، معلقا عليها كلما دعت الحاجة .

ومن السمات اللغوية فى الكتاب تتبع اللغات المتعددة فى اللفظة الواحدة ، مع الاهتمام بالفروق اللهجية فيها ، ونسبة كل لغة إلى قبيلتها .

ومن هذه السمات أيضا دراسة بعض المسائل اللغوية والنحوية ، التى ترد فى أثناء عرض مفردات الأضداد ، كدراسة التصغير ، ودراسة بعض الأدوات والضمائر التى ذكرت ضمن مفردات الأضداد مثل : ( إذ ) و( إذا ) ، و(أو) و( نحن ) وغيرها .

وأهم مصادر ابن الأنبارى فى هذا الكتاب كتب الأضداد التى ألفت قبل كتابه ، وأكثر العلماء الذين يأخذ عنهم الفراء ، وثعلب ، وقطرب ، وأبو عبيدة وغيرهم .

وتتلخص أهمية "كتاب الأضداد" ، لابن الأنبارى ، فى أنه من أحسن وأكبر ماألف فى موضوعه ، ولذلك فقد كان ومايزال المصدر الرئيسى الذى يرجع إليه فى دراسة الأضداد .

وهو يلقى ضوءا على بعض كتب الأضداد المفقودة ، وبخاصة الكوفية منها ، فقد أكثر فيه أبو بكر النقل عن الفراء وثعلب ، وهما ممن فقدت مؤلفاتهم فى الأضداد .

والكتاب بعد ذلك معجم لشواهد الأضداد ، ومصدر هام من مصادر اللغة .

وامتاز مؤلفه بإضافة مفردات جديدة إلى الأضداد وكان من المكثرين فى جمع المادة ، وذلك مما وفر للدارسين مادة لغوية غنية لدراسة ظاهرة الأضداد .

ويبرز "كتاب المذكر والمؤنث" علما ظاهرا ضمن كتب أبى بكر بن الأنبارى التى وصلت إلينا . وهو يدرس ظاهرة التذكير والتأنيث ، وهذه الظاهرة من الظواهر اللغوية البارزة فى العربية ، لأنها تتعلق بتقسيم اللغة إلى قسمين للتفرقة بين نوعى الجنس ، ويعتبر الأصل فى هذا التقسيم للمذكر ، ويميز المؤنث عنه بعلامات لاحقة تضاف إليه ، وهذه العلامات هى التاء ، والألف المقصورة ، والألف الممدودة .

أما التاء فإنها تكون متحركة ويكون ماقبلها مفتوحا دائما ، وتقلب هاء فى الوقف . وهى أشهر العلامات الثلاث التى تستخدم للتمييز بين المذكر والمؤنث .

وهناك صيغ لا تدخلها التاء فيستوى فيها المذكر والمؤنث ، نحو فَعُول ، وفَعِيل ، ومِفْعَال ، وغيرها من أوزان الصفات .

وأما الألف المقصورة فإن أوزان المؤنث الذى تلحقه كثيرة منها : فَعَلَى ، وفِعْلى ، وفُعَلَى ، وفَعْلَى ، وفُعَالَى ، وفُعَّالَى ، وفِعِّيلَى ، وفُعَّيْلَى ، وغيرها كثير ، وكلها سماعية .

وأوزان الألف الممدودة أيضا سماعية ومنها : فَعْلاء ، وأَفْعِلاء ، وفَاعُولاء ، وفِعْلِياء ، وفَعَالاء ، وفَعُولاء ، وفُعَلاء ، وغيرها .

ويلاحظ أن تقسيم ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية تقسيم غير منطقى ، لأن الجنس اللغوى يختلف عن الجنس الحقيقى ، فالأول ماهو إلا وسيلة للتعبير عن الثانى ، والعلامات التى تعتمدها هذه الوسيلة ليست مختصة دائما بجنس واحد فالتاء تتصل بالمذكر نحو معاوية وحمزة ، كما أن هناك مؤنثات غير مميزة بعلامات نحو : سعاد ومريم وغيرهما .

وقد اهتم اللغويون العرب بظاهر التذكير والتأنيث فدرسوها فى كتب مستقلة ، وأشهر الذين أسهموا فى هذه الدراسة الفراء ، والمبرّد وأبوبكر بن الأنبارى .

ويعد كتاب ابن الأنبارى " المذكر والمؤنث " من أتم ما ألف فى هذا الموضوع .

وقد عرض فيه المؤلف دراسة وافية لظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية ، مما استوعبه فكره ووصل إليه علمه ، فدرس علامات التأنيث ، وأسماء المؤنث ، ونعوته ، كما درس المذكر والمؤنث فى حالات الإفراد ، والتثنية والجمع ، ودرس عدد المذكر والمؤنث ، ونداءهما ، والإشارة إليهما ، ودرس أيضا تصغير المؤنث ، كما عرض لأوزانه المختلفة .

وقد أحاط الكتاب بالموضوع وامتاز بوفرة المادة العلمية ، ولكنه لم يخل من بعض المآخذ ، كإغفال مؤلفه تعريف المذكر والمؤنث ، وإغفاله ذكر أنواع المذكر والمؤنث ، كما أن الكتاب جاء خاليا من الترتيب والنظام في عرض المادة .

ومن خصائص الكتاب العامة الدقة في الإشارة إلى المصادر ، وأهم العلماء الذين أخذ عنهم المؤلف في كتابه هذا : الأصمعي ، والفراء ، وأبوزيد الأنصاري ، وابن السكيت ، وغيرهم .

ومن مميزاته الظاهرة كثرة اشتماله على العلل النحوية ، فلا يكاد أبوبكر يذكر مسألة دون أن يحللها ويعللها مقدما فيها مختلف آراء الأئمة وأقوالهم .

ومن بين شروح أبي بكر للشعر القديم وصل إلينا كتابه " شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات " .

وهو عبارة عن شرح لغوي مفصل لسبع من القصائد الطوال التي اشتهرت بالمعلقات ، وبالسموط ، والمُذْهَبات وغيرها .

وقد سبق ابن الأنباري في شرح القصائد الطوال ثلاثة من العلماء حسب معرفتي وهم : الأصمعي وابن السكيت وابن كيسان ، وأما العلماء الذين شرحوها بعده فهم كثيرون أشهرهم أبو جعفر النحاس ، والزوزني والخطيب التبريزي .

ويعد كتاب أبي بكر من أهم الشروح التي وصلت إلينا وأكثرها تفصيلا . ويوضح عنوانه أن مؤلفه اختار سبع قصائد ، وأما شعراء السبع عنده فهم : امرؤ القيس بن حجر ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلّزة ، ولبيد بن ربيعة .

وتقوم مادة الكتاب على منهج واضح ، يلتزمه المؤلف التزاما كبيرا ، وتتتبع خطوات هذا المنهج نلاحظ أن أبا بكر يحرص في شرحه أولا على التعريف بالشاعر : اسمه ، ونسبه ، وأخباره ، وأخبار قبيلته ، ودوره في هذه القبيلة .

كما يحرص على عرض مناسبة القصيدة غالبا ، وقد أغفل عرضها في قصيدتي طرفة ، ولبيد .

ويهتم بتفسير الغريب ، وهو عنصر أساسى فى الشرح ، يلتزمه الشارح فى جميع أبيات القصائد التى يشرحها ، وكثيرا مايفسر الألفاظ الواضحة التى لاغرابة فيها ، وذلك بغية تقديم الفوائد اللغوية الخاصة باللفظة المشروحة ، من خلال تصريفها وتظيرها على أوجهها المختلفة .

وغالبا مايستند أبوبكر فى شرحه على أقوال الأئمة المتقدمين من الكوفيين والبصريين على حد سواء دون أن يخفى ميله إلى الكوفيين ، ويهتم فى ذلك بعرض الخلافات بينهم فى الشرح ، مبينا فيها موقفه أحيانا ، أومتحيرا عن الترجيح أحيانا أخرى .

ويعتمد شرحه على الاحتجاج بالشواهد اعتمادا كبيرا سواء فى شرح أبيات القصائد السبع ، أم فى شرح شواهد الشرح

كمايعنى بذكر الروايات المختلفة للأبيات التى يشرحها ، وذلك يدل على سعة احاطته برواية الأشعار .

وللروايات المختلفة التى يوردها أبو بكر فى شرحه قيمة كبرى لأنها تعيننا على دراسة وتحقيق عدد كبير من شواهد العربية .

ويعالج ابن الأنبارى فى شرحه هذا كثيرا من المسائل اللغوية والنحوية التى ترد فى أثناء الشرح ، فيفصل فيها أو يوجز على نحو مايقتضيه المقام ، ومن المسائل التى عالجها معالجة جيدة مسألة الإبدال ، وتصريف الأفعال فى عدة مواضع ، والنداء ، وجواز مجئ ( مَنْ ) زائدة . بالإضافة إلى حرصه الدائم على الإعراب مماوفر لنا أمثلة تطبيقية كثيرة فى دراسة النحو الكوفى .

ويظهر فى مناقشته المسائل والقضايا اللغوية والنحوية التزامه الثابت بالمنهج الكوفى .

ومن الأمور التى يقف عليها أبوبكر فى الشرح الإشارات التاريخية التى ترد فى بعض الأبيات ، وغالبا مايكون وقوفه عليها قصيرا ولا سيما إذا كانت الإشارات إلى بعض الأعلام الجاهلية ، وأما الأحداث التاريخية فانه يوضحها توضيحا متوسطا فى طوله .

وأهم العلماء الذين يأخذ عنهم أبوبكر فى هذا الكتاب أحمد بن عبيد والأصمعى ، وأبوعبيدة والفراء وابن السكيت .

وتتحقق أهمية شرح ابن الأنبارى فى كونه مصدرا من مصادر دراسة الشعر الجاهلى ، ومصدرا من مصادر دراسة اللغة والنحو ، ولا سيما دراسة شواهدها ، ومصدر لدراسة تاريخ الجزيرة فى العصر الجاهلى .

وله أهمية خاصة بالنسبة لنا من حيث كونه أقدم كتاب وصل إلينا فى موضوعه .

ولهذا كله ظل الكتاب موضع اهتمام كبير عند كثير من الدارسين فى مختلف العصور ، فقرءوه ودرسوه ، ونقلوا منه ماشاءوا . وقام باختصاره عالم لم نهتد إليه ، ولكن مختصره وصل إلينا وهو مختصر نافع أمين .

وقد تأثر بأبى بكر معظم الشراح الذين جاءوا بعده ومنهم تلميذه النحاس والزوزنى والخطيب التبريزى الذى أوشك أن يكون شرحه مختصرا لشرح ابن الأنبارى ، مضافا إليه ثلاث قصائد إحداها للأعشى والثانية للنابغة الذبيانى والثالثة لعبيد بن الأبرص .

تلك هى خلاصة البحث مماهدانى الله إليه فى دراسة حياة أبى بكر بن الأنبارى وجهوده اللغوية .

وانى لأتوجه إلى الله الذى تتم بنعمه الصالحات سائلا إياه التوفيق والقبول .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

======ج======

## فهرس المصـــــــادر


١ـ الإبدال ، لأبـي الطيب اللغوى ، تحقيق عزالدين التنوخى ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠م .

٢ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، لشمس الدين محمد بن أحمد المقدسى ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٦م .

٣ـ الاحكام فى أصول الأحكام ، للآمدى ، تعليق عبد الرزاق عفيفى ، الرياض ، نشر على الحمد الصالحى ، ١٣٨٧ هـ .

٤ـ أخبار أبى نواس ، لابن منظور ، تحقيق شكرى محمود أحمد ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٢م .

٥ ـ أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، لأبى بكر محمد بن يحيى الصولـــى ، عنى بنشره ج . هيورث . دن ، القاهرة ، مطبعة الصاوى ، ١٩٣٥م .

٦ـ أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى ، تحقيق طه الزينى ، ومحمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة مصطفى البابـى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٧ـ أخلاق الوزيرين ، لأبى حيان التوحيدى ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، دمشق ، مجمع اللغة العربية .

٨ـ أسرار العربية ، لأبى البركات بن الأنبارى ، تحقيق محمد بهجت البيطار ، دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٥٧م .

٩ـ الأشباه والنظائر ، للسيوطى ، حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٩هـ .

١٠ـ إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٩م .

١١ـ الأصمعيات ، لأبى سعيد الأصمعى ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، بمصر .

١٢ـ الأضـداد ، للأصمعى ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩١٢م .

١٣- الأضداد ،لأبى بكر بن الأنبارى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، الكويت ،دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠م .

١٤-الأضداد ،لابن السكيت ، بيروت ،دار الشرق ، ١٩١٢م .

١٥-الأضداد ، للسجستانى ،بيروت ،دار المشرق ،١٩١٢م.

١٦- الأضداد ، للصغانى ،بيروت ،دار المشرق ،١٩١٢م .

١٧- الأضداد فى كلام العرب ، لأبى الطيب اللغوى ،دمشق ، المجمع العلمى العربى ، ١٩٦٣م.

١٨- الأضداد فى اللغة ،محمد حسين آل ياسين، بغداد ،مطبعة المعارف ١٩٧٤م.

١٩- الأعلام ،للزركلى ،القاهرة ،مطبعة كوستاتسوماس ،٤٥-١٩٥٩م.

٢٠- الأغانى ، لأبى الفرج الأصفهانى ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م.

٢١- الإقتضاب فى شرح أدب الكتاب ،تأليف ابن السيد البطليوسى ،مراجعة وتصحيح عبد الله البستانى ،بيروت ،المكتبة الكلية ، ١٩٠١م.

٢٢- الأمالى ،لأبى على القالى ،ملتزم الطبع إسماعيل بن يوسف دياب ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦م.

٢٣- الأمالى الشجرية ،لابن الشجرى ،حيدرآباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٩هـ.

٢٤- الأمثال ، لأبى عكرمة الضبى ،تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مجمع اللغة العربية ،دمشق ، ١٩٧٤م.

٢٥- الأمثال ،لأبى فيد السدوسى ، تحقيق الدكتور أحمد الضبيب ، مطابع الجزيرة ، الرياض ، ١٩٧٠م.

٢٦- أمثال أبى عبيد ، ( فى مجلد مع كتاب أغلاط اللغويين الأقدمين للكرملى ) ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ١٣٠٢هـ.

٢٧- أمثال العرب ،المفضل الضبى ،مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ١٣٠٠هـ.

٢٨- الأمثال العربية القديمة ، رودلف زلهايم ،ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١م.

٢٩- انباه الرواة على انباه النحاة ، للقفطى ،تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.

٣٠- الأنساب ، للسمعانى ، بتصحيح الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى ،حيد آباد الدكن ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م.

٣١- الإنصاف فى مسائل الخلاف ، لعبد الرحمن الأنبارى ، القاهرة ، مطبعة السعادة .

٣٢- كتاب الإيضاح فى علل النحو ،لأبى القاسم الزجاجى ،تحقيق مازن المبارك، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٥٩م.

٣٣- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ،لإسماعيل باشا البغدادي ، طهران ،المكتبة الاسلامية ، ١٣٧٨هـ.

٣٤- إيضاح الوقف والابتداء ، فى كتاب الله عزوجل ،لأبى بكر بن الأنبارى ، تحقيق محى الدين عبدالرحمن رمضان ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٧١م .

٣٥- البداية والنهاية ،لابن كثير ، الرياض ،مكتبة النصر ، ١٩٦٦م.

٣٦- البرهان فى علوم القرآن ، بدر الدين الزركشى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧م.

٣٧- بغية الملتمس ،لابن عمير الضبى ،مدريد ، مطبعة روخس ، ١٨٨٣م.

٣٨- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦هـ.

٣٩- البلغة فى أصـــول اللغة ، محمد صديق حسن خان ، القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٦هـ.

٤٠- البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ، للفيروزآبادى ، تحقيق محمد المصرى ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٢م.

٤١ - البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لأبى البركات الأنبارى ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م.

٤٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدى ، مصر ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ.

٤٣- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٧م.

٤٤- تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م.

٤٥- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٣١م.

٤٦- تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٤م.

٤٧- تاريخ الطبرى ( تاريخ الرسل والملوك ) لمحمد بن جرير الطبرى ، بيروت مكتبة خياط .

٤٨ - تاريخ القرآن ، لأبى عبد الله الزنجانى ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٥م.

٤٩- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤م.

٥٠- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الحسن الأشعرى ، لابن عساكر ، نشر القدسى ، دمشق ، ١٣٤٧هـ.

٥١- تجارب الأمم ، لمسكويه ، القاهرة ، شركة التمدن الصناعى ، ١٩١٤م.

٥٢- التحفة البهية والطرفة الشهية ، قسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٣٠٢هـ.

٥٣- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ، ١٩٥٦م.

٥٤- كتاب تعليقات على منهج المقال فى تحقيق أحوال الرجال ، تأليف آقا محمد باقر البهبهانى ، طهران ، ١٣٠٤هـ.

- تفسير القرطبى = الجامع لأحكام القرآن.

٥٥- تكملة تاريخ الطبرى ، لمحمد بن عبد الملك الهمدانى ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦١م.

٥٦- التكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبار ، تصحيح ونشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

٥٧- التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة بن الحسن الأصفهانى ، تحقيق محمد أسعد طلس ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٨م.

٥٨- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين ، أبو الحسن على محمد الصفاقسى ، تقديم وتصحيح محمد الشاذلى النيفر ، تونس ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، ١٩٧٤م.

٥٩- التنبيه والإشراف ، للمسعودى ، بغداد ، المكتبة العصرية ، ١٩٣٨م.

٦٠- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، بيروت ، دار صادر (مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد ، ١٣٢٧هـ).

٦١- تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٩٦٤م.

٦٢- التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو الدانى ، استانبول ، جمعية المستشرقين الألمانية ، ١٩٣٠م.

٦٣- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، لأبى منصور الثعالبى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٦٥م.

٦٤- كتاب الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ، للسيوطى ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ، ١٣٣٠هـ.

٦٥ - الجامع لأحكام القرآن ،لأبى عبد الله القرطبى ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للنشر ، ( مصورة عن طبعة دار الكتب» ١٩٦٧م.

٦٦- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس - ،لأبى عبد الله الحميدى ، تحقيق محمد بن تاويت ،القاهرة ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية .

٦٧- الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ،حيدرآباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥٢م .

٦٨- جمع الجواهر فى الملح والنوادر ،لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى، تحقيق على محمد البجاوى ،القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣م .

٦٩- جمهرة أشعار العرب، لأبى زيد القرشى ، بولاق ،المطبعة الأميرية، ١٣٠٨هـ .

٧٠- جمهرة الأمثال ،لأبى هلال العسكرى ،ملك الكتاب الشيرازى، بومباى، ١٣٠٤هـ.

٧١- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ،آدم متز، ترجمة د/محمد عبد الهادى أبى ريدة ، القاهرة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

٧٢ - الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ،شكيب أرسلان ، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٣٩م.

٧٣- خزانة الأدب ولب لباب العرب لعبد القادر البغدادى ، القاهرة، مطبعة بولاق ، ١٢٩٩هـ .

٧٤ - الخصائص ،لابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ،القاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦م.

- خطط المقريزى = المواعظ والاعتبار.

٧٥ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ،لأحمد بن عبد الله الخزرجى ، بيروت ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، ١٩٧١م.

٧٦- دائرة المعارف ، فؤاد أفرام البستانى ، بيروت ، ١٩٥٨م.

٧٧- دراسات فى فقه اللغة ، للدكتور صبحى الصالح ، بيروت ، المكتبة الأهلية ، ١٩٦٢م.

٧٨- الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، للدكتور أحمد نصيف الجنابى ، مكتبة التراث ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

٧٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للسيوطى ، طهران ، المكتبة الإسلامية ١٣٧٧هـ.

٨٠- الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، لحمزة بن الحسن الأصفهانى ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م.

٨١- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطى ، مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨هـ.

٨٢- الدرس النحوى فى بغداد ، للدكتور مهدى المخزومى ، بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٤م.

٨٣- الدليل الببليوجرافى : للرسائل الجامعية فى مصر ، القاهرة ، الأهرام ، ١٩٧٦م.

٨٤- دول الإسلام ، لشمس الدين الذهبى ، حيدرآباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦٤هـ.

٨٥- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لبرهان الدين اليعمرى ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٩هـ.

٨٦- ديوان الأعشى ، تحقيق فوزى عطوى ، بيروت ، الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٦٨م.

٨٧- ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبى بكر بن الأنبارى ، بيروت ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٩٥٩م.

٨٨- ديوان المتنبى ،شرح عبدالرحمن البرقوقى ،بيروت ،دار الكتاب العربى .

٨٩- رسائل ابن حزم الأندلسى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مكتبة الخانجى بمصر ،ومكتبة المثنى ببغداد .

٩٠- روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ،للخوانسارى ، ٩٣٤٧.

٩١- الزاهر فى معانى كلمات الناس ، لأبى بكر بن الأنبارى :

- نسخة "لاله لى " ، المكتبة السليمانية ،رقم ( ١٧٨٧ ) .

- نسخة "أسعد أفندى" (أ ) ،رقم ( ٣٢١٥ ) .

- نسخة "فاتح " ، رقم ( ٣٩١٢ ) .

- نسخة "أسعد أفندى" (ب ) ،رقم ( ٣٢١٦ ) .

- نسخة "كوبريللى " ،رقم ( ١٢٨٠ ) .

- نسخة "راغب باشا" ، رقم ( ١٤١٦ ) .

- نسخة "بايزيد" .

٩٢- الزجاجى ،حياته وآثاره ، ومذهبه النحوى من خلال كتابه "الإيضاح " ، مازن المبارك ،دمشق ، ١٩٦٠م.

٩٣- كتاب السبعة فى القراءات ،لابن مجاهد ،تحقيق الدكتور شوقى ضيف، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م.

٩٤- سر صناعة الإعراب ،لابن جنى ،تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة، مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٤م .

٩٥- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ،لعبد الملك بن حسين العصامى ، المكتبة السلفية ومطبعتها .

٩٦ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ،لابن العماد الحنبلى ، القاهرة ، مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ.

٩٧ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،لابن عقيل ،المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٩٨- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ( منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٥م .

٩٩- شرح الألفات ، لأبى بكر بن الأنبارى ، دمشق ، مجلة المجمع العلمى العربى ، العدد ٣٤ .

١٠٠- شرح التصريح ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة .

١٠١- شرح شواهد المغنى ، للسيوطى ، دار مكتبة الحياة ببيروت .

١٠٢- شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبى جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، سلسلة كتب التراث بوزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٣م .

١٠٣- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر بن الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م .

١٠٤- شرح القصائد العشر ، للخطيب التبريزى ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، ١٣٧٨هـ .

١٠٥- شرح الكافية ، للرضى الأستراباذى ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٢٧٥هـ .

١٠٦- شرح المعلقات السبع ، لأبى عبد الله الزوزنى ، مطبوعات مكتبة ومطبعة ابن شقرون ، ١٩٦٦م .

١٠٧- شرح المفصل ، تأليف موفق الدين بن يعيش ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

١٠٨- شرح المفضليات ، لأبى محمد القاسم بن محمد الأنبارى ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعين ، ١٩٢٠م .

١٠٩- الشعر الجاهلى ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣م .

١١٠- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق ، أحمد شاكر ، القاهرة .

١١١- الصحاح ،للجوهرى ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربى بمصر ، ١٩٥٦م.

١١٢- صفة الصفوة ،لابن الجوزى ،حيدرآباد الدكن ،مطبعة دار المعارف العثمانية ، ١٣٥٥هـ.

١١٣- الصناعتين : الكتابة والشعر،لأبى هلال العسكرى ،تحقيق على البجاوى ومحمد أبى الفضل إبراهيم ،القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢م.

١١٤-كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، حلب ، دار الوعى ، ١٣٩٦هـ.

١١٥- كتاب الضعفاء والمتروكين ، للنسائى ،تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعى ، ١٣٩٦هـ.

١١٦ - طبقات الحفاظ ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ،تحقيق على محمد عمر ،القاهرة ،مكتبة وهبة ، ١٩٧٣م.

١١٧- طبقات الحنابلة ،لأبى الحسين محمد بن أبى يعلى ،وقف على طبعه محمد حامد الفقى ،مطبعة السنة المحمدية.

١١٨- طبقات الحنابلة ،لابن أبى يعلى ،اختصار محمد بن عبد القادر النابلسى تصحيح وتعليق أحمد عبيد ، دمشق ،مطبعة الاعتدال ، ١٣٥٠هـ

١١٩-طبقات الشافعية ،للأسنوى ، تحقيق عبد الله الجبورى ، بغداد ، رئاسة ديوان الأوقاف ، ١٣٩٠ - ١٣٩١هـ.

١٢٠-طبقات الشافعية ،للسبكى ،تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٦٤م.

١٢١- طبقات الشعراء ،لابن معتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م.

-طبقات القراء = غاية النهاية فى طبقات القراء.

١٢٢ - الطبقات الكبرى ،لابن سعد ، بيروت ، دار صادر، ودار بيروت ١٩٥٨م.

١٢٣- طبقات المفسرين ، للسيوطى ، تحقيق ، مورسنج ، ليدن ، ١٨٣٩م.

١٢٤- طبقات المفسرين ، شمس الدين محمد بن على الداودى ، تحقيق على محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٢م.

١٢٥- طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضى شهبة (أبى بكر بن أحمد) ، تحقيق الدكتور محسن غياض ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٩٧٣م .

١٢٦- طبقات النحويين واللغويين ، لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، نشر محمد سامى أمين الخانجى الكتبى ، القاهرة ، ١٩٥٤م.

١٢٧- ظهر الإسلام ، لأحمد أمين ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥م.

١٢٨- العبر فى خبر من غبر ، للذهبى ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦١م.

١٢٩- علوم الحديث ، لابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، ١٩٦٦م.

١٣٠- العمدة فى محاس الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيروانى تحقيق محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٥٥م.

١٣١- غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى ، باعتناء ، برا هستراسر ، بغداد ، مكتبة المثنى .

١٣٢- غريب القرآن ، لأبى بكر السجستانى ، تصحيح لجنة من أفاضل العلماء ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ١٩٦٣م.

١٣٣- الفائق فى غريب الحديث ، للزمخشرى ، حيدرآباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٤هـ.

١٣٤- الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبد العليم الطحاوى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠م.

- الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، مخطوطة "الفاتح" رقم (٤٠٠٩) ، استانبول .

١٣٥- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،لابن طباطبا ( المعروف بابن الطقطقى ) ، القاهرة ،مطبعة المعارف ، ١٩٣٨م.

١٣٦- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ،تأليف أبى عبيد البكرى ، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور إحسان عباس ، .ط ١ ، ١٩٥٨م.

١٣٧- فضائل القرآن لابن كثير القرشى ، تصحيح محمد رشيد رضا ،مطبعة المنار بمصر ، ١٣٤٧هـ.

١٣٨- فقه اللغة ، على عبد الفتاح وافى ، القاهرة، لجنة البيان العربى ١٩٥٥م.

١٣٩- فهرس دار الكتب المصرية ،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة.

١٤٠- الفهرست ،لابن النديم ،تحقيق رضا تجدد ،طهران ،مكتبة الأسدى، ١٩٧١م.

١٤١- فهرسة ما رواه عن شيوخه ،لأبى بكر محمد بن خير الاشبيلى ،وقف على طبعه فرنسشكه داره زيدين ،بيروت ،المكتب التجارى ،١٩٦٣م.

١٤٢- فى اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ،القاهرة ،مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م.

١٤٣- فى اللهجات العربية ، الدكتور أنيس منصور ، لجنة البيان العربى ،١٩٥٢م.

١٤٤- القاموس المحيط ،للفيروزآبادى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، ١٩٥٢م.

١٤٥- القرآن الكريـــــم .

١٤٦- القراءات الشاذة ،لابن خالويه ،تحقيق براجستراسر ، القاهرة ،جمعية المستشرقين الألمانية ،١٩٣٤م

١٤٧- كتاب القطع والائتناف، لابى جعفر النحاس ،تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر ، بغداد ،وزارة الاوقاف ،١٩٧٨م.

١٤٨- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، للذهبى ،تحقيق عزة عطية وموسى الموشى ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٢م.

١٤٩- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ،بيروت ،دار بيروت ،ودار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م.

١٥٠- كتاب سيبويه لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ( سيبويه ) ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٣١٧هـ.

١٥١- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ،لحاجى خليفة ، طهران ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٤٧م.

١٥٢- الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ،شمس الدين محمد بن الزيات ، القاهرة ،المطبعة الأميرية ، ١٩٠٧م.

١٥٣ - اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير ، القاهرة ،مكتبة القدسى ، ١٣٩٧هـ.

١٥٤- لسان العرب لابن منظور ،بولاق ،المطبعة الأميرية ، ١٣٠٠هـ.

١٥٥- لسان الميزان ،لابن حجر العسقلانى ، حيدرآباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٩هـ.

١٥٦- اللغة لفندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ،القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م.

١٥٧ - مجالس العلماء ،لأبى القاسم الزجاجى ،تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت وزارة الإرشاد والانباء ، ١٩٦٢م.

١٥٨- مجلة المجمع العلمى العربى ،العدد ٣٤، دمشق .

١٥٩- مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد /٢ ، القاهرة ، ١٩٣٥م.

١٦٠- مجمع الأمثال ،لابى الفضل الميدانى، القاهرة ، المطبعة البهية، ١٣٤٢هـ.

١٦١- مختصر التاريخ، لابن الكازرونى ، تحقيق مصطفى جواد ،بغداد ، وزارة الاعلام، ١٩٧٠م.

- مختصر طبقات الحنابلة = طبقات الحنابلة .

١٦٢ـ المختصر فى أخبار البشر ( تاريخ أبى الفداء ) لعماد الدين إسماعيل بن أبى الفداء ، المطبعة الحسينية المصرية ، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه .

١٦٣ـ مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ، عنى بنشره ج . براجستراسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٤م .

١٦٤ـ المخصص ، لابن سيده ، بولاق ، المطبعة الكبرى الأميرية ، ١٣١٦هـ .

١٦٥ـ المدارس النحوية ، الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .

١٦٦ـ مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو ، الدكتور مهدى المخزومى ، القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، بمصر ، ١٩٥٨م .

١٦٧ـ المذكر والمؤنث ، لأبى بكر بن الأنبارى ، مصورة دار الكتب عن نسخة بشير آغا باستانبول ورقمها (١٧٩) .

١٦٨ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لأبى محمد عبد الله بن أسعد اليافعى ، حيدرآباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧هـ .

١٦٩ـ مرآة الزمان ، لابن الجوزى ، حيدرآباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥١م .

١٧٠ـ مراتب النحويين ، لأبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ١٩٥٥م .

١٧١ـ مروج الذهب ، وجواهر المعدن ، على بن الحسين المسعودى ، بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

١٧٢ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .

١٧٣- المستقصى فى أمثال العرب ،للزمخشرى ،حيدرآباد الدكن ،دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م.

١٧٤- المشتبه فى الرجال،أسمائهم وأنسابهم للذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ،١٩٦٢م.

١٧٥- مشكل إعراب القرآن ، لمكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق حاتم صالح الضامن ،بغداد ، وزارة الاعلام ،١٩٧٥م.

- مشكل إعراب القرآن - مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق ياسين محمد السواس ،دمشق ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٧٤م.

١٧٦- مطلع الفوائد ومجمع الفرائد ،لجمال الدين بن نباتة المصرى ،تحقيق عمرموسى باشا ، دمشق ،مجمع اللغة العربية ،١٩٧٢م.

١٧٧- معاهد التنصيص ،لعبد الرحيم العباسى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،القاهرة ،مطبعة السعادة ،١٩٤٧م.

١٧٨- معجم الأدباء ،لياقوت الحموى ،تحقيق د.س. مرجليوث ، مصر، ١٩٢٥م.

١٧٩- معجم البلدان ،لياقوت الحموى ،طهران ، مكتبة الأسدى ،١٩٦٥م.

١٨٠- معجم الشعراء ،لأبى عبيد الله المرزبانى ، تحقيق أحمد عبد الستار فراج، القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠م.

١٨١- معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٧٢م.

١٨٢ - المعجم العربى وتطوره ،للدكتور حسين نصار ، على نفقة حسين شربتلى ، دار الكتاب العربى بمصر ، ١٩٥٦م.

١٨٣- معجم المؤلفين ،لعمر رضا كحالة ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٩٥٧م.

١٨٤- معرفة القراء الكبار ، للذهبى ،تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة، دار الكتب الحديثة ،١٩٦٩م.

١٨٥ـ معلقات العرب ،للدكتور بدوى طبانة ،بيروت ،دار الثقافة ،١٩٧٤م•

١٨٦ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ،لابن هشام ،تحقيق الدكتور مازن المبارك ، ومحمد على حمد الله ،دمشق ، دار الفكر ،١٩٦٤م•

١٨٧ـ المقابسات ،لأبى حيان التوحيدى ، تحقيق حسن السندوبى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ،١٩٢٩م•

١٨٨ـ من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ،القاهرة ،مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٧٢م •

١٨٩ـ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ، القاهرة ،المطبعة الميمنية، ١٣٢٢هـ•

١٩٠ـ كتاب المناسك ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٦٩م•

١٩١ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ،لابن الجوزى ، مكتبة الخانجى بمصر•

١٩٢ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ،لابن الجوزى ،حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،١٣٥٧هـ•

١٩٣ ـ المنصف ،لابن جنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ،شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ،١٩٥٤م•

١٩٤ ـ من قضايا اللغة والنحو ،للدكتور أحمد مختار عمر ،القاهرة، دار المعارف بمصر•

ـ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك = شرح الأشمونى •

١٩٥ـ المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ( خطط المقريزى ) ،القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٢٧٠هـ•

١٩٦ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ،لأبى عبد الله الذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣م•

١٩٧ـ النثر الفنى فى القرن الرابع ،للدكتور زكى مبارك ،القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٤م•

١٩٨ــ النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، القاهـــرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠م٠

١٩٩ــ النحو الوافى ، لعباس حسن ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠م٠

٢٠٠ــ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنبارى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٦٧م٠

٢٠١ــ نزهة الجليس ومنية الأديب النفيس ، للعباس بن على الموسوى ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٢٩٣هـ ٠

٢٠٢ــ النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى ، تحقيق على الضباع ، القاهرة ، المكتبة التجارية ٠

٢٠٣ــ النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣م٠

٢٠٤ــ نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزبانى ، إختصار اليعمورى ، تحقيق رودلف زلهايم ، فيسبدان فرانتس شتاينر ، ١٩٦٤م٠

٢٠٥ــ هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشـــا البغدادى ، طهران ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٧٤م ٠

٢٠٦ــ الواضح فى علم العربية للزبيـــدى ، تحقيق الدكتور أمين على السيد ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م٠

٢٠٧ــ الوافى بالوفيات ، للصفدى ، باعتنـــاء س ٠ ديدرينغ ، دمشـــق ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٥٩م٠

٢٠٨ــ الوفيات ، لابن الخطيب ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧١م ٠

٢٠٩ــ وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٨م٠

٢١٠ــ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، لأبى منصور الثعالبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ١٩٧٤م٠

# فهرس الموضوعـــــــــات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمـــــة | أ |
| القسم الأول | |
| حياة أبى بكر بن الأنبـــــــــارى | |
| ـ تمهيد | ٢ |
| ١ـ التحقيق فى اسمه ونسبه . | ٦ |
| ٢ـ مولده ونشأته . | ١٠ |
| ٣ـ أسرتـــــه . | ١٤ |
| ٤ـ نشأته العلميـة . | ١٨ |
| ٥ـ حالته المادية | ٢٤ |
| ٦ـ صفاته وأخلاقه : | ٣٢ |
| أ ) تدينه وزهده | ٣٣ |
| ب) أمانته العلمية | ٤٢ |
| جـ) سعة حفـــظه | ٥٠ |
| ٧ـ ثقافته | ٥٩ |
| ٨ـ مذهبه الكوفى | ٦٤ |
| ٩ـ شيوخـــــــه | ٩٥ |
| ١٠ـ تلاميذه | ١١٦ |
| ١١ـ وفاتـــــه . | ١٢٨ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| القسم الثانـــــــى | |
| جهود أبى بكر بن الأنبارى اللغويـــــــة | |
| ـ تمهيـــــد | ١٣٢ |
| ١ـ فهرسة مؤلفاته | ١٣٤ |
| ٢ـ كتاب إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل. . | ١٤٣ |
| تقديـــم | ١٤٤ |
| نسخ الكتاب | ١٤٦ |
| المقصود بالوقف والابتداء | ١٤٨ |
| مؤلفو الوقف والابتداء | ١٥١ |
| عرض مادته | ١٥٣ |
| منهجه | ١٥٩ |
| نقد الكتاب | ١٧٨ |
| ذكر أوجه العربية فى القراءات | ١٨٥ |
| تفسير القرآن بالشعر | ١٨٩ |
| الربط بين الوجه الإعرابى والوقف | ١٩٣ |
| الربط بين الخط والوقف | ١٩٦ |
| الاتجاه الكوفى فى الكتاب | ١٩٩ |
| موازنة بين كتاب الوقف والابتداء وكتاب القطع والائتناف | ٢٠٥ |
| أهمية هذا الكتاب وأثره | ٢١٤ |
| ٣ـ كتاب الزاهر فى معانى كلمات الناس: | ٢١٧ |
| نسخ الكتاب | ٢١٨ |
| عرض الكتاب | ٢٢٥ |
| منهجـــــه | ٢٢٦ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| موقف ابن الأنبارى من الأمثال والعبارات اللغوية | ٢٢٨ |
| أنواع العبارات اللغوية فى الزاهر | ٢٣١ |
| طريقة ابن الأنبارى فى شرح العبارات والأمثال | ٢٣٦ |
| شواهده | ٢٤٠ |
| نماذج من شرحه | ٢٤٢ |
| هل التزم ابن الأنبارى منهجه فى الزاهر ؟ | ٢٥٠ |
| مصادره | ٢٥٣ |
| تأثره بالسابقين | ٢٥٤ |
| أهمية الزاهر وأثره فى اللاحقين | ٢٨٨ |
| ٤ــ كتاب الأضـــــداد : | ٢٩٥ |
| ظاهرة الأضداد | ٢٩٧ |
| موقف الدارسين منها | ٣٠١ |
| مؤلفوا الأضـــداد | ٣٠٣ |
| أسباب وقوع الأضداد | ٣٠٦ |
| أنواعها | ٣٢٣ |
| دراسة موجزة لكتاب الأضداد لابن الأنبارى | ٣٢٥ |
| نسخ الكتاب | ٣٢٥ |
| سبب تأليفه | ٣٢٥ |
| منهجه | ٣٢٧ |
| موقف ابن الأنبارى من الأضداد | ٣٣٤ |
| الفوائد اللغوية فى الكتاب | ٣٤٢ |
| شواهده | ٣٤٩ |
| مصادره | ٣٥٥ |
| أهميته وإضافاته | ٣٥٦ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| ٥ــ كتاب المذكر والمؤنث : | ٣٦١ |
| المقصود بالمذكر والمؤنث | ٣٦٢ |
| أنواع المذكر والمؤنث | ٣٦٣ |
| الفرق بين المذكر والمؤنث | ٣٦٤ |
| علامات التأنيث وأبنيته | ٣٦٨ |
| التاء | ٣٦٨ |
| أقسام استعمالات التاء | ٣٧٠ |
| صيغ يستوى فيها المذكر والمؤنث | ٣٧١ |
| الألف المقصورة | ٣٧٢ |
| الألف الممدودة | ٣٧٥ |
| هل تقسيم ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية تقسيم منطقـــــــــــــى ؟ | ٣٧٦ |
| جهود اللغويين العرب فى دراسة هذه الظاهرة | ٣٧٩ |
| كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنبارى | ٣٨١ |
| نقد كتاب المذكر والمؤنث | ٣٩٥ |
| مصـــــادره | ٣٩٧ |
| الاهتمام بالعلل النحوية | ٣٩٨ |
| أهمية الكتاب | ٤٠٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ٦ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: | ٤٠٣ |
| القصائد الطوال | ٤٠٥ |
| شرح القصائد الطوال | ٤٠٧ |
| كتاب أبى بكر بن الأنبارى | ٤٠٩ |
| نسخه | ٤١٠ |
| منهجه | ٤١١ |
| مصادره | ٤٣٨ |
| أهميتـــــه | ٤٣٩ |
| الخاتمـــــــة | ٤٤٧ |
| فهرس المصادر | ٤٦٠ |
| فهرس الموضوعات | ٤٧٧ |